تاريخ التنجيم عند العرب

وأثره في المجتمعات العربية والإسلامية

تأليف

الدكتور يحيى شامي

أستاذ اللغة العربية

الجامعة اللبنانية





تاريخ التنجيم عند العرب

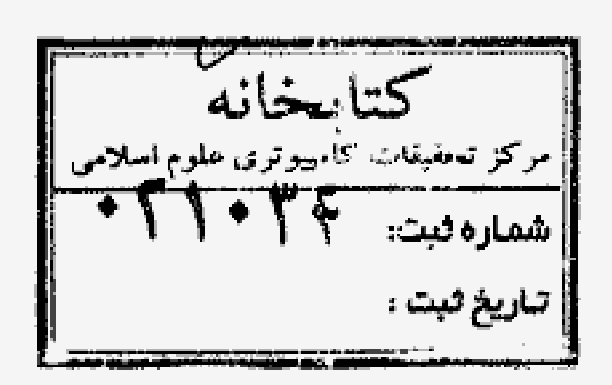
وأثره في المجتمعات العربية والإسلامية


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

تاريخ التنجيم عند العرب
وأثره في المجتمعات العربيّة والإسلاميّة

تأليف
الدكتور يحيى شامي
أستاذ اللغة العربيّة
الجامعة اللبنانية

عز الدين
للطباعة والنشر



الطبعة الأولى
١٤١٤هـ - ١٩٩٤م



مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر
الإدارة: ٨٢٤٧٤٨/٩ - ٨٢١٨٤٣ - المخازن: ٨٤٣٨٤٩ المطابع: ٨٣٧١٤٩٠٢
فاكس: ٨٤٠٣٧٨ - تلكس: ٢٠٣٩٣
بناية لاندراند - بئر حسن - ص.ب: ١٣/٥٢٥١ - بيروت - لبنان

شكــــر

﴿ ووصّينا الإنسان بوالديه حملته أمّه وهناً على وهن وفصاله في عامين أن آشكر لي ولوالديك إليّ المصير ﴾ .

الشكر لمن خلق فسوّى فعدل ، اولاً . . . ولمن ربّاني صغيراً ، عنيت والديّ ، ثانياً .

وإنه لخليقٌ بي أن أتقدم بواجب الشكر ممّن نصح فوجّه مسدداً خطوي في عملي هذا ،

يحيى شامي

« تدبّر بالنجوم ولست تدري ورَبّ النجم يفعل ما يريدُ »[1]



---

(1) بيت من الشعر وجد مكتوباً في بعض البرابي بمصر . انظر : المسعودي : مروج الذهب ومعادن الجواهر ، ٢ / ٨٩ ، تحقيق شارل بلا ، منشورات الجامعة اللبنانية ، بيروت ١٩٦٦ م .

المقــدمــة

يقول مسكويه : « الإنسان متطلعٌ إلى الوقوف على كائنات الأمور ومستقبلاتها ومغيباتها ، فهو بالطبع يتشوفها ويروم معرفتها على قدر استطاعته وبحسب طاقته »[1] . وتطلع الإنسان هذا ، في نظر مسكويه ، يعود إلى أمرين اثنين هما : الشوق إلى الوقوف على الأمور الكائنة قبل حدوثها ، من جهة ، وأخذ الأهبة لها ، إن كان مما ينفع ذلك ، من جهةٍ ثانية ، ولهذا المعنى « اشتاق الإنسان إلى الفأل والزجر ، إذا عدم جميع وجوه الاستدلال من أشكال الفلك وحركات النجوم ، وربما عدل إلى التكهن ، وصدق بكثيرٍ من الظنون الباطلة »[2] .

ونحن ، انطلاقاً من هذا القول ، ندرك السبب الذي من أجله دأب كثيرون في العمل ـ وما يزالون ـ على استطلاع الغيب بأية وسيلةٍ ممكنة ، في محاولة منهم لاستباق معرفة الأمور قبل حصولها ، والعلم بها قبل حدوثها ، معللين النفس باستقراء ما يمكن أن يحمل إليهم المستقبل من أخبار قد تسرّ حيناً ، وقد

---

(١) مسكويه والتوحيدي ، أبو حيان : الهوامل والشوامل ، ص ٢٠٢ ، مطبعة لجنة التأليف والنشر ، القاهرة ١٩٥١ م .
ومسكويه ، أو ابن مسكويه ، كما سنبين لاحقاً ، هو أحد فلاسفة الإسلام وحكمائهم المشهورين . وُلد سنة ٢٥٠ هـ/٩٣٥ م وتوفي سنة ٤٢١ هـ/ ١٠٢٠ م . ومثله أبو حيان التوحيدي المتوفى سنة ٤١٤ هـ/ ١٠٢٣ م .

(٢) الهوامل والشوامل ، ص ١٧٥ ـ ١٧٦ .

تسيء حيناً آخر ، وإن كان الإنسان بطبعه إلى معرفة ما يسره أكثر ميلاً وأشد نزوعاً .

وبدافع من الانطلاق ذاته ندرك أيضاً حقيقة ما رمى إليه Mireille Corvaja ، وهو يقدم لكتابه « نبوءات نوستراداموس » إذ يقول في تقديمه : « إن ثمة رغبة جوحاً كامنة في أعماق كل واحدٍ منا ، تحدوه إلى محاولة الكشف عن المستقبل ، والعمل على هتك ذلك الحجاب الصفيق الذي يغلف بالأسرار حياتنا البشرية »(١) .

ومثل هذا الشعور ، أو النزوع إلى معرفة المستقبل ، نزوع فطري رافق المجتمعات البشرية منذ أقدم العصور فكان ثمة في كل أمة أو ملة ، فئة أو طائفة تستأثر بادعاء المعرفة ، ولها وحدها حق الاطلاع على شؤون المستقبل(٢) .

على أن الذي يهمنا من قول مسكويه الآنف الذكر ، هو التأكيد على أهمية النظر في أشكال الفلك وحركات النجوم ، وهو يعني بذلك ما اصطلح عليه باسم « التنجيم » ، أو « النجامة » التي كانت تعتبر ، ولا تزال ، وسيلة من جملة وسائل كان يتم التعرف بها على المستقبل ، ويستدل بها على الغيب ، وهل النجامة في نهاية المطاف ، وبالمعنى الأوسع للكلمة ، إلا نوعٌ من الكهانة التي ترمي إلى معرفة ما سيحدث ـ أو يجدّ ـ في حياة الدول والأمم ، وفي حياة الأشخاص الذين يولدون في كل دقيقة من كل يوم »(٣) منذ فجر التاريخ ؟

---

(١) corvaja , Mireille : les propheties de Nostradamus , p.21 & Saint - Remy de provence , editions de vecchi , paris 1977.

وميشيل نوستراداموس الذي ولد عام ١٥٠٣ م في سان ـ ريمي دوبروفانس وتوفي عام ١٥٧٤ م ، هو ، كما جاء في الرقيم المثبت فوق ضريحه : « العلم الفرد الذي استطاع عن طريق الإلهام الالهي ، وبتأثير نجومي ، أن يبينَ مستقبل البشرية لجميع الأجيال المعاصرة له ، والقادمة على السواء » : Voir : Les propheties de Nostradamus , Préface , p . 5 .

(٢) C . Mireille : Les prophetie de Nostradamus, p . 21 .

(٣) الحصري ، ساطع : دراسات عن مقدمة ابن خلدون ، ص ٢٤ ، ط ٣ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ١٩٦٧ م .

والمقصود بالكهانة : الإخبار بالأمور المستقبلة ، وإن شئت تعريف مسكويه ، فقل إنها « قوة في النفس تطالع الأمور الكائنة بتخليها عن الحواس » ، والكهانة غير العرافة التي

أجل ، لقد رصد الأوائل ـ وتبعهم في ذلك المتأخرون ـ مدفوعين بهاجس الكشف عن المستقبل ، حركات النجوم ، وصور الأبراج في السماء ، فلاحظوا أن ثمة وقائع بشرية ، وأحداثاً طبيعية تحصل لدى حصول عددٍ من الاتصالات الكواكبية ، وأن ثمة أنماطاً من القرانات النجومية ، ولا سيما تلك التي يُقال لها الكبيرة والمتوسطة والصغيرة ، كانت تشفع دوماً بتأثيرات أرضية ذات دلالات منوعة ، وعلى جانبٍ من الأهمية . هذا ما ذهب إليه الأقدمون ، وظل هذا الاعتقاد سائداً حتى القرون الوسطى حين انبرى J. Bodin المؤرخ الفرنسي الشهير (١٥٣٠ ـ ١٥٩٤ م) ليؤكد هذا الاعتقاد في كتابه « الجمهورية » مستعرضاً عدداً من الأحداث التاريخية المتسببة عن تلك القرانات ، وهي أحداث ، في نظره ، ذات منحى خطير ، ليس أقلها ولادة شارلكان ، واستيلاء صلاح الدين الأيوبي على بيت المقدس ، وثورة الفلامنديين على رودس ، وظهور الإسلام عام ٦٣٠ م . كل ذلك حصل لدى حصول القران الكبير (إقتران الكواكب السيّارة بالشمس في برج العقرب) ، كما أنه ليس آخرها أيضاً ، خلع كل من ملك السويد ، وملكة اسكتلندة وملك تونس ، وثورة الفرنسيين والإنكليز على ملكيهما ، كل ذلك كان إبان حصول قران عام ١٥٦٢ م .

ولم يكتفِ بودان بتفسيره الذي ذهب إليه وهو يستعرض أحداث التاريخ حدثاً تلو حـدث ، بل راح يردد ما قاله المنجمون من قبل عن خواص الكواكب السيارة في سائر الأقاليم : فزحل والزهرة ـ في زعمه ـ مثلاً ، يختصان بالأقاليم الجنوبية من الأرض ، والقمر والمريخ يختصان بالأقاليم الشمالية ، وعطارد بالأقاليم الوسطى منها ، فيما تختص الشمس بجميع الأقاليم ، من هنا ، يقول بودان ، كان الشماليون ميالين إلى القنص والحرب بتأثير من القمر والمريخ ، وكان الجنوبيون ميالين إلى اللهو والطرب والشهوة بتأثير من زحل والزهرة ، أما سكان الأقاليم الوسطى فهم أصحاب الإرادة والسياسة ، وما ذلك ، في رأيه ، إلا بتأثير مباشر من الكوكبين السيارين : عطارد والمشتري[٢] .

هي محصورة بالأخبار عن الأمور الماضية ، ومعرفة الآثار والاستدلال منها على مؤثرها .
انظر : الهوامل والشوامل ، ص ٣٤٠ .

(١) الحصري ، ساطع : دراسات عن مقدمة ابن خلدون ، ص ٢٩ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٩ ـ ٣٠ .

وبشأن التنبوء بمستقبل الدول عن طريق النجامة ، وما إذا كان في ذلك ما يضر بعلم الله ، يستدرك بودان فيقول : « يظن أن الإعتقاد بتأثير وحركات النجوم على أحوال البشر مما يقلل من عظمة الله ، غير أن هذا الظن خطأ محض ، لأن عظمة الله تتجلى أكثر عن طريق مخلوقاتها »[1] . ولا يفوتن بودان القول بأنه « لا يوجد شخص ذو عقلٍ سليم لا يعترف بتأثير الأجرام السماوية في الحوادث البشـرية » وبأن أحوال الدول شأنها في ذلك شأن أحوال البشر ، إنما هي « تتبع الحركات السماوية بعد مشيئة الله »[2] .

هذا عن بودان ، وقل الأمر ذاته في ما يخص Morin ذاك المنجم الذي أحضر خصيصاً إلى غرفة Anne d'Autriche ، وهي توشك على الوضع ، وضع لويس الرابع عشر ، ليكون على استعداد لأخذ الطالع الميمون .

واذكر أيضاً من قبل ، لافيزيير La visière الذي استدعاه إليه هنري الرابع لينظر في أحكام النجوم لدى ولادة ابنه لويس الثالث عشر ، ولا تغفل عن ذكر نوستراداموس الذي أشرف بنفسه على أخذ طالع كل من شارل التاسع وكاترين مديتشي[3] .

وإذا كان هذا هو حال التنجيم إبان القرن السادس عشر للميلاد ، فمن غير المتوقع أن يكون القرن السابق له ، وهو القرن الذي شهد نهاية القرون الوسطى وانبلاج عصر النهضة ، بأحسن حالاً منه إذ تحدثـت المصادر عن حفول عدد من بلاطات الملوك بسيادة المنجمين الرسميين الذين كانوا يستطلعون الغيب ، وينظرون في طوالع الملوك وأبناء الملوك ، وإن كان هذا لا يعني بالضرورة ، شيوع ظاهرة التنجيم على نطاق واسع ، والتالي أخذ جميع أحكامه مأخذ الجد من قبل جميع العلماء والمفكرين ، وليس أدل على ذلك من Pico della Mirondola (١٤٦٣ ـ ١٤٩٤ م) الذي وقف بحزم إزاء ما كان شائعاً في عصره من ضروب التنجيم ، فكشف عن المأزق الذي يواجهه هذا العلم في « استظهار الفارق المهم بين ما يُعرف بمجال الضرورة Necessity ومجال الحرية Free dom

(١) دراسات عن مقدمة ابن خلدون ، ص ٢٨ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٨ .

(٣) الحصري ، ساطع : دراسات عن مقدمة ابن خلدون ، ص ٢٦ ـ ٢٧ .

« ذلك أن التنجيم ـ كما هو معلوم ـ يسعى إلى ربط وجود الإنسان بالسماء ، وإلى قراءة طالعه واستخلاص قدره ومصيره من النجوم »[1] .

وانسحاباً على ما تقدم ، يستنتج ميروندولا أن الإنسان في هذه الحال « يضحي مشدوداً إلى حتمية لا يستطيع فكاكاً منها ، لأن الأمر يرجع كله إلى ظروف خارجة عنه ، وإلى مبدأ الضرورة الذي يفرض نفسه عليه فرضاً . ولما كان الإنسان مرتبطاً بالإنسان نفسه ، فإن مصيره محكوم بإراداته وجملة أفعاله ، ولا يمكن استخلاص إرادة الإنسان من مصدر خارجي في الطبيعة الفيزيائية ، كالاعتقاد مثلاً بأن سلوكه تحدده جملة قوانين ميكانيكية صارمة ، إذ أن الأخذ بهذا الإعتقاد يؤدي إلى تغليب كفة المادة على كفة الروح »[2] .

وبهذا القدر من الإيمان والحزم ، استطاع Mirondola أن يحرر نفسه تماماً من الخوف ، ومن عقدة الشياطين ، ومن الأقدار المميتة وتأثيرات النجوم المهلكة « فيما كان غيره من المفكرين المعاصرين له أمثال Ficino (١٤٣٣ ـ ١٤٩٤) ما يزالون يعانون عقدة الحذر من هاجس تأثير علم النجوم وعقدة الخوف من الأقدار[3] .

ولئن ظل صعباً التفريق بين التنجيم ، أي علم النجوم ، وبين علم الفلك ، أي الهيئة ، كما كان يُطلق عليه في القديم . . ولئن كان هذا هو حال التنجيم ، وتميزه بالقدرة على الصمود والاستمرار حتى عصور متأخرة من التاريخ ، على الرغم من شدة التنازع فيه ، فإنه لم يتوصل إلى التفريق بينهما نهائياً إلّا على يد غاليلو Galilée (١٥٦٤ ـ ١٦٤٢ م) الذي اخترع المنظار المقرّب Telescope . . مثبتاً نظرية دوران الأرض ، ومعها الكواكب ، حول الشمس ، تلك النظرية التي أطلقها من قبل سلفه كوبرنيكوس فأخذ التنجيم إذ ذاك يفقد بريقه ليتلاشى تدريجاً وعاماً بعد عام ، أمام وهج تحول الأرصاد العلمية المتقدمة ،

---

(١) العمر ، عبد الله : ظاهرة العلم الحديث ، ص ١٢٨ ، سلسلة « عالم المعرفة » ، العدد ٦٩ ، سبتمبر ١٩٨٣ م ، الكويت .

(٢) المصدر السابق ، ص ١٢٨ ، وانظر أيضاً : Cassier , Ernest : Giovanni Pico della mirondola , Journal of the history of ideas , Vol . III , 1952 .

(٣) ظاهرة العلم الحديث ، ص ١٣١ ، سلسلة عالم المعرفة ، العدد ٦٩ ، الكويت ١٩٨٣ .

والهادفة إلى دراسة أحوال السماء والنجوم بما يؤدي إلى المنفعة العلمية الحقيقية[1] . كل هذا كان يجري على الرغم من استمرار تدريس التنجيم في عددٍ من الجامعات الأوروبية ، وبخاصة الجامعات الإيطالية مثل جامعة بادووا ، وجامعة ميلانو على سبيل المثال ، وعلى الرغم من استمرار الاعتقاد به فضلاً عن ممارسته من قبل عدد من علماء الفلك النابهين أمثال كل من Tycho Brache الذي كان أول من خرج على تعاليم بطليموس الفلكية في عصر الانبعاث ، و Kepler مكتشف القوانين الفلكية المعروفة باسمه[2] .

ونحن إذا ما استعرضنا تاريخ التنجيم ، أي علم النجوم القائم على أساس التنبوء بالمستقبل ، وجدنا أن جذوره تضرب بعيداً في أعماق الزمن ، وأن له موطيء قدم بين الكثير من العلوم والصنائع والفنون ، وهذا ما حدا الإمام أبا بكر الرازي إلى القول حتى المبالغة : « إنك لا تصل إلى تاريخ إلا وترى هذين العلمين كانا موجودين قبله »[3] . ومن جهةٍ ثانية فإن أبا بكر يتساءل متعجباً من توفر الناس عليه فيقول في موضعٍ آخر : « لو كان هذا العلم باطلاً ـ أي التنجيم ـ لامتنع إطباق أهل الدنيا من الدهر الداهر إلى هذا اليوم ـ أي العصر الذي عاش فيه ، وهو القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي ـ على التمسك به ، والرجوع إليه . فهذه الوجوه بيانات ظاهرة في صحة هذا العلم »[4] انتهى كلام الرازي .

وبصرف النظر عن صحة أحكام هذا العلم ، أو عدم صحتها ، فإن الذي يهمنا هو أن التنجيم علمٌ قديم العهد ، طبع بطابعه حضارات متعددة ، وعرفته شعوب وأمم مختلفة ، وإن كان أشهرهم على الإطلاق المصريون والكلدان ، فاليونان فالرومان .

ونحن لو استعرضنا تاريخ اليونان على سبيل المثال ، حتى في تلك الحقبة التي ازدهر بها التفكير الفلسفي ، وكانت الغلبة للنزعة العقلانية

---

(١) البستاني ، بطرس : دائرة المعارف ، ٦ / ٢٢٧ ، دار المعرفة ، بيروت .
(٢) الحصري ، ساطع : دراسات عن مقدمة ابن خلدون ، ص ٢٧ .
(٣) الرازي ، أبو بكر : المطالب العالية من العلم الإلهي ، ٨ /١٥٢ ، دار الكتاب العربي بيروت ، تحقيق د . أحمد حجازي السقا .
(٤) المصدر نفسه ، ٨ / ١٥٢ .

Rationalisme ، لوجدنا أن ثمة ما يؤكد استمرار التوسل بشتى الوسائل لمعرفة المستقبل ، واستخدام شتى أساليب الكهانة ، وطرق الإستدلال على المستقبل والتنبوء به ، وليس أقلها النجامة التي هي فرع من الكهانة ، بل في طليعة فروعها المختلفة التي أقيم لها الهياكل ، وشيّد على اسمها وأسماء الكهان كثيرٌ من المعابد . ونحن لا نعدو الحقيقة إذا قلنا إن مفكرين كباراً ، وملوكاً عظاماً خضعوا لمثل هذا التأثير التكهني ، وساورهم مثل ذلك الإعتقاد ، وهذا ما حدا بعض مؤرخي اليونان إلى القول : « إن كل تاريخ اليونان بمثابة فصلٍ كبير من فصول الكهانات »[1] . هذه الكهانات التي كان يتعزز شأنها أكثر ما يكون في أيام الشدائد والمحن والحروب ، وما موقعة « ترموبولس بين اسبارطة وفارس ، ولا تلك المسماة بمعركة « سالاميس » حينها ألحّ الأثينيون على استشارة الكاهنة « دلفي » في مصير الحروب المادية ، سوى دليل ساطع على ما كان للكهانة عند اليونان من قوة تأثير[2] ، وإن شئنا التثبت من ذلك أكثر فلنقرأ سيرة حياة ملكهم Grésus وما أحاط بها من أثر تكهني ، فإن فيها ما يعزز ما ذهبنا إليه في هذا الشأن إلى حد بعيد[3] .

وأنت لو استعرضت تاريخ الرومان ، من بعد ، لعلمت أن مثل هذا الإعتقاد لم يكن غريباً عن الأذهان إذ أنشىء ـ كما يحدّث التاريخ ـ في الكابيتول مجمع رسمي خاص بالكهانة كان يرجع إليه بصورة رسمية ، وذلك من أجل أخذ الرأي والمشورة من الكهان والمنجمين . لا بل إن ثمة قانوناً خاصاً صدر عام ١٤٠ ق . م . وقضى بمراجعة المجمع المذكور في كل مسألة مهمة ولدى حدوث أية ظاهرة قد تثير الدهشة والاستغراب كمثل « حدوث الزلازل والبراكين ، وظهور الكواكب المذنبة ، وولادة المسوخ البشرية والحيوانية التي كانت تعتبر إنذارات من الآلهة للإخبار بما سوف يكون »[4] .

وانسحاباً على هذا الأثر فإن معظم أباطرة الرومان أمثال نيرون ،

---

(١) دراسات عن مقدمة ابن خلدون ،ص١٣ ، وانظر أيضاً : 1 . de gérin Richard : Histoire de l'occultisme , P . 74 .

(٢) دراسات عن مقدمة ابن خلدون ، ص ١٨ . .

(٣) المصدر نفسه ، ص ١٤ .

(٤) دراسات عن مقدمة ابن خلدون ، ص ٢٠ ـ ٢١ .

وأوكتافيوس وتيبريوس ، وماركوس أورليوس كانوا ممن يأخذون بمشورة أصحاب النجامة التي أولوها قسطاً من اهتماماتهم ، لا بل إن بعض الأباطرة تعلموا النجامة فعلاً فكانوا يشتغلون بها ، وينظرون بأنفسهم في طوالع القواد والرجال الذين قد يتوجس منهم خيفة ، وهذا ما فعله كل من تيتوس ودوميتيانوس ، وما أقدم عليه أيضاً كل من ماركوس أورليوس ، وسبتيموس سرفرسيوس الذي نظر يوماً في طالع جوليا ، تلك الفتاة السورية الفاتنة ، فعلم أنها ستكون زوجة لملك عظيم من قبل أن يصير هو نفسه صاحب الملك المؤزر ، والامبراطور العظيم[1] .

هذا عن تاريخ التنجيم عند الرومان واليونان ، وقل الأمر عينه في ما يخص الفرس والكلدان والمصريين والهنود ، وإن لنا وقفة مع هؤلاء جميعاً ، ليس الحديث عنها في هذه المقدمة .

أما عن تاريخ التنجيم عند العرب ، وهم الأمة الوسط بين الأمم ونقلة العلوم ، وخزنة الحضارة التي وصلت بين القديم والحديث ، فقد عانوه أشد المعاناة ، واشتهروا به بين الشعوب ، ثم اتصل منهم بصورته المهذبة والمتطورة ، في الأندلس ، إلى أوروبا ، ولا تخفى قصة الزيجات المنسوبة إلى ألفونس العاشر التي أنشأها في القرن الثالث عشر للميلاد / السابع للهجرة ـ بتأثير عربي ـ والتي عوّل عليها منجمو أوروبا حتى أواخر القرن الثامن عشر للميلاد[2] .

والعرب في مجال التنجيم لم يكونوا بدعاً من الأمم إذ هم عرفوا منذ الجاهلية ، كما سنرى لاحقاً ، ما يُعرف بعلم الأنواء ، الذي يُعتبر في جانب منه ، على الأقل ، خطوة متقدمة في الزمن على التنجيم بمعناه العلمي الواسع . وفي العصر الإسلامي ، وعلى الرغم من موقف الدين الجديد المناهض للقائلين بالتنجيم ، استمر الأخذ بمثل هذا الاعتقاد ، ولو بشكل محدود ، وساعد على ذلك قيام الدولة الأموية ، ونشوء الصراعات الحزبية والسياسية مما عزز القول بتأثير القرانات النجومية في مسار الدول وأعمار الملل ، فلا عجب والحال هذه ، أن نعثر على بعض النصوص التي تعود إلى تلك الحقبة فتتحدث عن تأثير القرانات القمرية ، وإليك على سبيل المثال ما وُجد في بعض الكتب المنقولة عن الفارسية إلى العربية ، والتي يعود تاريخها إلى السنة الخامسة والخمسين من الهجرة ، وذلك

---

(١) المصدر نفسه ، ص ٢٤ ـ ٢٥ .

(٢) البستاني : دائرة المعارف ، د /٢٢٧ .

على لسان « جاماساب » الحكيم إذ هو يقول :

« إن القرانات القمرية اثنا عشر قراناً ، وكل قران ستون عاماً ، وفي كل ثلاث مثلثات يقع للعالم حكم . وفي القران العاشر عند انتهائه ودخول أمدٍ يسير من القرن الحادي عشر يظهر بنو قنطور ، وتملك العباد ، وتخرب البلاد ، فإذا انتهى الحادي عشر قتل بنو قنطور بني الأصفر ، وملكوا الزوراء ، وذهبت بيضة الإسلام ، وملكوا على الدنيا كافة شرقاً وغرباً . وإذا كان الثاني عشر تضمحل الأديان وظهر الخائف ـ أي المهدي المنتظر ـ ، وهو ابتداء دولته ، ونزل عيسى من السماء ، وتجدد الأديان ، ويُعبد الرحمان »[1] .

أما في العصر العباسي ، ونتيجة لتداخل العناصر الأعجمية والعربية ، وبتأثير من الثقافات الفارسية والهندية واليونانية ، وبتشجيعٍ من بعض الخلفاء والحكّام والسلاطين ـ والناس على دين ملوكهم ، كما يُقال ـ ، وتجاوباً مع روح الترجمة وتقدم العلوم على اختلافها ، ولا سيما علم الفلك أو الهيئة . فإن التنجيم خطا خطواته الواسعة قدماً إلى الأمام ، وأضحى ظاهرة شغلت بال العديد من الفقهاء والعلماء والفلاسفة والأدباء والشعراء ، وكتب فيه ذوو المعرفة والاختصاص رسائل وكتباً ومؤلفات ، ومارسه مهرة أذكياء ، وانتحله مزيفون ادعياء أوحوا زخرف القول فيه إلى كثير من العوام والخاصة من الخلفاء والوزراء والقواد والأمراء . صدقه بعضهم وكذّبه بعضهم الآخر . وبين صحة بعض نبوءاته وأحكامه ، وخطأ بعضها الآخر ، ثمة مؤيدون وأنصار ، ومنددون على سبيل الإزراء والإنكار . وبين هؤلاء وأولئك ، فإن جماعة المنجمين ما انفكوا يطلقون لخيالهم العنان فيصدرون الأحكام تلو الأحكام ، حتى إذا ما ظهر بطلان بعضها ، وبان زيفها ، ردوا ذلك إلى خطأٍ في الحساب ، وقالوا إن ما حصل لا بد

---

(١) ابن طاووس : الملاحم والفتن في ظهور الغائب المنتظر ، ص ١٩٦ ، ط ٥ . منشورات الأعلمي ، بيروت ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م .
و« الزوراء » ، ببغداد في الجانب الشرقي ، سُميّت زوراء لازورار قبلتها . ودجلة بغداد تُسمى الزوراء . والزوراء دار بالحيرة بناها النعمان بن المنذر .
و« بنو الأصفر » هم الروم . و« بنو قنطور » ، ويُقال لهم أيضاً بنو قنطوراء ، هم الترك ، وقيل هم السودان .
انظر : ابن منظور : لسان العرب ٤ / ٣٣٨ و ٤ /٤٦٥ و ٥ / ١١٩ ، دار صادر ، دار بيروت .

من حصوله ، ولا يمكن رده ، إذ يكفي ـ في زعمهم ـ العلم بوقوع الشيء قبل وقوعه ، وإن لم يقع هو بالفعل : « أوليست ثمرة هذه الصناعة ـ أي التنجيم ـ هي تقدمة المعرفة بما يكون ، والاستعداد له بما يمكن ، وإن لم يؤدِ ذلك حكماً إلى دفع مقدور نازل ، أو معارضة محتوم حاصل ؟ »[1] . حسب تعبير أبي إسحاق الصابي .

ثم « أوليس من سعادة السعيد ـ وهذا كلام أبي إسحاق أيضاً ـ أن يعلم هذا الأمر فيتصدى لحيازة ما يحب ، ويتوقى حلول ما يكره ؟ وربما كان من نحوسة المنحوس أن يجهله فيكون كالمسلوب بصره وسمعه الذي لا يرى فيتحفظ ، ولا يسمع فيتيقظ ، وكلا الأمرين لسابق قضاء الله تعالى موافق ، ولتقدم علمه مطابق »[2] .

ولئن صح عدد من أحكام المنجمين التي منها الحكم بأن مُلك بني العباس يخرج من أيديهم ، ثم ينتقل إلى رجلٍ من أصبهان في وقتٍ ما ، وهو الوقت الذي خرج فيه عماد الدولة ، علي بن بويه بأصبهان ، وهو ما صرح به « كنكه » المنجم الهندي في عهد الرشيد[3] . فإن ثمة أحكاماً أخرى قد صح بعضها إلى حين ، وهذا هو حال من زعم أن ليس لأحد من خلفاء الإسلام ، وملوك هذه الملة أن يملك أكثر من أربع وعشرين سنة ، حتى إذا ما امتد ملك المطيع[4] إلى الثلاثين عاماً ، انبرى أحد المتحمسين لهذه الصناعة ـ أي التنجيم ـ فراح ينتحل الأعذار ، ويصطنع الحجج دفاعاً عن صحة الحكم النجومي ليقول : « إن الدولة والملك قد انتقل في آخر أيام المتقي وأول أيام المستكفي ، من آل عباس إلى آل بويه ، وما بقي في أيدي العباسيين إنما هو أمرٌ ديني إعتقادي ، لا ملكي دنيوي ، كمثل ما لرأس الجالوت عند اليهود من أمر الرئاسة الدينية من غير ملك

---

(١) الثعالبي : يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر ٢ / ٢٤٨ ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

(٢) المصدر نفسه ، ٢ / ٢٤٨ .

(٣) البيروني ، أبو الريحان : « الآثار الباقية عن القرون الخالية » ، ص ١٣٢ ، مكتبة المثنى ، بغداد .

(٤) هو أبو القاسم ، الفضل ، الخليفة العباسي ، تسلم مقاليد الحكم سنة ٣٣٤ هـ / ٩٤٤ م .

ولا دولة »[1] .

ومثل هذا كثير في أخبار المنجمين ، وإن شئت تبياناً أكثر ، فإليك ما قالوه عن نزول زحل في برج السنبلة مرة في كل ثلاثين عاماً ، الأمر الذي يوجب في حساباتهم حصول عدد من الوقائع ذات المنحى الخطير : قالوا : إن خيبر ومكة فُتحتا سنة ثمان للهجرة إبان نزول زحل في البرج المذكور ، وإن الحرب بين علي ومعاوية في صفين وقعت بعد ثلاثين سنة ، أي في سنة ثمان وثلاثين ، وفي عام ثمانية وستين كانت حروب المختار الثقفي ، أما سليمان بن عبد الملك فإن وفاته في سنة ثمان وتسعين ، وأما ظهور أبي مسلم الخراساني ففي عام ثمانية وعشرين بعد المائة . وأما المنصور فوفاته سنة ثمان وخمسين بعد المائة ونكبة البرامكة بعد وفاته بثلاثين عاماً ، ووفاة المأمون عام ثمانية عشر بعد المائتين ، في حين أن مقتل المتوكل كان بعد ذلك بثلاثين عاماً ، ووفاة الموفق سنة ثمان وسبعين بعد المائتين[2] .

تلكم أقوال المنجمين ، أما لماذا هذه الأحداث بعينها جميعاً ، فلأنها وافقت نزول زحل في برج السنبلة مرة في كل ثلاثين عاماً : وأما سواها من الوقائع والأحداث التي لم تقلّ أهمية عنها ، بل ربما كانت أشد وأدهى ، وليس أقلها وفاة النبي ﷺ ومن جاء بعده من الخلفاء الراشدين وغير الراشدين من الأمويين والعباسيين ، ولا تلك المتعلقة بحروب الجمل والنهروان وواقعة الطف بكربلاء ، وفتح عمورية . أقول : أما سواها من الوقائع والأحداث ، فإن هذا كله لمّا جهلته أو أغفلته ذاكرة المنجمين .

ونحن لسنا في هذه المقدمة ، بصدد مناقشة أقوال المنجمين ، أو الحكم عليها بالخطأ والصواب ، لكن حسبنا أن نُشير إلى ما ثبت من تهافت بعضها ، ولا سيما في ما يُعرف بأخذ الطالع ـ والمقصود به قراءة مستقبل المولود ساعة

---

(١) البيروني : الآثار الباقية عن القرون الخالية ، ص ١٣٢ .
والمتقي هو أبو اسحاق ، إبراهيم ، الخليفة العباسي.تسلم مقاليد الحكم سنة ٣٢٩ هـ . ما المستكفي ، وهو أبو القاسم ، عبد الله ، الخليفة العباسي ، فقد تسلم مقاليد الخلافة سنة ٣٣٣ هـ / ٩٤٣ م .

(٢) الصابيء ، أبو الحسن ، الهلال : الوزراء ، أو « تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء » ، ص ٢٤٨ ـ ٢٤٩ . دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ١٩٥٨ م ، تحقيق عبد الستار أحمد فرّاج .

ولادته ـ وما اعترف به أصحاب هذه الصناعة أنفسهم ، وغيرهم سواء بسواء : يقول أبو العنبس محمد بن إسحاق بن إبراهيم الصيمري ، نديم المتوكل وشاعره ، متسائلاً ومتعجباً : « أنا وأخي توأمان ، وخرجت أنا وهو من البصرة في يوم واحد ، وساعةٍ واحدة ، ودخلنا سرّ من رأى في يوم واحد ، فولي هو القضاء ، وصرتُ أنا صفعان ، أي يصفع دائماً ، فمتى يصح أمر النجوم !؟ »[1] .

ولعل من أطرف ما يحضرنا بهذا الشأن ، في هذه المقدمة بالذات ، حديث المنجم السجستاني ، المعروف بأبي علقمة البستي ، وكان تنبأ للناس بغدٍ يوم عبوس قمطرير تموت فيه أمه . ولما أن جاء الغد ، وكان أصفى ما يكون ، دخل على أمه فخنقها ، فقيل له في ذلك ، فقال : « أحببتُ أن لا يخطىء حكمي ، ولا أكون كاذباً »[2] .

والأطرف من هذا ما حكاه الواعظ الفقيه أبو محمد عبدالله بن جابر ، المعروف بابن ماهان ، ويُقال له الماهاني أيضاً (توفي عام ٣٨٩ هـ / ٩٩٨ م) ، قال : « مررت بمنجم قد صلب ، فقلت له : هل رأيت هذا في نجمك وحكمك ؟ قال : قد كنتُ أرى لنفسي رفعة ، ولكن لم أعلم أنها فوق خشبة »[3] .

وما أطرف ما قاله الكعبي لمحمد بن زكريا الرازي ، المنجم والطبيب (توفي سنة ٣٢٠ هـ / ٩٣٢ م) قال الكعبي مخاطباً الرازي :

« ادعيت ثلاثة علومٍ وأنت أجهل الناس بها : ادعيت الكيمياء ، وقد حبستك زوجتك على عشرة دراهم ، وادعيت الطب ، وتركت عينك حتى ذهبت ، وتدعي النجوم والعلم بالكائنات ، وقد وقعت في نوائب لم تشعر بها حتى أحاطت بك »[4] .

---

(١) التوحيدي ، أبو حيان : البصائر والذخائر ، ٣ / ٥٨ . مكتبة أطلس ومطبعة الإنشاء ، دمشق ، تحقيق د . إبراهيم الكيلاني .
(٢) المصدر نفسه ، ٤ / ٩٨ .
(٣) التوحيدي ، أبو حيان : البصائر والذخائر ، ١ / ٥٤ .
(٤) ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ، ص ١٥٨ ، دار المسيرة ، بيروت .

أجل ، ما كان أقل صواب أحكام المنجمين ، وما أسرع تصديق الناس تلك الأحكام ، والتغاضي عن أخطائهم ، لا لشيء ، إلاّ لأن الناس غالباً ـ وكما يقول أبو حيان التوحيدي ـ : « مولعون في باب النجوم خاصة ، برواية ما أُصيب فيه ، وإخفاء ما أخطأته ، وبسط العذر في ما عرض له تقصير ، وإطالة القول في ما صحبه أدنى بيان . ولو جمع الصواب البارع من أهل الصناعة لما كان إلاّ مثل صواب الزرّاق ، والمولع بالحدس ، ومرسل الخاطر نحو الشيء »[1] . على أن أصحاب التحصيل من هذا العلم ، والمتمكنين من صناعتهم ، إذا ما كذبهم الواقع ، وأعوزهم الدليل ، لا يسعهم إلاّ الاعتراف بالخطأ ، والقول بأن الغيب طريق مظلم ، لا دليل عليه ، ولا سبيل يوجه إليه . وهو أي علم النجوم ، « ينفلت منه في حال تحصيله ـ والكلام لأبي حيان ـ أضعاف ما يظفر به ، فلهذا يقلّ صوابه ويكثر خطؤه »[2] .

وليس أدل على هذا الخطأ ، ولا أبين من تصديق بعض الناس بأحكام النجوم من كلام ذلك الشيخ الذي زعم أن عضد الدولة البويهي (توفي عام ٣٧٣ هـ / ٩٨٣ م) سيدخل بخيله ورجله مصر ، ثم يطمئن بها مدة ، فيكون له فيها شهرة ، فكان التعليق على هذا الكلام من جانب الشيخ الآخر المتعصب جداً للنجوم ، حين قال معقباً : « أما بغير النجوم فأزعم أنه لا يكون من هذا كثيرٌ ولا قليل »[3] .

وسواء أصدقنا نحن ، بهذا الكلام ، وآمنا بذاك الاعتقاد النجومي الذي آمن به ذلك الشيخ الجليل ، أم لم نصدق به ولم نؤمن . وسواء أكنا من الذين يتطلعون إلى ما تقوله النجوم وأبراج السماء ، أم لم نكن . وبعيداً عن الخوض في تفاصيل هذه « اللعبة » التي اسمها التنجيم إذ الخوض فيها جد عسير . فإن الذي يهمنا في الكتاب أن نبين أثر التنجيم في الحياة الإجتماعية والفكرية والأدبية حتى أواخر العصر العباسي » والاحاطة بما أثر عن التنجيم الذي لم يكن العرب والمسلمون بدعاً فيه من الأمم والشعوب ، والاعتناء بما أُلّف فيه من كتب ورسائل ، وبمن ظهر فيه من الأعلام ، مركزين خصوصاً على أثره الاجتماعي

---

(١) التوحيدي ، أبو حيان : البصائر والذخائر ، ٣ / ١٤٨ . والزرّاق : الخدّاع .

(٢) البصائر والذخائر ، ٣ / ١٤٨ .

(٣) البصائر والذخائر ، ٣ / ١٤٨ .

والفكري والأدبي ، ملتزمين جانب الحذر والحيطة لجهة الحفاظ على إظهار مبادئه العامة ، والاعتناء بخطوطه العريضة دون الخوض عمقاً في التفاصيل . ولا يعني هذا مطلقاً أننا أهملنا التعريف به وتبيان بعض خصائصه وحساباته وجداوله وآلاته التي عرضنا لها لماماً . لكن الجانب الآخر : وأعني الجانب التاريخي والفكري والاجتماعي والأدبي ، هو الذي استحوذ على تفكيرنا ، فكان هو المفصل الرئيسي لدراستنا هذه التي كان الحافز عليها خلو المكتبة العربية ـ في ما أعلم ـ من دراسة مماثلة . ولقد تمّ حصر الموضوع في إطار زمني محدد ينتهي بنهاية العصر العباسي ، أي في منتصف القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي ، متيحين الفرصة لمن يأتي من بعد من الباحثين والدارسين فيكمل ما بدأناه حتى العصر الحديث .

ومن أجل هذه الغاية ، فإني عكفتُ على طائفةٍ من المصادر والمراجع ذات الصلة بالموضوع ، معولاً بشكلٍ خاص على أعمال المنجمين ومصنفاتهم ، وعلى كتب السيرة والرواية والتاريخ والأدب ، ودواوين الشعراء وأعمال الفلاسفة والمتكلمين والعلماء والفقهاء . هذا فضلاً عن القيام بالرجوع إلى بعض الكتب الحديثة التي تمت بصلة وثيقة إلى الموضوع ، مع الإشارة إلى أني لم آل جهداً في القيام بنفسي ، ولو بصورة محدودة ، وضمن ما سمح به الوقت وأذنت به الظروف ، بزيارة عدد من دور الكتب العامة والخاصة ، بهدف الإطلاع عن كثب على بعض المخطوطات والآثار ، وهذا ما فعلته لدى زيارتي لباريس ودمشق وبغداد . . . .

ولقد قسمت هذا الكتاب إلى أبواب وفصول ومباحث هي التالية :

ـ الباب الأول ، وعنوانه « التنجيم » ، جعلت منه ثلاثة فصول تحدث الأول منها عن التنجيم بين العلوم ، والثاني عن الدلالة التنجيمية وهو عبارة عن مبحثين اثنين في دلالة الكواكب والأبراج . أما الثالث ، فتحدثت فيه عن التنجيم في الأمم القديمة حتى الرومان .

ـ الباب الثاني ، وعنوانه « التنجيم عند العرب » ، وهو عبارة عن ثلاثة فصول ، تحدثت في الأول منها عن التنجيم قبل العصر العباسي ، وهو عبارة عن مباحث ثلاثة خاصة بالتنجيم في العصر الجاهلي ، وعصر صدر الإسلام والعصر الأموي ، وتحدثت في ثانيها عن التنجيم في العصر العباسي ، وهو بدوره عبارة عن مبحثين اثنين ، تحدث الأول منهما عن صورة العصر في المشرق وفي المغرب

العربي وبلاد الأندلس ، وتحدث الثاني عن العلوم الدخيلة وحركة الترجمة والنقل بتأثير يوناني وآخر هندي فارسي ، أما في الفصل الثالث وهو أوسع الفصول فتحدثت في المبحث الأول منه عن النجوميين الذين ألفوا في النجوم ولم يُعرف عنهم أنهم منجمون أو من أصحاب المؤلفات التنجيمية ، وتحدثت في الثاني عن المنجمين الذين ينقسمون بدورهم إلى فئتين اثنتين : فئة تختص بمن لم يعرف عنها وضع مؤلفات في التنجيم . أما الثانية فهي خاصة بأصحاب المؤلفات التنجيمية ، وهي أوسع الفئات .

ــ الباب الثالث ، وعنوانه « أثر التنجيم في الحياة الاجتماعية » ، وهو عبارة عن فصلين اثنين مسبوقين بتمهيد يتعلق بطبقة المنجمين الاجتماعية ، وقد اختص الفصل الأول بالحديث عن اهتمام الخاصة بالتنجيم ، ونعني بهم طبقة الحكام والخلفاء والوزراء والقواد والولاة والقضاة ، واختص الثاني بالحديث عن اهتمام العامة بالتنجيم ، فكان عبارة عن مبحثين اثنين أحدهما في أخطاء المنجمين والآخر في إصاباتهم .

ــ الباب الرابع ، وعنوانه « أثر التنجيم في الحياة الفكرية » ، وهو عبارة عن فصلين اثنين يختص الأول منها بالحديث عن الفقهاء والعلماء ، ويختص الآخر بالحديث عن المتكلمين والفلاسفة .

الباب الخامس ، وهو الأخير ، وعنوانه « أثر التنجيم في الحياة الأدبية » ، فهو عبارة عن فصلين اثنين أولهما يتحدث عن الدلالة التنجيمية لدى عدد من الأدباء والشعراء في المشرق والمغرب والأندلس ، وثانيهما يعرض لطائفة أخرى من الشعراء والأدباء الذين وقفوا من التنجيم موقفين اثنين متعارضين .

وأخيراً ، فإننا أنهينا دراستنا هذه بخاتمة أجملنا فيها أهم ما توصلنا إليه وأبرزه ، ثم اتبعناها بعددٍ من الجداول الفلكية ، التي قد تعين القارىء بالاطلاع عليها مباشرة ، كما لم يفتنا أن نضع في نهاية المطاف عدداً من الفهارس العامة والخاصة وهي تدور في مجملها حول الأماكن والأعلام والمصطلحات الفلكية والتنجيمية .


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

البـاب الأول

التنجيم

١ ـ الفصل الأول : التنجيم بين العلوم ، تعريف ومبادىء عامة
٢ ـ الفصل الثاني : الدلالة التنجيمية .
٣ ـ الفصل الثالث : التنجيم في القديم .

الفصل الأول

التنجيم بين العلوم ، تعريف ومبادىء عامة

- التنجيم في اللغة .
- التنجيم في الاصطلاح .
- نوعا التنجيم : الإستدلالي والحسابي .
- التنجيم والعلوم العقلية .
- التنجيم والعلوم الفلسفية .
- التنجيم والعلوم السرية .
- التنجيم والطلسمات .
- التنجيم والعلوم الفلكية .
- اهتمامات العالم بالتنجيم .
- تعريف عام .

التنجيم بين العلوم : تعريف ومبادىء عامة

التنجيم في اللغة :

التنجيم ، لغة ، مصدر باب التفعيل من نجّم ينجّم تنجيماً . وفي الأصل : نجّم المال ، إذا أداه نجوماً ، ونجم عليه الدية . إذا قطعها عليه نجماً نجماً ، ويُقال : جعلت مالي على فلان نجوماً معدودة يؤدي عند إنقضاء كل شهر منها نجماً . وقد نجمها عليه تنجيماً[1] . وتنجيم الدين : تقدير عطائه في أوقات معلومة متتابعة ، مشاهرة أو مساناة ، ومنه تنجيم المكاتب ، ونجوم الكتابة ، وأصله أن العرب كانت تجعل مطالع منازل القمر ، ومساقطها ، مواقيت لحلول ديونها . والمنجّم والمتنجّم : الذي ينظر في النجوم ، يحسب مواقيتها وسيرها[2] .

التنجيم في الاصطلاح :

هذا في الأصل اللغوي ، وفي الاصطلاح ، نجّم فلان : نظر في حظوظ الناس بحسب حركات النجوم وسيرها ، ومن يفعل ذلك يُقال له المنجّم . وعلى هذا ، فالتنجيم ، هو « النظر في الحركات الفلكية والاتصالات الكوكبية لمعرفة أحكام النجوم من اقتضاء حركاتها الوقائع الكونية، والأمور الأرضية[3]، فيكون

---

(١) ابن منظور : لسان العرب ، ١٢ / ٥٧٠ ، دار صادر ، دار بيروت .

(٢) المصدر نفسه ، ١٢ / ٥٧٠ .

(٣) الأنصاري ، مرتضى : المكاسب ، هامش ٢ / ٢٧٩ ، ط١ ، تحقيق وتعليق محمد كلانتر ، مؤسسة مطبوعاتي ، دار الكتاب ، قم ، إيران .

الإخبار بذلك بعد النظر في النجوم ».

والمراد بالحركات الفلكية، حركات السيّارات السبع، وهي على مذهب القدامى: القمر، وعطارد، والشمس، والزهرة، والمريخ، والمشتري، فزحل، وذلك انطلاقاً من القول بأن الأرض هي مركز العالم الذي تدور حوله سائر الكواكب والنجوم والأجرام[1]. ولقد يُطلق على التنجيم اسم «علم النجوم» و«صناعة النجوم» و«علم الأحكام»[2]، أي أحكام النجوم، وهو مصطلح إسلامي قديم، كما يُطلق على التنجيم اسم «النجّامة»، وهو مصطلح متأخر وضع من أجل التمييز بينه وبين علم الفلك[3]، أو ما يُعرف بعلم الهيئة[4]، مع التنبيه على أن لفظة «التنجيم» كانت في ما سلف تطلق على

---

(١) استناداً إلى معطيات العلوم الفلكية الحديثة، فإن الشمس هي مركز ما يُعرف «بالنظام الشمسي»، وإن الكواكب السيّارة، وعددها تسعة، تدور حولها، وهي على التوالي: عطارد، فالزهرة، فالأرض، فالمريخ، فالمشتري، فزحل، فأورانوس، فنبيتون، ثم بلوتو. وهذه الكواكب تشكل معاً ما يُعرف بالمجموعة الشمسية.
انظر: هويل، فريد: مشارف علم الفلك، ص ٨٩ و٩٦ و٩٨. ترجمة إسماعيل حقي وعبد الحميد سماحة، دار الكرنك، القاهرة ١٩٦٣ م.

(٢) علم الأحكام، هنا، يُراد به الاستدلال بالتشكلات الفلكية، من أوضاعها وأوضاع الكواكب على الحوادث الواقعة في عالم الكون والفساد. وموضوع هذا العلم الكواكب بقسميها، وأهم مبادئه اختلاف الحركات والأنظار، وغايته العلم بما سيكون.
انظر: خليفة، حاجي: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ١ / ٢٢ ـ ٢٣. مكتبة المثنّى، بغداد.

(٣) علم الفلك أو علم دراسة النجوم، يبحث اجمالاً أحوال الأجرام العلوية، مادة وشكلاً، وأوضاعاً وقوانين تحكم حركاتها.
انظر: Robert, Paul: Dictionnaire Alphabétique et analogique de langue française 1/293, Paris XI, 1977.

(٤) علم الهيئة: أحد علوم النجوم الثلاثة التي هي علم الهيئة، وهو معرفة تركيب الأفلاك وكمية الكواكب وأقسام البروج وأبعادها وحركاتها، وعلم الأزياج أو الزيجات والجداول الفلكية واستخراج التقاويم وعلم الأحكام، أي التنجيم الذي هو معرفة كيفية الاستدلال بدوران الفلك وطوالع البروج وحركات الكواكب، على الكائنات قبل كونها تحت فلك القمر.
انظر: اخوان الصفاء: الرسائل، ١ / ١١٤، دار صادر، دار بيروت، ١٩٥٧ م.
وبخصوص الأزياج أو الزيجات، فهي جمع زيج وزيجة، لفظة فارسية معربة من «زه» التي تعني مسطارة البناء، أو خيط البناء الذي مده على الحائط لتسوية المداميك. أما في =

العلمين معاً أحياناً ، ولم يفرق بينهما بدقة إلاّ في القرن التاسع عشر للميلاد[١] .

والذي يثبت حصول مثل هذا الجمع بين العلمين : التنجيم والفلك ، أن معظم الكتب والرسائل الفلكية ذات السمعة العلمية الرصينة كرسائل أبي الريحان البيروني مثلاً ، كانت تخصص عدداً لا يُستهان به من صفحاتها للجانب العلمي من التنجيم ، أي التنجيم الفلكي القائم على أسس تحديد مواقع الكواكب ، وأوجه القمر المختلفة ، ونقاط اللقاء التي كانت تحدد كل واحدة منها بتقاطع مدارين ، وغير ذلك من أجل معرفة طالع الإنسان ساعة ولادته[٢] .

نوعا التنجيم : الاستدلالي والحسابي :

ومهما يكن من أمر ، فإنه يجب التمييز أيضاً بين فرعين من التنجيم يُقال لأحدهما : التنجيم الاستدلالي ، وهو يُشكل صلب دراستنا هذه ، وبه يستدل على الحوادث المستقبلة عن طريق رصد الكواكب من سيرها وطلوعها واقترانها ، وغير ذلك ، بهدف معرفة ما قدر على الإنسان من القضاء قبل وقوعه ، والآخر : التنجيم الحسابي ، وهو التعرف على الأمور الممكن حدوثها عن طريق مراقبة حوادث الطبيعة كحركات الهواء وما يتعلق بها[٣] . ولا شك في أن الفرع الأول من التنجيم ، أي الاستدلالي ، هو المقصود بتعريف علي بن سينا له حيث يقول « إنه علم تخميني ، الغرض منه الاستدلال من أشكال النجوم والكواكب بقياس بعضها إلى بعض ، وبقياسها إلى درج البروج . وبقياس جملة ذلك إلى الأرض ، على ما يكون من أحوال وأدوار العالم والملك والممالك والبلدان والمواليد والتحاويل والتسايير والاختيارات والمسائل[٤] . والمقصود بـ« المسائل » الإجابة عن الأسئلة

= الفلك فالزيج يستدل به على حركة السيّارات .

انظر : خليفة ، حاجي : كشف الظنون ، ٢ / ٩٤٨ .

(١) دائرة المعارف الإسلامية ، ١٠ / ٦٩ . دار الشعب ، القاهرة ، المكتبة الحديثة ، بيروت .

(٢) شاخت وبوزورث : تراث الإسلام ، ص ١٨٨ . سلسلة عالم المعرفة . العدد ١٢ . الكويت ك١ ، ١٩٧٨ م .

(٣) البستاني ، بطرس : دائرة المعارف .

(٤) ابن سينا : تسع رسائل في الحكمة والطبيعيات ، ص ٧٥ ، ط١ ، مطبعة الجوائب ، القسطنطينية ، ١٢٩٨ هـ .

المتعلقة بحياة الناس ، كما لو سأل سائل بالإخبار بغائب ، أو بمعرفه سارق أو استعادة مفقود . . إلخ . وهذه الأمور أبسط طرائق صناعة الأحكام ، وأكثرها شيوعاً[1] .

والمقصود بـ « الاختيارات » التي هي فرعٌ من فروع علم النجوم ، العلم الذي يبحث عن أحكام كل وقت وزمان ، من الخير والشر ، وأوقات يجب الاحتراز فيها عن ابتداء الأمور ، وأوقات تباشر فيها الأمور ، وفي الإجمال ، إنها إختيار الوقت الموافق للقيام بعمل من الأعمال . والمنجمون يعينون هذا الوقت استناداً إلى معرفتهم بموضع الشمس من البروج وموضع القمر في أي بيتٍ من البيوت الاثني عشر . وفي أي منزل من منازل القمر الثمانية والعشرين ، ساعتئذٍ يكون . وسنرى لاحقاً ما المقصود بمنازل القمر ، وما المقصود من البيوت ، وإن من أشهر الذين كتبوا في الاختيارات : بطليموس ، وعمر بن الفرخان ، الطبري ، والنصراني ، وكوشيار ، وكنكه الهندي ، والخياط ، والسجزي ، وأبا معشر ، والقبيصي ، وإن لنا عودة في تفصيل الكلام حول هؤلاء جميعاً[2] .

وأما المقصود بـ « التحاويل » فثمة ضربان : ضرب يفيد تحول الشمس من برج إلى آخر ، ومعرفة البرج الذي كانت فيه الشمس حين الولادة ، وضربٌ آخر ، وهو الذي يُعرف في لغة المنجمين بتحاويل السنين ، ويتم هذا عن طريق حساب السنين ، وأجزاء السنين التي انقضت ، أو يظن أنها انقضت منذ ولادة شخص ، أو منذ ابتداء ملك ، أو قيام فرقة ، أو ظهور ديانة ، أو تخطيط مدينة . . الخ . حيث أن صورة السماء وأوضاع الكواكب في البروج والبيوت ، زمن المولد ، تحدد طالع المولود ، أو ابتداء الملك المتوقع الجديد ، أو ظهور الفرق المعلومة ، والديانة الفلانية[3] . .

وأما « التسييرات » او « التسايير » ، ومفردها « تسيير » ، فإنه عمل في صناعة الأحكام ، ومحصلة ذلك أن أصحاب هذه الصناعة يفترضون كوكباً سياراً ، أو بيتاً من البيوت ، أو موضعاً ما من فلك البروج ، ثم يقيمون ما بينه وبين كوكب آخر ، أو بيت آخر على وجه التشبيه والتمثيل ، والغرض من هذا

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية ، ١٠ / ٧١ .

(٢) خليفة ، حاجي : كشف الظنون ١ / ٣٥ . وانظر أيضاً : دائرة المعارف الإسلامية ، ١٠ / ٧٢ .

(٣) دائرة المعارف الإسلامية ، ١٠ / ٧٢ .

العمل معرفة درجة ما بينهما بمطالع خط الاستواء ، بتحويل هذه الدرجة إلى جزء من أجزاء الزمان ، وذلك من أجل الاستدلال بها على ما يحدث في المستقبل من خير وشرور . وثمة طرق أخرى غير هذه الطريقة تعتمد في حساب التسيير ، وهي عموماً موضع خلاف بين المنجمين ، وليس هنا موضع الإفاضة في حديثها ، والإحاطة بتفاصيلها كاملة[1] .

وإخيراً ، فإن المقصود بالأدوار ، ومعها الأكوار ، هو أن الدور في اصطلاح المنجمين يدل على ثلاثمائة وستين درجة شمسية ، أما الكور فهو يدل على مائة وعشرين سنة قمرية . ويبحث في العلم المذكور عن تبدل الأحوال الجارية في كل دور وكور[2] .

التنجيم والعلوم العقلية :

والتنجيم الذي اعتبر أحد العلوم النجومية الثلاثة والتي هي علم الهيئة ، وعلم الأزياج والتقاويم ، وعلم الأحكام ، كما بيّنا من قبل ، كان واحداً من العلوم السبعة المتفرعة عن العلوم الطبيعية التي تضم إضافة إلى التنجيم أو علم الأحكام علم الطب والفراسة ، وعلم التعبير ، أي تفسير الأحلام ، وعلم الكيمياء ، وعلم النيرانجيات ، وعلم الطلسمات[3] .

والطلسمات جمع طلّسم ، لفظة يونانية معرّبة ، وهي تعني الخطوط ، والكتابة التي يستعملها الساحر بزعم أنه يدفع بها الأذى ، مازجاً بين القوى السمائية وبين قوى الأرض يتألف من ذلك قوة تفعل فعلاً غريباً في العالم الأرضي ، وسوف يتحصل لنا معلومات أوفى عن هذا الموضوع ، كلما تقدمنا في هذا البحث . أما النيرانجيات ، فهو علم تمزيج القوى في جواهر العالم الأرضي ليحدث منها قوة يصدر عنها فعل غريب[4] .

وليس سراً في نظر إخوان الصفاء ، إدراج التنجيم في قائمة العلوم

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية ، ٩ / ٣٠٧ .
(٢) خليفة ، حاجي : كشف الظنون ١ / ٥١ .
(٣) مجلة التراث العربي ، ص ٢٠ . العددان ٥ / ٦ . السنة الثانية . دمشق ت٢ ١٩٨١ م مقالة جورج شحاتة قنواتي ، وهي بعنوان : « إسهام ابن سينا في تقدم العلوم » .
(٤) المرجع السابق ، ص ٢٤ ، العددان ٦/٥ . س ٢ . دمشق ت ٢ ١٩٨١م .

الرياضية نظراً إلى حاجة التنجيم إلى دراسة القواعد الفلكية القائمة على أساس حسابي ورياضي ، ولا سيما تلك الحسابات المتعلقة بموقع الكواكب من السماء ، في كل مرة يتم العزم فيها على استخراج الطالع[1] . والتنجيم ، في نظر إخوان الصفاء ، أحد العلوم الخمسة التي تجلب الثروة والشفاء (الكيمياء ، الطب) مضافاً إليهما ما سمّوه بـ « التجريد » وبه تعرف النفس ذاتها ، و« السحر » القائم على الطلسمات و« أحكام النجوم التي بها يدرك ما كان وما يكون » ، حسب تعبير الإخوان[2] .

التنجيم والعلوم الفلسفية :

ولقد يُنسب علم النجوم ، بمعناه الواسع ، إلى العلوم الفلسفية التي قد يضاف اليها كل من « الأفلاك والمجسطي ، والمقادير ، وآثار الطبيعة ، والمنطق »[3] ، لا بل إنه ، أي التنجيم ، قد يُعتبر « العلم العظيم الأكبر الذي ليس في العلوم كلها مثله ، ولا أعز » . على حد تعبير جابر بن حيان ، وما العلوم التي تليه في الأهمية ، في نظر جابر ، إلّا الطب ، وعلم الصنعة ، وعلم الخواص ، وعلم الطلسمات ، وعلم الطبيعة أو علم الميزان ، على حد تعبيره ، وعلم الصور أي علم التكوين[4] .

---

(١) إخوان الصفا : الرسائل ٤/١ .

(٢) المرجع نفسه ، ٢٨٧/٣ .

(٣) التوحيدي ، أبو حيان : الإمتاع والمؤانسة ٦/٢ . تصحيح وضبط وشرح أحمد وأمين الزين . المكتبة العصرية ، بيروت .
والمقصود « بالافلاك » مدارات النجوم ، وفلك كل شيء : مستداره ومعظمه ، والمقصود بـ « المجسطي » كتاب بطليموس اليوناني الشهير في الفلك . ألّفه عام ١٤٨ م وعرّبه حنين بن إسحاق ، وهو أقدم جامع في هذا العلم . ولنا عودة إليه لاحقاً .
و « المقادير » جمع مقدار وهو مبلغ الشيء أو ما يُعرف به قدر الشيء من معدود ومكيل وموزون .

(٤) ابن حيان ، جابر : مختار الرسائل جابر بن حيان ، ص ٤٧ ـ ٤٨ . تصحيح ونشر ب ، كراوس ، مطبعة الخانجي ١٣٥٤ وهو يقصد بعلوم الطبيعة والخواص والتكوين ، معرفة طبيعة وخواص الحروف السرية التي تتصل بالأسماء المكونة منها ، وهذه الأسماء تكشف عن الخواص الخفية وعن أسرارها . وهذه العلوم تدخل جميعاً في ما يُعرف « بعلم الحروف » . انظر : دائرة المعارف الاسلامية ١١٤/١٤ . أما علم الصنعة فيُقصد به الكيمياء القديمة =

والقول بأن التنجيم شعبة من الفلسفة ، يجب أن لا ينظر اليه بعين الدهشة إطلاقاً ، ذلك أن التنجيم ، ومعه السحر ، لم يمكن ينظر إليه في الغالب ، على أنه موضوع قائم بذاته فحسب ، بل كان ينظر إليه « كأساس لفلسفة شاملة عن الطبيعة ، تسري على عالم ما تحت فلك القمر » حسب ما جاء في كتاب « بيكاتريس Picatrix » المجهول المؤلف ، والذي يعود تاريخ تأليفه إلى القرن الخامس الهجري[1] .

ولا يفوتنا التذكير بأن الفلسفة ذاتها ، نُظر إليها في حينٍ من الدهر على أنها من العلوم الخفية القريبة من السحر والتنجيم ، ولا سيما التنجيم القضائي ، وعلم الطلسمات والسيمياء بأشكالها السوقية المذمومة ، وسنرى تفصيل ذلك ، وهذا ما كانت عليه حال التنجيم ، وحال الفلسفة في نظر الفقهاء والمتزمتين ، فضلاً عن نظر عدد من الفلاسفة أنفسهم ، والعلماء كما سنبين ذلك في ما بعد[2] .

ولا يغربن عن البال أيضاً ، أنه كان لبروز الفكر الإغريقي القائل بوحدة العالم والعلوم ، ونخص بالذكر أصحاب الأفلاطونية المحدثة ، الأثر الفاعل في تكوين هذه النظرة السيئة لدى طائفةٍ من المتزمتين الذين رأوا في علوم الفلسفة ما يدفع إلى النفور منها ، بل إلى ذمها وذم من يتعامل بها ، بمقدار ما كان له من أثر أيضاً لدى طائفةٍ أخرى ، من الاعتقاد بالتنجيم الذي يُعتبر إلى حدٍ كبير ، ومعه الطب والسيمياء قضية تواصل شامل بين جميع الكائنات ، ذلك أن الإنسان في نظر أصحاب هذا الرأي الأخير ، جزء يأتلف مع جميع الأجزاء المكوّنة للعالم الذي يعيشون فيه ، وهو عالم متكامل ، كل شيء فيه متوازن الأجزاء ، ويقوم على أساس من العلاقة الجبرية المتبادلة ، لا بل أن كل شيء فيه يقوم في كل مكان ، كما يقول روجيه أرنالديز ، وعلى النظام نفسه ، والنسق ذاته ، في تأليف الصفات

= التي زعم أصحابها أنهم قادرون بها على تحويل المعادن الخسيسة الى معادن ثمينة . أما علم الطلسمات فسبق التعريف به ، وسيأتي تفصيل الحديث عنه لاحقاً .

(١) شاخت وبوزورث : تراث الإسلام ، ص ١١٢ ، وكتاب Picatrix ترجم إلى الاسبانية بطلب من الملك ألفونس ، ولم يعثر بعد على أثر لترجمته . المرجع نفسه ، ص ١١٢ .

(٢) انظر مقالة روجيه أرنالديز بعنوان « العلوم والفلسفة في حضارة بغداد » ، وذلك في مجلة « المورد » العراقية ص ٤٩٨ ، مجلد ٨ ، عدد ٤ ، ١٤٠٠ هـ - ١٩٧٩ م ، دار

الأولى : البرودة ، والحرارة ، والجفاف والرطوبة[1] . ومن هذه الأقسام المختلفة تخرج العناصر ، فالأجسام الكيميائية المحمولة على الكواكب ، وأخلاط الجسم المتوازنة وغير المتوازنة التي تحدث الصحة والاعتلال. أما الأخلاط البسيطة التي هي في أساس العقاقير ، فتعطي التركيب نفسه ، وكذلك الأغذية والسموم ، وكذلك الطقوس والظواهر النوئية بدورها تجري وفاقاً لهذا النظام . وإجمالاً ، فإن العالم بأسره ، من كواكب ، وحيوان ، ونبات ، وماء وهواء ، هو بحكم واقع هذه الوحدة «عالم مكمل : كل شيء فيه قائم وفق نوع من العلاقات الجبرية المتبادلة ، لكن الإنسان غير مسلم للصدفة إذ يمكن أن يكون بمنجى من تقلبات الزمان شريطة أن تكون لديه معرفة دقيقة بالواقع ، وبالتكيف معه»[2] .

ونحن ، سواء أسلمنا بصواب هذا الرأي أم لم نسلم به ، فإن نظرتنا إلى التنجيم تكاد لا تخرج عن نطاق هذا الفهم لجهة قيامه على أساس أن جميع ما يطرأ على العالم من تغيرات ، إنما هو «يتصل اتصالاً وثيقاً بطبائع الأجرام السماوية وحركاتها . والإنسان ـ من حيث هو عالم صغير بينه وبين العالم الكبير مشابهة قوية ـ خاضع لتأثيرات النجوم ، سواء سلمنا بقول بطليموس بالقوى أو التأثيرات المشعة من الأجرام السماوية التي تجعل طبيعة القابل مماثلة لطبيعة الفاعل ، أو سعينا إلى القرب من رأي أهل السنة ، فإن الأجرام السماوية لا تكون فاعلة بالحقيقة في الحوادث ، وإنما هي دلائل عليها فقط[3] . وهذا ما سوف نعرض له في موضعٍ آخر .

التنجيم والعلوم السرية :

وبعيداً عن الفلسفة والتواصل المتناغم بين الكائنات ، فإن التنجيم نظر إليه في مرحلةٍ ما ، كواحد من العلوم الأخرى التي يُستدل بها على الأمور الماضية والمستقبلية مما يجري مجرى الفأل كالعرافة ، والكهانة ، والطرق ، والعيافة والزجر[4] ، وإن شئت فقل إنه كان أحد العلوم السرية ذات الصلة بالكهانة ،

= الجاحظ ، الجمهورية العراقية .

(١) المصدر نفسه ، ص ٤٩٨ ـ ٤٩٩ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٤٩٩ .

(٣) دائرة المعارف الإسلامية ، ١٠ / ٧٠ .

(٤) الزجر : ضرب من التكهن بالطير ، ويكون ذلك باطارة الطير ، فيتفاءل به إن كان طيرانه =

ومعه كذلك « علم الرمل » الذي نسبه البعض إلى إدريس تارة ، وإلى دانيال تارةً اخرى ، وإلى نوح ثالثة ، وإلى هرمس تارة رابعة ، وهو ، أي علم الرمل ، يعتمد علم النجوم أساساً له كما قيل[1] .

والقول بأن التنجيم من العلوم السرية ، يجعله مقترناً كذلك بالسحر حيناً، وبالسيمياء حيناً آخر ، وهي الكيمياء القديمة التي كانت تبحث في كيفية تحويل صور العناصر بعضها إلى بعض ، وفي العمل على مزج القوى الإرادية والقوى الخاصة السماوية بقصد الحصول على غرائب التصرف في الأمور الطبيعية ، ومنها التصرف في الخيال المسمى « بسحر العيون » وهو من أصدق أنواع السحر[2] .

= عن اليمين ، أو يتطير منه إن كان عن الشمال . يُقال : زجرت أن يكون كذا وكذا ، أي انذرت بوقوعه . ومثله العيافة .

أما الطرق فهو الضرب بالحصى على سبيل التكهن .

وأما الكهانة فهي حرفة الكاهن الذي كان يدعي معرفة الأسرار وأحوال الغيب .

وأما العرافة فهي عمل العراف الذي يُخبر عن الأمور الماضية والمستقبلية .

(١) مجلة المورد ، ص ٥٩١ ، مجلد ٨ ، عدد ٤ ، ١٩٧٩ م . مقالة روجيه أرنالديز بعنوان : « العلوم والفلسفة في حضارة بغداد » .

وهرمس ، يُقال إنه أول من تكلم في الأمور العلوية من الحركات النجومية ، ولنا عودة إلى الحديث عنه وعن نوح وإدريس ودانيال في غير هذا الموضع .

(٢) الطباطبائي ، محمد حسين : الميزان في تفسير القرآن ، ١٠/٢٢٤ ، ط ٣ ، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ، بيروت ١٩٧٣م .

و« السحر» لغة ، الاستمالة ، والفتنة ، وسلب اللب ، وما لطف مأخذه ودق ، وإصطلاحاً ، هو إخراج الباطل في صورة الحق ، عن طريق ما يعمل من الحيل ، أو ما يستعان في تحصيله بالتقرب من الشيطان . وثمة طرق يلجأ إليها الساحر في أداء عمله بحيث تبدو أفعاله وكأنها أفعال خارقة للعادة ، في حين أن كثيراً منها هو نتاج التمرين المتواصل ، والعادة المستمرة . ولربما يمكن إرجاع بعض هذه الافعال الى أسباب الطبيعة ، لكنها تخفى على الحس لأنها ناجمة عن خفة الساحر وحركته السريعة ، أو لأنها وليدة الحيلة والتدليس ، وهذا ما يقوم به الساحر مثلاً حين يدخل النار فلا يحترق بها لأنه يكون قد طلى بدنه سلفاً بالطلق ، وهي مادة لا تحترق . على أن بعض الأفعال الخارقة لا يمكن إنكارها ، كالإخبار عن المغيبات مثلاً ، والقدرة على شفاء المرضى ، قد لا تخضع للأسباب الطبيعية الجارية على العادة ، وإنما هي تخضع للإرادة المؤثرة القوية ، وللإيمان أو الإعتقاد بهذا التأثير معاً . وفي مطلق الاحوال ، فإن الإستنجاد والإستنصار بالجن أو الروح ونحوه ، « يسمى كهانة » وإن كان بدعوة أو عزيمة أو رقية أو نحو ذلك سُمي سحراً . ولا بد من التذكير هنا بأن السحر حرام ، والمراد منه ما يوجب الوقوع في الوهم بالغلبة على البصر أو السمع أو =

وثمة أنواع أخرى من السحر ، أقواها « السحر المبني على مقتضيات أحكام النجوم » . ويدخل فيه ما يُعرف بعمل الطلسمات التي هي « عبارة عن تخريج القوى الفعالة السماوية بالقوى المنفعلة الأرضية ، لاحداث ما يخالف العادة ، أو للمنع مما يوافق العادة[1] .

= غيرهما ، وكذا تعليمه وتعلمه والتكسب به حرام .
انظر : الخوئي ، أبو القاسم : منهاج الصالحين ٢/٨ ، ط ١٥ ، دار الزهراء ، بيروت ١٩٨١م .
وانظر أيضاً : النووي : رياض الصالحين ، ص ٤٨٠ ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
وفيه الحديث النبوى التالي نصه : « اجتنبوا السبع الموبقات : الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التي حرم الله الآ بالحق . . . » .

وبشأن السيمياء التي سبق الحديث عنها ، فان ابن خلدون يطلق عليها اسم « علم الحروف » ، وهي تقتصر عادة على « السحر الأبيض » وعلم الحروف هذا ـ في نظر ابن خلدون ـ فرع من الجفر ، الذي هو في الأصل يُعنى بهوس ترديد الحروف حتى لا تُنسى ، لكنه أصبح عند بعض الفرق الباطنية ضرباً من ممارسة السحر . وهذا العلم ، أي علم الحروف ، « يقوم على خصائص خفية لحروف الهجاء وللأسماء القدسية والملائكية التي تتكون من الحروف . . وثمة ثلاثة عناصر داخلة في تفسير الهوس المشار إليه هي : « حساب الجمل » ، ومعرفة الخواص الطبيعية للحروف ، أو ما يُعرف بعلمْ الخواص ، التي تقوم على الكيمياء ، وقراناتها التخمينية . وهي في هذا ترتبط بفن الطلسمات الذي يرى ابن خلدون أنها مشتقة منه » .
انظر : دائرة المعارف الاسلامية ، ١٤/١١٢ .
وانطلاقاً من مبدأ الكيمياء ، فإننا بتحليل الحروف التي تتكون منها كلمة من الكلمات يمكننا « أن نقرر من حيث الكم والكيف بناء الشيء الذي تصفه ، ومن ثم فإن كتب الحروف قد تطورت في إتجاهين متقابلين :الأول يقوم على جمع الحروف بحث تحصل على كل مايتصف بخواص معينة من المفروض إنها تؤدي إلى النتيجة المطلوبة (التنبؤ أو الأثر السحري) ، والثاني ، وله نفس الغرض الذي يتوخاه الأول ، يقوم على تفريق أسماء بعينها ترتبط بها صفة باطنية ، ويكون هذا في كثير من الأحوال بسبب أنها أخذت من كتاب مقدس هو في هذه الحالة ، القرآن ، وذلك بغية أن تتناول عناصرها الساكنة بطريقة مركبة تقوم على عوامل عددية وكيفية وتنجيمية وسحرية » .
انظر : دائرة المعارف الإسلامية ١٤/١١٣ .

(١) الرازي ، محمد بن عمر : المطالب العالية من العلم الإلهي ٨/١٤٩ .
وثمة أنواع أخرى من السحر نص عليها الرازي في كتابه الآنف الذكر ، منها : السحر المبني على قوة الوهم وتصفية النفس ، والسحر المبنى على خواص الأدوية المعدنية والنباتية =

التنجيم والطلسمات :

ولقد يضاف إلى هذه العلوم السرية كل من الليمياء ، والهيمياء ، والريمياء[1] ، كما يُضاف إليها علم الأعداد والأوفاق وهو الذي يبحث في ارتباطات الحروف والأعداد ، ووضعها في جداول مثلثة أو مربعة على ترتيب مخصوص [2] . على أن أبرز ما يلحق بالتنجيم على شاكلة هذه العلوم ، علم

= والحيوانية ، والسحر المبني على الإستعانة بالأرواح الفلكية ، والسحر المرتب على أعمال خفة اليد ، وطرق الشعبذة التي منها الأخذ بالعيون ، والسحر المرتب على الهندسة ، ويدخل فيه علم جر الأثقال العظيمة بالآلات القليلة ، والسحر المبني على الفأل والزجر ، ويدخل فيه علم الفراسة ، وعلم الرمل ، وعلم إقتلاع الأعضاء ، وعلم النظر في الأكتاف ، وعلم ضرب الأحجار ، وعلم النظر في الغضون وكف اليد وأخمص القدم ، والنظر في الخيلان الموجودة على ظاهر البدن ، وعلم زجر الطير ، والتفاؤل بجميع أنواع الحوادث في معرفة اليسر والعسر ، والسحر المبني على إطعام الطعام الموجب لقلة العقل وبلادة الطبع ، والسحر المبني على ترويج الأكاذيب وأنواع المكر والخداع . وفي جميع الحالات فإن هذه الأقسام لا تتم أو تكمل الا عند الاستعانة بالسحر المبنى على النجوم .

انظر : الرازي : المطالب العالية في العلم الإلهي ، ٨/١٤٣-١٤٦

(١) الليمياء ، تبحث في كيفية تأثير الإرادة عن طريق اتصالها بالأرواح القوية العالية ، مثل الأرواح الموكلة بالكواكب ، وعن طريق الاتصال بالجن بقصد تسخيره ، وهو ما يعرف بفن التسخيرات ، ولربما كانت هذه اللفظة مشتقة من « ألمى اللص بكذا إلماء » ، اذا ذهب به خفية .

والهيمياء ، ولعلها مأخوذة من « همى الشيء » ، إذا سقط وضاع ، تبحث في تركيب قوى العالم العلوى ، ومزجه بالعناصر السفلية عن طريق مما يُعرف بعلم الطلسمات .

أما الريمياء ، ولعل لفظها مأخوذ من « رمى به على البلد » مثلا ، إذا سلطه وولاّه عليه ، تبحث في استخدام القوى المادية ، بقصد الحصول على آثارها الظاهرة للحس على أنها من الخوارق .

انظر : الطباطبائي ، محمد حسين : الميزان في تفسير القرآن ١/٢٤٤ - ٢٣٥ .

ومن الكتب المعتبرة بهذا الشأن ، وهي تبحث مثل هذه العلوم والفنون : كتب بليناس ، ورسائل الخسر وشاهي ، والذخيرة الإسكندرية ، والسر المكتوم للرازي ، والتسخيرات للحكيم الهندي طمطم .

(٢) الميزان في تفسير القرآن ١/٢٤٥ . وقد يضاف إلى هذه العلوم ما يُعرف « بعلم الحروف الشريف » الذي يبحث في طبيعة الحروف وخواصها السرية المتصلة بالأسماء المكونة منها . وهذا العلم أحد العلوم المتصلة بالروحانيات والتنجيم . انظر: دائرة المعارف الإسلامية ، ٤١/١١٥ .

الطلسمات ، وهي التي كما ذكر ابن النديم في فهرسته ، كان يقوم بها طائفة من الفلاسفة وعبدة الكواكب ، يعلمونها على أرصاد النجوم والكواكب لجمع ما يريدونه « من الأفعال البديعة والتهييمات والعطوف والتسليطات »[1] . ويذكر ابن النديم أنه كان لهم نقوش على الحجارة والخرز والفصوص ، كما يذكر أن للهند اعتقاداً في ذلك وأن لها أفعالاً عجيبة[2] . وعلم الطلسمات ، حسبما أورد داوود الإنطاكي في تذكرته « علم مادته الفلك وأنواع المولدات ، وصورته كمال الهياكل ، وغايته الطبائع ، وتحرير وقته وإجراء بخوراته . وهو علم يُستخدم للشفاء من العلل ، وطرد الهوام ، وحفظ ما يطلب حفظه في الأزمنة المتطاولة »[3] . ولكل طلسمٍ نسب عددية ، وأسرارٌ فلكية ، وأوقاتٌ موافقة للقيام به ، ونجوم وكواكب ومنازل من السماء محددة ، فإن كان القمر في « الشرطين » مثلاً ، عمل بالطلسم ما يتعلق بالأسفار والفراق والدواء ، وإن كان في « البطين » عمل به ما يتعلق باستخراج ما هو مكتوم أو دفين ، وإن كان في « الدبران » عمل به كل ما هو سيء وفاسد . . وقل الأمر ذاته في ما يتعلق ببقية منازل القمر الثمانية والعشرين ، إذ لكل واحدٍ من هذه المنازل حالة مخصوصة ، وقيام بعملٍ ما . وهذا كله على مذهب أهل الهند ، كما يقول الأنطاكي[4] .

هذا عن منازل القمر ، أما عن أوضاع الكواكب والبروج ، فقالوا إن طلاسم العطف تختص بكون القمر في برج الثور إذا اتصل بالزهرة ، وطلاسم العداوة تختص بكونه متصلاً بزحل أو المريخ في السرطان أو الميزان . . الخ ، وإن أشرف الاتصال ، في مذهبهم ، التثليث ، فالتسديس ، فالتربيع . وإن أشرف

---

(١) ابن النديم : الفهرست ٣٦٩/٨ ، نسخة مصورة عن مطبعة الطهران ١٩٧١م ، تحقيق رضا ، تجدد .

و« التهييمات » من هام في الأمر ، يهيم ، اذا تحيّر فيه ، وأكثر ما يكون في الحب والعشق .
و « العطوف » جمع عطف ، على غير قياس ، من عطف بمعنى أشفق ومال .

(٢) المصدر نفسه ، ٦٣٩/٨ .

(٣) الإنطاكي ، داوود : تذكرة أولي الألباب والجامع للعجيب العجاب ١٥٤/٢ ، المكتبة الشعبية ، الطبعة الأخيرة ، بيروت ١٩٧٩م .

(٤) المرجع السابق ١٥٥/٢ . والشرطان ، والبطين ، والدبران : أسماء ثلاثة منازل من المنازل التي يحل فيها القمر وهي ثمانية وعشرون منزلا .

الأوتاد العاشر[1] . إلى ما هناك من أقوال وآراء نحن في غنى عن الخوض في تفاصيلها الدقيقة .

التنجيم والعلوم الفلكية :

ولئن كان التنجيم والاعتقاد به في نظر البعض أو الكثيرين ضرباً من الظن أو التخمين غير المستند إلى أساس علمي حقيقي . . ولئن اعتبر هذا الجانب من الإعتقاد علماً ، بل أساس علم الفلك القديم ، فوقع الخلط بين كثير من مفاهيمه ومفاهيم هذا الأخير ، مثلما وقع الخلط ايضاً بينه وبين السحر والطبّ والكيمياء القديمة . فإنه لمن الواجب الاحتراز والتنبه لضرورة الفصل بين ما كان يُعرف بعلم النجوم على أنه التنجيم ، وبين ما يُعرف اليوم بعلم الفلك ، أو علم الهيئة ، كما أسموه في القديم[2] . ولئن كان صحيحاً أن الصفة التي غلبت على مبادىء علم الفلك ومفاهيمه ، صفة وُسمت بالبدائية ، منذ أن وضع أساسه ، الكلدان واليونان والمصريون ، وكما سنرى فيما بعد ، مسوقين بدوافع دينية وغايات تكهنية[3] أوقعته في الأخطاء وأبعدته في كثيرٍ من الأحيان عن الواقع

---

(١) المرجع نفسه ٢/١٥٥ . والمقصود « بالتثليث » ، ان يكون بين كوكبين من الكواكب المتناظرة عشرون ومائة درجة أي ثلث الفلك ، و« التسديس » إذا كان بينهما ستون درجة ، و « التربيع » تسعون درجة . والمقصود بالوتد العاشر ، الدرجة التي في كبد السماء ، ويناظرها تلك التي تحت الأرض ، ويقال لها الوتد الرابع ، وبين الوتد والوتد ثلاثون درجة . وإذا ما أضفنا إلى التسديس والتربيع والتثليث ، الاستقبال ، ويكون إذا كان الكوكبان متقابلين على استقامة واحدة ، توافر لدينا ما يعرف بالأنظار ، أو الاتصالات الاربعة . وإذا ما أضفنا إلى الأنظار ، الاقتران أو المقارنة ، وقد يُقال له الاجتماع ، وهو خاص بالشمس والقمر ، توافر لدينا ما يُعرف بالصور الرئيسية الخمس التي تحدثها مواقع الكواكب بعضها إلى بعض .
انظر : دائرة المعارف الاسلامية ، ١٠/١٧١ .

(٢) كان علم الفلك منذ القديم ، ومروراً بالعصر الوسيط الذي عاش فيه غاليلو Galilée يُعتبر فرعاً من الرياضيات أو الهندسة بمعنى أصح وأدق . كان علم الفلك علم هندسة السماء .
انظر : العمر ، عبد الله : ظاهرة العلم الحديث ، ص ٩٨ ، عالم المعرفة ، العدد ٦٩ ، سبتمبر ١٩٨٣ ، عالم . الكويت .

(٣) من يدري ، فلربما من اجل هذه النكهة التكهنية او التنبوئية التي شفع بها علم الفلك في القديم ، وجد لهذا العلم مناصرون ومعجبون ليس آخرهم فكتور هيجو V. Hugo الذي

والصواب وليس أقل هذه الأخطاء بناء نظريتهم الفلكية على أساس أن الأرض ثابتة وأنها مركز العالم الذي تدور حوله السيّارات[1] .

هذا ما اعتقده أرسطو من قبل ، ثم شاركه في هذا الاعتقاد بطليموس أشهر الفلكيين اليونان ، ومن جاء بعده ، وحذا حذوه من علماء الفلك المسلمين وغير المسلمين ـ أقول لئن كان هذا صحيحاً فإنه من الأهمية بمكان أن نشير إلى أن ثمة علاقة شبه حميمة كانت تجمع بين علم الفلك والتنجيم وذلك انطلاقاً من المبدأ القائل إن على المنجم أن يكون ملماً بمبادىء علم الفلك وهي مبادىء لا غنى عنها في كل عمل تنجيمي ، وليس أقلها معرفة المنجم بمواقع الكواكب وأبعادها ومطارح شعاعاتها ، ومطالعها ومغاربها ودرجات أفلاكها . ذلك ان حظ المنجم من الإصابة في أحكامه ، إنما هو يخضع في أكثر الأحيان لمستوى تمكنه وإحاطته بجوانب علم الفلك ، إذ لا بد من أجل الوصول إلى أدق الأحكام ، من الإحاطة بهيئة العالم ، وكيفية شكل السماء والأرض وما بينهما ، على وجه الأخبار المأخوذة[2] . وإن شئت فقل إنه لا بد من أن يكون المنجم الحاذق وهو الذي يبني أحكامه على حساب النجوم ، عالماً بالفلك وبهيئة العالم ، وبالتقاويم ، خبيراً

= دفعه الإعجاب به إلى القول : « يا لعلم الفلك ، هذه « النعمة » الهابطة علينا من عل ، حقاً إنه أمتع العلوم وأفتنها ، لا لشيء ، الا لأنه يتضمن هذه الملامح الغيبية التكهنية » .
وإن شئت الاطلاع على قوله بالفرنسية فهاك ما يقوله : «L'astronomie, cette micrographie d'en haut, est la plus magnifique des sciences parce qu'elle se complique d'une certaine quantitée de divination».
Voir: Dictionnaire alphabétique: 1 293.

(۱) يناقض هذا القول ، وان شئت هذه النظرية التي تعرف بنظرية مركزية الارض Jeocentric System نظرية مركزية الشمس Héliocentric System ، أو ما يعرف بالنظام الشمسي القائم على اعتبار ان الشمس لا الارض مركز العالم وان حولها تدرو كواكب المجموعة الشمسية المعروفة . وكان اول من توصل الى هذه النظرية وأرسى قواعد بنائها العلمي كوبر نيكوس في القرن السابع عشر للميلاد ، ثم تبعه في ذلك كبلر Kepler وغاليلي Galilée ونيوتن Newton وسواهم من علماء الفلك المحدثين . وإن كان ثمة ما يشير الى ان كلا من فيثاغورس (القرن السادس ق . م .) وارخيتاس (نحو ٤٣٠ ـ ٣٦٠ ق . م .) وفيلولاس (القرن الاول للميلاد) كانوا سباقين الى مثل هذا القول .
انظر : ظاهرة العلم الحديث ، ص ٣٦ و٧٦ ، سلسلة عالم المعرفة ، العدد ٦٩ ، سبتمبر ١٩٨٣ ، الكويت .

(۲) البيروني ، ابو الريحان : التفهيم لأوائل صناعة التنجيم ، ص ۱ ، لندن ١٩٢٤م .

بالأزياج والجداول الفلكية إن لجهة المعرفة بتقسيم دائرة الفلك وأجزائها ، ومقدار ميل فلك البروج[1] عن فلك معدل النهار[2] ، أو لجهة المعرفة بقدر ما يطلع من فلك معدل النهار مع أجزاء فلك البروج المعروضة من الأفق في كل موضعٍ من مواضع الأرض ، وهذا ما يُسمى بمطالع البروج في كل بلد . ولا بد من أن يكون المنجم عارفاً بعروض البلدان والأقاليم[3] ، وارتفاع الشمس ، وما يمضي عن فلك النهار من ساعة . ولا بد من أن يكون على دراية بأبعاد الكواكب الثابتة والمتحركة عن فلك معدل النهار ، وعلى معرفة بالدرجة التي يطلع معها كل كوكب ، أو يغيب معها عنْ فلك البروجِ في كل بلد . هذا فضلاً عن معرفته بمواقع الكواكب في الفلك طولاً وعرضاً ، ومعرفته بأفلاك القمر المختلفة ، ومنازل الكواكب المتحيرة وجهاتها وصفاتها ومقامها ورجوعها واختفائها ، ومعرفة إقامة الطالع ، ومعرفة البيوت الاثني عشر ، وغير ذلك مما هو يدخل في علم الأزياج والتقاويم[4] . وباختصار يمكن القول إن كل منجمٍ حاذق هو عالم بالفلك ، وليس العكس صحيحا .

اهتمامات العالم بالتنجيم :

وإذا كان اهتمام العالم بالفلك منصباً على النجوم بنوعيها الثابت والمتحرك لجهة ملاحظتها ومراقبتها ، ومعرفة مواقعها وأعدادها ، وكمية إشعاعها ، ومطارحها ومطالعها ومساقطها ، والتدقيق في حركاتها ، والمسافات التي تفصل

(١) فلك البروج : دائرة ترسمها الشمس في سيرها في سنة واحدة . وهي تقسم الى اثني عشر برجاً ، وكل برج يقسم الى ثلاثين درجة . وهذا الفلك ، بلغة المعاصرين ، يسمى الدائرة الكسوفية .

(٢) فلك معدل النهار او الفلك المستقيم ، او خط الاستواء السماوي : دائرة تقاطع الكرة السماوية بمستوى عمودي على محور الارض .

(٣) المقصود بعروض البلدان في لغة اصحاب النجوم ارتفاع القطب الشمالي بها عند الافق بالرصد .

(٤) سوف يأتي الحديث عن الطالع والبيوت . والاطلاع على معرفة ابعاد ما بين الكواكب ، ومعرفة افلاكها مع افلاك القمر ، ومعرفة صفاتها وعروضها ومقامها ورجوعها واختفائها . وغير ذلك من حالات يراجع بشأنها طراً : كتاب « الزيج الصابي » لأبي عبد الله محمد بن سنان بن جابر الحراني ، المعروف بالبتاني ، طبعة رومية عام ١٨٩٩م ، وخصوصاً في الصفحات ٥٦ و٥٧ و٩٥ وما يليها .

بينها ، فإن اهتمام العالم بالتنجيم ينصب أولاً وأخيراً ، على ملاحظة تأثير النجوم ، ولا سيما السيّارة منها ، على ما يجري في عالمنا الأرضي من أحداث ، وما يقدر فيه للأشخاص وللدول والممالك والملل من حظوظ ، كل ذلك تبعاً لما يُعرف بقران الكواكب أو افتراقها بعضها عن بعض ، أو حلولها في منطقة دون أخرى من السماء ، وذلك لحظة ولادة الكائن الحي ، أو لحظة قيام دولة ما ، أو ظهور ديانة ما .

والمنجمون يستندون في آرائهم تلك ، إلى قاعدة شبه تامة تقول إن ثمة أدواراً فلكية تحكم هذا العالم ، وتخضع لها كل ما كان وما يكون ، وإن ما جرى ويجري من أمور ، يخضع لحتمية تاريخية جبرية لا تتغير عبر الأزمان . ومجمل آرائهم في هذا المجال تنطلق من القول بأن كل جزء من أجزاء هذا العالم الأرضي والسماوي ، إنما هو مرتبط ببقية الأجزاء ارتباطاً حميماً متناغماً ، وهو يؤثر فيها بشكلٍ ما ، بحيث أن ثمة نسبة راقية متناغمة تربط بين أرواح الأفلاك وبين عالم الطبيعة أو ما يُعرف بالعناصر الأربعة التي هي النار والهواء والماء والتراب . وإننا لنلمس مثل هذا التأثير ـ بزعمهم ـ واضحاً فيما يعتور الأمة والقبيلة والأسرة والأشخاص ، وما يعترض له الحاكم أو المسؤول ، وعموماً كل ما يتصل بشؤون الحياة ، أو بوجهٍ من أوجه النشاط الإنساني والفكري والعلمي والاجتماعي[1] . ولا عجب في ذلك ، فالراغب الأصبهاني ، حسبما أورد في كتابه « محاضرات الأدباء » ، يرى أن لهذه المسماة بالكواكب السبعة اتفاقاً حتى مع اللغة ، إذ أن غاية عدد حروف الكلمة مع الزيادة سبعة ، على عدد الكواكب السبعة ، وأن صورة الزوائد اثنا عشر حرفاً على عدد البروج الاثني عشر ، وأربعة عشر مع لام التعريف عدة منازل القمر المستترة تحت الأفق ، وأربعة عشر فوقها عدة منازل القمر فوق الأفق ، وأن منازل القمر ثمانية وعشرون منزلاً ، عدة الحروف بالعربية[2] .

وهذا التناغم أو الائتلاف بين الفلك وبين ما يجري في عالمنا الأرضي ، يكاد يكون سيد كل شيء : فالعمران البشري على سبيل المثال ، يزيد وينقص

---

(١) Encyclopédie générale 1 | 292. (Hachette) 1975.

(٢) الراغب الأصبهاني : محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء ١ / ٩٦ . دار مكتبة الحياة ، بيروت ١٩٦١ م .

تبعاً لموجبات أحكام قرانات النجوم وأدوار الأفلاك . فإذا كانت القرانات سعيدة ، اعتدل الزمان ، واستوت طبيعة الأركان ، مما يهيء لتواتر الوحي ومجيء الأنبياء ، ومما يستدعي كثرة العلماء ونزول بركات السماء ، وزكاة الأرض ، وكثرة توالد الحيوان ، فتعمر البلاد ويكثر البنيان[1] .

وإذا كانت القرانات منحوسة ، فسد الزمان وانقطع الوحي ، وقلّت بركات الأرض مما يستدعي خراب المدن والبلدان ، وزوال الممالك وقيام أخرى[2] . ولا يفوتنا أن نذكر أن جانباً مهماً من أخلاق الانسان وطباعه وسلوكه ، وما قد يتعرض له في المستقبل ، والكثير من صفاته وخصائصه الفيزيولوجية ، تتأثر ، كما يرى أصحاب النجامة ، بطبيعة الكوكب أو البرج أو البيت الذي يحل فيه الكوكب ، لحظة ولادة الانسان[3] . وهذا ما سوف نعرض له في الفصل التالي ، مراعين ما أمكن الأمر ، جانب عدم التفصيل .

تعريف عام :

وبعيداً عن مواطن الخلاف حول نسبة التنجيم إلى العلوم العقلية أو الرياضية أو الفلسفية أو الفلكية أو الروحانية . وبمعزل عن كونه فناً أو صناعةً أو علماً ، سرياً كان أو غير سري . وبصرف النظر عن الجدل القائم حول صحة الاعتقاد بأحكامه ومباحثه أو عدم صحة ذلك ، إذ ليس هذا شأننا ومطلبنا في هذه الدراسة . بعيداً عن ذلك كله نقول إن القواعد الأساسية التي استقر عليها بناء هذا « العلم » ، كما أسموه ، ظلت ثابتة لآماد طويلة ، وعبر أجيالٍ كثيرة ، على الرغم من تباين الآراء ، وتعدد الاجتهادات ، ولا يمكن بحالٍ من الأحوال الخروج على ما يهدف إليه في الأصل هذا العلم من معنى شامل وعام ، عنيت بذلك : استطلاع الغيب ، وقراءة المستقبل ، والتنبوء بالأحداث قبل وقوعها ، عن طريق ملاحظة السماء ، لأن فيها خبر ما في الارض ، وذلك من خلال تتبع

---

(١) إخوان الصفاء : الرسائل ١ / ١٨٠ .

(٢) المصدر السابق ١ / ١٨١ .

(٣) المصدر نفسه ١ / ١٨١ . وانظر أيضاً :

Peuckert, W.5: L'Astrologie: son histoire, ses doctrines, P. 120, P.6. Payot. . Paris

الكواكب في مساراتها ومجاريها وحلولها في منازل معينة وبروج محددة ، يقترن بعضها ببعض تارة ، أو يفترق أخرى ، وهو معنى يكاد يكون متشابهاً لدى معظم الذين اشتغلوا بهذه الصناعة في القديم والحديث . وهو كذلك لا يختلف كثيراً لدى أصحاب فهارس العلوم ، وبالأحرى هذه « الصناعة التي نتعرف بها حركات الاشخاص العالية وتأثيرها على الاشخاص السفلية »[(١)] على حد تعبير مسكويه ، وإن شئت فقل هو « دراسة تأثيرات الكواكب بحسب مواقعها ، على ما يجري من حظوظ وأحداث »[(٢)] ، أو هو « التنبوء بالأحداث عن طريق مراقبة النجوم »[(٣)] ، أو « الفن الذي به نتبين طبائع وأمزجة وحظوظ الناس عن طريقة دراسة تأثيرات الكواكب »[(٤)] . وإن شئت أخيراً معنى أدق وأكثر شمولاً في الوقت ذاته ، فقل بلسان « بيكر Paker » إنه هذا الكشف عن المستقبل ، وتلمس خيوط تلك القوة السحرية ، أو ما يُعرف بالـ « مانا Mana » تلك المتمثلة في سلطان النجوم الذي لا يقهر ، على جميع الكائنات[(٥)] .



---

(١) مسكويه وأبو حيان : الهوامل والشوامل ، ص ٣٤٠ ، مطبعة لجنة التأليف والنشر ، القاهرة ١٩٥١م .

(٢) Encyclopédie générale: I 291. Hachette. 1975.

(٣) Nouveau Larousse Universel: I · 119.

(٤) Robert, Paul: Dictionnaire alphabétique, I 293.

(٥) Peuckert. W. E: L'astrologie (son histoire, ses doctrines). P. 11. Petite bibliothèque Payot. Paris.

ولفظة « مانا Mana » ويُقال ايضاً « أوراندا Orenda » . لفظة استخدمها الهنود الأميركان وسكان الحار الجنوب .

الفصل الثاني

الدلالة التنجيمية

مبحث أول : الكواكب ودلالتها التنجيمية :

- صورة السماء : زحل والمشتري .
- الدلالة على الصور والطباع والغرائز والأعضاء .
- الدلالة على الصناعة والأجناس .
- دلالات أخرى .
- الدلالة على أعمار الدول .
- الدلالة على الملّة الإسلامية .

مبحث ثانٍ : البروج ودلالتها التنجيمية :

- منطقة البروج .
- دلالتها التنجيمية .
- البروج بيوت الكواكب .
- سهام البيوت .
- تعليلات المنجمين .
- خاتمة .


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

مبحث أول

البروج ودلالتها التنجيمية

صورة السماء :

نظر القدامى ، ومن بينهم اليونان ، إلى السماء فشاهدوا عدداً هائلاً من النجوم التي أحصوا منها تسعة وعشرين وألف نجم[1] ، من بينها سبعة لا تخضع لقانون حركة النجوم ، فأطلقوا عليها اسم الكواكب وهي : القمر ، وعطارد ،

---

(١) ميز القدامى في الواقع خمسة عشر نجماً من القدر الأول ، وخمسة وأربعين نجماً من القدر الثاني ، وثمانية ومائتين من القدر الثالث ، وسبعين وأربعمائة من القدر الرابع وسبعة عشر ومائتين من القدر الخامس وخمسين نجماً من القدر السادس ، هي أصاغر النجوم مضافاً إليها تسعة أخر مظلمة . وبذلك يتم عدد النجوم المرصودة اثنين وعشرين وألف نجم باستثناء الكواكب السبعة التي لا تخضع لقانون حركة النجوم .
انظر : القزويني ، زكريا بن محمد ، عجائب المخلوقات والحيوان وغرائب الموجودات ، ص ٤٨ . هامش كتاب حياة الحيوان الكبرى ، لكمال الدين الدميري . طبعة مصر ، عبد الحميد أحمد حنفي .
والفلكيون المعاصرون يميزون ، اليوم ، في السماء ، تسعا وثمانين صورة ، أو مجموعة « Constellation » تشكل ما يقارب تسعة آلاف نجم .
انظر : « La science pour tous I '120, Grolier Limitée, Monréal Canada, 1963 »
وقد يستطيع المشاهد ، الحاد البصر ، وفي سماء صافية ، لا قمر فيها ، ان يُحصي ما يُقارب ثلاثة آلاف وخمسمائة نجم ، أو أربعة آلاف نجم ، في الوقت نفسه .

والزهرة ، والشمس ، والمريخ ، والمشتري فزحل[1] . يُطلق على هذه الكواكب باستثناء الشمس والقمر ، اسم الكواكب المتحيرة ، لأنها ترجع عن سمت سيرها إلى المشرق لتعود ثانية إلى المغرب[2] . والخمسة المتحيرة هذه بدورها تنقسم إلى مجموعتين : علوية ، وهي زحل ، والمشتري والمريخ ؛ وسفلية ، وهي : الزهرة وعطارد . وفي نظر هؤلاء الأقدمين أن هذه الكواكب أجسام كروية مضيئة ، ولكل منها فلك يختص به . ولقد يضاف إلى هذه الأفلاك السبعة فلك ثامن ، هو فلك الكواكب الثابتة ، أي النجوم ، ومنهم من يضيف إليها فلكاً تاسعاً ساكناً ، هو الفلك المحيط الذي يدور من المشرق إلى المغرب فوق الأرض مرة واحدة في كل أربع وعشرين ساعة ، فيدير معه سائر الأفلاك والكواكب[3] . اما ماذا وراء الفلك التاسع ، فالخلاف بينهم كبير ، إذ يرى بعضهم أنه خلاء لا نهاية له ، فيما رأى بعضهم الآخر أنه جسم ولا نهاية له ، في حين رأى أرسطو أنه غير جسم ولا خلاء[4] . وهذه الأفلاك جميعاً ، عبارة عن أجسام كروية مشعة ومجوفة ركب بعضها فوق بعض تماماً كطبقات البصلة ، وهي تبدأ بفلك القمر المحيط بفلك الهواء ، وتنتهي بالفلك المحيط[5] ، وذلك انطلاقاً من الاعتبار أن الأرض هي مركز العالم .

---

(١) يضاف الى هذه الكواكب الخمسة ، في عصرنا هذا ، كل من أورانوس Uranus المكتشف عام ١٧٨١ ، ونبتون Neptun المكتشف عام ١٨٤٦ ، وبلوتو Plotu الذي اكتشف عام ١٩١٥م . هذا فضلاً عن عدد آخر من الكويكبات الصغيرة ، تقع بين المشتري والمريخ ، وهي تتخذ مدارات خاصة حول الشمس . والعاملون بصناعة التنجيم ، اليوم لا يعيرونها قيمة تنجيمية تذكر .

انظر : Encyclopédie des sciences et des techniques 3 256-272

(٢) البيروني : التفهيم لأوائل صناعة التنجيم ، ص ٦٠ .

(٣) إخوان الصفا : الرسائل ١/ ١١٥ انظر الصورة التي يتضمنها الجدول رقم (١) المرفقة بهذا الكتاب وفي الواقع أن الذي توصل إليه العلم الحديث أن ما نراه من دوران النجوم حول الأرض ليس في الحقيقة سوى نتيجة لدوران الأرض على نفسها مرة واحدة كل اربع وعشرين ساعة وإن شئت الدقة أكثر فإن هذا العدد من الساعات ينقص أربع دقائق وهذا ما يُعرف باليوم الفلكي انظر :

Couder. Paul: L'astrologie. P 21. 6ème édition. que Sais-je? P. U. F.

(٤) البيروني : التفهيم ، ص ٤٦ .

(٥) رسائل اخوان الصفا ١/ ١١٥ .

والمهم في الأمر قولهم إن من بين الكواكب السبعة اثنين نيرين هما الشمس والقمر ، واثنين سعدين هما المشتري والزهرة ، واثنين نحسين هما زحل والمريخ ، وواحداً ممتزجاً هو عطارد[1] . أما الحكمة من كون الشمس والقمر نيرين فواضحة ، وأما لجهة كون المشتري والزهرة سعدين ، والمريخ وزحل نحسين ، وعطارد ممتزجاً ، فنكتفي بنقل ما قاله إخوان الصفاء حول هذا الموضوع .

يقول الإخوان[2] : « كل ما هو ظاهر يدل على الباطن : فالقمر يدل على أمور الدنيا وحالات أهلها تماماً وكمالاً وسفوراً وإشراقاً ، والزهرة تدل على أمور الدنيا ، فإن استولت على المواليد دلت على نعيم الدنيا ؟ والمشتري يدل على أمور الآخرة وسعادة أبنائها ، فإذا استولى على المواليد ، دل على صلاح الأخلاق والورع والدين ، وزحل يدل على نحوسة أبناء الدنيا ، وإذا استولى على المواليد ، دل على الشقاء والفقر والمرض والعسر ، والمريخ يدل على نحوسة أبناء الآخرة ، فإذا استولى على المواليد دل على الفسق والقتل والسرقة والفساد ، والزهرة والمشتري يدلان على سعادة الدارين ، وعطارد يدل على السعادة والنحوسة معاً »[3] .

ولا يهمنا كثيراً ، أن نساق إلى الحديث عن كل ما يتعلق بدوران هذه الكواكب في منطقة البروج حول الأرض - بزعمهم - ، ولا عن المدة التي يستغرقها دوران كل منها ، ولا عن شؤون سيرها مستقيمة أو معوجة ، صاعدة او هابطة ، ولا عن شرفها وأوجها ، وانحطاطها وحضيضها ، وكذلك لا يهمنا الحديث عن الصور المتخيلة لهذه الكواكب . إذ حسبنا من ذلك بعض ما قالوه عن زحل والمشتري على سبيل المثال .

---

(١) المصدر نفسه ، ١/١٢٤ .

(٢) إخوان الصفا : جماعة سياسية دينية ذات نزعات شيعية متطرفة ، ربما كانت اسماعيلية على وجه اصح ، ظهرت في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري . اتخذ أصحابها البصرة مقراً لهم ، وأطلقوا على أنفسهم اسم اخوان الصفا عُرف منهم ابو سليمان بن محمد بن مشير البستي المشهور بالمقدسي ، وأبو الحسن علي بن هارون الزّنجاني ، ومحمد بن احمد النهرجوري ، والعوفي ، وزيد بن رفاعة . وإجمالاً ، فإن رسائلهم أخذت من كل مذهب فلسفي بطرف .

(٣) الرسائل ١/١٢٤ .

صورة زحل والمشتري :

أ ـ زحل :

قالوا إن زحل ـ مثلاً ـ يبدو في صورة شيخ يحمل بيده اليمنى رأس إنسان ، وباليسرى كفاً من كفيه ، وهو راكب ذئباً ، ويهش على الموق بعصاه تارةً ، كما يبدو تارةً أخرى في صورة فارس وعلى رأسه بيضة ، وبيده سيف مسلول[1] . وزحل هذا يقطع منطقة البروج مرة كل ثلاثين سنة[2] ، وهو يُقيم في كل برج سنتين ونصف السنة ، وتربعه الشمس ـ أي تبعد عنه تسعين درجة ـ مرتين عن اليمين وعن الشمال . وهي ما أن تقارنه مرة حتى تفارقه لتعاود مقارنته ثانية بعد مضي واحد وثمانين وثلاثمائة يوم : منها ثلاثة وعشرون ومائة يوم ، وهو في الاستقامة والتشريق ، وأربعة وثلاثون ومائة يوم ، وهو في الرجوع ، وأربعة وعشرون ومائة يوم ، وهو في الاستقامة والتغريب[3] .

ب ـ المشتري :

وقالوا إن المشتري في صورة شاب يحمل بيمناه سيفاً ، وباليسرى قوساً ، راكب برذوناً ، وقد يكون في صورة رجل جالس على كرسي ، وعليه ثياب زاهية الألوان ، وثمة حرز يحمله فوق صدره[4] .

والمشتري يقطع منطقة البروج في اثنتي عشرة سنة تقريباً ، تقابله الشمس في البرج السابع من البرج الذي هو فيه ، وتربعه مرتين ، وتقارنه كل سنة إذا صارت معه في برج واحد أو درجة واحدة . ثم أن الشمس تجاوزه ليظهر بعد عشرين يوماً بالغداة قبل طلوع الشمس . وهو يسير من لدن مفارقتها إلى مقارنتها ثانية مدة تسعة وتسعين وثلاثمائة يوم ، منها أربعة وأربعون ومائة يوم مستقيماً

---

(١) البيروني : التفهيم لأوائل صناعة التنجيم ، ص ٢٥٣ .

(٢) في الواقع دورة زحل تكون حول الشمس ، لا الأرض ، وهي تستغرق فعلاً تسعاً وعشرين ونصف السنة ، وتحديداً عشرة آلاف وسبعمائة وتسعة وخمسين يوما .
انظر : W. E. Peuckert: L'astrologie, P 75

(٣) اخوان الصفا : الرسائل ١ / ١٣٠ .

(٤) البيروني : التفهيم ، ص ٢٥٣

مغربا ، ومثلها مشرقاً ، وأحد عشر ومائة يوم راجعاً[1] .

وكما أسلفنا فإن الذي يهمنا من أمر هذه الكواكب بعد هذا كله ، هو معرفة ما لها من تأثير على خَلق الإنسان ، وخُلقه ، وطباعه وغرائزه ، وما لها من تأثير أيضاً أو من دلالة على الحيوان ، والطير ، والأماكن ، والمساكن ، وأجناس الأرض ، والمعادن ، والجواهر والحّجارة ، والأشجار ، والثمار وما سوى ذلك . . كل ذلك ينطلق من طبيعة الكواكب ذاتها ، ومن الوضع الذي هي عليه وهي في تشريقها وتغريبها ، وقراناتها ، وأوجها وحضيضها ، كما ينطلق من وضع البروج التي تنزل فيها ، والبيوت التي تسكنها ، وهذا ماسنعـرض له على وجه الإجمال دون الغوص كثيراً في التفاصيل .

الدلالة على الصور والطباع والغرائز وأعضاء بدن الإنسان :

أ ـ زحل :

انطلاقاً من أقوال المنجمين أن من طبع زحل البرودة واليبوسة بإفراط ، والبلغم والمرة السوداء ، فإن لهذا الكوكب تأثيراً بالغاً على تماسك الصور في الهيولى[2] ، وعلى تماسك الأجزاء في الأبدان ، وعلى تكون العصب ، والجلد ، والعظام ، والعروق ، والأظفار والطحال . . وزحل ، في زعمهم ، يدل على الشيخوخة ، وهو يدل على السمع من الحواس ، وعلى الأذن اليمنى من الرأس . وله من أعضاء البدن الظهر والركبتان والإليتان ، واليدان ، والأمعاء ، والبول ، والعذرة .

وبالنسبة إلى الأخلاق والطباع ، فإن لزحل الفزع والجبن ، والحقد ، والمكر ، والوسوسة والانقباض ، والمودة ، والكتمان . « وهو إن غضب فلا يتمالك نفسه . وهو يدل على التضادات ، وإن كان عاقلاً حيناً ، فهو جاهل الى أبعد الحدود »[3] .

---

(۱) رسائل الاخوان ۱/۱۳۱ . في الواقع إن دورة المشتري حول الشمس تبلغ اثنين وثلاثين وثلاثمائة وأربعة آلاف يوم ، أي ما يقارب الاثنتي عشرة سنة .
انظر :
W. E. Peuckert, L'astrologie, P 71

(۲) الهيولى والهيّولى ، لفظة يونانية تعني المادة الأولى .

(۳) البيروني : التفهيم لأوائل صناعة التنجيم ، ص ۲٥۰ .

وهو إذا حل في برج ناري دل على شدة الحر وعلى الغلاء والحروب في ذلك العام ، وإن حل في برج ترابي دل على اليبوسة والقوة والرخاء . وإن حل في برج هوائي دل على الممازجة بين الخلق ، وعلى ظهور الصنائع ، وعلى الفرح واللهو ، والاعتدال في الحرارة واليبوسة والبرودة والرطوبة . وإن حل في برج مائي ، فإن ذلك دلالة على الخصب وجودة الزروع وعلى الحياة الطيبة والمودة الصافية[1] .

وقالوا إن المولود بكوكب زحل ، يكون صحيح النظر ، طويلاً ، ممشوقاً ، عبوساً ، عظيم الرأس ، أقرن ، صغير العينين ، واسع الفم ، غليظ الشفتين ، كثير الشعر ، أسود متغير اللون ، ضخم الكفين ، قصير الأصابع ، ملتوي الساقين ، عظيم القدمين ، وقالوا إنه يدل على الغربة البعيدة ، وعلى الفقر الشديد ، والثروة مع البخل والعسر ، وعلى النكبات والشدائد والهموم القديمة ، وإن صاحبه ليؤثر العزلة ، ويميل إلى استعباد الناس وظلمهم ، وإلى استعمال الغش والميل إلى الحيلة ، مثلما هو يدل على البكاء والحزن واليتم[2] .

ب ـ المشتري :

ولأن من طبع المشتري الحرارة أو ما دون ذلك باعتدال ، والدم والهواء ، ولأن له من بدن الإنسان الشرايين والمخ والفخذين والرحم والأمعاء والحلق والنطفة فهو يتميز بتأثيره في اعتدال الطبائع ، وتأليف القوى المتنافرة ، وحفظ النظام ونمو الأجساد وتنشئة الأبدان ، وائتلاف الأرواح والنفوس لدى المواليد . وإن شئت التفصيل أكثر فهو يؤثر في تكون حاسة اللمس وفي الرئتين والشرايين بمقدار ما يؤثر في المحاصيل . وهو يدل على الكهولة ، وله من الحواس السمع واللمس .. ولجهة الأخلاق ، فإن صاحبه حسن الخلق ، ملهم بالعقل ، حليم ، عظيم الهمة ، صادق ، فهم ، سخي ، جريء النفس ، صادق المودة ، محب للمغامرة ، حريص على العمارة ، والمساكن ، مؤدٍ للأمانة ، كاره للشر ، متقٍ ، محتمل .. والمولود بهذا الكوكب يكون حسن الجسم ، مورد الوجه ، غليظ أرنبة الأنف ، ناتىء الوجنتين ، عظيم العينين أشهلهما .. وهو خفيف اللحية عريضها ، جعد الشعر . وصاحب هذا الكوكب له معرفة بالناس ، وميل

---

(١) أبو معشر : الكتاب ، ص ٤ ، مكتبة الجمهورية العربية ، مصر .
(٢) التفهيم لأوائل صناعة التنجيم ، ص ٢٤٩ ـ ٢٤١ .

إلى الإصلاح والصداقة ، وهو مظهر للسر ، متمسك بالدين ، آمر بالمعروف ، صادق الرؤيا ، مكثر للنكاح والضحك والمزاح ، ميال إلى الطيش ، له دربة في اللسان ، ورغبة في المال ، وهو مصاب بالغرور . . والمشتري إن كان مشرّقاً ، أورث مولوده قداً أهيف ، وتناسق أجزاء واسوداداً وغؤوراً في العينين ، وأخلاقاً فاضلة ، ومزاجاً رطباً ، مع ميل إلى الحرارة ، وإن كان الكوكب مغرّباً أثر في رأس المولود وطباعه ، فيكون هذا أصلع الرأس ، رطب الطباع[1] .

وهكذا دواليك بالنسبة إلى دلالة كل من المريخ والمشترى والزهرة وعطارد والقمر ، مما لا حاجة لنا في تفصيل الحديث عنه ، إذ يمكن الرجوع إليه في مظانه من الكتب التنجيمية المتخصصة ، كما يمكن الاكتفاء بإلقاء نظرة على الجداول الملحقة بهذا الكتاب وذلك على سبيل الاستئناس ليس الاّ .

الدلالة على الصناعات وأجناس الناس :

أ ـ زحل :

ولا تنحصر دلالة الكوكب التنجيمية في إظهار خلق المولود ، وخلقه وطباعه وغرائزه فحسب ، بل تتعدى ذلك كله لتدل على أجناس الناس المولودين بها ، وعلى صناعاتهم واختلاف طبقاتهم الاجتماعية : فزحل ، مثلاً يدل على أرباب الصناعة ، والقهارمة والملوك ، ونسّاك الملل ، كما يدل في الوقت ذاته ، وتبعاً لموقعه من فلك البروج ، على الفسقة من الناس ، والعبيد ، والمكدوديّن ، والخصيان ، واللصوص ، والسحرة ، والشياطين ، وهو يدل على صناعة المولود به ، إذ أن له من دلالة الصناعات الفلاحة ، وعمارة الأرض ، وقسمة المياه ، والعمل في الدباغة ، والأشياء الرطبة ، وتقدير الأشياء والمواريث ، وحفر القبور ، والعمل بالأسرب ، أي الصلب والحديد ، وبصورة عامة ، فهو يدل على كل ما يرمز إلى الشر أو الغلبة والقهر[2] .

---

(١) البيروني : التفهيم ، ص ٢٤٧ ـ ٢٥٠ .
انظر ايضا : W. E. Peuckert: L'astrologie, P 31
(٢) البيروني : التفهيم ، ص ٢٥٢ و٢٥٤ .

ب ـ المشتري :

أما المشتري فالمولودون به ، هم من الملوك والوزراء والأشراف ، والعظماء ، والفقهاء ، والتجار والأغنياء . والأعمال المنسوبة إليه هي الأعمال الشريفة والنظيفة ، والولايات الحسنة . كما وأن له العبادات وأعمال البر والخير ، وتعبير الرؤيا . وله الصناعة بالذهب والفضة ، والعمل في الثمار خصوصاً قصب السكر والأعناب[1] .

دلالات اخرى :

ولكل كوكب من الكواكب دلالات أخرى هي الدلالة على الأماكن ، والمساكن ، وأجناس الأرض ، والأشجار ، والنبات ، والثمار ، والمعادن ، والجواهر ، والحجارة ، والحيوانات ، والطيور ، والأديان ، والأنساب ، والأطعمة والروائح ، والألوان ، واللباس ، والساعات ، والليالي والأيام . .

أ ـ زحل :

خذ زحلاً ، مثلاً ، فهو يدل على الأسراب ، والنواويس ، والآبار ، والأبنية القديمة ، والبيوت الخربة ، والأماكن الموبؤة ، والبحار النتنة التي تعيش فيها السلاحف ، والصحارى المسبعة ، ومرابط النيران ، والحمر والخيل والفيلة . وله من البلاد الهند والسند ، ومن الجبال ما ليس نبته من نبات سائر أجناس الأرض .

وله ما علا من الأشجار ، وما تقدم عهده ، وقلّ نوعه ، واشتد التفافه ، وصلب عوده كالعفص والزيتون والبطم والخروع والفلفل ، أو ما كان زكي الرائحة ، صلب الثمرة كاللوز والجوز والكستناء ، والزعرور والعدس والكتان .

ولزحل من المعادن : الجواهر ، والأسرب ، والألماس ، والرمل ، والزجاج والسنباذج[2] ، وخسيس الحديد ، وكل ما هو حجر صلب .

ومن الحيوان والطير ، فإن لزحل منها ما هو أسود اللون ، وما يأوي الى حجر أو بيت كالبقر ، والمعز ، والنعام ، والسنجاب ، والسنّور ، والفأر ،

---

(١) نفسه ، ص ٢٥٢ و٢٥٤ .

(٢) السنباذج او السنابذج : لفظة فارسية معربة ، وهي تعني حجر المسنّ .

واليربوع ، والعقرب ، والحية السوداء ، والخنفساء ، والبرغوث ، وطير الماء ، وطير الليل ، والغراب ، والخطاف الأسود والذباب . وبالنسبة إلى الدلالة على الأديان ، والأنساب ، والطعم والرائحة ، واللون ، والدلالة على الساعة واليوم والليلة ، فإن زحل يدل على اليهودية ، والآباء ، والأجداد ، والأخوة ، وكبار الناس والعبيد . وهو يدل على البشاعة ، والعفوصة ، والحموضة ، والنتن من الطعام ، كما يدل على السواد الحالك ، أو ما امتزج سواده بصفرة . . وله أول ساعة من ساعات يوم السبت ، ومن ليل الأربعاء . ويومه المختص به ، هو السبت[1] .

ب ـ المشترى :

أما المشترى فتأثيره بيّن في البلاد التي يماسّها أو يختصها بالنظر . . فهو يدل على المساكن العامرة ، والمساجد ، والمنابر ، والبيع والكنائس . . وعلى المصاحف ، وطرق العبادة ، وبيوت المتعلمين ، ومواضع صنّاع الرصاص . . كما يدل على أهل بابل وفارس وخراسان ، والترك والبربر . . وإجمالاً فإنه يدل على ما سهل أو لان من أجناس الأرض . وبالنسبة إلى الشجر والنبات ، فهو يدل على كل ما اعتدل منه ، وكان ثمره كبيراً ، حلواً ، قليل الدسم ، رقيق القشر كالتين والمشمش والإجاص والورد . وهو يؤثر في التفاح والرمان والحنطة والشعير والأرز والذرة والحمص والسمسم . وبخصوص الدلالة على المعادن والجواهر ، فإنه ينسب إليه الإسفيداج[2] ، والتوتياء والكبريت ، والزرنيخ الأحمر والرصاص والقلعي[3] ، والشبه[4] الغامق ، وكل حجر أبيض أو أصفر أو أحمر كالبلور واللؤلؤ .

وللمشتري من الحيوان والطير ، ذوات الأظلاف والأخفاف من الضأن والثيران والإبل ، وكل دابة حسنة اللون ، طيبة اللحم ، أو ما كان مستتراً ليلاً كالأسود والنمور والفهود والقرود والكلاب والثعالب . وله كل طائر مستوي

---

(١) التفهيم ، ص ٢٤٠ ـ ٢٥٣ .

(٢) الاسفيداج ، او الاسبيداج ، لفظة فارسية تعني بياض الرصاص .

(٣) القلعي ، نسبة إلى القلع ، وهو معدن ينسب إليه الرصاص الجيد ، فيقال رصاص قلعي وقلّعي .

(٤) الشبه : النحاس الأصفر سمي به لأنه عندما يصفّر ، يشبه الذهب بلونه .

المنقار كالحمام ، والدراج ، والطاووس ، والدجاج ، والهداهد والقنابر .

أما يوم المشتري فهو الخميس ، وله أول ساعة منه ، وأول ساعة من الاثنين ، وهو يدل على النصرانية ، وما ابيض من الثياب ، كما يدل على الأولاد وأولاد الأولاد . وله من الأطعمة والألوان ، ما هو حلو وطيب ، كالأبيض المشرب بصفرة أو بسمرة ، كما وأن له البريق والضياء[1] .

وهكذا ، قل الأمر ذاته فيما يخص المريخ والشمس والقمر والزهرة وعطارد ، مما لا حاجة لنا في تفصيلاته ، إذ يمكن الرجوع إلى ذلك في مظانه من خلال الاطلاع على الكتب التنجيمية المتخصصة ، كما يمكن القارىء الاكتفاء بإلقاء نظرة على الجداول الملحقة بهذا الكتاب ليتبين له بوضوح أكثر أهم هاتيك التأثيرات الكواكبية .

هذا ، وإن كان لا بد من كلمة أخيرة نقولها بهذا الشأن ، فحسبنا قول ابي الريحان البيروني من أن زحل أبرد الكواكب وأصلبها وأنتنها وأقذرها ، والمشترى هو أمرّها وأخشنها وأحدّها وأكثرها حمرة ، والشمس هي أنبلها وأشرفها وأشهرها وأكرمها ، والزهرة هي أذكاها وأنعمها وألذها وأجملها وألينها وأرطبها ، وعطارد هو الكوكب المتوسط المزاج ، والقمر أغلظها وأرطبها وأخفها[2] .

الأندلس وتأثير الكواكب :

وحسبنا دلالة على تأثير الكواكب في المدن والممالك والأقاليم ، ما قاله أصحاب هذه الصناعة عن تأثير الكواكب في بلاد الأندلس ولا سيما تأثير الزهرة لجهة حسن همم أهلها ، وتأنقهم في اللباس والطعام ، والميل إلى النظافة واللهو والطرب والغناء وتوليد اللحون . وهم من أجل ولاية عطارد عليهم ، يعرفون بحسن التدبير ، والحرص على طلب العلم ، وحب الحكمة ، والميل إلى العدل والإنصاف[3] .

---

(١) التفهيم لأوائل صناعة التنجيم ، ص ٢٤٠ - ٢٥٣ .

(٢) التفهيم ، ص ٢٤١ .

(٣) المقري ، أحمد : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ١٤٦/٤ . تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، ط ١ ، مطبعة السعادة بمصر ، ١٩٤٩م .

وقل الأمر نفسه في ما يخص بناء المدن على اسم الكواكب ، ومنها دمشق التي هي بيت المشترى ، والتي بنيت على ما قيل ، على الكواكب السبعة ، وأن بانيها جعل لها سبعة أبواب على كل واحد منها صورة أحد الكواكب ، ولذا فإن صورة زحل كنت تجدها على « باب كيسان » ، وهي الصورة الوحيدة التي كانت ما تزال موجودة حتى زمن صاحب تاريخ دمشق في منتصف القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي[1] . وقيل إن الباب المسمى بـ « باب شرقي » كان للشمس ، وباب توما للزهرة وباب الصغير للمشترى ، وباب الجابية للمريخ ، وباب الفراديس لعطارد ، والباب الأخر للقمر[2] .

الدلالة على أعمار الدول :

وبالاشارة إلى زحل والمشترى ، فإن لقران[3] هذين الكوكبين العلويين ، خاصة من بين سائر الكواكب ، دلالة على أعمار الدول والملل إذ هما يقترنان في درجة واحدة من الفلك ، مرة واحدة في كل ألف سنة إلاّ اربعين عاما ، وهو ما يُقال له القران الأكبر ، وثمة قران آخر لهما ، هو الأبسط ، وثالث ، هو الأصغر ، ويحدث في برج واحد مرة واحدة في كل عشرين عاما ، ولا يخلو هذان القرانان الأخيران من تأثير ودلالة على كثير من أمور الدين ، وشؤون السياسة والحروب والاجتماع والعمران[4] .

الدلالة على الملة الإسلامية :

ونحن لو استعرضنا ما يقوله أصحاب النجامة في الملة الإسلامية مثلا ، وفي انقياد الحكم للعرب بتأثير مثل هاتيك القرانات ، لأعيانا الحصر فضلاً عن أن مجال الحديث عنه ليس في هذا المكان . لكن حسبنا من ذلك ، على سبيل المثال ،

---

(١) ابن عساكر : تاريخ دمشق الكبير ١٧/١ . دار المسيرة ، بيروت . هذبه ورتبه عبد القادر بدران .

(٢) المرجع نفسه ١٧/١ .

(٣) القران أو الاقتران ، أو المقارنة ، إحدى الصور الرئيسية الخمس التي تحدثها مواقع الكواكب بعضها إلى بعض . أما الصور الأربع الأخرى فهي الاستقبال والتسديس ، والتربيع والتثليث ، وعليه تبنى أحكام المنجمين .

(٤) ابن خلدون ، عبد الرحمن : المقدمة ، ص ٥٩٦ ـ ٥٩٧ . ط ٢ ، مكتبة المدرسة ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ١٩٦١م .

ما نقله ابن خلدون عن جراس بن احمد الحاسب ، احد أبرز المنجمين في العصر العباسي ، من أن الملة الإسلامية بدأت لدى اقتران زحل بالمشتري في برج العقرب ، وأن ما يصيب بيوت العبادة ، وما يتعرض له رجالات الملة الكبار ، إنما يحدث في كل مرة يرجع فيها المريخ إلى العقرب ، وهذا ما توصل إليه جراس بنفسه من خلال ملاحظته ما حلّ بالخلافة الإسلامية من أمور عظيمة ليس أقلها ـ في زعمه ـ مقتل علي بن أبي طالب ، ومروان بن محمد الأموي ، والمتوكل ، الخليفة العباسي[١] . وحسبنا منها كذلك ما نقله ابن خلدون عن شاذان البلخي الذي قال بأن الإسلام ينتهي بنهاية مرور عشرين وثلاثمائة عام ، ولم يصح هذا القول بالطبع ، في حين قال أبو معشر البلخي[٢] بأن ثمة اختلافاً يقع في الملة بعد انقضاء خمسين ومائة من الأعوام ، ولم يصح هذا القول الآخر أيضا .

وفي حين حدد أبو معشر نفسه ، مدة ملك العرب بعشرة أعوام وستمائة عام معتمداً في ذلك على شرف الزهرة في برج الحوت ، فإن الكندي ، وهو أحد الفلاسفة المنجمين ، حدد مدة الملة هذه بثلاثة وتسعين وستمائة من الأعوام مستدلاً على ذلك بحساب الجمّل[٣] ، وإستقراء فواتح الحروف لعددٍ من سور القرآن الكريم[٤] . ومن قبل كما ذكر ابن خلدون ، حدد افريد الحكيم[٥] ، مدة

(١) المرجع نفسه ، ص ٥٩٦ ـ ٥٩٧ .

(٢) أبو معشر البلخي : أحد أبرز علماء التنجيم والفلك في القرن الثالث الهجري . وسيأتي الحديث عنه مفصلاً لاحقاً .

(٣) حساب الجمل أو « حساب النيم » : أحد العناصر الثلاثة المؤلفة لما يُعرف بـ « علم الحروف » . والعنصران الآخران هما معرفة الخواص الطبيعية للحروف القائمة على : الكيمياء ، وقراناتها التنجيمية ، أو ما يعرف بـ « الطلسمات » . ولقد قسمت الحروف الثمانية والعشرون للأبجدية إلى أربع فئات متساوية ، وكل فئة تطابق عنصراً من العناصر الاربعة التي هي : النار والهواء والماء والأرض . ولقد جعل لكل حرف قيمة عددية معينة . فقيمة الحروف من ألف إلى طاء تمثل الوحدات من ١ ـ ٩ ، ومن ياء إلى صاد تمثل العشرات من ١٠ ـ ٩٠ ، ومن ق الى ظاء تمثل المئات من ١٠٠ ـ ٩٠٠، والغين تساوي ١٠٠٠ .

انظر : دائرة المعارف الاسلامية ١٤ / ١١٢ ـ ١١٣ .

(٤) مقدمة ابن خلدون ، ص ٥٩٨ ـ ٥٩٩ .

(٥) لعله اسكندر الأفروديسي احد الفلاسفة اليونان في القرن الثاني من الميلاد ، وكان واحداً من أهم شراح أرسطوطاليس .

الملة ذاتها بستين عاماً وألف عام ، في حين حددها تيوفيل الرومي ، المنجّم زمن بني أمية ، بستين وتسعمائة من الأعوام ، هي مدة القران الكبير ، أي قران زحل والمشترى ، وذلك إذا عاد القران إلى برج العقرب كما كان في ابتداء الملة[1] . وبشأن الحديث عن الملة الإسلامية ، فلا بأس من الإشارة إلى ما زعمه المنجمون أنها تمت برعاية الزهرة التي لها يوم الجمعة من الأيام ، ولها النظافة والطيب والزينة والخصوبة ، ولذا فإن المسلمين ، كما نقل أبو حيان التوحيدي ، يعظمون يوم الجمعة ، ويغتسلون فيه ، ويتطيبون ، ويلبسون كل جديد ، في حين أن الملة الإسرائيلية تمت برعاية زحل الذي له يوم السبت ، وهو دليل الفراغ والتغرب والتأله ، ولذا فإن اليهود يعظمون يوم السبت وينقطعون فيه عن الأعمال[2] .

هذا النوع من النجامة ، والذي يستدل به على أعمار الدول والملل ، وعلى أعمار الملوك وذوي السيادة والسلطان ، يُطلق عليه اسم الحدثان ، وقد أُلّف فيه كتب كثيرة ، ونُظم فيه ملاحم مشهورة لعل أولاها تلك التي تعود الى أيام الخليفة العباسي ، المهدي [3] ، ثم أن الناس « كتبوا من بعد ذلك ، يقول ابن خلدون ، في حدثان الدول منظوماً ومنثوراً ورجزاً ما شاء الله أن يكتبوه ، وبأيدي الناس متفرقة كثير منها ، وتسمى الملاحم ، وبعضها في حدثان الملة على العموم ، وبعضها في دولة على الخصوص . وكلها منسوبة إلى مشاهير من أهل الخليقة . وليس منها أصل يعتمد على روايته عن واضعه المنسوب إليه »[4] .

هذا عن حدثان الدول والملل ، وعن قران زحل والمشترى بشكلٍ خاص ، وقل الأمر ذاته نحوسة وسعادة ، بشأن القرانات الكواكبية الأخرى ، كمثل قران الزهرة بالمريخ ، وبزحل والمشترى وعطارد ، أو قران كل من هذه الأخيرة بأخواتها مما ليس تفصيل الحديث فيه يخصنا في هذا المكان[5] . على أن أبرز هذه القرانات

---

(١) المقدمة ، ص ٥٩٨ ، ٥٩٩ .

(٢) التوحيدي ، أبو حيان : البصائر والذخائر ١٠٤/٤ .

(٣) بدأت خلافة المهدي عام ١٥٨ هـ ، وانتهت عام ١٦٩ هـ .

(٤) مقدمة ابن خلدون ، ص ٦٠٢ .

(٥) نورد هنا ، على سبيل الاستئناس والمثال ، ما ذكره الشيخ المفيد في كتابه « الاختصاص » عن قرانات زحل ، فهو يقول نقلاً عن قول أحد أصحاب النجوم ، وأظنه ابن الحسن بن شاذان أخي الفضل بن شاذان المتكلم النيسابوري الذي عاش في أواخر القرن الثاني وأوائل القرن الثالث من الهجرة : « . . . وإذا اقترن زحل بعطارد ، أصاب الناس ،

وأظهرها تأثيراً في الأنام ، قران زحل والمريخ في برج السرطان ، هو قران يدلّ في زعم المنجمين ، على طالع العالم ، يحصل مرة واحدة في كل ثلاثين عاما ، إذ يكون منذراً بسفك الدماء ، وحدوث الفتن والحروب ، وظهور الأوبئة والدعاة والخوارج وما شابه ذلك[١] .

ولعل من نافل القول أن نُشير أخيراً إلى أن هذا التأثير الكوكبي لا يقتصر على هذه السيارات الآنفة الذكر ، بل يتعدى ذلك ليشمل عدداً آخراً من النجوم الثوابت ، من بينها الدبران ، وريغولوس في منطقة البروج ، وسيروس ، وفيغا ، وعنتارس من خارجها[٢] .

= وبخاصة أهل الأدب منهم ، حزن وخوف عظيمان ، وإذا اقترن بالمشتري في برج واحد ، تغيرت الدنيا ، وخرجت الخوارج ، وخصوصاً من جيلان والديلم وبلاد الأكراد ، وارتفع شأن السفلة ، وتغيرت طباع الناس ، وذهب الحياء ، وكثر الطمع ، واستشرى الفساد وخصوصاً في النساء ، وأسقطت الولادات ، وظهر أولاد الحرام ، واشتد القتل والجوع » . . .

انظر : الاختصاص ، ص ١٦٠ ، مؤسسة الأعلمي ، بيروت .

وإليك ما يقوله عن زحل ، على سبيل المثال أيضاً ، ابن الحسن بن شاذان : « اذا قرن بالمريخ في برج واحد ، ملك ملك حديث السن في أرض ذلك البرج . وإذا اجتمع بعطارد ، وقع في التجار الخوف والحزن ، وكذلك في أهل الادب . . وإذا اجتمع مع الشمس في العقرب كان هذا آية على اختلاف الروم وقتل ملكهم . .

(١) المفيد : الاختصاص ، ص ١٦٠

انظر : شبّر ، عبد الله : أحسن التقويم في سعادة الأيام ونحوساتها ، ص ١٠٢ ـ ١٠٣ ، المطبعة الحيدرية ، النجف .

ولا يقتصر تأثير زحل ، أو غير زحل ، سواء عن طريق اجتماعه أو اقترانه بالكواكب الاخرى ، على برج مخصوص ، بل هو يتعدى ذلك إلى برج ، بل إلى كل منزل من منازل القمر التي قد يكون بعض منها جزءاً أو أكثر من أجزاء البرج الواحد . وإليك مثلاً على ذلك نسوقه من المرجع الآنف الذكر :

يقول ابن شاذان : « إذا نزل كيوان ـ أي زحل ـ الطرفة أو الدبران ـ وكلاهما منزلان من منازل القمر ـ وقع طاعون في العراق ، ومات خلق كثير . وإذا نزل النثرة ـ هي نثرة الاسد ، البرج المعروف ـ وقع قتال بالعراق وفتنة وبلاء . وإذا نزل الجبهة ـ أي جبهة الأسد ـ وقع موت في البقر والسباع والوحوش .

انظر : أحسن التقويم ، ص ١٠٣ .

(٢) انظر : W. E. Peuckert, L'astrologie, P 31

والدبران نجم أحمر يتلو الثريا . سُمي بذلك لاستدباره الثريا ، وقد يسمى التابع ، أي =

هذا ولم يفت الأقدمين أن ينسبوا إلى المذنبات التي تظهر في السماء بين الحين والآخر ، وإلى كسوف الشمس وخسوف القمر ، تأثيرات أخرى مماثلة ، وهي في مجملها تأثيرات سيئة تتمثل بحدوث الموت المفاجىء ، واندلاع الحروب ، وارتفاع الأسعار ، وطوفان المياه ، وكثرة الزلازل . وهذا ما سوف نعرض له لدى الحديث عن أثر التنجيم في الحياة الأدبية[1] .



= تابع الثريا ، وتاليها وحاديها . وهو يقع في برج الثور ، وقد يُطلق عليه اسم عين الثور نسبة لذلك . وهو فضلاً عن ذلك ، أحد منازل القمر ، يطلع في ٢٦ أيار ، ويسقط في ٢٦ تشرين الاول ، وضؤوه غير محمود ، وكانت العرب تتشاءم به = أما ريغولوس Régulus وسيروس Sirus ، وفيغا Véga ، وعنتارس Antares ، فهي أسماء نجوم معروفة : ريغولوس النجم الذي يُقال له قلب الاسد ، وسيروس الشعري اليمانية ، وفيغا النسر الواقع (أحد النسرين المعروفين ، والآخر يُقال له النسر الطائر) ، ولربما كان لظهور نجم ، أي نجم ، غير معروف ، ولا يجري في مجاري النجوم ، لكنه من الحمرة على درجة رفيعة ، مثل هاتك التأثيرات المعروفة السيئة من ضرب وقتل وشرور .
انظر : أحسن التقويم ، ص ١٠٤ .

(١) من تلك التأثيرات المنسوبة إلى المذنبات ما ذكره ابن شاذان بقوله :
« إذا بدا كوكب مذنب في برج ما ، وقع في أرض البرج شر وبلاء وفتنة وخلع الملوك » .
انظر : أحسن التقويم ، ص ١٠٣ .

مبحث ثانٍ

البروج ودلالتها التنجيمية

منطقة البروج :

منطقة البروج ، أو ما يُعرف بفلك البروج ، هي المنطقة التي تقطعها الشمس في سيرها في سنة واحدة ، ويُطلق عليها حديثاً اسم الدائرة الكسوفية ، وقديماً أطلقوا عليها اسم الدائرة العظمى ، وهي تميل عن دائرة معدل النهار فتقطعها في نقطتين متقابلتين بحيث يصير نصفها شمالي دائرة معدل النهار ، ونصفها الآخر في جنوبيه . وبقدر هذا الميل يتباعد قطبا هاتين الحركتين في كل واحد من جهتي الشمال والجنوب ، والدائرة التي تمر على قطبي معدل النهار ، وقطبي فلك البروج ، تعرف بالمارة على الأقطاب الأربعة[1] . والمهم أن هذه النقطة أو الدائرة تقسم الى إثني عشر قسماً متساوياً ، ولكل قسم منها ثلاثون درجة ، ويُطلق على هذه الأقسام اسم البروج .

أول البروج برج الحمل ، يليه الثور ، فالتوأمان ، أو ما يُعرف ايضاً بالجوزاء ، فالسرطان ، فالأسد ، فالعذراء أو السنبلة ، فالميزان ، فالعقرب ، فالقوس أو الرامي فالجدي ، فالدلو ، ثم السمكة أو الحوت .

---

(١) البيروني : التفهيم لأوائل صناعة التنجيم ، ص ٥٦ .

ولقد تفنن القدامى في رسم صور البروج وأشكالها ، والحديث عن أسمائها ، وهي صور وأسماء وأشكال وهمية اختيارية وُضعت إتفاقا . ويُقال إن أول من أعطاها صورتها وشكلها اليونان في القرن الثالث قبل الميلاد ، وإن كانت صورة برج الثور ترجع في الواقع إلى عهد البابليين . وهذه التسميات التي أعطيتها ذوات دلالات ورموز ، فالعقرب والسرطان مثلا ، يدلان على حشرات الأرض ، والحمل والثور يدلان على الوحوش وكل ذي ظلف ، والسنبلة ترمز إلى البذور والمحاصيل[1] .

والغريب في أمر هذه البروج أن بعضها قلما يتضمن نجوماً من القدر الأول أو الثاني بل من الثالث أيضاً ، من ذوات الحجم واللمعان ، فالحمل والميزان على سبيل المثال ، ليس لهما سوى نجمين اثنين من القدر الثالث ، والجدي ليس له سوى نجم واحد منه فقط ، فيما لا يوجد في السرطان والحوت والدلو أي من هذه النجوم ذوات الأقدار الثلاثة الأولى[2] .

وقد جعل أصحاب صناعة التنجيم بروج السماء أقساماً أقساما ، فقالوا إن ثمة بروجاً نارية وحارة ويابسة وشرقية ذات طبيعة واحدة وهي المرة الصفراء ، وهي : الحمل والأسد .

وأن ثمة بروجاً أخرى ترابية وباردة ويابسة جنوبية ذات طبيعة واحدة هي المرة السوداء ، وهي : الثور والسنبلة والجدي ، وأن ثمة بروجاً ثالثة يُقال لها البروج الهوائية ، وهي بروج حارة رطبة غربية وذات طبيعة واحدة وهي الدم ، وهي : الجوزاء والميزان والدلو ، وأن ثمة بروجاً رابعة يُقال لها البروج المائية ، وهي بروج باردة رطبة شمالية وذات طبيعة واحدة هي البلغم ، وهي : السرطان والعقرب والحوت[3] .

---

(١) ابن طاووس ، علي بن موسى : فرج المهموم في علم النجوم ، ص ٦٨ ، المطبعة الحيدرية ، النجف ١٣٦٨ هـ .

(٢) C. Paul: L'astrologie, P 11

(٣) ابن حيان ، جابر : الرسائل ، ص ٣٠ ـ ٣٢ .

ومن تقسيماتهم ما تحدثوا فيها عن البروج المنقلبة في الزمان ، وهي : الحمل والسرطان والميزان والجدي ، والأخرى الثابتة في الزمان ، وهي : الثور والأسد والعقرب والدلو ، والبروج ذوات الجسدين الثابت والمنقلب ، وهي : الجوزاء والسنبلة والقوس والحوت . ومنها أيضاً البروج المستقيمة ، وهي : السرطان والأسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس ، وكل واحد منها يطلع في أكثر من ساعتين ، والأخرى المعوجة ، وهي الباقية ، وكل واحد منها يطلع في أقل من ساعتين .

والبروج ستة شمالية ، وهي : الحمل والثور والجوزاء والسرطان والأسد والسنبلة ؛ وستة جنوبية، وهي الأخريات . وهي ستة مذكرة واخرى مؤنثة ، وستة نهارية ، وأخرى ليلية ، وستة من فوق الأرض وأخرى من تحتها ، وستة صاعدة وأخرى هابطة وستة من حيز الشمس وأخرى من حيز القمر .

وكل برج من هذه البروج يقسم إلى ثلاثين درجة ، وكل درجة تقسم إلى ستين دقيقة ، والدقيقة تقسم إلى ستين ثانية ، والثانية إلى ستين ثالثة . . وهكذا دواليك[1] .

وهي ، أي البروج ، بروج تامة الأعضاء وأخرى ناقصة ، وبروج مستلقية وأخرى منتصبة ، وهي أنسية وغير أنسية ، ومتحابة ومتباغضة ، ومصوتة وغير مصوتة ، وولودة وعقيمة ، وذوات شبق ونكاح وأُخر عفيفات[2] .

دلالتها التنجيمية :

والمهم في هذا كله ، هو تبيان ما نسبه القدامى من أصحاب الأحكام إلى هذه البروج ذوات الطبائع والخصائص المتنوعة ، من تأثيرات ودلالات على تكون الإنسان وأخلاقه وطباعه ومزاجه ، وعلى طبقته وصناعته ، وطالعه[3] ، إضافةً

---

(١) البتاني ، ابو عبد الله ، الزيج الصابيء ، ص ٨ .

(٢) التفهيم ، ص ٢١٠ ـ ٢٢٦ .

(٣) طالع الإنسان ، والكشف عنه ، أو إستخراجه ، بلغة المنجمين ، عبارة عن خريطة إيضاحية لدائرة البروج والكوكب الذي يكون في حالة صعود وقت ولادة الشخص ، مما =

إلى دلالتها على البلدان والأماكن والمدن[1] . وعلى الحيوان والأشجار والثمار

= يساعد على تحديد طباع هذا الشخص ، ومعرفة ما قد يتعرض له في المستقبل من حوادث ونكبات وعلل ، أو ما قد يدركه من أقدار وحظوظ . والطالع الذي يدل على عمر الشخص يعتمد فيه على تسييرات ما يعرف بالهيالج الخمسة التي هي الشمس والقمر والكوكب الطالع وسهم السعادة وجسر الاجتماع أو الاستقبال . ومعنى التسيير أن ينظركم بين الهيلاج ، وكم بين السعد والنحس ، فيؤخذ لكل درجة سنة ، فيُقال مثلاً : تصيبه السعادة أو النكبة إلى كذا وكذا سنة . .

انظر : القفطي ، أبو الحسن علي : إخبار العلماء بأخبار الحكماء ، ص ١٦٤ ، دار الآثار ، بيروت .

وإذا ما جهل مولد الشخص ، فإن التعرف على طالعه وبرجه ، يكون بالاعتماد على اسم الشخص واسم امه ، فيُحسبان بحساب الجمّل الكبير ، ثم يصار الى اسقاط العدد ١٣ مرة بعد مرة ، فإن بقي بعد الإسقاط واحد ، فإن البرج الحمل ، والطالع المريخ ، والطبع ناري ، وإن بقي اثنان فبرج هذا الشخص الثور ، وطالعه الزهرة ، وطبعه ترابي ، وان بقي ثلاثة ، فالبرج الجوزاء ، والطالع عطارد ، والطبع هوائي . وهكذا دواليك حتى العدد اثني عشر . ولنعط مثلا يوضح ذلك ، فنقول إن المولود ببرج الحمل يكون أسمر البشرة . طويل القامة ، كبير الرأس ، صعب المراس ، سريع الغضب ، يهب ما يشاء وينهب ما يشاء . يصدع بالحق ويعزف عن الباطل ، وهو صاحب رأي مستقل ، وذو صبر على احتمال الأهوال . هذا في الأساس ، لكن ينظر في الوقت ذاته الى الكوكب الطالع في برج الحمل ، فإن كان الناظر اليه زحل ، فإن صاحب هذا البرج يكون ميالاً إلى الطرب والضحك ، محباً للناس ، غير محظوظ في عشرة الأصحاب ، محظوظاً من الغريب ، وهو ذو قدرٍ جليل ، عاقل ، فاعل للخير مع غير أهله ، محبوب من البعض ، مكروه من البعض الأخر . وهو يتعرض لنوازل الدهر ، تخذله يداه ويشعر بالتعب ساعة إخلاده الى النوم ، وذلك بسبب سقوط طارق من العمّار على رأسه ، ولا ينجيه من هذا البلاء إلاّ حجاب مخصوص . وصاحب هذا البرج ، أي الحمل ، إذا نظر إليه المشترى ، تزوج بالخود من النساء ، وقد يخشى عليه من القرين ، لذا فإنه يكتب له حرز فيه أسماء القمر النورانية ـ لاحظ هنا أثر الأحراز أو الطلسمات ـ ، وهو إذا نظر اليه المريخ ، فإنه يتعرض لخسارة شيء نفيس ، أو لفقد حبيب ، ويخاف عليه من الفتن .

انظر على سبيل المثال : « الكتاب » لأبي معشر البلخي ، ص ١٠ ـ ١١ .

(١) إن سمرقند مثلاً ، وأردبيل ، ومكة ودمشق وصقلية ، هذه المدن والأماكن « لا تصلح لسلاطينها ، ولا تستقيم لملوكها إلاّ بالسيف ، وإن أكثر أهل هذه المدن ، فالغدر = أثبت في نفوسهم ، والشر أشمل الأحوال عليهم » ، حسب تعبير ابن حوقل ، وذلك لما لبرج الأسد عليه من تأثير فاسد ناجم عن اعوجاج في درج مته ، على شرفه ومحله . =

والرياح والنيران والجواهر والآلات والعلل والأمراض . وإننا لن نسترسل في تبيان هذه الأمور نظراً إلى ارتباط ذلك كله بدراسة علمية متخصصة أكثر من كونه مرتبطاً بدراسة اجتماعية فكرية أدبية مثل دراستنا هذه . هذا من جهة ، ومن جهةٍ ثانية ، يكفي أن نُحيل القارىء إلى مرجع يمكن الاطمئنان إليه أكثر من سواه ، عنيت بذلك كتاب « التفهيم لأوائل صناعة التنجيم » لأبي الريحان البيروني .

البروج بيوت الكواكب :

على أن هذه الدلالات البروجية على اختلافها جميعا ، ما كان يمكن معرفتها ، إلا بعد معرفة ما يحل في كل برج ، أو يبيت فيه من الكواكب التي هي ، في نظر أصحاب هذا العلم ، بمثابة الأرواح الحالة في أجساد هي البروج التي تتحول الى بيوت تسكنها تلك الكواكب . ولقد أجمع أهل التنجيم ، وباختصار من جانبنا ، على أن الأسد بيت الشمس ، والسرطان بيت القمر ، والجوزاء والسنبلة بيتا عطارد ، والسنبلة أوفق لعطارد ، والثور والميزان بيتا الزهرة ، والأول أوفق لها ، والحمل والعقرب بيتا المريخ ، والحمل أوفق له ، والقوس والحوت بيتا المشترى ، والأول أوفق له ، أما الجدي والدلو فيهما بيتا زحل ، والثاني أوفق له[1] .

سهام البيوت :

ولهذه البيوت الاثني عشر الموزعة على دائرة فلك البروج ، ولكل واحد منها ثلاثون درجة تبدأ بالدرجة الطالعة في المشرق ، دلالات يُقال لها « سهام البيوت » ، تشمل مختلف أوجه الحياة والموت ، وهي على جانب من التعقيد وكثرة التأويل ، لكن يمكن توضيح ذلك واختصاره بما جاء في « التفهيم » لأبي الريحان البيروني ، من أن للبيت الأول ، ويُقال له بيت الطالع ، ثلاثة سهام أو أسهم هي : سهم الحياة ، وسهم الثبات والبقاء ، وسهم العقل والمنطق ، وللبيت

= انظر : ابن حوقل ، صورة الأرض او « كتاب المسالك والممالك والمفاوز والمهالك » . صفحة ١٦٢ ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ١٩٧٩م .

(١) إخوان الصفاء : الرسائل ١/١١٩ . أو انظر : التفهيم ، ص ٢٥٦ .

الثاني ثلاثة أسهم هي : سهم المال ، وسهم العرض ، وسهم اللقطة[1] ، للثالث ثلاثة أيضاً هي : سهم الأخوة ، وسهم عددهم ، وسهم موتهم ، وللرابع ثمانية سهام وهي : موت الآباء ، وموت الأحبة ، والأصل والحسب ، والعقارات ، والضياع ، والفلاحة ، والزراعة ، وعواقب الأمور ، وللخامس خمسة أسهم هي : الولد ، وعدده ، والذكورة والأنوثة ، وحال الذكور والإناث ، وذكورة الجنين وأنوثته ، وللسادس أربعة هي : المرض ، والزمانة ، والأسر ، والوثاق ، والعبيد ، وللسابع ستة عشر سهماً أهمها : تزويج الرجال ، ومكر النساء وجماعهن وزواجهن وفجورهن وعفافهن ، والخصومة الناجمة عن ذلك ، وللثامن خمسة أسهم : الموت ، القتال ، والقحط ، وموت الأولاد ، ومواضع القتل والمرض والشدة ، وللتاسع سبعة سهام هي : السفر ، الورع ، والدين ، والعقل ، والعلم ، والحلم ، وأخبار الناس ، وللعاشر اثنا عشر سهماً هي : شرف المولود ، والملوك ، والسلاطين ، والوزراء ، والنصر ، والغلبة ، وذوو الشهرة والجاه ، والأجناد ، والشرط ، والعمال ، والتجارات ، وسهم الأمومة ، أما الحادي عشر فله أحد عشر سهماً معظمها يتعلق بالحب والبغض والمرض والرجاء والشرف والصداقة والخصب والنساء . . أما الثاني عشر فله ثلاثة أسهم فقط ، وهي تتعلق بالشدة والضرر والشقاء[2] . هذا بالإضافة إلى دلالات أو سهام أخرى غير تلك التي ذكرناها ، وهي تتعلق بالدلالة على الجهات والرياح والألوان ، وأعضاء الإنسان وطباعه . . إلخ[3] .

---

(١) اللقطة ، بتسكين القاف ، اسم الشيء الذي تجده ملقى فتأخذه ، وكذلك المنبوذ من الصبيان لقطة . وأما اللقطة ، بفتح القاف ، فهو الرجل الذي يتبع اللقطات يلتقطها .

(٢) البيروني : التفهيم لأوائل صناعة التنجيم ، ص ٢٨٣ ـ ٢٨٨ .

(٣) وهنا لا بد من الإشارة إلى ما يُعرف بسهام الكواكب ايضا . . لن نطيل الشرح ، لكن حسبنا أن نُشير إلى ما قاله المنجمون عن سهم القمر الذي هو سهم السعادة ، ويسمى طالع القمر ، وسهم الشمس ، وهو سهم الغيب والدين ، وسهم الزهرة ، وهو سهم الإلفة والمحبة ، وسهم عطارد ، وهو سهم الفقر وقلة الحيلة ، وسهم زحل ، وهو سهم الوثاق والحبس ، او النجاة منه ، وسهم المشتري ، وهو سهم الظفر والنصر والفلاح ، وأخيراً سهم المريخ ، وهو سهم الشجاعة والجرأة .
انظر : التفهيم ، من ص ٢٨٣ ـ ٢٨٨ .

تعليلات المنجمين :

وأما عن نقد المنجمين لدلالات سهام البيوت على الموت والحياة وما يتفرع عنها من شؤون ، فحسبنا منها على سبيل المثال ، ما قاله أبو حيان التوحيدي . . يقول أبو حيان بشأن البيت الأول الذي هو بيت الطالع والحياة : « إنما سُمي الطالع طالعاً لأنه يعني الخروج من الظلمة إلى الضياء ، وجعل الطالع للحياة لأن المولود لما خرج بين حالتين ، أي بين الموت والحياة ، فإن أوجب الطالع الحياة فذاك ، وإن أوجب الموت فذاك[1] . وبشأن البيت الثاني الذي يدل على الرضاع والغذاء والمعاش . . فإنه « بمثابة مواد المولود ، فإن الحياة إنما تكون بالمواد »[2] . أما البيت الثالث الذي هو بيت الأخوة فلأنه « أول شكل برج يشاكل الطالع ، فإن كان الطالع ذكراً ، فهو ذكر ، وإن كان أنثى فهو أنثى ، وإن كان الطالع نهارياً ، فهو نهاري ، وإن كان ليلياً فهو أيضاً مثله ، وأول خط يخرج من الطالع اليه ، ما لاح أقرب الأشياء إليه »[3] . وأما الرابع ، وهو بيت الآباء ، فلأنه « ابتداء الدور ، منه يبتدأ ، وإليه يرجع فالمولود الآباء أوله »[4] ، وهو لا يدل على الآباء والأجداد والأعقاب فحسب ، بل يدل أيضاً على العقارات والضياع والمنازل والمياه ، وعلى الأصل والحب ، وما بعد الموت ، وعلى الأشياء الدفينة والكنوز الخفية ، ومكان السرقة ، وموضع تعلم الصبيان[5] . . . والخامس هو بيت الولد لأن « مالىء بيت الآباء ، والولد خلف الأب »[6] حسب تعبير أبي حيان . والبيت السادس بيت العبيد والزمانة والعيوب والسقاط « لسقوطه عن الطالع ، ولأنه لا تمازج بين الطالع وبينه »[7] . أما السابع ، وهو بيت السناء والأضداد « فلأنه بإزاء الطالع ، فإن ظهر هذا ، غاب هذا ، وإن غاب هذا ،

---

(١) التوحيدي ، أبو حيان : البصائر والذخائر ، ١/٤٥٤ .
(٢) المصدر نفسه ، ١/٤٥٤ .
(٣) البصائر والذخائر ، ١/٤٥٤
(٤) نفسه ، ١/٤٥٤ .
(٥) البيروني : التفهيم لأوائل صناعة التنجيم ، ص ٢٧٥ .
(٦) البصائر والذخائر ، ١/٤٥٤ .
(٧) نفسه ، ١/٤٥٤ ـ ٤٥٥ .

ظهر هذا »[1] ، وهو يدل أيضاً على الزواج والمنازعة والخصومة والشراكة والسعاية ، كما يدل على السارق والغائب ومقصد المسافر ، والقتل السريع والجحود والإغتراب ، وموت الأقران ، والرخص والغلاء[2] . ولما كان البيت الثامن مناظراً للثاني ، أي مقابلاً له ، فإن حالته بالضد ، وبما أن الثاني ، كما تبين لنا ، سبب المواد ، والمواد سبب الحياة ، فإن الثامن بيت الموت لأنه يدل على انقطاع المواد[3] . . . إلخ . ونكتفي بهذا القدر من الكلام ، لأن الحديث عن البيوت المتبقية يكاد لا يخرج عن الإطار العام لهذه التعليلات[4] .

خاتمة :

وإذا ما أضفنا إلى ذلك ، ما قاله المنجمون عن السهام العشرة التي هي : سهم عمل الحق ، وسهم الجور ، والضرورة والحاجة ، والبغية ، والخداع ، والجرأة ، والفروسية ، والشدة ، والتعب ، وهي تنتسب جميعاً إلى الكواكب والبيوت .

وإذا ما أضفنا إليها سهماً آخر هو سهم « الهيلاج »[5] . وإذا ما أضفنا ما

---

(١) البصائر والذخائر ١/٤٥٥ .

(٢) التفهيم لأوائل صناعة التنجيم ، ص ٢٧٦ .

(٣) البصائر والذخائر ١/٤٥٥
انظر ايضاً : التفهيم ، ص ٢٧٦ .

(٤) يمكن اختصاراً إعادة التذكير بالبيوت الإثني عشر : بيت الطالع أو الحياة ، بيت المال ، بيت الأخوة ، بيت الآباء ، بيت الاولاد ، بيت الأمراض ، بيت الأزواج ، بيت الموت ، بيت الأسفار ، بيت السرطان ، بيت الرجاء وبيت الأعداد .

(٥) الهيلاج (ALPHYLEH أو hililegium) واحد من سبعة وتسعين سهماً منها عشرة منسوبة إلى الكواكب والبيوت ، وهي المذكورة أعلاه ، ومنها سهم يُقال له « الهيلاج » . وهذه اللفظة اليونانية الأصل تطلق على الكوكب (الشمس ، القمر ، سهم السعادة ، الطالع) الذي يصبح بمثابة الدليل الذي يسيِّر إلى النجوم وغيرها من مواضع السماء التي لها دلالة خاصة في صناعة الأحكام . وللهيلاج أهمية بالغة في تحديد طالع المولود .
انظر : دائرة المعارف الاسلامية ١٠/٧٢ .

قالوه عن « ربوبية المثلثات »[1] . التي يستدل بها على أثلاث أعمار المواليد ، و« ربوبية الوجوه »[2] التي يستدل بها على صورة المولود وظواهر الأمور ، و« ربوبية الحدود » التي يستدل بها على أخلاق المولود .

واذا أدركنا أن تأثير الكواكب يتوقف أساساً على طبيعة كل منها ، وعلى موقعها بالنسبة إلى الأرض ، وبالنسبة إلى غيرها من النجوم . وإذا علمنا ان للبروج بانفرادها أو تثليثها على المثلثات الأربعة ـ أي البروج الترابية والهوائية والمائية والترابية ـ قواها الخاصة بها ، وكذلك لبعض اقسام البروح التي لم تكن معروفة في تنجيم بطليموس ، مثل الوجوه ، أي ثلث البرج ، و« النهبهرات » أو « النوبهرات » أي تسع البروج ، بل إن كثيرين من المنجمين يعتقدون أن لكل مطلع من مطلع فلك البروج ، طبعه الخاص به[3] ، الامر الذي يتطلب دقة في الحساب والمراقبة . أقول إذا ما أدركنا ذلك كله ، تبين لنا كم هو عمل المنجم شاق ودقيق ، لأنه يتطلب معرفة تامة بجميع هذه المتغيرات والتأثيرات والقدرة على الجمع بينها[4] . من هنا كان تصدير الباب الأول من هذا الكتاب ، بهذا

---

(١) إنطلاقاً من قولهم أن كل ثلاثة بروج من طبيعة واحدة تسمى « المثلثات » ، وتدير هذه البروج الثلاثة كواكب يُقال لها « أرباب المثلثات » . مثلاً على ذلك نقول إن أرباب المثلثات النارية بالنهار هي : الشمس والمشترى ، والمشترى فالشمس في الليل ، وشريكها زحل في الليل والنهار . وأرباب المثلثات الترابية هي : الزهرة والقمر ، شريكها المريخ ، وأرباب المثلثات الهوائية هي : زحل وعطارد ، وشريكهما المشتري ، وأرباب المثلثات المائية هي : الزهرة والمريخ ، وشريكهما القمر .
انظر : رسائل اخوان الصفا ١٢٢/١ .

(٢) انطلاقاً من تقسيم كل برج إلى ثلاثة وجوه وكل وجه إلى كوكب معلوم يقال له : رب الوجه . فالوجه الأول من الحمل . مثلا ، هو وجه المريخ ، والثاني منه وجه الشمس ، والثالث وجه الزهرة . وهكذا دواليك بالنسبة إلى بقية البروج .

(٣) انظر : دائرة المعارف الاسلامية ، ١٠ج٧٢ .

(٤) نقول إن علم المنجم شاق ودقيق لأن نجاحه في عمله يتوقف على مدى معرفة المنجم بتأثيرات النجوم والجمع بينها . وتأثير النجوم يتوقف ، كما بيّنا آنفاً ، على طبيعة كل منها ، وعلى موقعها بالنسبة إلى الأرض ، أو بالنسبة إلى غيرها من النجوم .
واختصاراً نقول إن حوادث العالم وما يصيب الناس من غيرها يخضع دائماً لجمع شديد التركيب ومتباين من تأثيرات سماوية كثيرة جداً ، مختلفة جداً ، بل متناقضة أحياناً . . . لا بل أن هذا التأثير « ليس مقصوراً على الأجرام السماوية إذ يقال إن هناك أيضاً مواضع يفترض وجودها في فلك البروج ، لها قوة على تحوير تأثيرات هذه النجوم ، تحويراً =

الفصل الذي ضمنّاه تعريفات ومبادىء عامة وإيضاحات وشروحاً لأهم المسائل النجومية التي لا غنى عنها لكل دارس ، وهي إيضاحات وشروح جهدنا ما وسعنا أن تأتي موجزة ، لأن فيها ما يتم الفائدة المرجوة من هذا البحث ، عنيت بذلك أثر التنجيم في الحياة الفكرية والاجتماعية والأدبية .



= جوهرياً ، ويكون لها في الوقت المعين علاقات معينة بهذه النجوم » .
انظر : دائرة المعارف الاسلامية ١٠ / ٧٠ .
وفي مطلق الأحوال ، يجب عدم إنكار ما للبروج من تأثير مماثل . لا بل أن لبعض أقسام البروج التي لم تكن معروفة في تنجيم بطليموس ، مثل الوجوه ، أي ثلث البرج ، والنهبهرات أو النوبهرات ، أي تسع البرج ، مثل هذا التأثير . حتى أن كثيرين من المنجمين يعتقدون أن لكل مطلع من مطلع فلك البروج طبعه الخاص به . يضاف إلى ذلك « أن ثمة أجزاء ومواضع من فلك البروج لها أهمية كبرى من حيث صلتها بالنيرين والكواكب الخمسة الاخرى لأن حدودها وبيوتها ووبالاتها وأشرافها وهبوطاتها .
انظر : دائرة المعارف الاسلامية ، ١٠ / ٧٠ .


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الفصل الثالث

التنجيم في القديم

- نسبة التنجيم إلى إدريس .
- نسبة التنجيم إلى هرمس .
- نسبة التنجيم إلى دانيال .
- نسبة التنجيم إلى إبراهيم .
- التنجيم في الصين والهند .
- التنجيم في مصر .
- التنجيم في بلاد ما بين النهرين .
- التنجيم في فارس .
- التنجيم عند اليونان .
- التنجيم عند الرومان .


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

فكرة التنجيم وطرق استخدامه ، ترجع إلى أقدم العصور والحضارات ، ولا نعني بهذا ، ضرورة ، الجانب النظري الضيّق منه ، والمتمثل بمعرفة الطالع ، وتلّمس حظوظ الأفراد ، كما راج أخيراً فحسب ، بل نعني الجانب العملي الآخر الذي غلب عليه طابع الشعائر الاحتفالية ، وطقوس العبادة الدينية ، حتى زمن متأخر[1] .

ورواج هذا العلم عند طائفة من الأذكياء والمثقفين من الناس ، يرجعه سارطون ، إلى طبيعة تركيبه ، وإلى مظهره العلمي ، في حين لاءم ما لحق به من أساطير وأغراض خيالية ، حماقة الإنسان الطبيعة ، وميله إلى العجائب . لذا يصعب علينا مراقبة تاريخ نشأة هذا الفن ، أو العلم ، مراقبة دقيقة صحيحة ، ذلك لأن أغراضه ـ يقول سارطون ـ « قديمة قدم الجبال ، وذلك لأن الإنسان ـ يتوق دائماً إلى معرفة المستقبل ، ويأمل في تناقض عجيب ، أن يدفع الشر قبل وقوعه » . وفي نظر سارطون أيضاً ، أن ما وصلنا من أفكار تنجيمية في اليونانية واللاتينية والعربية ، وكل اللغات تقريبا ، لم توصف وصفاً محكماً ، ولم تبين بياناً واضحاً إلّا في عصر البطالس[2] الموازي للعصر الكلداني الذي يعود لأصحابه

---

(١) Encyclopédie générale I 292-Hachette

(٢) البطالسة Ptolémées جمع بطليموس ، وهو اسم لثلاثة عشر ملكاً من ملوك اليونان الذين حكموا مصر بعد موت الاسكندر الكبير ، وأشهر البطالسة بطليموس الأول الملقب بـ « سوتر » ، أي المخلص ، والثامن الملقب بـ « سوتر الثاني » ، وبطليموس الثالث ـ

الكلدان ، فضلٌ مميز في العمل على تطويره ، وإن كان تضمن آراء بابلية ومصرية قديمة مموّجة بعلم الفلك اليوناني ، وعلى كل ، فإن النظرة التنجيمية إلى الكون والحياة ، وهي النظرة التي سيطرت على الفكر في أواخر العصر القديم ، والعصور الوسطى ، ولم تختلف إلى اليوم ، تدل على أن ثمة أفكاراً فلكية قديمة لا تعيها ذاكرة التاريخ عاشت طوال المرحلة الغامضة[1] ، « وأن علم التنجيم Scientific astrology الذي راج في القرون الأخيرة السابقة على العصر المسيحي ، علم كلداني ومصري ، وهو كذلك يوناني ، من حيث أنه مجموعة متأخرة من المعارف العقلية وغير العقلية التي تجمعت حتى ذلك العصر »[2] .

نسبة التنجيم إلى ادريس :

في المصادر القديمة نجد أن إدريس النبي ، هو أول من استخرج علوم الحكمة والنجوم ، إذ جعل لقومه أعياداً في أوقات معلومة ، وفرض عليهم قرابين يقدمونها لدخول الشمس رؤوس البروج ، ولرؤية الهلال ، ولدخول الكواكب في شرف بيوتها ، أو في مناظرتها لكواكب أخرى في السماء[3] ، وهو ، أي إدريس ، كما ذكر أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري ، صاحب التفسير المعروف بالكشف والبيان ، والمتوفى عام ٤٢٧ هـ / ١٠٣٥م . إنما سُمي إدريسا ، على وزن « إفعيل » لكثرة درسه الكتب ، خصوصاً صحف آدم وشيث ، وهو برأيه ، أول من خط بالقلم ونظر في علم النجوم والحساب[4] ، وما زال عدد من الأدعية التي يرويها الثقات ، ويتقربون بها إلى الله في أعمال رجب ، يتضمن قولهم فيها : « يا معلم إدريس عدد النجوم والحساب والسنين والشهور والأيام »[5] . وإنّ لإدريس هذا ، مقاماً من الروحانية ـ يقول ابن عربي ـ حيّزه فلك الشمس ، أعلى الأمكنة ، وعليه تدور رحى عالم الأفلاك[6] ، وإدريس هو ، برأيه ، إلياس النبي

= عشر وهو آخرهم ، حكم ٤ سنوات ثم خلفته كليوباترة أخت بطليموس الثاني عشر ، والتي انتهى حكمها عام ٣٠ ق . م .

(١) تاريخ العلم ، ص ٢٦١ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٦٠ .

(٣) القفطي : أخبار العلماء بأخبار الحكماء ، ص ٣ .

(٤) ابن طاووس : فرج المهموم في أخبار علماء النجوم ، ص ٢٢ .

(٥) المصدر السابق ، ص ٢٢ .

(٦) ابن عربي ، محيي الدين : فصوص الحكم ١/ ٧٥ ، دار الكتاب العربي ، بيروت .

الذي كان قبل نوح ، ثم رفعه الله إليه مكاناً علياً ، وأن مقامه في قلب الأفلاك أي فلك الشمس ، ثم إن الله تعالى اسمه ، أرسله بالنبوة إلى بعلبك ، « فمثل له انفلاق جبال لبنان عن فرس من نار ، وجميع آلاته من نار ، فلما رآه ، ركب عليه ، فسقطت عنه الشهوة ، فلم يبقَ له تعلق بما تتعلق به الأغراض النفسية »[1] .

وفي رسائل إخوان الصفاء خبر عن صعود إدريس إلى فلك زحل ، ودورانه معه ثلاثين عاماً قبل أن ينزل إلى الأرض ليخبر الناس بعلم النجوم ، وهذا هو تفسير قوله تعالى : ﴿ ورفعناه مكاناً علياً ﴾[2] .

ولربما كان إدريس هو النبي الذي عناه الإمام علي بن أبي طالب ، في معرض جوابه عن نشأة هذا العلم ، أي النجوم ، أن نبياً من الانبياء ، لم يؤمن له قومه حتى علّمهم بدء الخلق ، ومجاري الشمس والقمر والنجوم ، وساعات الليل والنهار ، فكان أحدهم يعرف متى يمرض ، ومتى يموت ، ومن الذي يُولد له ولد ، ومن الذي لا يُولد له ، وبأن داوود ، النبي ، قاتلهم على الكفر ، لكنهم أخرجوا له من لم يحضر أجله ، فكان يقتل أصحاب داوود ، وهؤلاء لا يقتلون . . فدعا داوود ربه، فحبس الله عليهم الشمس ، فزاد الوقت ، واختلط الليل بالنهار ، فاختلط حسابهم ، ومن ثم كُره النظر في علم النجوم[3] .

نسبة التنجيم إلى هرمس :

ولقد أُطلق على إدريس اسم هرمس ، ويُعرف أحياناً بهرمس المثلث الحكمة ، أي في الطب والنجوم والكيمياء ، كما أُطلق عليه أحياناً أخرى اسم أبرخيس ، وبطليموس[4] ، وكلاهما يوناني .

وفي حين أن هرمس عند عند الإغريق اسم لعطارد سموه في ما بعد باسم « طول » أي « تحوت » الإله المصري القديم ، وهو إله القمر عندهم ، المشهور

---

(١) المصدر نفسه ، ١/١٨١ .
(٢) اخوان الصفا : الرسائل ، ١/١٣٨ .
(٣) ابن طاووس : فرج المهموم ، ص ٢٣ .
(٤) نفسه ، ص ١٥١ .

بالعلوم الرياضية والفلكية ، وهو إله العالم العقلي عند المصريين والإغريق على السواء وهذا ما ذهب إليه ابن عربي[١] ، أيضا . وأن ثمة ما يشير إلى أنه من بابل ، وهو الذي نسبوا إليه بيت عطارد ، أحد البيوت الاثني عشر ، عدّة البروج في السماء ، تبعاً لرواية ، وأحد البيوت السبعة عدة كواكب السماء . تبعاً لرواية اخرى ، وهذه البيوت كان بناها الضحاك بن قيس في أرض السواد بالعراق . . .
كما أنه أمر ببناء مدينة اشتق اسمها من اسم المشترى ، فجمع فيها العلماء ، وبنى لهم القصور ، ويُقال أنه حمل بيت المشترى لتينكلوس ، وبيت المريخ لطينقروس[٢] . ونتابع الرواية وهي تقول أن هرمس هبط مصراً ، فأقام فيها حتى غزو الاسكندر لفارس ، وقتله ملكها دارا[٣] ، واستيلائه على مدنه[٤] وهدم علومها ، ونسخ ما كان من كتبها في الخزائن والدواوين بمدينة اصطخر ، ثم ترجمتها إلى الرومية والقبطية بعد إحراق نسخها الفرسية ، ويُقال إن أشهر كتاب تم حرقه فيها ، اسمه « الكشتج » ، وإن فيه الكثير من علوم الطب والنجوم والطبائع ، ثم إن الاسكندر بعث بتلك النسخ والكتب العلمية إلى مصر ، فلم يسلم منها سوى العدد القليل الذي بعث به أيضا إلى الهند والصين ، ويُقال إن هذا التراث العلمي لم تتم استعادته الا زمن أردشير بن بابك ، وزمن ابنه سابور « فنُسخت الكتب جميعاً بالفارسية على ما كان هرمس البابلي يوم كان ملكاً على مصر ، ودوريلوس السرياني ، وفيدروس اليوناني ، وبطليموس الاسكندراني ، وفرماسب الهندي ، فشرحوها وعلموها الناس »[٥] .

---

(١) ابن عربي : فصوص الحكم ، ٢/٤٥ .
(٢) ابن النديم : الفهرست ٥/٢٩٩ ـ ٣٠٠
(٣) اسم « دارا » يُطلق على عدة ملوك من « مادى » و« فارس » ، منهم دارا ، أو داريوس المادي الذي ذُكر في سفر دانيال . لكن المقصود بدارا هنا ، داريوس كودومانس ، آخر ملوك الفرس (حكم من ٣٣٦ ـ ٣٣٠ ق . م) انتصر عليه الاسكندر المقدوني في معركة أربيلا قرب نينوى بالعراق .
(٤) اصطخر ، مدينة فارسية ، اسمها الحقيقي ، « ستخسر » كما في اللغة الفهلوية . كانت مقر الزعماء الوطنيين قبل اضمحلال دولة الاشكانيين ـ وإقليم أصطخر موطن الساسانيين . وكان ساسان جد أردشير الأول ، قيّماً على بيت نار في أصطخر اسمه بيت الآلهة أناهيذ . قيل أن نيران هذا المعبد ، انطفأت ليلة ولادة محمد (ص) .
انظر : دائرة المعارف الاسلامية ٨/١٩ ـ ٢٠ .
(٥) ابن النديم : الفهرست ٥/٣٠٠ . وأردشير هو اول من نسب اليه ملوك فارس ، وهو من =

والذي يدل على تضارب الرواية واختلاف الرأي في شخصية هرمس الحقيقية ، وجود ثلاثة من الهرامسة أولهم هرمس اليوناني ، واسمه أخنوخ بن بارد ، من أحفاد آدم المتأخرين ، والذي هو في نظر البعض ، إدريس الذي رفعه الله مكاناً علياً[(١)] ، والذي عاش بصعيد مصر قبل الطوفان ، وإليه تنسب إقامة الأعياد والاحتفالات كلما حلّت الكواكب السيّارة في أشراف بيوتاتها ، أو كلما أهلّ هلال ، أو كلما حلت الشمس في برج من أبراجها ، وإليه يُنسب القول بأنه أول من تكلم في الجواهر العلوية . وثانيهم هرمس البابلي ، ثم هرمس المصري[(٢)] .

أما بالنسبة إلى هرمس اليوناني الذي يُطلق عليه اسم هرمس المثلث الحكمة ، أو المثلث القوى ، فلربما نظر إليه الأغريق ذات يوم على انه إلهم الذي كان له صورة أبيس (أبو قردان) المكلل بالقمر وهو الهلال ، وبقرص الشمس ، وقد أمسك بفرع نخلة ، أو بالقلم ومعه اللوح ، وإليه تُنسب العلوم السحرية والروحية[(٣)] .

وإلى هرمس المثلث القوى ، أو المثلث الحكمة Hermés Trimégiste ، أو هرمس الهرامسة كما يُطلق عليه أحياناً Heréms des Hermés ، والذي هو « إدريس في الحكم عند طلوع الشعرى اليمانية » حسب تعبير المخطوطة المودعة خزانة المكتبة الوطنية بباريس[(٤)] ، والتي رقمها ٢٥٧٨ ، إلى هرمس الهرامسة هذا ، يُنسب كتاب يُعرف باسم « هرمس الهرامسة » ، وهو عبارة عن مباحث تنجيمية تتحدث عن تأثير « الشعرى اليمانية »[(٥)] في كل برج من البروج . . وفيه

= ولد منوشهر زهد في الدنيا ، ثم خلفه ابنه سابور فكان ملكه ثلاثاً وثلاثين سنة .

(١) ابن عربي : فصوص الحكم ٢ / ٤٥ ، وفي القرآن الكريم ما يثبت ذلك وهو قوله تعالى : ﴿ واذكر في الكتاب إدريس إنه كان صدّيقاً نبيّا ، ورفعناه مكّاناً عليّا ﴾ . الآيتان ٥٠ ، و٥١ من سورة مريم .

(٢) ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ، ص ٧ . دار المسيرة ، بيروت .

(٣) غليونجي ، بول : طب وسحر ، ص ٢٦ ، دار القلم ومكتبة النهضة . القاهرة .

(٤) تم الاطلاع شخصياً على هذه المخطوطة .

(٥) قيل لها اليمانية تمييزاً من الشعرى الشآمية ، أو الغميصاء في الشمال . لأنها كما تقول الأسطورة ، عبرت السماء عرضاً . وهي من ألمع نجوم السماء ، تلي كوكبة الجبار . ولذا فهم يسمّونها : كلب الجبار .

انظر : المقريزي : عجائب المخلوقات ، ص ٧٠ - ١٧ .

ذكر للحوادث التي ستقع على شاكلة كتب الملاحم والحدثان . وثمة في مقدمة الكتاب ، ما يشير إلى أن أرسطو قام بترجمته عن كتاب قديم اسمه « كتاب الاسرار » Livre des Secrets ، وفي خزانة دار الكتب الظاهرية بدمشق نسختان مخطوطتان من هذا الكتاب تحملان الرقمين : ٩٧٠٣ و١٠٠٧٤ ، وأول النسخة الثانية ما يلي : « هذا كتاب هرمس الهرامسة ، وهو إدريس النبي . دام في الحكم عند طلوع الشعرى وما لها من الحوادث التي تكون في العالم . علمه الله تعالى وأظهره له وبيّنه ، وقد نقله نفطويه الحكيم » ، أما آخر الكتاب فهو ما يلي : « وتتحرك العساكر في أرض العساكر في أرض الروم ، وتقصد جبهة المشرق ، ويكون في الأرض البلقاء حروب كثيرة ، وجوع ، وخسف ، وفناء ، وأكثر ذلك لا يكون الحوت مثلثه ، إن الله أعلم بما هو كائن »[١] .

وثمة كتاب آخر يُعرف بـ « كتاب الحرف الكبير » أو قرعة الكواكب والأفلاك الأبجدية « وهو منسوب أيضا إلى هرمس ، وتوجد منه نسخة مخطوطة في دار الكتب الظاهرية بدمشق ، وتضم تسعاً وثلاثين ورقة ، وتحمل الرقم ٩٨٢٥[٢] .

كما أن ثمة كتباً أخرى نُسبت إلى هذا الحكيم المثلث القوى ، ومنها مخطوطة مودعة المكتبة الموطنية بباريس تحت الرقم ٢٥٧٩ ، وأخرى تحمل الرقم ٢٥٨٠ ، تبحثان في طالع سني العالم ، وفي مختلف التأثيرات الكوكبية . أما المخوطة التي تحمل الرقم ٢٥٧٧ ، والتي هي أيضا في المكتبة الوطنية بباريس فهي بعنوان « الأستوطاس » ، وثانيهما بعنوان « الروحانيات » . أما المضمون فيجري بشكل محاورة بين هرمس وأرسطوطاليس حول الساعات الملائمة وغير الملائمة لكل يوم من أيام الاسبوع ، وفي الكتاب أيضا مباحث في روحانية الكواكب واقتراناتها[٣] .

وهرمس الذي هو إدريس أيضا ، بنظر الشهرستاني ، هو أول من وضع أسماء البروج والكواكب السيّارة ، ورتبها في بيوتها وأثبت لها الشرف ، والوبال ، والأوج ، والحضيض ، والمناظر بالتثليث والتسديس والتربيع ، والمقابلة ،

---

(١) تم الاطلاع شخصياً على هاتين المخطوطتين .
(٢) تم الاطلاع شخصياً على هذه المخطوطة .
(٣) تم الاطلاع شخصياً على مضمون هذه المخطوطات الثلاث .

والمقارنة ، والرجعة والاستقامة[1] ، وهو ، أي هرمس ، كما ذكر ابن جلجل في طبقاته ، أول من تكلم في الأشياء العلوية من الحركات النجومية وأول من بنى الهياكل ، ومجّد اسم الله[2] .

وقد يُقرن اسم هرمس عند الصابئة ، باسم آخر هو عاذيمون ، ليكونا معاً المعلمين والمرشدين اللذين عرفاهم جواهر « الروحانيين المنزهين عن المواد الجسمانية وعن الزمان والمكان »[3] أي الكواكب والأفلاك والبروج .

من المعروف لدينا حديثاً أن هرمس اسم لإله من آلهة اليونان ، يُعرف عند الرومان باسم Mercurims وهو عطارد عند العرب . ويزعم المصريون القدامى إنه الإله تحوت Thot نفسه ، وينسبون اليه العلوم . أما « نلّلينو » فهو يميل إلى القول بأن هرمس حكيم مصري خرافي ليس له وجود[4] . ومنهم من يقول إنه أخنوخ المذكور في التوراة ، ومنهم من يقول إنه إدريس النبي ، ومنهم من يفرق بين ثلاثة هرامسة ، وهذا ما ألمعنا إليه ، ولعل هرمس المثلث الحكمة . وهو اليوناني ، هو الذي نُسبت إليه مجموعة من الكتب السحرية والكيميائية والكوكبية ، منها ما تحدثنا عنه ، ومنها أيضا كتاب يُعرف باسم : « الأساس في النجوم والزيج » ، وتوجد منه نسخة مخطوطة في مكتبة المتحف العراقي ببغداد ، تحمل الرقم ٢ ، والجدير بالذكر أن ابن النديم في كتابه « الفهرست » نسب إلى هرمس عدداً من الكتب التنجيمية منها : كتاب « عرض مفتاح النجوم الاول » « طول مفتاح النجوم الثاني » وكتاب « تسيير الكواكب » ، وكتاب « المكتوم في

---

(١) الشهرستاني : الملل والنحل ٤٥/٢ ، ط ٢ . دار المعرفة ، بيروت ١٩٧٥م . تحقيق محمد سيد كيلاني .

(٢) ابن جلجل : طبقات الأطباء والحكماء ، ص ٥ . مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية ، تحقيق محمد سيد كيلاني . القاهرة ٩٥٥م .

(٣) الشهرستاني : الملل والنحل ٦/٢ .
وفي « مروج الذهب ومعادن الجواهر » للمسعودي ، نجد أن هرمس هو أخنوخ نفسه .
انظر : المسعودي : مروج الذهب ومعادن الجواهر ٣٩/١ . ط ٤ . تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد . مطبعة السعادة . مصر ، ١٩٦٤م .

(٤) نلّليو ، كرلو : تاريخ علم الفلك عند العرب في القرون الوسطى ، ص ١٤٢ ، ط ١٩١١م .

أسرار النجوم » ، ويُدعى هذا الاخير كتاب « قضيب الذهب »[1] .

نسبة التنجيم إلى دانيال :

ومهما يكن هرمس هذا ، وسواء أكان نبياً أم غير نبي ، فإن القول بنسبة علم النجوم إلى الانبياء أكثر من أن يحصيه بيان . يدل على ذلك ما نجده في عدد من الكتب والمخطوطات التي تنسب هذا العلم إلى أكثر من نبي ، ومنهم دانيال الذي نسبوا إليه كتاباً يُعرف باسم « كتاب دانيال » ، وتوجد منه نسخة مخطوطة في دار الكتب الظاهرية بدمشق ، تحمل الرقم ٦٢٧١ ، ونقرأ في أولها ما يلي : « وإن كان في برج مائي دل على الخصب العظيم ، والنمو في المزرع ، وزيادة النيل المبارك ، والحياة الطيبة ، والمودة بين الناس» ، وثمة نسخة ثانية تحمل الرقم ٦٢٦٣ ، نجد في أولها ما يلي : « قال دانيال عليه السلام : إذا دخل كانون الاول يوم السبت ، فإنه يدل على أن الزيتون يكون كثيراً ، وكذا الكرم بأرض الشام » . وفي نسخة ثالثة تحمل الرقم ٥٠٣٩ نجد في آخرها ما يلي : « آذار إن كان فيه برد أو ثلج ، يخصب الزرع ، ويكون إقبال ، وربما هلك بعض الثمار » ، وفي نسخة رابعة تحمل الرقم ٣٥٨٥ ، نجد في آخرها ما يلي : « وبعد ذلك يجمع مال مروجه ـ كذا في الاصل ـ وغيرها ، ويكون فيه البركة والله أعلم . . بيت أولاده الحمل والمريخ . . . يولد له أولاد ويحزن عليهم . . »[2] .

وواضح من هذا كله غلبة سمة ما يعرف بالفلاحة ، على كتابة دانيال ، وإن كانت لا تخلو طبعاً من سمة التنجيم كما في النسخة الاخيرة . وثمة مخطوطة خامسة تعرف باسم « ملحمة دانيال » ، تحمل الرقم ٥٦٠٠ ، ويغلب عليها طابع كتب الفلاحة ، ولا تخلو من دلالة تنجيمية تتعلق بالملاحم والحدثان ، نجد في أولها ما يلي : « وقد قال دانيال عليه السلام : ان الله تعالى جعل التدبير في تشرين الأول ، وزين الأرض في نيسان ، وخلق السموات والأرض في نيسان . . » . أما آخر النسخة فهو التالي : « إن دخل المحرم يوم الجمعة ، يكون الشتاء بلا برد ، وتقل الأمطار والأندية ، وتقل المياه في الأودية ، وتقل الغلات بناحية الجبال ، ويرخص الشعير ، والله أعلم . . » .

---

(١) ابن النديم : الفهرست ، ٣٢٧/٧ .

(٢) تم الاطلاع شخصياً على هذه المخطوطات الأربع .

أما النسخة الثانية من هذه المخطوطة، وهي تحمل الرقم ٨٧٤٥، فإن آخرها يتضمن القول: «قال دانيال عليه السلام: إن كان فيه غبار على وجه الشمس، يدل على جودة السنة، وكثرة الفاكهة، أو موت بلد آمد، وأرمينية، وبلد الحوت، وقتال نيسابور، ونهب وحريق في بلدان كثيرة، وتظهر فيهم عجائب، ويغزو بعضهم بعضاً، وينهزمون..»[1].

نسبة التنجيم إلى إبراهيم:

ومن الأنبياء الذين نسب اليهم علم النجوم، إبراهيم، وهو الذي نظر نظرة في النجوم ﴿فقال إني سقيم﴾[2]، وإن كان هذا لا يعني بالضرورة إيمان إبراهيم بأحكام النجوم.. وهذا ما ذهب إليه جماعة من المفسرين، ومنهم صاحب «مجمع البيان» إذ يقول: إن نظر إبراهيم في النجوم، ربما كان يقصد الاستدلال على حمّى كانت تعتاده فقال: إني سقيم، على رأي، وربما إنه نظر نظر القوم لأنهم كانوا يتعاطون علم النجوم، فأوهمهم أنه يقول بقولهم فقال: إني سقيم، فتركوه ظناً منهم أن نجمه دلّ على سقمه، على رأي آخر؛ وربما أنه نظر نظر تفكر فاستدل بالنجوم على كونها محدثة غير قديمة، ولا آلهة، مشيراً بقوله على أنه «في حال مهلة النظر، وليس على يقين من الامر، ولا شفاء من العلم» على رأي ثالث[3].

ومهما يكن فإن التنجيم كان سائداً في عهد إبراهيم، يدل على ذلك ما ذكر عن تكهن المنجمين لنمرود «أن ولداً سيُولد، يكون زوال ملكه على يديه، فأمر بمراقبة النساء، وقتل جميع الصبيان، لكن أُم ابراهيم لجأت إلى غار خبأت إبراهيم فيه، فصار يرضع اللبن من إصبعه حتى كبر» على ما جاء في التفسير[4].

وشيوع التنجيم في عهد إبراهيم يعود بنا إلى شيوعه من قبل في عهد نوح،

---

(١) تم الاطلاع شخصياً على هاتين المخطوطتين.

(٢) الآية ٨٩ من سورة الصافات، وقبلها الآية ٨٨ وهي: ﴿فنظر نظرة في النجوم﴾.

(٣) الطبرسي: مجمع البيان في تفسير القرآن ٢٣/٦٨، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٣٨٠ هـ/١٩٦١م.

(٤) مجمع البيان ٧/١٠٧. ونمرود: هو أول جبار في الارض، ذُكر في سفر التكوين وعاش في زمن ابراهيم، النبي.

إذ ثمة رواية نقلها جميل بن دراج ، عن زرارة بن أعين ، عن أبي جعفر ، الباقر[1] ، أنه قال : « قد كان هذا العلم ، أي علم النجوم ، علم نبوءة نوح بالنجوم » ، أي عرفها من كان عارفاً بالنجوم [2] . وهذا ما يذكرنا بشيوعه في عهد موسى أيضاً ، من بعد ، وذلك لما أمر فرعون بقتل جميع الأولاد ، بناء لتوصية المنجمين الذين أخبروه بأن هلاكه سيكون على يد ولد يولد في ذلك العصر[3] ، مثلما هو يذكرنا بشيوعه في الزمن الذي تلا زمن موسى إذ تحدثوا عن امرأة بالبلقاء[4] كانت تستقبل الشمس ببروجها ، ثم تحسب ، فلما دخل يوشع بن نون[5] المدينة ، أرسلت لقتاله رجالاً لم تحضر آجالهم ، فصلى يوشع ركعتين ، ثم دعا به أن يؤخر الشمس ، « فاضطرب حساب المرأة ، ثم أنها تابت عن عملها فدخلت في دينه »[6] . وفقاً لما ذهبت إليه الرواية .

وإن تعجب فاعجب للرواية التالية التي لا تنسب علم النجوم إلى إدريس ودانيال وإبراهيم فحسب ، بل تنسبه إلى آدم أبي البشر والأنبياء ، إذ جاء في رسالة أبي إسحق الطرسوسي إلى عبد الله بن مالك ، قوله : « إن الله أهبط آدم من الجنة ، وعرّفه علم كل شيء ، فكان مما عرفه النجوم والطب »[7] . وإن كان هذا لا يدل بالضرورة على التنجيم .

كان هذا بعض ما اشتملت عليه الروايات من القول بنسبة التنجيم إلى عدد من الأنبياء والحكماء ، فماذا عنه لدى عدد من الأمم والشعوب الضاربة في التاريخ وتلك المتأخرة ، قبل الإسلام من غير العرب ؟ .

---

(١) هو محمد بن علي زين العابدين (٥٧ ـ ١١٤هـ / ٦٧٦ ـ ٧٣٢ م) الامام الخامس للشيعة . ولد وتوفي بالمدينة .

(٢) فرج المهموم ص ٢٤ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٢٧ ـ ٢٨ .

(٤) البلقاء : الاسم العربي للنصف الجنوبي من إقليم شرق الأردن ، وقد يكون هذا الاسم أطلق قديماً على الإقليم الأردني بأسره الذي هو « أمون » أو « مؤاب » أو « جلياد » أو على الجزء الاوسط منه . انظر : دائرة المعارف الاسلامية ٨/١٩ ـ ٢٠ .

(٥) هو يوشع ، أو يشوع بن نون ، من سبط أفرائيم . خادم موسى وخلفه . أدخل العبرانيين أرض كنعان وقاد جيشهم العمالق فاجتاز الاردن ودخل أريحا .

(٦) فرج المهموم ، ص ١٤٣ ـ ١٤٤ .

(٧) نفسه ، ص ٢٢ .

التنجيم في الصين والهند :

أ ـ الصين :

لما كانت ديانة الصين قد قامت في القديم على عبادة السماء باعتبارها « الإله الأعظم ، وحاكم الحكام ، ورب الأرباب »[1] حسب تعبير محقق كتاب « الملل والنحل » فلا غرابة والحال هذه ، أن يوجد ما يشير إلى معرفة الصينيين بالتنجيم في شكلٍ ما من أشكاله الدينية والطبية ، وما اتخذ منه شكل الطلاسم والرقى والسحر والعزائم . وذكر أن التنجيم كان شائعاً عندهم ، وأنه كان يتم بواسطة عظام الشاة أو السلحفاة ، وعظام الكتف « Scapu Limancy » ، وهذا ما كان شائعاً أيضاً في المناطق الشمالية من أوراسيا[2] ، وفي القارة الأميركية ، ويقال إن المنجمين في الصين كانوا يكتبون الأسئلة التي تتعلق بالغيب بعد حفرها على تلك العظام ، ثم إنهم كانوا يحمون في النار قضباناً معدنية ثم يضعونها على تلك الأسئلة المحفورة ، وتتم الإجابة عنها من خلال مراقبتهم التشققات التي تظهر في الجانب الآخر من العظام[3] . وهذا إن دلّ على شيء ، فإنما يدل على أهمية الدور الذي كان يضطلع به منجمو الصين الذين كانوا يشكلّون في وقتٍ من الأوقات ، فئة مميزة لها الكثير من الخصائص والصفات[4] .

ب ـ الهند :

وللهند سابقة فضل في علوم التنجيم ، يثبت ذلك ما قاله أحد الهنود للإمام الصادق[5] عن ملوك الهند الذين كانوا يتخذون الخصيان في قصورهم ، وذلك أثر مقارفة نساء عدد من ملوك الهند أشياء محرمة ما دلهم عليها الاّ المنجمون الذين

---

(١) الشهرستاني : الملل والنحل ، ص ١٩ ، الهامش .

(٢) أوراسيا : اسم تُعرف به قارتا أوروبا وآسيا معا ،

(٣) لنتون ، رالف : شجرة الحضارة ٢٣٧/٣ ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ١٩٦٠م . ترجمة د . أحمد فخري .

(٤) المرجع نفسه ٢٤٦/٣ .

(٥) هو الإمام جعفر بن محمد الباقر ، المعروف بالصادق (٨٠/ ١٤٧ هـ ـ ٦٩٩/٧٦٥م) سادس الائمة الشيعة الاثني عشر . وُلد وتوفي بالمدينة .

كانوا « يقيسون الشمس ويحسبونها فيخبرون بما كان ، وما حدث في كل يوم وليلة »[1] . كما بيّن الهندي للإمام أن حكماء الهند وضعوا علم التنجيم . ثم توارثه الناس عنهم منذ القديم ، فقد كان المنجم يقيس الشمس ، وينظر في منازلها ومنازل القمر ، ثم يستخرج الطالع من النجوم ، والباطن من السعود فلا يخطىء أبداً . وكان المنجم يؤتى بالمولود ، فينظر السنة والشهر واليوم والساعة التي وُلد فيها ، ثم يحسب له ما يصيبه إلى يوم يموت ، وذلك انطلاقاً من اعتقادهم بأن كل شخص إنما يُولد بهذه النجوم[2] . ويبدو أن منجمي الهند ظلوا على هذا الاعتقاد إلى عصر البيروني على الأقل ، وهو الذي ذكر في كتابه الموسوم بـ « تحقيق ما للهند من مقولة » أنه كان يقف من منجمي الهند مقام التلميذ من الأستاذ ، نظراً إلى عجمته في ما بينهم ، وقصوره عن إدراك علومهم ، لكنه ، أي البيروني ، وهو الذي عاش في القرن الخامس الهجري ، الحادي عشر الميلادي ، لما اهتدى إلى لغتهم أخذ « يوقفهم على العلل ، ويُشير إلى شيء من البراهين ، ويلّوح لهم الطرق الحقيقية في الحسابات فآنثالوا عليه متعجبين وعلى الاستفادة متهافتين »[3] حسب تعبيره .

ولا ينكر البتة تأثير الديانة التي كانت عليها الهند ، في الاخذ بمثل هذه الاعتقادات ذات الطابع التنجيمي إذ أن في الهند ، كما هو معلوم ، ملة يُقال لها « الدينكيتية » أي عبّاد الشمس ، كانت تعبد الشمس ، فاتخذت لها صنماً وبيده جوهر على لون النار ، وله بيت وسدنة : وكانوا يعتقدون أن لهذه الشمس نفساً وعقلاً ، وأنها هي ملك الملائكة ، ومنها نور الكواكب والعالم[4] .

وثمة ملة ثانية يُقال لها « الجندريهكيتية » اي عبّاد القمر ، كانت تعبد القمر ، فاتخذت له صنماً على أنه ملك يستحق العبادة والتعظيم ، وإليه يعود أمر تدبير العالم السفلي . وتضيف الرواية فتقول إن الهند كانت تسجد له وتعبده ، وتصوم عنده شهرين ونصف الشهر ، ولا تفطر حتى يطلع القمر ، فاذا طلع

---

(١) فرج المهموم ، ص ١١ ـ ١٢ .
(٢) نفسه ، ص ١٢ .
(٣) البيروني ، ابو الريحان : تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة ، ص ١٧ ، حيدر آباد ـ الدكن ، الهند (١٣٧٧هـ / ١٩٥٨م) .
(٤) المصدر السابق ، ص ١٧ .

سألته حاجتها[1] .

ومما يجدر ذكره في هذا المجال ، أن بعض الهنود يخالفون في مباحثهم التنجيمية من يقول بتأثير الكواكب السيّارة دون الثوابت من النجوم ، كما أنهم يقولون بأن الأحكام تُبنى على طلوع ما يُسمى بكلب الجبار ، أي الشعرى العبور ، يحدث داء في الكلاب ، وأن طلوع سهيل يحدث مثله في الجهال ، وكذلك طلوع الذئب في الذئاب . وزعموا أن طلوع حامل رأس الغول يحدث خيالات وتماثيل وأشخاصاً قد تظهر في الصحاري والقفار ، وهذا ما تُسميه العامة الناس ، بالغول[2] . وهم يزعمون ، خلافاً للآخرين ، أن زحل بين الكواكب ، يسمى السعد الأكبر ذا التأثير الكلي ، نظراً لرفعة مكانه ، وعظيم جرمه[3] . لا بل أن عدداً من منجمي الهند ذهب إلى أبعد من ذلك حين رأى أن كل حادث يحدث في الارض ، له صلة وارتباط بأوضاع السماء عموماً على وجه الإطلاق[4] . وفي الهند جماعة قالت بتناسخ الأدوار والأكوار مع اختلاف في مدة الدور أو الكور الذي قد يصل عند البعض منهم إلى ستة وثلاثين ألفا من السنين ، وعند البعض الأخر إلى ثلاثة آلاف ، إلّا أن كليهما يعولان على سير الثوابت ، لا السيّارات ، من النجوم[5] .

ومما تجدر ملاحظته أن الفلك عند أكثر الهند ، مركب من ماء ونار وهواء ، فيما النجوم تتألف من نار وهواء .

---

(١) ابن النديم : الفهرست ، ٨/٤١١ - ٤١٢ .
وانظر أيضا : الشهرستاني : الملل والنحل ٢/٢٥٨ - ٢٥٩ .

(٢) المسعودي : مروج الذهب ومعادن الجواهر ٢/١٥٦ . تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة ، مصر ١٩٦٤م .
نُشير إلى أنه سبق التعريف بالشعرى اليمانية ، أي العبور ، التي يُطلق عليها اسم كلب الجبار . اما سهيل فهو أحد النجوم المعروفة في نصف الكرة الجنوبي من السماء . يقع في طرف المجذاف الثاني من الكوكبة المعروفة بـ « السفينة » . وأما رأس الغول فهو أحد نجوم الكوكبة المسماة بكوكبة الغول في الصور الشمالية من منطقة البروج .

(٣) الشهرستاني : الملل والنحل ٢/٢٥٤ .

(٤) الطباطبائي : تفسير الميزان ١٩/٧٥ .

(٥) الشهرستاني : الملل والنحل ٢/٢٥٥ .

ولقد أفرد البيروني في كتابه الآنف الذكر حيزاً لا بأس به ، من أجل الحديث عن مباحث الهند الفلكية ، واعتقاداتهم التنجيمية مبيّناً أن « علم النجوم فيهم أشهر لتعلق أمور الملة به ، ومن لا يعرف الأحكام منهم لا تقع عليه بمجرد الحساب ، سمة التنجيم »[1] ، وأن من جملة كتبهم الفلكية التي يعول عليها ، والأخرى التنجيمية ، كتاب « السدهاند »[2] ، و« سنكهت » ، ومعناه : المجموع ، وهو يُنسب إلى « ماندب » ، و« براشر » و« كراك » و« براهم » و« بلبهدر » و« دبيانت » و« براهمهر » ، ويتضمن هذا الكتاب مباحث مهمة في الأحكام النجومية والاختيارات والفراسة ، وتعبير الرؤيا ، والزجر[3] .

ومن الكتب التنجيمية في الهند كتاب « جاتك » ، أي المواليد ، وهو ينسب إلى « براشر » و« ست » و« منت » و«جيبشرم » و« قو » اليوناني ، وكتابان في المواليد ، احدهما كبير والآخر صغير ، وهما ينسبان إلى « برهمهر » ، ومنها أيضاً كتاب في المواليد اسمه « ساراول » وكتاب في أحكام النجوم اسمه « جبن » ، وكتاب في مسائل الغيب يُعرف باسم « برشن جورامن »[4] .

وتحدث البيروني في كتابه عن أسماء الأسبوع عند الهند فإذا هي اسماء الكواكب السبعة بأشهر أسمائها ، والهند تجعل لها أربابا ، فالشمس مثلا ، هي ربة يوم الأحد ، والقمر رب الإثنين ، والمريخ رب الثلاثاء ، وعطارد رب الأربعاء ، والمشترى رب الخميس ، والزهرة ربة الجمعة[5] .

وأخيراً ، ومن أجل الدلالة على ما حظي به المنجمون في الهند من تقدير ، يحدثنا البيروني أن الملوك وعامة الناس كانوا ينظرون إلى المنجمين على أنهم من أصحاب الجنة ، ومن ذوي الفضل والاحترام والتقدير[1] .

وللدلالة على ظاهرة التنجيم عند الهند ، نورد ما ذكر عن أحد ملوكهم ،

---

(١) البيروني : تحقيق ما للهند من مقولة ، ص ١١٨ .
(٢) السدهاند ، أو « السند هند » رسالة في الفلك قدم بها إلى بغداد رحالة هندي حوالي سنة ٧٧١م . تمت ترجمتها بأمر الخليفة العباسي المنصور على يد الفرازي .
(٣) البيروني : تحقيق ما للهند من مقولة ، ص ١١٨ ـ ١٢٠ .
(٤) المصدر نفسه ، ص ١٢١ ـ ١٢٣ .
(٥) تحقيق ما للهند من مقولة ، ص ١٧٢ .
(٦) تحقيق ما للهند من مقولة ، ص ١٧٢ .

وكان وُلد له غلام ذكر بعد انتظار طويل، فسماه «يوذاسف»، ثم استدعى المنجمين لتقويم ميلاده، وأخذ طالعه، فحكم المنجمون جميعاً بأن هذا الغلام سيكون في ذروة المجد والسيادة والشرف، إلاّ واحداً منهم نظر في حسابه فقال: «لا أظن أن الشرف الذي يبلغه إلا شرف الآخرة». والذي حصل ان هذا المنجم صح حكمه في يوذاسف، فكان من أكابر الزاهدين[1]. ويوذاسف هذا، كما ذُكر في التاريخ، كان أول المتنبئين، وهو الذي ظهر بعد سنة من ملك طهمورث الفارسي وجاء بالكتابة الفارسية داعياً إلى ملة الصابئة[2].

التنجيم في مصر:

يكفي أن نعلم أن المصريين قديماً، وإن عرفوا بعض مظاهر التوحيد، عبدوا «رع» الإله الشمس، وخالق العالم، وعبدوا «حورس» الذي كان يمثل الشمس في شروقها، و«توم» الذي يمثلها في غروبها[3]. أقول يكفي أن نعلم هذا، لندرك حقيقة ما قد تترك في النفوس عبادة كهذه، من تأثير يبعث على الاعتقاد بالنجوم، وعلى الإيمان بدلالتها الفاعلة المصطبغة إجمالاً بطابع ديني مقدس. ومعرفة المصريين بالنجوم - يقول سارطون - ترجع إلى أبعد عصر من عصور ما قبل التاريخ نظراً إلى جو مصر ورقة الليل التي تغري بالتطلع أو التأمل في أجرام السماء[4]. ولقد مُثّل الإله «رع»، إله الشمس، عند المصريين ذات

---

(١) ابن طاووس: فرج المهموم في تاريخ علماء النجوم، ص ١٨٨.

(٢) البيروني: الآثار الباقية عن القرون الخالية، ص ٢٠٤.

وطهمورث، أو طهمورس، بالسين، هو ابن شنك بن كيومرث، ملك من قدماء ملوك الفرس، من الطبقة البشدادية الأولى. يُقال أنه ملك نحو سنة ٢٦٠٠ ق.م. ودام ملكه ثلاثين سنة، وقيل أربعين. وهو الذي بنى أصفهان، وتملك شابور، وآمل، ومازندران. وزعموا انه تملك الاقاليم السبعة، وأنه أول من اتخذ الخيل والبغال والحمير زينة للملوك، وأول من اتخذ الشعر والصوف لباساً وفراشا، وأمر باتخاذ الكلاب للحراسة. وهو أول من كتب بالفارسية.

انظر: البستاني: دائرة المعارف ٣٤٤/١١.

(٣) شجرة الحضارة ١٢٤/٣.

أقدم هياكل رع في هليوبوليس أو عين شمس. وأشهر معبد لحورس في أدفو. وهيكل توت في الأشمونين.

(٤) تاريخ العلم، ص ٧٧.

حين بصورة صقر ، كما مثل بصورة أم جعران ، وهي الرخمة ، وأمامها كرة الشمس ، معتقدين أنه في كل صباح تنبت زهرة من الزنبق ، وهي تضم طفلاً صغيراً هو إله الشمس ذاته . وكانوا يقيمون له عموداً داخل كل معبد[1] ، فيصلون عنده ، ويتضرعون له طمعاً في أن يوصل عبادتهم تلك إلى الإله الأعظم لا بل أن « رع » اعتبر ذات مرة الإله العظيم نفسه . وحينما تخلّى المصريون عن عبادة « رع » انتقلوا إلى عبادة « أمون رع » فأقاموا له المعابد في كل مكان ، حتى جاء كهنة عين شمس مستبدلين به إله الشمس الذي بنوا له تمثالاً على شكل إنسان ، وله رأس باز متوج بقرص الشمس ، ويحيط به ثعبان ، مطلقين عليه اسم « آتون » ، أي قرص الشمس . ويُقال إن « أمنوحتب » ، ومعناه ، أمون راض ، غيّر اسمه ذات يوم فتسمى باسم « أخناتون » ، أي روح ضوء الشمس[2] .

وفي الأساطير المصرية أن المصريين توهموا السماء كلها محاطة بجسم الإله أو الآلهة « توت » وهي تحمل جسمها على يديها وقدميها[3] . والمهم في هذا الشأن أن مصر كانت مهيأة لنشوء العديد من الأفكار التنجيمية التي بلغت غايتها في عصر البطالسة ، الموازي للعصر الكلداني[4] . ولئن كان هذا العصر متأخراً نسبياً ، الّا أنه شهد ولادة فكرية راقية تمثلت بكون الاسكندرية مركزاً لدراسة فلسفة اليونان ، ومجمعاً للكتب العلمية القديمة من فارسية وهندية وبابلية ، حتى قيل إن عدد الكتب التي تضمنتها تلك المدينة بعد غزو الاسكندر لفارس ، زاد عن أربعة وخمسين ألف كتاب في مختلف العلوم والفنون[5] .

التنجيم في بلاد ما بين النهرين :

منذ أوائل الألف الثالث قبل المسيح ، شهدت المنطقة الواقعة بين النهرين

(١) عُرف هذا العمود في ما بعد بالمسلة المصرية ، وهي عبارة عن عمود مربع ينتهي بقبة على شكل هرم صغير .

(٢) الملل والنحل ، الهامش ، ص ٤ و٥ .

(٣) تاريخ العلم ، ص ٧٧ .

ولا يفوتنا هنا أن نذكر أن « توت » اعتبر حيناً هرمس اليونان ، وكان يمثل إله العلوم والآداب في مصر القديمة .

(٤) المرجع نفسه ، ص ٢٦٠ .

(٥) الفهرست ٥/٣٠٠ .

العظيمين دجلة والفرات ، وفادة أنماط شتى من الأمم والشعوب التي تعاقبت على الإقامة فيها ، من السومريين الذين كانوا على مقربة من الخليج الفارسي ، والأموريين ، أي البابليين ، ومن الحثيين الذين سكنوا في أعالي النهرين ، ومن الكلدانيين ورثة البابليين ، ثم من الأشوريين الذين سبقوا أو عاصروا بعلومهم فجر علوم اليونان ، وإن كانت نشأة هذه العلوم مستقلة عن العلم الأشوري[1] .

ولقد شهدت هذه المنطقة من العالم في القديم تطوراً مهماً في ميدان العلوم الرياضية والفلكية : فالسومريون الذين كتبوا بالمسمارية ، على سبيل المثال ، توصلوا إلى قسمة السنة إلى اثني عشر شهراً قمرياً جاعلين بعد كل سنتين قمريتين من اثني عشر شهراً ، سنة قمرية ثالثة من ثلاثة عشر شهراً ، وذلك من أجل أن تنسجم مع السنة الشمسية ، والبابليون هم الذين جعلوا من النهار اثنتي عشرة ساعة ، ومن الليل مثلها ، وهم الذين ضبطوا مطالع الشمس والزهرة ومغاربها . وإليهم تُعزى معرفة منطقة البروج ، وضبط حركات الكواكب ، وجدولتها في جداول حسابية ، وإليهم يرجع الفضل في إقامة الأرصاد الفلكية ، واستخدام المزولة الشمسية والساعة المائية ، والمرقب النجمي[2] .

أما الكلدان فأقاموا الأرصاد الفلكية المتقدمة إذ يُنسب إلى نابو ريمانّوه ، أحد أشهر علمائهم الفلكيين ، قيامه بدراسة الأرصاد المتجمعة مدة اثنتين وخمسين سنة ، صانعاً منها جداول لحركات الشمس والقمر ، محدداً حركاتها في اليوم والشهر والسنة ، وإليه يعود الفضل في حساب مواقيت الكسوف والخسوف ، وهو الذي حسب طول السنة فوجده ٣٦٥ يوماً وست ساعات و١٥ دقيقة و٤١ ثانية فكان حسابه هذا يزيد على طول السنة الحقيقي ستاً وعشرين دقيقة وخمساً وخمسين ثانية فقط ، كما يُنسب إلى كيدنّوه ، العالِم الكلداني الآخر صنعه لجداول حركات عدد من النجوم ، فكانت حساباته أكثر دقة من جداول العصر الحديث[3] .

---

(١) سارطون : تاريخ العلم ، ص ٣٣٣ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ١٧٤ و٣٣٠ و٤٣٤ .
والمزولة الشمسية آلة يُقاس بها أو يحدد زوال الشمس .

(٣) فروخ ، عمر : تاريخ الفكر العربي ، ص ٤٢ ، ط ٤ ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٨٣م . والمعروف ، بل من الثابت علمياً أن السنة ٣٦٥ يوما و٥ ساعات و٤٨ دقيقة و٥١ ثانية .

هذا التطور في الجانب العلمي من علم الفلك الصحيح ، حمل معه تطوراً آخر في الجانب العلمي منه ، عنيت التنجيم الذي قامت شهرة الكلدان في الواقع عليه ، وبخاصة التنجيم الخرافي ، فهم أي الكلدان ، أول من سمى أيام الأسبوع بأسمائها ونسبوها إلى الشمس والقمر والكواكب الخمسة السيارة ، عطارد والزهرة والمريخ والمشترى وزحل ، خاصين كل يوم من أيام الاسبوع بعبادة أحد الأجرام السماوية[1] .

أما التنجيم القائم على رصد الكواكب ، وعلى الحسابات الفلكية الدقيقة ، فإن الكلدان تمكنوا منه ، وأخذوا فيه كل مأخذ وكانوا أسبق اليه ، وهو الذي أثر في ما بعد ، تأثيراً عميقاً في العالم الروماني ، وعالم القرون الوسطى[2] ، حتى أمسى اسم « كلداني » مرادفاً لمنجم في الكتب المقدسة والعلمية[3] .

والكلدان الذين رصدوا الكواكب ، وعيّنوا مناطق البروج ومنازل القمر والشمس ، وحسبوا الخسوف والكسوف بآلات فلكية منذ القديم ، وأخذ عنهم المصريون واليونان والهنود الشيء الكثير ، هم الذين تُنسب إليهم طائفة الصابئة الذين مهدوا السبيل أمام أهل الشقّ الغربي من المعمور ، إلى تدبير الهياكل لاستجلاب قوى الكواكب ، وإظهار طبائعها ، وطرح أشعتها عليها بأنواع القرابين الموافقة لها ، وإنشاء الطلسمات حولها[4] ، وإليهم ترجع ضروب التدابير المخصوصة بها ، ومنهم ظهرت الأفاعيل الغريبة ، والنتائج والتنجيم[5] ، على ما ذكر صاحب « نخبة الدهر » ، شمس الدين ، محمد بن أبي طالب الأنصاري الدمشقي الصوفي المعروف بشيخ الربوة ، والمتوفى عام ٧٢٧ هـ / ١٣٢٧م .

التنجيم في فارس :

أما بلاد فارس فلو ألقينا نظرة عليها ، لوجدنا أنه كان لها بعلوم الحكمة والفلسفة والحساب ، قدمة وتصرف لا ينكران . أما في الفلك والتقاويم وتأثير

---

(١) المرجع نفسه ، تاريخ الفكر العربي ، ص ٤٢ .
(٢) سارطون ، جورج : تاريخ العلم ، ص ١٧٥ .
(٣) دائرة المعارف ، للبستاني ٢٢٧/٦ .
(٤) ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ، ص ٤٣ .
(٥) شيخ الربوة : نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ، ص ٤٦ ، مطبعة الأكاديمية الإمبراطورية ، بطرسبورغ ، ١٢٨١هـ /١٨٦٥م .

النجوم فحسبنا دلالة على مكانتها عندهم ، الاستشهاد بابن قتيبة الذي يقول : « وكانت العجم تقول من لم يكن عالماً بإجراء المياه ، وحفر فرض المشارب ، وردم المهاوي ومجاري الأيام في الزيادة والنقص ، ودوران الشمس ، ومطالع النجوم ، وحال القمر في استهلاله وأفعاله . وحال أدوات الصناع ودقائق الحساب ، كان ناقصاً في حال كتابته »[1] .

وحسبنا أيضاً الاستشهاد بابن العبري الذي ذكر في تاريخه أنه كان للفرس « عناية بالغة بالطب وأحكام النجوم وأن لهم أرصاداً قديمة »[2] ، وكنا ألمحنا لدى الحديث عن هرمس « إلى خزانة الكتب التي كانت بأصطخرْ ، ومنها كتاب « الكشتج » المتضمن مباحث هامة في علم النجوم والطب والطبائع[3] . وذكر أنه كان في زمن الملك الفارسي طهمورث ، بمدينة جي ، خزائن مملوءة بالكتب العلمية ، من بينها كتاب منسوب إلى بعض الحكماء المتقدمين ، فيه سنون وأدوار معلومة في كيفية استخراج أوساط الكواكب ، وعلل حركاتها ، تُسمى أدوار الهزارات أو الألوف ، ويُقال إن أكثر علماء الهند وملوكها ، وملوك فارس ، وقدماء الكلدان كانوا يستخرجون أوساط الكواكب السبعة من هذه السنين والأدوار ، ويُقال أيضاً إن المنجمين استخرجوا منها زيجاً أسموه « زيج الشهريار » ، أي ملك الازياج ، وأن الفلاسفة منهم ، كانوا ينظرون في مواليد من يريد الحكمة والفلسفة فإن علموا منها ، أن صاحب المولد مؤهل لذلك ، استخدموه وناولوه الحكمة[4] .

وعلى ذكر الأدوار ، فثمة زعم عند الفرس يقول إن كيومرث ، وهو الإنسان الأول في اعتقادهم ، كان مكث في الجنة ثلاثة آلاف سنة ، هي آلاف الحمل والثور والجوزاء ، وذلك قبل أن يهبط إلى الأرض ليطمئن فيها ثلاثة آلاف سنة اخرى هي آلاف السرطان والأسد والسنبلة ، إلى أن ظهرت الشرور لدى تولد أهرمس أو « أهريمان » الذي هو ابليس[5] . ومبدأ الشر عند الفرس

---

(١) ابن قتيبة ، عبد الله : أدب الكتاب ، ص ١٠ ، دار صادر ، بيروت ١٣٨٧هـ /١٩٦٧م .
(٢) ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ، ص ٤٧ .
(٣) ابن النديم : الفهرست ٣٣٠/٥ .
(٤) المصدر نفسه ٣٠٢/٥ .
(٥) البيروني : الاثار الباقية ، ص ٩٩ . مرّ معنا في الحاشية أن كيومرث جد طهمورث .

الأقدمين وهو نقيض « هرمنزد » .

ونحن إذا ما استعرضنا سير ملوك الفرس تبيّن لنا أن عدداً من ملوكهم كان لهم بالتنجيم عناية ، إذ كانوا يجمعون في بلاطاتهم المنجمين ، والعلماء ، ومعبري الرؤيا ، وأصحاب الفأل والزجر والكهانة ، فيسمعون منهم ما كان وما يكون ، وذلك كلما حز بهم أمر من الأمور[1] ، ويُقال أنه إذا أراد أحدهم إنجاب الولد ، أمر بإحضار المنجمين ، فضرب بينهم وبينه بحجاب ، ثم إنه كان يخلو بالمرأة التي يريد ، فإذا ما صب ماء حياته في رحمها ، أمر خادماً على الباب ، فضرب طشتاً بيده ، فاذا سمع المنجمون ذلك ، أخذوا الطالع للولد بالإسطرلاب[2] .

ويذكر الطبري في تاريخه إنه لما وُلد بهرام جور بن يزدجرد ملك فارس

---

(١) ابن طاووس : فرج المهموم ، ص ٢٠٨ .

(٢) الاسطرلاب : لفظة مأخوذة عن اليونانية « استرلابوس » أي مرآة النجوم ، وقد تكون ذات أصل فارسي لأن لفظة « أستر » بالفارسية تعني النجم . والإسطرلاب آلة تشتمل على أجزاء يتحرك بعضها فتحكي الأوضاع الفلكية ، ويستعمل بها بعض الأحوال العلوية ، والساعات المستوية ، والزمانية ، ويستنتج منها بعض الأمور السفلية . وهو اسم يُطلق ـ كما في الموسوعة الإسلامية ـ على آلة فلكية تستخدم لغايات نظرية أو عملية مختلفة ، منها تحديد مواقع النجوم والكواكب في السماء ، وتحديد الوقت بالساعة ليلاً أو نهاراً ، هذا فضلاً عن استخدامها في معرفة الطالع كما عند الأقدمين . والإسطرلاب عدة أنواع منها : الإسطرلاب المسطح Astrolabe planisphérique ، ويسمى بالعربية ذات الصفائح ، ومنها الاسطرلاب الحلقي Astrolabe linéaire الذي يُعتبر بمثابة تبسيط للأول ، ومنها الإسطرلاب الكروي الذي يمثل الكرة الأرضية والكرات السماوية ، ولم يصلنا أي نموذج من هذين الأخيرين .

انظر : Encyclopédie de L'Islam, 1 ' 744, Paris 1977

أحسن هذه الابيات في الاسطرلاب ، قالها كشاجم ، أحد شعراء العصر العباسي :

ومستدير كجرم البدر مسطوح

صلب يدار على قطب يلينه ... تمثال طرف بشكم الحذق مشبوح

مثل البنان وقد أوفت صفائحه ... على الأقاليم في أقطارها الفيح

كأنما السبعة الأفلاك محدقة ... بالماء والنار والأرضين والريح

إلى آخر الابيات . . ولنا عودة إليها لاحقاً .

ابن رشيق : العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ٢ / ٢٩٩ ، ط ٤ . دار الجبل ، بيروت ١٩٧٢م . تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد . والمشبوح : البعيد ما بين المنكبين ، والشكم جمع شكيمة ، وهي الحديدة المعترضة في الفم .

العظيم ، دعا أبوه من كان ببابه من المنجمين ، ثم أمرهم بإقامة طالع مولده ، وذلك بعد مضي سبع ساعات من النهار ، فقاسوا الشمس ونظروا في مطالع النجوم ، فأخبروا يزدجرد « أن الله مورث ابنه مُلك أبيه ، وأن رضاعه بغير أرض يسكنها الفرس ، وأن من الرأي أن يُربّى بغير بلاده . فكان أن اختار له أبوه الرضاعة في بلاد العرب ، فدعا بالمنذر بن النعمان واستحضنه بهرام ، وشرفه وملكه على العرب . . »[1] . ويُقال إن بهرام هذا كان المنجمون قد قالوا في مولده ايضاً إن منيته ستقع في ورهام روز ـ أحد أيام الفرس المعروفة ـ فكان لا يخرج ذلك اليوم من منزله ، ولا يأذن لأحد بالدخول عليه ، إلاّ لثقاته وخاصته . وتصديقاً لرواية المنجمين ، فإن رسول خاتون زوجة خاقان ملك الترك ، أذن له بالدخول عليه في ذلك اليوم ، فدخل ، فحيا بهرام قائلا : « إن الملكة قد وجهتني إليك برسالة ، فأخلني » ، ولما خلا به استل من وسطه خنجرا ، فبعج به بطن بهرام ، فكان به مقتله[2] .

وثمة رواية ثانية يذكرها أبو حنيفة الدينوري تقول إن يزدان جشنس لما انطلق ليبلغ كسرى رسالة شيرويه ، قال كسرى : « قل لشيرويه القصير العمر ، القليل الغمر . . . وأما أنت خاصة ، فإن المنجمين قضوا في مولدك بتثريب ملكنا ، ونسخ سلطاننا على يدك ، فلم نأمر بقتلك ، ومع ذلك فإن كتاب قرميسيا ملك الهند إلينا يعلمنا أن في انقضاء سنة ثمان وثلاثين من ملكنا ، يفضي إليك هذا الأمر ، فكتمنا ذلك الكتاب عنك مع علمنا أنه لا يفضي إليك إلاّ بهلاكنا . . »[3] .

---

(١) الطبري : تاريخ الامم والملوك ٧٤/٢ . دار القلم . بيروت . ويزدجرد هو يزدجرد بن سابور . بلغت مدة حكمه ٢١ سنة . أما بهرام ، ابنه فحكم ٢٣ سنة .

(٢) الدينوري ، أبو حنيفة : الأخبار الطوال ، ص ٩٩ . تحقيق عبد المنعم عامر . دار إحياء الكتب العربية . ط ١ . القاهرة ١٩٦٠م .
وفي رواية أن عظماء الفرس تعاهدوا على أن لا يملكوا أحداً من ذرية يزدجرد سوء سيرته ، فصرفوا الملك ، لتخلقه بأخلاق العرب ، وملكوا رجلاً من عقب أردشير بن بابك يُقال له كسرى .
انظر : دائرة المعارف ، للبستاني ٦٣٨/٥ ، مطبعة المعارف ، بيروت ١٩٨١م .

(٣) الدينوري : الاخبار الطوال ، ص ١٠٩ .
وفي « مروج الذهب » للمسعودي ، أن كسرى المذكور في هذه الرواية هو كسرى أبرويز الذي حكم ثمانياً وثلاثين سنة ، وفيه أيضاً ان شيرويه المذكور أعلاه ، هو قباذ المعروف =

رواية ثالثة ، ينسبها صاحب كتاب « فرج المهموم » إلى الحاكم النيسابوري ، تقول إن هرمز أحد ملوك الفرس ، كان المنجمون قد أخبروه أنه سيلد ولداً ذكر يملك الأرض ، ويكون له شأن عظيم . ولما وُلد هذا الولد ، وكان أبوه قد وضع التاج على بطن أمه ، سموه « شابور » ، أي ابن الملك ، وهو المعروف عند العرب بسابور ذي الأكتاف . . ولما بلغ سابور سن الاربعين ، غيّر اسمه بناء لنصيحة المنجمين ، فملك العرب والعجم على السواء[1] .

وثمة رواية تنسب إلى عهد كسرى أبرويز ، أن المنجمين تنبأوا له أن ملكه وملك فارس يزول على يد رجل يخرج من جنوبي بلاده (يقصدون نبي الاسلام) فاستدعى واليه على أصفهان ، وكان من المخلصين له ، فقتله منعاً لشره ، ظاناً أنه المقصود بالنبوة .

وفي مقدمة ابن خلدون نجد أن هرمز سأل أفريد الحكيم عن مدة حكم أردشير ، وولده ، وملوك الساسانية ، فقال : «دليل ملكه المشتري ، وكان في شرفه ، فيُعطى أطول السنين وأجودها ، ثم تزيد الزهرة ، وتكون في شرفها ، وهي دليل العرب ، فيملكون ، لأن طالع القران الميزان ، وصاحبه الزهرة ، وكانت عند القران في شرفها ، فدل على ذلك أنهم يملكون ١٠٦٠ سنة »[1] . وفيها أيضاً أن كسرى أنو شروان سأل وزيره بزرجمهر عن خروج المُلك من

= بالقابض على أبيه ، والجاني عليه والقاتل له ، والفرس تُسميه المشؤوم والغشوم . وفي أيام شيرويه كان الطاعون بالعراق وغيره من الاقاليم ، فهلك فيه مائتا ألف من الناس . وكان ملك شيرويه إلى أن هلك سنة وستة أشهر . انظر : مروج الذهب ١/ ٢٨٠ .

(١) ابن طاووس : فرج المهموم ، ص ١٨٤ .
ولقد نُسب إلى الامام علي شعر يذكر فيه سابور هذا ، وفيه يقول :

إن حياً يرى الفساد صلاحا ... ويرى الرشد للشقاء فسادا
لقريب من الهلاك كما ... أهلك سابور بالسواد ايادا

انظر : المصدر نفسه ، ص ١٨٤ .

(٢) ابن خلدون : المقدمة ، ص ٥٩٩ .
وهرمز هو ابن كسرى أنو شروان . وأمه فاقم بنت خاقان ملك الترك . ملك هرمز اثنتي عشرة سنة . وقيل إنه كان متحاملاً على خواص الناس ، مائلاً إلى عوامهم .
وقيل : إنه قتل مدة ملكه من خواص فارس ثلاثة عشر ألف رجل مذكور .
انظر : مروج الذهب ١/ ٢٧٠ .

فارس ، فأفاد « أن القائم منهم يُولد لـ ٤٥ من دولته ، ويملك المشرق والمغرب ، والمشترى يغوص إلى الزهرة . وينتقل القران من الهوائية إلى العقرب ، وهو برج مائي ، وهو دليل العرب ، فهذه الأدلة تفضي للملة بمدة دور الزهرة وهي تبلغ ١٠٦٠ سنة . . . ثم إن كسرى أبرويز سأل أليوس الحكيم عن ذلك فقال مثل قول بزرجمهر »[١] .

التنجيم عند اليونان :

يرى سارطون في كتابه « تاريخ العلم » أن علم الفلك يوناني الأصل ، وربما كان كلدانياً بابلياً متأخرا ، أما التنجيم الذي راج في القرون الأخيرة السابقة للعصر المسيحي ، فهو كلداني ومصري ، وهو كذلك يوناني من حيث أنه مجموعة متأخرة من المعارف العقلية وغير العقلية التي تجمعت حتى ذلك العصر[٢] .

وفكرة التنجيم عند اليونان ترجع إلى أصول قديمة ، شأنها عند جميع الشعوب : وقال : إن اليونان الاقدمين كانوا إذا أرادوا تسليم الصبي إلى صناعة من الصناعات ، اختاروا له يوماً من الأيام ، فأدخلوه إلى هيكل الصنائع حيث توجد صور جميع الكواكب . . ثم إنهم كانوا يقربون لصنم الكوكب قربانا ، فيدلهم على الصناعة المنشودة ، فيسلمونه إليها ، وقد يهتدون إلى الصناعة من تاريخ مولده عن طريق أخذ الطالع الملائم له[٣] .

ومهما يكن ، فلا يمكن إطلاقاً إنكار ما لليونان من فضل كثير من العلوم الفلسفية والعقلية . وعلم الفلك خاصة ، يرجع إلى العصور الأولى المتقدمة في التاريخ اليوناني ، ويقول سارطون إن ثمة قصيدة في علم الفلك تنسب إلى هسيودوس لم يبق منها سوى نتف قليلة تصف أهم المجموعات التنجيمية ، وتشرح أصول أسمائها ، والأساطير التي أحاطت بها[٤] .

ويمكن اعتبار اكتشاف ميل فلك البروج ، ذروة ما توصل إليه علم الفلك

---

(١) مقدمة ابن خلدون ، ص ٥٩٩ .

(٢) سارطون ، جورج : تارخ العلم ، ص ٢٥٩ ـ ٢٦٠ .

(٣) اخوان الصفا : الرسائل ١/٢٩١ .

(٤) سارطون : تاريخ العلم ، ص ٣١٨ . وهسيودس شاعر يوناني عاش في القرن الثامن ق . م . له أشعار تعليمية أدبية تعرف بـ « الاشغال والأيام » .

اليوناني القديم . أما كروية الأرض فالمرجح أنها تعود إلى أيام فيثاغورس ، وأما صور البروج التي عرفها البابليون ، ولا سيما صورتا برجي الحمل والقوس ، فقد اهتدى إليها كليوستراتوس الذي عاش في تنيدوس قريباً من طروادة ، وإليه يعود الفضل في جعل البروج اثني عشر برجاً متساويا ، وله فيها وفي وصف النجوم قصيدة مفقودة ، وهي تعرف باسم « الفيثاغورس »[١] .

ولربما كان لاعتقاد أفلاطون أن الله صنع من النار والشمس والقمر والكواكب والنجوم فجعلها كروية الشكل مستقلة ، ثم أودع فيها نفوساً تدبرها وتديرها ، وذلك قياساً على إيمانه بأن في كل شيء نفساً ، سواء أكان ذلك في النبات أم في العناصر والحيوان والجماد والنجوم[٢] ، ولربما كان الاعتقاد الآخر بعودة النفوس الصالحة إلى عالم الكواكب لتمكث فيها سعيدة راضية إلى حين[٣] ، أقول ربما كان لذلك كله ، الأثر البالغ في تشجيع أصحاب المذاهب الفكرية من بعده ، ولا سيما أتباعه من اصحاب المدارس الأفلاطونية الحديثة ، على الأخذ بفكرة التنجيم ، من جملة ما أخذوا به من آراء وأفكار ، علماً بأن أفلاطون نفسه ، الذي ميّز بين ثلاثة أنواع من علم الفلك ، كان قد أوصى بوجوب أن يبتعد هذا العلم عن النزعة العلمية ، ويقصد بذلك التنجيم ، وبوجوب أن يرتقي إلى الدراسة النظرية كما هو الحال في الهندسة والحساب ، والأنواع الفلكية الثلاثة التي ميّز بينها أفلاطون هي : الفلك الحسي ، والفلك الرياضي والفلك الإلهي[٤] .

ولئن أوصى أفلاطون بضرورة إبعاد التنجيم عن العلوم الفلكية ، خلافاً لما ذهب اليه بطليموس من بعده ، فإن أرسطو وأصحابه اعتبروا التنجيم أحد فروع

---

(١) المصدر نفسه ، ص ٣٧٦ . وفيثاغورس (القرن الـ٦ق . م .) مؤسس المذهب الفيثاغورس الذي يعتبر العدد جوهر الوجود . ولهم نظريات فلكية إقتبسها العرب عنهم منها أن الأفلاك في دورانها تحدث أنغاماً متآلفة في تفاوتها وأن الكون بأسره في سمفونية هذه الأفلاك .

(٢) فروخ ، عمر : تاريخ الفكر العربي ، ص ١٠١ ـ ١٠٢ .

(٣) الفارابي : كتاب الجمع بين رأيي الحكيمين ، المقدمة ، ص ١٣ ، تحقيق ألبر نصري نادر ، المطبعة الكاثولوكية ، بيروت ١٩٦٠م .

(٤) الأهوازي ، أحمد : أفلاطون ، ص ٦٦ ، سلسلة نوابغ الفكر العربي ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٥م .

العلوم الطبيعية التي منها الطب والفراسة والكيمياء وتفسير الأحلام ، وهو تصنيف أخذ به أغلب الفلاسفة ، وأصحاب فهارس العلوم[1] . وهل بالإمكان التغاضي عن نظرة أرسطو إلى الكواكب على أنها عقول ، وأن لكل منها نفساً ، وفلكاً تحركه بعامل الحب الذي تستمده من العقل[2] ؟ ثم هل بالإمكان الذهاب إلى عدم تصديق ما نُسب إلى أرسطو من قول أن « الملك لزحل ، والوزارة للشمس ، والعدل للمشتري ، والزينة للزهرة ، والتقدير لعطارد ، والمذمة للقمر ، والجور للمريخ »[3] ، الأمر الذي يبين بوضوح اعتقاده بتأثير النيرات في الكائنات والوجود ؟

وهل بالإمكان ، كذلك ، إنكار ما ذهب إليه من قول ، ثاوفرسطيس ، تلميذ أرسطو ، وصاحبه ، ووريث حكمته ، من أن السماء مسكن للكواكب التي هي بمثابة « الآباء والمدبرين » لما يجري في العالم السفلي ، وأن لهذه الكواكب عقولاً ونفوساً غير نباتية ، فلذلك « لا تقبل الزيادة والنقصان »[4] .

ثم ماذا عن فيتيوس فالينوس ، وذروثيوس الصيداوي ، وتوسر ، وأنتيوخس ، وغيرهم كثير من العلماء والفلاسفة اليونان ، من الذين تنسب اليهم رسائل لا تنكر في صناعة التنجيم ، وكانوا أساتذة المنجمين الإسلاميين[5] ؟

وهل يمكن إنكار اسم بطليموس القلوذي الذي أضحى كتابه « المجسطي » مرجعاً للدارسين والباحثين عن العلوم الفلكية ؟ وبطليموس هذا ، هو صاحب « المقالات الأربع » في أحكام النجوم[6] ، وصاحب كتاب « القضاء من النجوم على الحوادث » ، وتوجد منه نسخة مخطوطة في دار الكتب الظاهرية بدمشق ، وهي تحمل الرقم ٧٩٧٤ ، وتبدأ بالقول : « هذا الكتاب القضاء من النجوم على الحوادث » ، وتنتهي بالقول : « فإنه قد أتينا على القول في أمر المواليد على طريق

---

(١) دائرة المعارف الاسلامية ١٠/١٦٨ .

(٢) اليازجي ، كمال وكرم ، أنطون غطاس : أعلام الفلسفة العربية ، ص ٥٤٤ وط ١ ، لجنة التأليف المدرسي ، بيروت ١٩٥٧م .

(٣) التوحيدي ، أبو حيان : البصائر والذخائر ١/٢٦٧ .

(٤) الملل والنحل ٢/١٤٧ .

(٥) دائرة المعارف الإسلامية ١٠/٧٣ .

(٦) ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ، ص ٧٣ .

الجملة ، فأرى أنه من الواجب في هذا الموضوع . . تمّت المقالة الرابعة من كتاب بطليموس »[1] .

والجدير بالذكر أن هذه النسخة من سبعين ورقة ، وهي بترجمة حنين بن إسحق ، وإصلاح ثابت بن قرة الحراني .

وبعيداً عن بطليموس ، فلا بد أخيراً من التنويه بما قام به أصحاب المدرسة الافلاطونية الجديدة[2] ، في تعزيز القول بالتنجيم ، وترسيخ الاعتقاد بتأثير النجوم في الكائنات ، وخصوصاً ما ذهب إليه زعيم هذه المدرسة ، أفلوطين (٢٠٥ ـ ٢٧٠م) من القول بأن المادة آخر مراتب الوجود ، وأن كل موجود يشتاق إلى من أوجده ، وأن نفوس البشر والحيوانات وسائر الأجسام ، إنما هي نفوس فاضت عن الكواكب التي هي بدورها ، ثمرة فيوض أخرى تنتهي في

(١) تم الاطلاع شخصياً على هذه النسخة .

وهنا نشير إلى كثرة ما نسب إلى بطليموس من أقوال تنجيمية . من ذلك ما نسبه إليه صاحب « الملل والنحل » من القول بأنه دلالة القمر في الايام اقوى ، ودلالة الشمس والزهرة في الشهور أقوى ، ودلالة المشتري وزحل في السنين أقوى .

انظر : الملل والنحل ١١٦/٢ .

ومنها ما نسبه صاحب « فرج المهموم » إلى بطليموس من القول بأن الكسوف اذا وقع في برج أو في منطقة ذات أجنحة كالعذراء ، والرامي والدجاجة والنسر الطائر ، فإنما يكون تأثيره في الطير . وإذا وقع في منطقة دالة على حيوان بحري أو نهري كالسرطان أو الدلفين ، فإن تأثيره يكون في الحيوانات البحرية والنهرية .

انظر : فرج المهموم ، ص ٦٦ .

(٢) الأفلاطونية الجديدة ، أو الحديثة Neo-Platonism ، عبارة عن فلسفة دينية أثينية اسكندرانية سورية قامت على أصول أفلاطونية ، ومثلت عناصر من جميع المذاهب الفلسفية والدينية والعلوم اليونانية والشرقية بما في ذلك السحر والتنجيم والعرافة . كان مركز هذه المدرسة أثينا ، قبل أن يرتحل جلة أنصارها إلى المشرق العربي في مصر ، بهدف العثور على جمهورية أفلاطون حيث العدالة والفلسفة والسلطة . ولقد حرص أنصار هذه المدرسة على الاحتفاظ بالعقلية اليونانية التي تنظر إلى الوجود وكأنه عمل هندسي كبير ، فتستبعد منه الممكن والحادث لتخضعه للضرورة ، ولذا فإنهم عملوا على معارضة جميع الديانات مع تأثرهم بها في الوقت نفسه ، كما عارضوا أفلاطون في قوله بعالم المثل ، وفي قوله الآخر بتدخل الصانع في الامور الحياتية بشكل شخصي ومباشر . أبرز أعلام هذه المدرسة أو المذهب أمونيوس ساكاس (١٧٥ ـ ٢٥٠م) وأفلاطين (٢٠٥ ـ ٢٧٠م) الذي قضى ردحاً من حياته في مصر . انظر : الفارابي : كتاب الجمع بين رأي الحكيمين ، المقدمة ، ص ٤١ .

أعلاها إلى النفس الكلية[1] . وقد يكون لنا عودة إلى هذا الحديث في موضع آخر .

التنجيم عند الرومان :

لم يكن الرومان بمنجى عن التأثر بما شهدته بلاد اليونان من نهضة علمية وأدبية وفلسفية ، لا بل إنهم كانوا ورثة هذه العلوم التي انتقل تأثيرها إلى كثير من الأصقاع البعيدة والبلاد النائية في الشرق والغرب على السواء . ولا شك في أن التنجيم وهو أحد فروع العلوم الطبيعية بمنظار أرسطو ، وأحد فروع العلوم الفلكية من جانب بطليموس ، انتقل من اليونان إلى الرومان إذ يحدثنا التاريخ عن كثير من أباطرة الرومان الذين اهتموا بالقضايا النجومية ، فكانوا يستشيرون المنجمين قبل الإقدام على كثير من المسائل والأمور العسكرية والشخصية على حد سواء ، ومن هؤلاء الاباطرة نيرون وأوكتاويوس وتيبروس وماركوس أورليوس[2] . لا بل أن عدداً من الأباطرة تعلم النجامة واشتغل بها بنفسه ، وهذا حال تيتوس مثلاً ، ودوميتيانوس ، وسبتيموس ، فلقد ذُكر أن تيتوس كان يلجأ إلى النظر في طوالع معاونيه وقواده الذين كان يخشى منافستهم ، ومثله فعل دوميتانوس . أما سبتيموس سفريوس فإنه ، وقبل استلامه سدة الملك ، نظر في طوالع عدد من الفتيات اللواتي عزم الاقتران بهن ، ومنهن جوليا السورية التي سارع إلى زواجه منها لأنه علم عن طريق النجوم أنها ستكون زوجة أحد الملوك[3] .

وقصة دوميتيانوس مع منجمه آسكلاريون مشهورة لما أراد أن يمتحن علم هذا الأخير بالنجوم . قال الامبراطور لمنجمه : « قل لي كيف ستكون عاقبة حياتك أيها المنجم » . قال : « إن الكلاب ستنهش جثتي نهشاً » فأمر دوميتيانوس بقتله وحرق جثته ، وما فعل ذلك به حتى هبت عاصفة أذهلت الحراس والجلادين . . وكم كانت دهشة الجميع عظيمة حينما اجتمعت الكلاب على جثة المنجم وراحت تُمعن فيها نهشاً وتمزيقاً[4] .

---

(١) الحصري ، ساطع : دراسات عن مقدمة ابن خلدون ، المقدمة ،ص ٢٤ ،ط ٣ .
(٢) دار الكتاب العربي ، بيروت ١٩٦٧م .
(٣) المصدر نفسه ، ص ٢٥ .
(٤) المصدر السابق ، ص ٢٥ .


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی



البـاب الثاني

التنجيم عند العرب

- الفصل الأول : التنجيم قبل العصر العباسي .
- الفصل الثاني : التنجيم في العصر العباسي .
- الفصل الثالث : نجوميون ومنجمون .


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الفصل الأول

التنجيم قبل العصر العباسي

ـ في الجاهلية : الأنواء ، النظر في النجوم .
ـ في عصر صدر الإسلام : في القرآن ـ في الحديث ـ في الواقع
ـ في العصر الأموي .


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

التنجيم قبل العصر العباسي

في الجاهلية :

أ ـ الأنواء :

لم يصلنا عن العرب في جاهليتهم ، ما يدل على معرفتهم المتخصصة في الفلك أو التنجيم ، ولا عُرف عنهم كذلك أرصاد أو تقاويم مبنية على أسس علمية صحيحة ، وجلّ معرفتهم في هذا المجال لم تكن لتتعدى نطاق الضرورة المحلية المحدودة القائمة على الملاحظة البريئة والنظرة العفوية إلى السماء ، ومراقبة نجومها ومتابعة تشكيلاتها المميزة ، والاهتداء بها في الأسفار ، والتعرّف بطلوعها وساقطها على مساقط الغيث ، وزمن الحر والبرد ، والجفاف ، ومهابّ الرياح ، وهذا ما كان يُعرف عندهم بـ « الأنواء » . والأنواء ضربٌ من العلوم يُضارع ما يُعرف اليوم « بعلم الظواهر الجوية » . ولقد ساعدهم على ذلك ضربهم في الفلوات ، وصفاء سمائهم ، ودقة ملاحظتهم وجودة حفظهم ، مما حدا بابن رشيق إلى القول : « إن العرب أعلم الناس بمنازل القمر »[1] .. وإن من يتصفح تراث العرب الأدبي والشعري ، ويتعرف على الأسجاع التي قيلت في الأنواء على وجه الخصوص ، وإن من ينفذ إلى أعماق حياتهم الاجتماعية والفكرية والدينية ، ليقف على حقيقة أن العرب في الجاهلية ، تابعوا رحلة الشمس والقمر في مداراتها ، وعرفوا المناطق التي يحلّان بها يوماً فيوماً ، وشهراً فشهراً ، مثلما تابعوا

---

(١) ابن رشيق : العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده . ٢/٢٥٢ .

حركات عدد آخر من الكواكب والنجوم المميزة ، مجاميع ومثاني وفرادي ، كبنات نعش مثلاً ، والثريا ، والفرقدين ، والنسرين ، والشعريين والسماكين وسهيل والعيّوق ، لا بل ان جماعة من العرب كانوا ممن تخصص بمعرفة النجوم ، ومنهم بنو مارية بن كلب ، وبنو مرّة بن همّام الشيباني[1] .

ولا ينكر تأثر العرب الواضح بغيرهم من الأمم والشعوب في التوصل إلى بعض المعارف الفلكية ، إذ هم اقتبسوا من الهنود والفرس واليونان وصابئة الكلدان الشيء الكثير . ولا يزال الأثر الكلداني ظاهراً في عددٍ غير يسير من الألفاظ العربية ذات الدلالة الفلكية ، وذات الأصل الكلداني مثل لفظة المريخ التي تقابل لفظة « مرداخ » أو « مردوخ » الكدانية ، ولفظة زحل ، التي تعني الارتفاع في العربية ويقابلها « كاون » بالكلدانية ، وما لفظة ثور ، وسرطان ، وعقرب ، ودلو ، بالعربية ، إلا « ثورا » و« سرطانا » و« عقربا »، و« دولاً » بالكلدانية[2] . وما اعتقاد العرب بتأثير طلوع عدد من النجوم في حالة الطقس ، إلّا نوع من التأثير يضاهون به ما كان معروفاً عند الكلدان في هذا المجال ، أو ما كان قريباً منه لجهة تأثير عدد من النجوم أو الكواكب ، في أعمال البشر وحياتهم العامة[3] .

ولربما تأثر العرب باليونان قبل ظهور الإسلام ، وذلك بفضل عدد من العلماء السريان الذين عنوا بدراسة العلوم اليونانية ، ومنهم سرجيس الرّسعيني ، نسبة إلى المدينة السورية رأس العين ، المتوفى عام ٥٣٦م ، وكان في طليعة

---

(١) زيدان ، جرجي : تاريخ آداب العربية ١٧٨/١ . ويثبت هذه المعرفة شعرا ، قول المهلهل :

كأنّ المشتري حسناً ضياء … بنيق قاهر من فوق قور

انظر : الأزمنة والأمكنة، للمرزوقي ٣٠٤/٢ . والنيق : أعلى ما في الجبل . والقور : جمع قارة ، وهي الصغير المنقطع عمّا حوله في الجبال . ويثبت ذلك ايضاً قول الحطيئة ذاكراً كوكبة العوّاء والسماك :

فلو بلغت عوّا السماك قبيلة … لزادت عليها نهشل وتعلّت

انظر : ديوان الحطيئة ، ص ١٩٨ . دار صادر . بيروت ١٣٨٧هـ /١٩٦٧م .

(٢) زيدان : تاريخ آداب العربية ١٧٦/١ .

(٣) المرجع السابق ، ١٧٥/١ .

المثقفين في اليونانية التي نقل عنها عدداً من الكتب من بينها رسالة في تأثير القمر وحركة الشمس[1] .

ب ـ النظر في النجوم :

ولقد تمثلت ثقافة العرب الجاهليين في العلوم النجومية بمعرفة الطالع وتأثيره في الحياة العامة ، يدلّ على ذلك ما نجده مبثوثاً في كتب التاريخ والرواية والأدب ، مما يثبت شيوع ظاهرة التنجيم والقائلين به . . ومن هذه الروايات تلك التي تقول أنه لما وُلد شمر بن أفريقيس بن أبرهة قال المنجمون : « إنه يموت بين جبلي حديد » ، وكان كذلك[2] .

ومنها ، إن صحت الرواية ، ما حكوه عن قيصر ، ملك الروم ، أنه لما بعث إلى قسّ بن ساعدة الأيادي ، وكان هذا أحد حكماء العرب ، وخطبائهم في الجاهلية ، قال : « خبرّني ، هل نظرت في النجوم ؟ فقال قس : ما نظرت فيها الاّ في ما أردت الهداية ، ولم أنظر في ما أردت به الكهانة ، وقد قلت في النجوم :

علم النجوم على العقول وبال ... وطلاب شيء لا يُنال ضلال
ماذا طلا بك علم شيء أغلقت ... من دونه الأفلاك ، ليس ينال
هيهات ما أحد لغامض قدرة ... يدري كم الأرزاق والآجال
إلاّ الذي فوق السماء مكانه ... فلوجهه الإكرام والإجلال[3]

ومنها أيضاً ، إنه لما أمر تبّع ، ملك اليمن ، بنقل البيت إليه من مكة ، في الجاهلية ، ابتلي بجسده فقال لمنجّميه : انظروا ؛ فقالوا : لعلّك أردت بيت الله بشيء ؟ قال : نعم ، أردتُ أن يُنقل إليّ . فقالوا : لا يكون هذا ، ولكن اكسه ، وردّهم عن ذلك ؟ ثم كساه ، فبرىء »[4] .

وذُكر أن مسيلمة ، قبل تنبّه ، كان يطوف في أسواق العرب والعجم بالجاهلية كسوق الأبلة وسوق الأنبار والحيرة ، فيلتمس تعلم الحيل

---

(١) أمين ، أحمد : فجر الاسلام ، ص ١٣١ ـ ١٣٢ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٩٦٩م .

(٢) البيهقي ، إبراهيم بن محمد : المحاسن والمساوىء ١٨٤/١ ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها ، ١٣٨٠هـ /١٩٦١م .

(٣) البيهقي : المحاسن والمساوىء ٢٠/٩ .

(٤) ابن طاووس : فرج المهموم ، ص ٢١٢ .

« النيرنجات » واختيارات النجوم والمتنبئين ، واختيارات الكاهن والعائف والساحر ، وصاحب الجّن الذي يزعم أنّ معه تابعه[1] .

ويُقال أن رجلاً عائفاً من العرب اسمه السائب ، كان واحداً من ستين رجلاً من الحزاة والكهنة والسحرة والمنجمين كانوا يحضرون مجلس كسرى ، فيتعافون له ويتكهنون ، وينظرون إلى النجوم . وكسرى هذا ، هو الذي كاد أن يهلك في دجلة ، وسقط الطاق[2] ، على سرير ملكه ، فأمر بقتل عددٍ من المنجمين والكهان والسحرة لأنهم لم يعرفوا سعده من نحسه ، وكانوا يقولون له : « إن الأمر استغلق علينا ، ويبدو أن نبيّاً بُعث ، والسماء أغلقت علينا علومنا »[3] .

وذُكر أن قيس بن نشبة تألّه في الجاهلية ، وكان منجماً ومتفلسفاً ، وهو الذي أخبر بمبعث النبي (ص) . . وتقول الرواية إن قيساً جاء النبي (ص) لما بُعث ، فسأله عن عدد من الأمور فاعترف له بالنبوءة[4] . ولربما مثّل الكاهن في الجاهلية ، وإلى حدٍ ما ، دور المنجم الذي ينظر في السماء ، فيستطلع الغيب ويخبر ما هو كائن وما يكون . . فعن ابن عباس ، قال : « كان في الجاهلية كهنة ، ومع كل واحد شيطان ، فكان يقعد من السماء مقاعد للسمع ، فيستمع من الملائكة ما هو كائن في الارض ، فينزل ويخبر به الكاهن ، فيفشيه الكاهن إلى الناس .

ولما بُعث محمد (ص) منع الشياطين ذلك ، وحرست السماء والنجوم ،

---

(١) الجاحظ : الحيوان ، ص ١٢٩ ، جزء٤ ، مجلد ٢ . شرح وتحقيق د . يحيي شامي ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت ١٩٨٦م .
وسوق الابلة : سوق قديمة كانت تقام في جنوب العراق . والانبار : آثار مدينة في العراق على الفرات ، فتحها المسلمون عام ٦٣٤م ، ثم جعلها أبو العباس السفاح عاصمة الدول العباسية . والحيرة : قاعدة الملوك اللخميين بين النجف والكوفة . كان أهلها من المسيحيين طرة . فتحها المسلمون عام ٦٣٣م ، و« النيرنجات » ضربٌ من الألعاب السحرية . واللفظة مأخوذة من نيزنك الفارسية . أما العائف فهو الذي يقوم بالعيافة ، وعيافة الطير : زجرها بقصد التشاؤم أو التفاؤل بطيرانها .

(٢) الطاق : اسم يُطلق على آثار القصر الضخم الذي أقامه كسرى أنوشروان ، جنوبي بغداد على أنقاض مدينة قطسيفون أو طيسفون القديمة .

(٣) الطبري : التاريخ ١٤٤/٢ .

(٤) لسان العرب ٥٨٦/١١ .

على ما جاء في التفسير[1] . والذي يتبيّن لنا ، أنه كان لعبادة بعض العرب عدداً من الآلهة السماوية ، أثر في اعتقادهم بأن ثمة سلطة وتأثيراً لهذه النجوم التي أناطوا بها ، ويعدد من المنازل والبروج ، الكثير من الحوادث ، والمقدّرات والأمور[1] .

صحيح أن العرب ، على الرغم من الوثنية التي غلبت عليهم ، لم يعرفوا « ميثولوجيا » يحاكون بها التي عرفها اليونان والمصريون ، ولا علماً بالفلك ، وبتكوين الأرض ، كما عند البابليين ، ولا قصصاً اسطوريا يتمثل فيه الصراع بين الخير والشر ، أو بين الآلهة والشياطين ، ولا آلهة متعدّدة تتجسّد فيها المثل والأفكار والمعاني كما عند الرومان واليونان[3] ، إلّا أن الصحيح كذلك هو أن ثمة مزاعم واعتقادات وروايات ذات ملامح أسطورية ، وإن شئت فقل إنها خرافات ذات أصل أسطوري ، وصلت إلينا عن الجاهليين ، وهي ذات صلة بالنجوم ، ولا تخلو من فكرة تجسيدية ، أو قل هي أرواح إلهية ذات قدرة وتأثير تُذكر بتلك التي وعتها ذاكرة الشعوب ، وبالأخص تلك التي تعود إلى أصل هندي أو يوناني أو مصري[4] .

ومن هذه الخرافات والاعتقادات مثلاً تلك المنبثقة عن خسوف القمر وكسوف الشمس ، والتي تتمثل بالنفخ بالأبواق ، وقرع الطبول ، وضرب الصنوج ، والآلات المعدنية وذلك من أجل تخويف الحوت أو التنين الذي أخذ يمسك بالشمس ، وهم يقولون : « يا رب خلصها » ، ويتواصل القيام بهذا العمل ، ولا ينتهي إلّا بعد جلاء الشمس وهزيمة الحوت أو التنين ، كما كانوا يزعمون[5] . . وهذا إن دلّ على شيء فإنه يدل على أن الشمس والقمر في

---

(١) الطبرسي : مجمع البيان ١٦/٤ .
(٢) اليازجي : كمال : أعلام الفلسفة العربية ، ص ١٥ .
(٣) زايد ، عبد الحميد : مجلة عالم الفلك ، ص ١٧٢ ، مجلد ٦ ، عدد ٣ . الكويت ١٩٧٥ .
وذلك في مقالته : (من أساطير الشرق الادنى القديم) .
(٤) زيدان ، جرجي : تاريخ آداب اللغة العربية ١٧٩/١ .
(٥) الراغب الاصبهاني : محاضرات الأدباء ١٥٥/١ ، وانظر أيضاً : مقالة سيّد نوفل ، بعنوان : « القمر في الشعر العربي القديم » وذلك في مجلة الهلال ، ص ١١ . عدد ديسمبر ـ كانون الاول ـ ١٩٧٢م .

اعتقادهم ، شيئان مقدّسان تتمثل فيهما خصائص الكائن الحي لجهة الإحساس بآلام المخاض . ويتعزز هذا القول إذا علمنا أن الشمس كانت ربّة معبودة عند بعض العرب ، ولا سيّما عرب الجنوب ، وكانت تتمثل بصنمٍ يحمل بيده جوهراً على لون النار ، وله بيت يقوم على خدمته السّدنة والحجبة ، كانوا يأتونه زائرين متبركين ومستشفعين ، شفاء من علّة أو وفاء لنذر[1] ؟ . . ويحدثنا التاريخ عن سجود العرب للشمس تعظيماً لها ، وتقديساً ، كلما توسّطت السماء ، وكلّما أشرقت تارة ، أو غربت ، تارة أخرى[2] . كما يحدثنا عن البناء الذي أقامته العرب للإله « شمس » في حمير ، حوالي القرن الرابع قبل الميلاد وعن البطن الذي يُقال له عبد شمس ، وعن التدمريين الذين عبدوا الإله شمس في حمص بالذات ، والتي كانت في يوم من الأيام تحت سيطرة سلالة عربية كانت تقوم بسدانة هذا الإله ، وحجابته[3] ، حتى قيل إن القيصر « أورليان » لما غزا تدمر واحتلّها في أواخر القرن الثالث الميلادي ، نقل معه الإله « شمس » العربي إلى روما »[4] .

ولقد ألمح القرآن الكريم إلى أن عرب حمير قبل أن يتهودوا كانوا يعبدون الشمس وذلك في قوله تعالى : ﴿ **وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله** ﴾[5] . ورد هذا الكلام على لسان الهدهد متحدثاً عن بلقيس ، وفي مروج الذهب للمسعودي ، فإن أهل مأرب عبدوا الشمس ، وإن عاداً عبدت القمر[6] . ويثبت ذلك قوله تعالى ناهياً عن عبادتها ﴿ **ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر ، لا تسجدوا للشمس ولا للقمر ، واسجدوا لله الذي خلقهنّ** ﴾[7] .

---

(١) الألوسي : بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب ٢/٢١٥ ـ ٢١٦ . ط ٣ ، شرح وتصحيح وضبط محمد بهجت الاثري . دار الكتاب العربي . القاهرة ١٣٤٢هـ .
(٢) الألوسي : بلوغ الأدب ٢/٢١٦ .
(٣) مجلة المورد العراقية ، ص ١٠٢ ، العددان ٣ و٤ . بغداد ١٩٧٢م .
(٤) المرجع نفسه ، ١٠١ ـ ١٠٢ .
(٥) الآية ٢٤ ، من سورة النحل .
(٦) المسعودي : مروج الذهب ومعادن الجواهر ٢/١٥٤ .
(٧) الآية ٤١ من سورة فصّلت ، القرآن الكريم .

وتحدثت العرب عن صنم لعذرة اسمه الشمس ، يثبت ذلك تسمية أبنائهم بـ « عبد شمس » و« عبد الشارق » و« عبد المحرّق » . والشارق والمحرق اسمان صفتان للصنم « الشمس » وتسمية الشمس بـ « الألهة » و« آلهة » ودلالة على تعظيم العرب لها وعبادتهم إياها يدل عليها ما قيل في ذلك من شعر ، ومنه :

تروّحنا من اللّعباء قصرا وأعجلنا الآلهة إن تؤوبا[1]

أما تأنيثهم للشمس ، وتسميتهم إياها بالألهة ، فلأن اللات كما يقول مسكويه ، اسم من أسمائها « فيجوز أن يكون أنثوها لهذا الاسم ، ولاعتقادهم أنها بنت من بناته ، بل هي أعظمهنّ عندهم »[2] .

أما القمر فاتخذت العرب له صنماً على شكل عجل وبيده جوهرة ، وكانوا يأتون للزيارة مزوّدين بالطعام والشراب ، فيقيمون عنده أياماً معلومة في الصوم والصلاة والعبادة والرقص والغناء[3] . ولقد قيل إن كنانة عبدت القمر ، وإن كان ثمة من المستشرقين من يذهب إلى أن عبادة القمر كانت خاصة بعرب الجنوب ، وإن القمر كان مقدماً على الشمس ولذا كان مذكراً فيما هو مؤنث عند البابليين[4]

ولقد جعلت العرب للقمر أصناماً منها « ودّ » الذي ورد ذكره في القرآن الكريم ، وكان على رأس الألهة في سبأ ، ثم إن عبادته إنتقلت إلى عرب الشمال في الحجاز قبل أن يأمر النبي ص) بهدمه[5] . ويُقال إن هبل كان إلهاً قمرياً

---

(١) ابن سيدة : المخصص ١٩٢ . المكتب التجاري للطباعة . بيروت . وهذا البيت من الشعر يُنسب لمية بنت أم عتبة بن الحارث . واللعباء : موضع بناحية البحرين .

(٢) مسكويه وأبو حيان التوحيدي : الهوامل والشوامل . ص ٢٦٨ .

(٣) الألوسي : بلوغ الأدب ٢/٢١٦ .

(٤) انظر : مقالة سيد نوفل ، بعنوان « القمر في الشعر العربي القديم » ص ٧ ـ مجلة الهلال . عدد ديسمبر ١٩٧٢م .

(٥) نفسه ، ص ٨ . أما الآية التي ورد فيها ذكر الصنم (ودّ) مع كل من : سواع ويغوث ويعوق ونسر فهي الآية الثالثة والعشرون من سورة نوح ، وهي التالية : ﴿ وقالوا لا تذرنّ آلهتكم ولا تذرنّ وداً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسرا ﴾ .

قديماً ، وانه كان ربّاً للكعبة التي كانت تضمّ تمثاله[1] . ولربما تأثر عرب الشمال بالأراميين وبالصابئة بقايا الكنعانيين فعبدوا الكواكب حيناً من الدهر ، وكانت عبادتهم هذه تقوم على أساس ثالوث هو القمر ، وكان اسمه عند المعنيين وداً ، والشمس وهي زوجه ، وكان اسمها اللّات ، والزهرة ولدهما ، وهي عشتر ، أو العزّى التي ورد ذكرها مع اللات ومناة في القرآن الكريم[2] .

ولقد بنت العرب للكواكب هياكل ومعابد متأثرين بالصابئة في حران . . وذهب قوم منهم إلى أن البيت الحرام بمكة كان بيتاً لزحل ، وإنما طال عندهم بقاء هذا البيت على مرّ الدهر معظماً ، لأنه بيت زحل ، وزحل من طبعه البقاء والثبات[3] .

ويستفاد كذلك أن بيت غمدان بصنعاء[4] ، إنما بناه الضحاك على اسم الزهرة كما يستفاد أيضا أن بعض العرب المجاورين لبلاد الشام والعراق ، كانوا يعبدون الزهرة ، لا بل أنها كانت معبودة عرب الشمال بأجمعهم . ولقد قيل أن قوماً من لخم وجرهم عبدوا المشتري وأنهم كانوا يسجدون له ، وأن قريشاً وبعضاً من قبائل لخم وقضاعة عبدوا الشعرى العبور[5]. ويروى أن «أبا كبشة» كان أول

---

(١) بروكلمان : تاريخ الشعوب الاسلامية ١/٢٧ ـ ٣٣ ، دار العلم للملايين ، ط ٣ ، بيروت . نقله إلى العربية نبيه فارس ومنير البعلبكي ، ١٩٦٠م .

(٢) نفسه ١/١٨ . والآية التي وردت في القرآن الكريم هي الآية التاسعة عشرة من سورة النجم وهي التالية : ﴿ أفرأيتم اللات والعزى ﴾ تليها السورة العشرون وهي التالية : ﴿ ومناة الثالثة الاخرى ﴾ و« عشتر » قد تكون « عشتروت » الآلهة الأم عند الفينيقيين والمعينيون نسبة إلى معين ، الدولة القديمة في اليمن . ثم ورثتها دولة سبأ في القرن السابع قبل الميلاد . وإن شئت الاطلاع على قول بروكلمان بالفرنسية فانظر : Brockelman, c: Histoire des peuples et des Etats islamiques, 1 18, trad. Mitazerout, Payot, Paris 1949.

(٣) المسعودي : مروج الذهب ٢/٣٨٠ .

(٤) المصدر السابق ٢/٣٨٢ وبيت غمدان هو قصر غمدان الذي نُسب بناؤه إلى سليمان الحكيم أو الزباء . ويُقال إن الأحباش هدموه سنة ٥٢٥ م وإنه كان مؤلفاً من عشرين طابقاً وأن سيف بن ذي يزن رمّمه وأقام فيه سنة ٥٧٠م .

(٥) الحوت ، محمود سليم : في طريق الميتولوجيا عند العرب . ص ٨٧ . ط ٢ . دار النهار للنشر . بيروت ١٩٧٩م .

من عبد النيّر الأعظم ، أي الشعرى العبور ، وأنه كان يقول : « الشعرى تقطع السماء عرضا ، ولا أرى في السماء شمساً ولا قمراً ولا نجماً يقطع السماء غيرها »[1] . . وجاء أيضاً أن طائفة من ربيعة عبدت المرزم وأن طائفة من تميم عبدت الدبران ، وأن بعضاً من طيء عبد سهيلاً ، وبعضاً آخر منها عبد الثريا ، وسُمّي بها فكان منهم عبد الثريا وعبد نجم والنجم يُكنى به عن الثريا على وجه الخصوص[2] .

ولا يفوتنا القول بأن العرب تميزوا في جاهليتهم بإتقان عدد من المعارف والعلوم « السرية » كالسحر والشعبذة وزجر الطير والفأل والطيرة والضرب بالرمل ، كما تميزوا بإتقانهم للكهانة والعيافة والفراسة والقيافة وما ضارعها مما تصح إضافته ونسبته إلى النجامة على سبيل المشاكلة ، بالنظر إلى وحدة الهدف الذي هو التنبؤ والاستدلال على الأشياء المغيّبة قبل حصولها[3] .

ولا شك في أنه لا يمكن الاطمئنان إلى صحة هذه العلوم والمعارف تمام الاطمئنان ، وإن كان ثمة ما لا يمنع من إصابة بعضها أحياناً ، عن طريق الصدفة ، والاتفاق ، ومن خطأ بعضها الآخر أحياناً أخرى ، وهذا ما حصل للنابغة الذبياني لما تجهز مع زبّان بن سيار الفزاري للغزو ، وأراد الرحيل ، فنظر إلى جرادة سقطت عليه فقال النابغة : « جرادة تجرد ذات لونين ، غيري من خرج في هذا الوجه » .

لكن زبّاناً لم يلتفت إلى طيرة النابغة وزجره ، فمضى في سبيله ، فلما رجع إلى الموضع الذي كان فيه ، ذكر للنابغة ما نال من السلامة والغنيمة ثم أنشأ يقول :

تخبّرَ طيره فيها زياد	لتجزره وما فيها خبير
أقام كأنّ لقمان بن عادٍ	أشار له بحكمته مشيرُ
تعلم إنه لا طير إلاّ	على متطيّرٍ وهو الثبور

---

(1) الألوسي : بلوغ الادب ٢ / ٢٣٩ .

(2) الحوت : في طريق الميتولوجيا عند العرب ، ص ٩٨ . والمرزم واحد المرزمين وهما مع الشعريين من نجوم المطر والانواء .

(3) مرّ معنا تعريف الكهانة والعيافة وزجر الطير . أما الفراسة فهي تثبت النظر وإدراك القيافة فهي تتبع الاثر . وأما الطيرة فهي ما يتشاءم به .

بلى شيء يوافق بعض شيء أحايينـاً وبـاطله كثيـر[1]

ومهما يكن من أمر ، فإنه كان لا بد من سؤال العائفين ، والرجوع إليهم لمعرفة الغيب . وهذا ما أشار إليه الحطيئة ، الشاعر الجاهلي بقوله :

ألم تسأل العيّاف إن كنت صادقاً غداة اللوى ما أنبـأتك البـوارح[2]

ولقد يظهر أثر الكواكب في بعض أعمال السحر أو العزائم التي كانوا يقومون بها عن طريق إستخدام الجن والشياطين ، والشخص الذي يتعاطى مثل هذه الأعمال يُقال له المخدوم ، ذلك أن الشياطين والأرواح والعمّار تجيبه إذا عزّم عليها ، وتقدم له الطاعة والولاء ، وتزوده بالمغيبـات . . وما على هذا المخدوم إلا التبّخر باللبان الذكر ، ومراعاة سير المشتري ـ لاحظ دور المشتري الكوكب في هذا الشأن ، والاغتسال بالماء القراح ، وترك الجماع ، وعدم أكل الزهومات ، والتوحش في الفيافي ، والإكثار من دخول الخرابات . . ومن هؤلاء المخدومين أو المعزمين في الجاهلية ، ذكروا عبد الله بن هلال الحميري ، الذي كان يُقال له صديق إبليس ، ومنهم « كدياس » الهندي ، و« صالح الموسوي »[3] .

ونحن إن شئنا التوضيح اكثر ، نقول إن العرب في الجاهلية ، وإن لم يهتدوا إلى التنجيم وفاقاً لطرق علمية ثابتة كما هي عند غيرهم من الأمم والشعوب ، لا سيما عند البابليين والفرس والهنود ، وإن لم يُعرف عنهم اهتمام بمباحثه ومناهجه الحسابية الراقية ، إلا أنهم عرفوا نصيباً وافراً من علم « الأنواء » ، وهو علم كما بيّنا آنفاً ، كان أقرب إلى الظواهر الجوية ، منه إلى كونه علماً تنجيمياً مبنياً على قواعد وأصول .

وإن كان هذا العلم في الواقع لا يخلو من دلالات تنجيمية ، وتأثيرات فلكية ، منها السعد ، ومنها النحس ، ومنها المحمود ومنها غير المحمود . وللدلالة

---

(1) الحيوان ٣٤١/٢ . ج٥ . ولقمان بن عاد أو عادياء : أحد المعمرين العرب في الجاهلية وإليه تنسب طائفة من الأقوال الحكيمة والأمثال والأخبار والأقاصيص .

(2) الحطيئة : الديوان ، ص ٣٢٧ ، دار صادر ، بيروت . ١٣٨٧هـ /١٩٦٧م .

(3) الجاحظ : الحيوان ٤٢٣/٢ . ج٦ . والعزائم جمع عزيمة ، وهي الرقية . والعمار جمع عامر ، وهم سكان البيوت من الجن . واللبان : الصنوبر . وهو الكندر كأنه لبن يتحلب من شجرة . والزهومات جمع زهومة ، وهي ريح اللحم السمين النتن .

على ذلك فإن نوء الدبران مثلا ، وهو النجم الذي يلي الثريا ، ويُقال له التابع ، والتالي ، والراعي ، والحادي ، والمجدح ، وهو نجم جد منحوس ، كانت العرب تتشاءم به كثيرا ، ونؤوه غير محمود ، قال الساجع : « إذا طلع الدبران ، يبست الغدران ، وتوقّدت الحزان ، وكرهت النيران ، واستعرت الذبّان ، ورمت بأنفسها حيث شاءت الصبيان »[1] وعلى ذكر نحوسة هذا النجم ، فإن المنجمين نصحوا بتحاميه ، ويمنع الزواج إذا كان القمر نازلا فيه[2] ، كما إنهم نسبوا إلى الزبرة وهي من منازل القمر الواقعة في برج الأسد ، طبيعة نارية، فقالوا إنها ومعها الغفر أيضا ، والسعود الأربعة ، من المنازل الخيرة والمباركة ، لكنهم إختلفوا في قلب العقرب ، وهو نجم أحمر وقاد يقع في برج العقرب وراء الإكليل ، فمنهم من قال إنه نجم سعيد ، ومنهم من يتشاءم به ، ويقول بنحوسته[3] . وعلى ذكر نوء الدبران الذي أسلفنا الحديث عنه ، فقد نُسب إلى النبي (ص) قوله : « لو ان الله حبس المطر عن الناس سبع سنين ، ثم أرسله لأصبحت طائفةٌ به كافرين ، يقولون : مطرنا بنوء المجدح ، أي الدبران[4] .

وانطلاقاً من مبدأ اعتقاد العرب بقدسية النجوم ، فإنه توافر لهم عدد من الخرافات المتعلقة بالشمس والقمر وسائر النجوم ، منها أن الدبران ، وما زلنا بصدد الحديث عنه ، خطب الثريا ، ولما أراد القمر أن يزوجه بها ، أبت هذه عليه ، ثم ولّت عنه قائلة : « ما أصنع بهذا السبروت ، أي القمر ، الذي لا مال له ؟ فجمع الدبران حينئذٍ قلاصه ، وهي نجوم صغار تسبق الدبران في السماء ، وراح يتجول بها ، فهو يسبقها حيث توجهت ، سائقاً صداقة قدّامه » . وإلى هذا المعنى أشار طفيل الغنوى ، الشاعر الجاهلي بقوله :

---

(١) ابن قتيبة ، عبد الله بن مسلم الدينوري : الأنواء في مواسم العرب ، ص٣٩ ، ط ١ ، حيدر آباد . الدكن ، الهند ١٣٧٥هـ /١٩٥٦م .
(٢) أحمد ، إمام ابراهيم : تاريخ الفلك عند العرب ، ص ٨٣ ، ط ٢ . الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٥م .
(٣) نفسه ، ص ٨٥ .
(٤) التوحيدي : أبو حيان : الإمتاع والمؤانسة ٢/٨ .

أما ابن طوق فقد أوفى بذمّته   كما وفى بقلاص النجم حاديها[1]

أما الجدي في منطقة السماء الشمالية ، فقالوا إنه قتل نعشاً « فبناته تدور به تريده »[2] . . وأما سهيل في السماء الجنوبية فزعموا أنه « ركض الجوزاء » وأن الشعرى اليمانية كانت برفقة الشعرى الشآمية ففارقتها ، ثم عبرت المجرة ، فسُمّيت « بالشعرى العبور » ، فلما رأت الشآمية فراقها إياها ، بكت عليها حتى غمصت عينها فسُميت « الشعرى الغميصاء »[3] . ولذا فإنه جاء في أمثال العرب : « قد يقع بين الأخوين من الخلفاء ما وقع بين الشعريين : العبور والغميصاء »[4] .

وسهيل هذا الذي طرحته الجوزاء بعيداً عنها في سماء الجنوب ، وهو يرى بوضوح في اليمن وجنوبي الحجاز ، قالوا أنه كان عشّاراً على طريق اليمن ، وكان ظلوما ، فمسخه الله كوكباً[5] . وزعموا أن الفضيح يفسد بطلوعه ، فكأنه يبول عليه فيفسده ، ولذا قال الراجز على سبيل الاستعارة :

بال سهيل في الفضيخ ففسد[6]

والأعرابي إذا رأى سهيلاً ، لطم عين فصيله ، وهو يقول : « ما لك عندي قطرة » وذلك لأن الفصيل يمنع من أمه في الزمن الذي كان يطلع فيه سهيل ، ولذا قالت العرب : « إذا طلع سهيل ، طال الليل ، ورفع الكيل ، وللفصيل الويل »[7] . ولقد زعموا أن أنثى الحيوان إذا تعسّرت ولادتها ، نظرت إلى القطب الجنوبي ، وإلى سهيل ، فإنها تضع في الحال[8] ، كما زعموا أن من به « الماليخوليا » وهي تشبه الصّرع ، فلينظر اليهما عدة مرات ، فيزول المرض

(1) محاضرات الأدباء ٥٤٢/٤ . وانظر ايضا : الخصائص ، لابن جني ، ٣٧٠/١ ، ط ٢ ، دار الهدى ، بيروت . تحقيق محمد علي النجار . وطفيل بن عوف الغنوى ، شاعر جاهلي ، اشتهر بوصفه الخيل وعُرف بطفيل الخيل .

(2) الميداني : مجمع الامثال ٤٠٧/٢ .

(3) نفسه ٤٠٧/٢ .

(4) الزمخشري : ساس البلاغة ، ص ٤٥٦ . دار المعرفة . بيروت ٢٣٩٩هـ / ١٩٧٩م .

(5) ابن منظور : لسان العرب ٣٥٠/١١ . والعشّار : آخذ العشر وملتزمه .

(6) لسان العرب ٧٤/١١ . والفضيخ : شراب يُتخذ من البسر .

(7) المرزوقي : الازمنة والأمكنة ٢٤٤/٢ - ٢٤٦ .

(8) القزويني : عجائب المخلوقات ، ص ٧٠ .

عنه ، لا بل زعموا أن النظر إليهما يحدث لدى الناظر طرباً وسروراً ، ولهذا فإن صنف الزنج مخصوصون بمزيدٍ من الطرب لأنهم قريبون منهما[1] .

كما زعموا أن صاحب الظفرة في العين ، اذا أدام النظر فيهما ، زالت ظفرته ، وأن من انقطعت شهوة الباه عنده ، فلينظر إلى القطب الجنوبي عدة ليالٍ فإن شهوته تعود إليه[2] .

أما القطب الشماليْ فزعموا أن النظر إليه وإلى بنات نعش الصغرى بالذات ، يشفي من الرمد ، وأن بعض الحيوانات كالأسد والنمر والببر والدب ، إذا « قامت حيال هذا القطب ، وأطالت النظر فيه برأت من الوصب »[3] . وأما الثريا فتوهم بعضهم أن الله يسلط الجن على المياه ، عند طلوعها[4] .

وبشأن الصرفة ، وهي نجم نير في ذنب الأسد ، بل هي قلب الأسد نفسه ، وبشأن الهقعة ، وهي النجوم المجتمعة فوق الصرفة ، فنسجوا حولهما مزاعم أو خرافات شتى ، فقالوا إن الصبي إذا فُطم بنوء الصرفة ، « لم يكد يطلب اللبن » ، و« أن من ركب فرساً مهقوعاً ، وهو الفرس الذي فيه دائرة صغيرة يُقال لها الهقعة ، ثم عرق تحته ، اغتلمت امرأته »[5] وإلى هذا المعنى أشار الشاعر بقوله :

اذا عرق المهقوع بالمرء انعظت حليلته وازداد حراً عجانها[6]

أما النظر إلى السها ، وهو النجم الصغير جداً ، والملاصق للعناق فهو يؤمن من لسع العقرب ، ولدغ الحية ، لكن بشرط أن يقول الملسوع أو الملدوغ عند نومه : « أعوذ برب السّهيّة من كل عقرب وحية »[7] . . إلى ما هنالك من مزاعم واعتقادات بعضها شديد الصلة بما يقوله المنجمون ، وبعضها الآخر قد يخرج عن هذا النطاق ليكون من جملة الخرافات والأساطير التي راودت أذهان الشعوب

---

(١) المصدر السابق ، ص ٧١ .
(٢) عجائب المخلوقات ، ص ٧١ . .
(٣) نفسه ، ص ٥٣ .
(٤) نفسه ، ص ٧٧ .
(٥) محاضرات الأدباء ١/١٥٤ .
(٦) محاضرات الأدباء ١/١٥٤ . العجان : الإست . انعظت : اغتلمت .
(٧) عجائب المخلوقات ، ص ٥١ .

عامتها ، إبّان طفولتها وبداوتها .

في عصر صدر الاسلام :

المقصود بعصر صدر الاسلام ، العصر الذي شهد ولادة الدعوة الإسلامية ، وإقامة حكومتها بقيادة محمد (ص) ، ثم بقيادة الخلفاء الراشدين الأربعة من بعده . والمقصود بعصر بني أمية ، العصر الذي تلا عصر صدر الاسلام ، وحكم فيه بنو أمية بدءاً بمعاوية بن ابي سفيان ، وانتهاءً بمروان بن محمد آخر خلفائهم عام ١٣٢هـ / ٧٥٠م ، وهو العام الذي أديل فيه لبني العباس من الأمويين .

لن نتحدث عن أوضاع هذين العصرين حذر الخروج عن الموضوع ، لكن لا بد من الإشارة إشارة عابرة إلى الإنقلاب الذي أحدثه القرآن الكريم على صعيد تنظيم حياة العرب في الفكر والسياسة والاجتماع والخلق واللغة والدين ، ويهمنا منها جميعاً ما يتعلق بموضوعنا الذي نعالج ، عنيت التنجيم .

لقد شغل العرب بالدين الجديد ، وصار لهم دستور ينظم حياتهم ، هو القرآن الكريم ، الذي قلب موازين العرب فأرسى قواعد المجتمع الحديث على أسسٍ ثابتة من التشريع الذي شمل مختلف جوانب الحياة .

ولئن عرف المسلمون في ظل حكومة الإسلام بقيادة النبي وخلفائه الأربعة بعده ، نوعاً من الاستقرار السياسي والإجتماعي والديني ، إلاّ أن العرب ، منذ أن بدأت مرحلة الحكم الأموي ، سرعان ما عادت إلى بعض الأخلاق الجاهلية ، واستيقظت فيهم النزعة القبلية والعصبية ، وذرّ النزاع السياسي والحزبي قرنه ، الأمر الذي انعكس سلباً على الحياة بمجملها ، فطبعها بطابع غلب عليه القهر والبداوة واللهو والبذخ ، وذلك على الرغم من مظاهر التدين ، وشيوع مظاهر الحضارة في أكثر من مدينة وإقليم ، وعلى الرغم من رقي الحياة الأدبية والفكرية بتأثير من معطيات الدين الجديد ، وهذا ما ظهر أثره واضحاً في العلوم الشرعية واللسانية وعلم الحديث ، إضافة إلى وجود عوامل أخرى ساعدت على مثل ذلك ، نتيجة لاختلاط العرب بغير العرب ، ونتيجة لشيوع الكتابة وابتداء عصر التدوين[1] .

---

(١) أمين ، احمد : فجر الإسلام ، ص ٧٩ ـ ٨٣ .

والآن ماذا عن التنجيم في عصر صدر الاسلام ؟

أ ـ في القرآن :

قلنا إن القرآن الكريم أحدث انقلاباً في حياة العرب ، لامس أوجه الحياة على اختلافها . لا سيما تلك المتعلقة بنظرة الإنسان إلى الكون ، وخلق السماء والأرض ، وخلق الشمس والقمر وسائر الكواكب التي هي عماد صناعة التنجيم ، ونقطة انطلاق المباحث الفلكية والاعتقادات التنجيمية .

لقد تضمن القرآن عدداً لا بأس به من الآيات التي تتحدث عن النجوم والشمس والقمر والشهب والبروج ، لا على سبيل الكهانة والعرافة والتنجيم ، لكن على سبيل التفكر في خلق الله ، وعلى سبيل الهداية والتعليم .

مع ذلك ، وبعيداً عن هذا كله ، فليس ثمة في الوقت ذاته ما يُشير صراحة إلى حرمة النظر ، صراحة في النجوم ، ولا إلى استحالة تعلم ما يمكن أن تدل عليه السيارات منها خاصة ، من آثار وأحكام ، وذلك عن طريق ملاحظتها ، وتتبع حركات سيرها ، وقراناتها بعضها مع البعض الآخر ، وحلولها في عددٍ من المنازل والبروج علماً بأن القرآن لم يشر إلى أن ثمة نجماً منحوسا ، وآخر غير منحوس ، وثالثاً هو في منزلة بين المنزلتين .

النجوم ، بداهةً ، آيةٌ من آيات الله الباهرة ، تدل على عظيم خلقه وقدرته ، تماماً كدلالة ما خلق من سماء وأرض ، وليل ونهار ، وإنسان وحيوان وجماد .

إنها تارةً مظهر من مظاهر الكون المعجز ، سخرها الله لتجري لأجل مسمى ، باعثةً على التفكر والتدبر والتأمل في ملكوت الله **﴿ والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم ﴾**[1] ، **﴿ وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار ﴾**[2] ، **﴿ والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ﴾**[3] ، **﴿ وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات**

---

(١) جزء ٢٣ ، يس ٣٨ .
(٢) ج ١٣ س ١٤ ابراهيم /٣٣
(٣) ج ٨ ، س ٢٧ ، الأعراف / ٥٤ .

بأمره ان في ذلك لآياتٍ لقومٍ يعقلون ﴾[1] ، ﴿ الله الذي رفع السماوات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمّى ﴾[2] . ﴿ ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر ﴾[3] .

وهي تارة ، مظهر ينّم عن الدقة في الصنع ، ويفصح عن الإتقان والإبداع ، ويدل على الزمان والحساب ﴿ الشمس والقمر بحسبان ﴾[4] ، ﴿ ولتعلموا عدد السنين والحساب ﴾[5] . وهي طوراً واحدة من مخلوقات الله التي تسجد له وتسبّح بحمده ﴿ ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الارض ، والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس ﴾[6]، وهي طوراً آخر ، وسيلة تعلم ، وعلامة اهتداء في ظلمات البر والبحر ﴿ وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر ﴾[7] ، ﴿ وعلامات وبالنجم هم يهتدون ﴾[8] ، وهي آونة ، مظهر جمال وزينة ﴿ إنّا زيّنا السماء الدنيا بزينة الكواكب ﴾[9] ، ﴿ ولقد جعلنا في السماء بروجاً وزيناها للناظرين ﴾[10]. ﴿ ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح ﴾[11]، وهي آونة اخرى ، آيةٌ من آيات الله الباهرة ، يقسم بها الله ﴿ فلا أقسم بمواقع النجوم ﴾[12]. أي أقسم ، إلى ما هنالك من آياتٍ أخرى تدور في معظمها في سياق الموضوع ذاته تقريبا . .

ولقد يُفهم من بعض التفاسير أن عدداً من الكواكب السيارة ألمح إليها القرآن من دون ذكر أسمائها كما في قوله تعالى متحدثاً عن إبراهيم ﴿ فلما جنّ عليه

(١) ج ١٩ ، س ٢٧ ، النحل / ١٢ .
(٢) ج ١٣ ، س ١٣ ، الرعد / ٢ .
(٣) ج ٢٤ ، س ٤١ ، فصلت / ٣٧ ،
(٤) ج ٢٧ ، س ٥٥ ، الرحمان / ٥ .
(٥) ج ١٤ ، س ١٧ ، الاسراء / ١٢ .
(٦) ج ١٧ ، س ٢٢ ، الحج / ١٨ .
(٧) ج ٧ ، س ٦ ، الانعام / ٩٧ .
(٨) ج ١٤ ، س ١٦ ، النحل /١٦ .
(٩) ج ٢٣ ، س ٣٧ ، الصافات / ٦ .
(١٠) ج ١٤ ، س ١٥ ، الحجر / ١٥ .
(١١) ج ٢٩ ، س ٦٧ ، الملك / ٥ .
(١٢) ج ٢٧ ، س ٥٦ ، الواقعة /٧٥ .

الليل رأى كوكباً قال هذا ربي ﴾[1] ، إذ جاء في التفسير أن الكوكب الذي رآه إبراهيم ، هو الزهرة ، وقيل هو المشتري ، وأنه ، أي إبراهيم جارى قومه ، فافترض ربوبيتها ، وربوبية كل من الشمس والقمر ليدحض بذلك ما كانوا يعتقدونه فيها من الربوبية ، وليصل بهم إلى عبادة الله الواحد خالق الشمس والقمر وما في السماء من نجوم . . يدل على ذلك قوله تعالى : ﴿ قال يا قوم إني بريءٌ مما تشركون . إني وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين ﴾[2] ، وقد يُقال إن قول إبراهيم ﴿ هذا ربي ﴾ إنما هو على سبيل الإنكار والإستخبار ، لا على سبيل الإقرار والإخبار .

وقد يُقال إنه زحل ، أي النجم الثاقب الذي ورد ذكره في الآية الرابعة من سورة الطارق ، كما جاء في بعض التفاسير ، وذلك لأن معنى الثاقب هو العالي ، وزحل بنظر قدامى الفلكيين أعلى الكواكب وأشرفها داراً ، وقد يُقال أنه الثريا ، وذلك لأن العرب كانت تُطلق عليها اسم النجم تارة ، المضيء على سبيل العموم ، وهو جماع النجوم[3] .

وأما بالنسبة إلى البروج فقد ورد ذكرها في القرآن الكريم على أنها منازل للشمس والقمر ، كما يبدو وعلى أنها محظوظة من الشياطين ، فهي رجوم لها ، قال تعالى : ﴿ ولقد جعلنا في السماء بروجاً وزيناها للناظرين . وحفظناها من كل شيطانٍ رجيم ، إلا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين ﴾[4] . وقال تعالى : ﴿ والسماء ذات البروج ﴾[5] ، وقال أيضاً : ﴿ تبارك الذي جعل في السماء بروجاً وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً ﴾[6] .

وفي التفسير ، كما في رواية أبي الجارود عن الصادق (ع) ، أن البروج هي الكواكب ، والبروج التي للربيع والصيف هي الحمل والثور والجوزاء والسرطان

---

(١) ج ٧ ، س ٦ ، الانعام / ٧ .
(٢) نظر : تفسير الميزان للطباطبائي ، حول تفسير هذه الآية وما قبلها من سورة الإنعام : ٧ / ١٦٠ ـ ١٧٥ .
(٣) الطبرسي : مجمع البيان ٣٠ / ١١٠ .
(٤) الآيات ١٦ ، ١٧ ، ١٨ من سورة الحجر .
(٥) ج ٣ ، س ٨٥ ، البروج / ١ .
(٦) ج ١٩ ، س ٢٥ ، الفرقان / ٦١ .

والأسد والسنبلة ، والبروج التي للخريف والشتاء هي : الميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت[1] .

هذا ما ورد في القرآن الكريم ، ذكرنا بعضاً منه للدلالة على أن النجوم إنما هي آيةٌ من آيات الله الباهرة ، ومظهرٌ من مظاهر عظيمِ خلقه ، وبديع حكمته وقدرته ، إذ ليس هناك ما يُشير إلى دلالتها على الحوادث ، ولا إلى تأثيرها على الكائنات إن خيراً أو شراً وإن سعادة أو نحوسة كما أنه ليس هناك ما يشير إلى تأثيرها في تكوّن الطباع والأخلاق . . لكن ، في الوقت ذاته ، نتوصل إليه عن طريق الاستنتاج فنقول إن الله اختص نفسه ، وحده ، بعلم الغيب ، وما تخبئه الأقدار ﴿ **وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو** ﴾[2] ، ﴿ **وما تدري نفسٌ ماذا تكسب غداً وما تدري نفسٌ بأي أرضٍ تموت** ﴾[3] .

ب ـ في الحديث :

كان ذلك بعض ما ورد في القرآن ، فماذا في الحديث ؟

لقد نهى النبي (ص) في أكثر من مناسبة ، وبصراحة تامة عن الإعتقاد بالتنجيم ، وعن تعلمه ، ومجالسة أهله ، مثلما نهى عن جملة من الأمور ذات الصلة به ، كالعرافة والكهانة والسحر وما أشبهها . ففي رواية أبي داود عن ابن عباس أن النبي (ص) قال : « من اقتبس شعبة من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر »[4] ، والسحر كما هو معلوم من الأمور المرذولة في الإسلام ، وعن أبي جعفر ، الباقر ، عن آبائه ، أن النبي نهى عن عدة خصال منها : النظر في النجوم[5] ، والظاهر أن علم النجوم المنهي عنه في هذا الحديث هو ، على ما ذكر الخطابي ، ما يدل عليه أهل التنجيم ، من علم الكائنات والحوادث ، لا ما يعلم به أوقات الصلاة والقبلة ، وغير ذلك من الأمور المخالفة لاستطلاع الغيب ، أو

---

(١) الطباطبائي : تفسير الميزان ١٥ / ٢٣٧ .
(٢) أول الآية ٥٩ ، من سورة الأنعام .
(٣) الآية ٣٤ ، من سورة لقمان .
(٤) ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة للإمام علي بن أبي طالب ٤ / ٤٣١ . دار إحياء التراث العربي . بيروت .
(٥) الأنصاري ، مرتضى : المكاسب ٢ / ٣٠٥ .

التنبوء بالمستقبل[1] ، ومما يُنسب إلى النبي قوله أيضاً : « أخاف على أُمتي بعدي ثلاثاً : حيف الائمة ، والإيمان بالنجوم ، والتكذيب بالقدر »[2] ، وما يدل على هذا النهي ، قوله مخاطباً علياً ، كما في رواية عبد الله بن أبي بكر بن شاذان ، « يا علي ، أسبغ الوضوء ، وإن شقّ عليك ، ولا تأكل الصدقة ، ولا تنز الخيل على الحجر ، ولا تُجالس أصحاب النجوم »[3] ، ولا أدل على هذا النهي ، بل على حرمة التنجيم بمعناه الشائع عند أصحاب هذه الصناعة ، من الحديث الآخر المنسوب الى النبي (ص) إذ يقول : « من صدّق منجماً أو كاهناً ، فقد كفر بما أنزل الله على محمد »[4] . ولا عجب من أن يقترن اسم الكاهن باسم المنجّم حيناً ، كما في الحديث السابق ، وبالساحر حيناً آخر ، وبالعرّاف والزاجر والطارق والعائف والحازي ، حيناً ثالثاً ، وذلك لأن كلا من هؤلاء ، إنما ينبيء بالغيب على طريقته الخاصة محاولاً أن يُشارك في ذلك علم الله الذي اختص به نفسه دون البشر ، فلقد جاء في حديث آخر منسوب إلى النبي (ص) ، أنه قال : « من أتى كاهناً فصدقة بما يقول ، فقد كفر بما أُنزل على محمد »[5] ، وجاء في حديث أورده أبو حيان التوحيدي في (امتاعه) عن النبي أنه قال : « من أتى عرافاً ، أو طارقاً ، أو حازياً ، أو كاهناً ، أو منجماً ، يطلب غيب الله منه ، فقد حارب الله ، ومن حارب الله حرب ، ومن غالبه غلب »[6] .

وتأكيداً لحرمة الكهانة ، والنهي عنها ، وعن الإيمان بالأنواء والنجوم ، فثمة حديث آخر يقول : « إن الملائكة تنزل من العنان ، أي السحاب ، فتذكر الأمر قضي في السماء ، فيسترق الشيطان السمع فيسمعه ، فيوحيه إلى الكهان ، فيكذبون معها مائة من عند أنفسهم »[7] ، وعن أبي مسعود البدري أن رسول الله

(١) ابن عبد الوهاب ، محمد التوحيد الذي هو حق الله على العبيد ، ص ٦٨ ، إدارة المطبعة المنيرية بدمشق .
(٢) الدميري : حياة الحيوان الكبرى ١ / ١٣ . طبعة عبد الحميد أحمد حنفي . مصر .
(٣) الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ٧ / ٤٣٤ . دار الكتاب العربي ، بيروت .
(٤) الأنصاري : المكاسب ٢ / ٢٩٣ .
(٥) ابن عبد الوهاب : التوحيد ، ص ٧٣ ، والحازي : الذي ينظر في الأعضاء والغضون ، يتكهن .
(٦) أبو حيان ، التوحيدي : الإمتاع والمؤانسة ٨ / ٢ .
(٧) النووي ، يحيى بن شرف : رياض الصالحين ، ص ٤٥٢ ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

نهى عن ثمن الكلب ، ومهر البغي ، وحلوان الكاهن »[1] . وعنه أيضاً يقول : « لو أن الله حبس عن الناس المطر سبع سنين ، ثم أرسله ، لأصبحت طائفة منهم كافرين ، يقولون : مطرنا بنوء المجدح »[2] . أي الدبران ، وكنا عرضنا لهذا الحديث سابقاً .

وفي صحيح مسلم أن النبي (ص) صلى بالمسلمين صلاة الصبح بالحديبية إثر عارض ممطر ، فلما انصرف ، أقبل على الناس فقال : « هل تدرون ماذا قال ربكم ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : قال أصبح من عبادي مؤمن بي ، وكافرٌ بالكوكب ، وأما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا ، فذلك كافر بي ، مؤمن بالكوكب »[3] .

وفي صحيح مسلم أيضاً ، أن النبي (ص) قال : « من أتى عرافاً فسأله عن شيء ، فصدقه ، لم تقبل له صلاة أربعين يوماً »[4] ، وعن عمران بن حصين ، أن النبي (ص) قال : « ليس منا من تطير ، أو تطير له ، أو تكهن له ، أو سحر ، أو سحر له »[5] . وعن قبيصة بن الخارق قال : « سمعت رسول الله يقول : العيافة والطيرة والطرق من الجبت »[6] . وعن معاوية بن الحكم السلمي ، قال : قلت يا رسول الله : أمور كنا نصنعها في الجاهلية : كنا نأتي الكهان . قال : فلا تأتوا الكهان . قال : قلت : كنا نتطير . قال : ذاك شيء يجده أحدكم في نفسه ، فلا يصدقكم »[7] . لا ، بل إن الرقية ، والنشرة ، وهي ضرب من الرقية ، والعلاج يُعالج به من كان به ، أو ظن أن به مساً من الجن ، هي « من عمل الشيطان » كما ذكر جابر عن رسول الله ، حينما سُئل عن

---

(1) المصدر نفسه ، ص ٤٥٣ .

(2) أبو حيان التوحيدي : الإمتاع والمؤانسة ، ٨ / ٢ .

(3) مسلم : الصحيح ١ / ٥٩ . دار الآفاق الجديدة . والحديبية : وادٍ قريب من مكة اشتهر بالبيعة التي حدثت فيه وبالصلح الذي أبرم بين النبي (ص) وأهل مكة عام ٦هـ / ٦٢٧م .

(4) رياض الصالحين : ص ٤٥٢

(5) المصدر نفسه : ص ٧٤

(6) المصدر نفسه : ص ٤٥٢ . والجبت : اسم يُطلق على الصنم والكاهن والساحر ونحو ذلك .

(7) صحيح مسلم ٧ / ٣٥

النشرة[1] .

ولقد جاء في حديث رواه مسلم ، أن النبي (ص) قال : « لا عدوى ولا طيرة ، ولا هامة ولا صفر - أي النسيء إلى صفر - ولا نوء ولا غول »[2] ، وفي رياض الصالحين : « لا عدوى ولا طيرة ، ويعجبني الفأل . ولما سُئل عليه السلام ، عن الفأل ، قال : « كلمة طيبة »[3] .

وعن ابن عمر ، أن رسول الله (ص) قال : « لا عدوى ولا طيرة ، وإن كان الشؤم في شيء ، ففي الدار والمرأة والفرس »[4] .

وهنا نتوقف قليلاً لنقول إن التفاؤل والتطير اللذين يتمثلان في الاستدلال بحادثة ما على الخير أو الشر ، ثم يحصل ما يتوقع منهما ، نقول : إن مرد ذلك في أغلب الظن ، هو التأثير النفساني ، ليس إلاّ ، والنبي (ص) لم ينكر هذا الأمر أصلا ، لكنه فرّق بين الاثنين ، فدعا إلى التفاؤل ، وذلك في قوله « تفاءلوا بالخير تجدوه » ، ولما جاءه خبر تمزيق كسرى لكتابه المتضمن دعوته إلى الإسلام ، وخبر إرساله مع الرسول قبضة من تراب ، تفاءل النبي بذلك وقال : إن المسلمين سيملكون أرض فارس . كذلك لما أطل سهيل بن عمرو على المسلمين يوم الحديبية ، تفاءل النبي بذلك وقال : « سهل عليكم أمركم » .

وفي الحديث أيضاً : « ثلاث لا يسلم منها أحد : الطيرة والحسد والظن » ، قيل : « فما نصنع ؟ قال : « اذا تطيرت فأمضِ ، وإذ حسدت فلا تبغِ ، واذ ظننت فلا تحقق » ؟

وعن النبي (ص) قال : « كفارة الطيرة التوكل »[5] . وهنا يحضرنا قول الإمام جعفر الصادق بهذا الشأن : « الطيرة ما تجعلها ، إن هوّنتها تهونت ، وان

---

(١) رياض الصالحين ، ص ٧٥ .
(٢) صحيح مسلم ٧ / ٣٠ والهامة نوعٌ من البوم الصغير تألف القبور والأماكن الخالية ، وتُسمى الصدى . وبها كانوا يتشاءمون . والنسيء : التأخير . والغول : ما يتغير ألواناً من السحر والجن .
(٣) رياض الصالحين ، ص ٤٥٣ .
(٤) المصدر نفسه : ص ٤٥٣ .
(٥) الطباطبائي : تفسير الميزان ١٩ / ٧٧ .

شدّدتها تشددت ، وإن لم تجعلها شيئاً لم تكن شيئا »[1] .

هذا بعض ما ورد من أحاديث وروايات تنسب الى النبي (ص) يتضح منها النهي الصريح عن النجامة وعما شابهها مما يندرج في نطاق استطلاع الغيب واستنطاق خبر ما في السماء .

لكن ثمة روايات أخرى وأحاديث قد تبدو لأول وهلة ، متناقضة مع ما سلف من روايات وأحاديث ، إلّا أنها لا تخرج عن الأصل الذي تحدثنا عنه ، ومن ذلك أن النبي (ص) ذكر مولده الشريف بمقتضى علم النجوم ، فقال : « وُلدت بالسماك » . . . وحساب أهل النجوم أنه السماك الرامح ، وفي ثاني طالعه زحل ، فلم يكن له ملك ولا عقار[2] . لا بل إن جماعة من المنجمين راحوا يفصّلون القول في دلالة طالع النبي (ص) فذكروا أنه « هو الميزان ، وعطارد في برج ثابت ، وصاحب سهم الغيب في برج ثابت ، والمشتري في البرج نفسه ، وذلك يدل على أن نبوءته تبقى إلى يوم القيامة ، فتكون شريعته على الزيادة . . » . وذكروا أيضاً في طالعه أن الزهرة كانت في برج العقرب مع عطارد ، وهو برج القران ، مما يعني أن شريعته ستبقى إلى يوم القيامة[3] .

ومنها ما نسبه المستشرق الإنكليزي أدوار وليم لين ، إلى النبي (ص) من القول بأن ما يقوله المتنبئون يكون صحيحاً أحياناً ، وذلك لأن الجنّ تسترق السمع من السماء الدنيا ، إلى ما تقوله الملائكة فترجم بالشهب ، وأن شرار الجن ما زالوا يصعدون إلى السماء الدنيا ، ويأتون بأخبار الغيب إلى السحرة في الأرض[4] . وهذا في حد ذاته مصداق لقوله تعالى : ﴿ **ولقد جعلنا في السماء بروجاً وزيّناها للناظرين . وحفظناها من كل شيطان رجيم . إلاّ من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين** ﴾[5] . وجاء في تفسير هذه الآيات ، نقلاً عن

---

(١) المصدر نفسه : ١٩ / ٧٨

(٢) ابو حيان التوحيدي : البصائر والذخائر ، ص ٤٤٨ .
والسماك الرامح واحد السماكين ، وهو شديد اللمعان في السماء الشمالية ، أما الآخر فهو السماك الأعزل ، ويُقال له ساق الأسد ، أو عجزه مع ثلاثة أنجم أخرى من كوكبة العوّاء .

(٣) ابن طاووس ، محمد : الملاجم والفتن ، ص ١٩٩ .

(٤) مجلة المورد ، عدد ٤ ، مجلد ٨ ، ص ٥٩١ ، ١٩٧٩م .

(٥) الأيات ١٦ ـ ١٧ ـ ١٨ من سورة الحجر .

جرير بن عبد الله الذي سأل النبي عن السماء الدنيا ، والأرض السفلى ، فقال رسول الله (ص) : « أما السماء الدنيا فإن الله خلقها من دخان ، ثم رفعها ، وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً ، وزيّنها بمصابيح النجوم ، وجعلها رجوماً للشياطين ، وحفظها من كل شيطان رجيم »[1] ، ومثل هذا كثير ، نجده مؤكداً في أكثر من آية ، ولا سيما في الآيات السادسة حتى العاشرة من سورة الصافات . وهي تقول : ﴿ إنّا زيّنا السماء الدنيا بزينة الكواكب . وحفظناها من كل شيطان مارد . لا يسّمّعون إلى الملأ الأعلى ويقذفون من كل جانب . دحوراً ولهم عذاب واصب . إلاّ من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب ﴾ . ومنها أيضاً ما نُسب إليه من إيمانه بالخط ، إذ سُئل (ص) عن رجال يخطّون ، فقال : « كان نبي من الأنبياء يخط ، فمن وافق خطه فذاك »[2] ،

وأخيراً ، ومهما يكن من أمر ، فإن ما ورد على شاكلة هذه الروايات والأحاديث المنسوبة إلى النبي (ص) ، إن هي الاّ مجرد أخبار إن صحت نسبتها إليه فهي « لا تدل على أزيد من ابتنائها على حوادث مرتبطة بالدين توجب حسناً وقبحاً بحسب الذوق الديني ، أو بحسب تأثير النفوس » على حد تعبير الطباطبائي »[3] .

ج ـ في الواقع :

ذلكم هو الاساس ، في القرآن والحديث . فماذا في الواقع ؟ وهل استطاعت النصوص الدينية أن تصرف الناس عن الكاهن والزاجر والمنجم ؟ الجواب عن ذلك بالنفي .

مما لا ريب فيه ، استناداً إلى جملة من النصوص ، وطائفة من الأخبار والأشعار أن الأخذ بهذا الاعتقاد استمر على الرغم من حداثة العهد بالدين الجديد ، وصراحة النهي عن الإخبار بالمغيبات : ففي رواية تُنسب إلى أبي

---

(١) الطباطبائي : تفسير الميزان ١٢ / ١٤٨ .

(٢) صحيح مسلم ٧ / ٣٥ .

والمقصود بالخط هنا خط الكف أو خطوطه وغضونه ، بحيث يُصار إلى قراءة المستقبل عن طريق النظر فيها على سبيل التكهن .

(٣) الطباطبائي : تفسير الميزان ١٩ / ٧٤ ـ ٧٥ .

ذؤيب ، خويلد بن خالد الهذلي ، وكان جاهلياً أدرك الإسلام ، أنه لما اعتل رسول الله (ص) بالمدينة قال ابو ذؤيب : « في ليلة باتت النجوم بها طويلة الأناة ، لا ينجاب ديجورها ، ولا يطلع نورها ، فظللت أقاسي طولها ، وأقارع غولها ، حتى إذا كان دوين السحر ، وقرب السحر ، خفت ، فهتف هاتف وهو يقول :

خطب أجل أنـاخ بالإسـلام   أين النخيل ومعقد الآطام
قبض النبي محمد فعيوننا   تذري الدموع عليه بالتسجام[1]

قال ابو ذؤيب : فوثبت من نومي فزعاً ، فنظرت إلى السماء ، فلم أرَ إلاّ سعداً الذابح ، فتفاءلت به ذبحاً يقع في العرب ، وعلمتُ أن النبي قد قبض فركبت ناقتي ، فسرت ، فلما أصبحت ، طلبت شيئاً أزجره ، فعنّ لي القنفذ على صل فأوّلته انفتال الناس عن الحق ، على القائم بعد رسول الله ، ثم أوّلت أكل القنفذ له ، غلبة القائم على الأمر »[2] .

وفي رواية ساقها شارح « نهج البلاغة » وهو ابن أبي الحديد أن منجماً من أصحاب الإمام علي ، نهاه عن المسير من الكوفة إلى قتال الحرورية من الخوارج بالنهروان[3] ، في ساعة معينة ، وقال له : « يا امير المؤمنين ، لا تسر في هذه الساعة ، وسر على ثلاث مضين من النهار ، فإنك إن سرت في هذه الساعة ، أصابك وأصحابك أذى وضرر شديدان ، وإن سرت في الساعة التي أمرتك بها ، ظفرت وظهرت وأصبت ما طلبت » . . وتتابع الرواية القول أن الإمام علياً أنكر عليه ادّعاءه ، وقال مسفهاً قوله : « أتدري ما في بطن فرسي هذه ؟ أذكر هو ، أم أنثى ؟ قال المنجم : إن حسبت علمت . فقال علي : من صدقك بهذه فقد كذب بالقرآن : قال الله تعالى : ﴿ **إنّ الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام** ﴾ . . . الآية ، ثم قال : إن محمداً ما كان يدعي علم ما ادعيت علمه ،

---

(١) تسجام الدمع : سيلانه وانصبابه . والآطام ، جمع أطم ، وهو البناء المربع والمسطح .

(٢) الحموي ، ياقوت : معجم الأدباء ١١ / ٨٥ ـ ٨٦ . دار إحياء التراث العربي . والصل : حية خبيثة . وسعد الذابح أحد منازل القمر .

(٣) الحرورية ، نسبة إلى حروراء قرب الكوفة ، اجتمع فيها الخوارج فبايعوا عبد الله الراسبي . والنهروان ، اسم المحلة التي وقعت فيها المعركة وفيها انتصر الإمام علي على الخوارج .

أتزعم أنك تهدي إلى الساعة التي يُصيب النفع من سار فيها ، وتصرف عن الساعة التي يحيق السوء بمن سار فيها ؟ فمن حدثك بهذا فقد استغنى عن الاستعانة بالله جل ذكره ، في صرف المكروه عنه ، وينبغي للمؤمن بأمرك أن يوليك الحمد دون الله جل جلاله ، لأنك بزعمك هديته إلى الساعة التي يصيب النفع من سار فيها ، وصرفته عن الساعة التي يحيق السوء بمن سار فيها ، فمن آمن بك في هذا ، لم آمن عليه أن يكون كمن اتخذ من دون الله ضداً ونداً ، اللهم لا طير إلاّ طيرك ، ولا ضرّ إلاّ ضرّك ، ولا إلهَ غيرك » .

ثم إن الإمام توجه الى الناس بالقول : « أيُّها الناس إياكم والتعلم بالنجوم إلا ما يُهتدى به في ظلمات البر والبحر : إنما المنجم كالكاهن والكاهن كالكافر والكافر في النار » . وهنا توجه الإمام بالخطاب إلى المنجم قائلاً له : « أما والله لئن بلغني أنك تعمل بالنجوم ، لأخلدنّك السجن أبداً ما بقيت ولأحرّمنك العطاء ما كان لي من سلطان »[1] . . ومن بالغ حكمة هذا الخبر ، أن الامام علياً سار في الساعة التي نهى المنجم عن المسير فيها ، فظفر بأهل النهروان ، وظهر عليهم ، ثم قال معقبا : « لو سرنا في الساعة التي أمرنا بها المنجم ، لقال الناس : سار في الساعة التي أمر بها المنجم ، فظفر وظهر ، أما إنه ما كان لمحمد (ص) منجم ، ولا لنا من بعده ، حتى فتح الله علينا بلاد كسرى وقيصر ، أيها الناس توكلوا على الله ، وثقوا به ، فإنه لا يكفي من سوء سواه »[2] ،

وفي المصدر ذاته نجد أن الإمام علياً قال لمن نهاه عن محاربة القوم لأن القمر في العقرب : « قمرنا أم قمرهم ؟ ! » على سبيل التهكم والإزدراء[3] ، وإن كان نسب إليه ، إنه كان يكره أن يسافر أو يتزوج في محاق الشهر ، أو إذا كان القمر في العقرب[4] .

---

(١) ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة ٢ / ٢٠٣ . وانظر الخبر مفصلا في : أمالي الصدوق ، ص ٣٣٨ ـ ٣٣٩ وأمالي الصدوق للشيخ أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه المتوفى ٣٨١هـ . ط ٥ . مؤسسة الأعلمي . بيروت ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م .

(٢) ابن أبي الحديد : شرح النهج ٢ / ٢٠٣ .

(٣) المصدر نفسه ١٩ / ٤٣١ .

(٤) ابن أبي الحديد : شرح النهج ١٩ / ٤٣١ . وإن صح ذلك فقد يكون كره السفر لظلمة السماء . . وقد يكون كره الزواج لتأثير جاذبية القمر على الأبدان والأمزجة والأشياء .

ومن وحي النهروان أيضاً أن دهقاناً من دهاقين الفرس بالمدائن ، ويُدعى « سرسفيل » ، استقبل الإمام علياً ، فقال له : « يا أمير المؤمنين ، تناحست النجوم الطالعات ، وتناحست السعود بالنحوس . . . وإذا كان مثل هذا اليوم ، وجب على الحكيم الاختفاء ، ويومك هذا صعب ، قد اتصل فيه كوكبان ، وانقدح من برجك النيران ، وليس لك الحرب بمكان » مشطاً من عزيمة الإمام عن المضي لقتال القوم ، فردّ عنيه علي بالقول :

« ويحك يا دهقان ، المنبىء بآثار ، والمحذر من الأقدار ، ما قصة صاحب الميزان ؟ وقصة صاحب السرطان ؟ وكم من الطالع من الأسد ؟ والساعات في المحركات ؟ » .

قال دهقان : « سأنظر ، ثم أخرج من جيبه إسطرلاباً وراح يتأمل فيه . . فابتسم الإمام بسخرية ، ثم أردف يقول على سبيل التحدي والتعجيز : « أتدري ما حدث البارحة ؟ وقع بيت بالصين ، وسقط سور سرنديب ، وانهزم بطريق الروم بأرمينية ، وفُقد ديّان اليهود بأيلة ، وهاج النمل بوادي النمل ، وهُلك ملك أفريقية ، أكنت عالماً بهذا ؟ قال الدهقان : « لا يا أمير المؤمنين . فقال علي : البارحة سعد سبعون ألف عالم ، ووُلد في كل عالم سبعون ألف ، والليلة يموت مثلهم ، وهذا منهم ـ مشيراً الى سعد بن مسعدة الحارثي ، وكان جاسوساً للخوارج في عسكر علي ـ فظن سعد انه يقول : خذوه ، فأخذ بنفسه فمات ، فخرّ الدهقان ساجدا ، فقال له أمير المؤمنين : ألم أروك من عين التوفيق ؟ قال : بلى يا أمير المؤمنين »[1] .

وفي رواية ثانية أن الإمام علياً سأل الدهقان عن مسائل كثيرة من النجوم ، فاعترف الدهقان بجهلها ، فبين له الإمام ذلك بالقول : « أما قولك : انقدح من برجك النيران ، فكان الواجب ان تحكم به لي ، لا عليّ . أما نوره وضياؤه فعندي ، وأما حريقه ولهبه فذهب عني ، فهذه مسألة عميقة ، فاحسبها إذا كنت حاسباً »[2] .

(1) الطبرسي : الإحتجاج ١ / ٢٤٠ . ط ٢ . مؤسسة الأعلمي . بيروت . ١٤٠٣هـ / ٩٨٣م . وانظر الخبر ذاته في : فرج المهموم . ص ١٠٢ ـ ١٠٦ . والدهقان : لفظة فارسية تعني رئيس الإقليم . وأيلة ، هي اليوم إيلات على البحر الأحمر .
وسرنديب : اسم أطلقه العرب على جزيرة سيلان ، جنوبي الهند .

(2) المجلسي : بحار الانوار ٥٨ / ٢٢١ ، الحديث ٢ ، المطبعة الجديدة .

وفي رواية ثالثة ، أن الإمام علياً قال للدهقان : « احسبها إن كنت عالماً بالأكوار والأدوار » ، قال : « لو علمت هذا لعلمت انك تحصي عقود القصب في هذه الأجمة »[1] ، وفي رواية تنسب إلى عبد الرحمن بن سيابة ، أن الإمام علياً عقب القول : « هذا حساب إذا حسبه الرجل ، ووقف عليه ، عرف القصبة التي في وسط الأجمة ، وعدد ما عن يمينها ، وعدد ما عن يسارها ، وعدد ما خلفها ، وعدد ما أمامها ، حتى لا يخفى عليه من قصب الأجمة واحدة »[2] ، وقد يستفاد من هذه الرواية أن علياً لم ينكر علم النجوم في الاصل ، لكن علم ذلك غير متيسر إلاّ للقلّة من الذين يتقنونه ويقفون على أسراره .

وفي بحار الأنوار أيضاً عن عطاء ، أنه قيل للإمام علي : « هل كان للنجوم أصل ؟ قال : نعم ، نبي من الأنبياء قال له قومه : إنّا لا نؤمن بك حتى تعلمنا بدء الخلق وآجالهم ، فأوحى الله عز جل إلى غمامة فأمطرتهم ، واستنقع حول الجبل ماء صاف ، ثم أوحى الله عز وجل الى ذلك النبي أن يرتقي ، هو وقومه الجبل ، فقاموا على الماء ، حتى عرفوا بدء الخلق وآجالهم ، لمجاري الشمس والقمر والنجوم ، وساعات الليل والنهار » . وتتابع الرواية القول : إن أحدهم كان يعرف متى يموت ، ومتى يمرض ، ومن الذي يولد له ، ومن الذي لا يولد له ، فبقوا كذلك برهة من دهرهم ، ثم إن داوود قاتلهم على الكفر ، فأخرجوا على داوود في القتال ، ومن لم يحضر أجله ، ومن حضر أجله ، خلفوه في بيوتهم ، فكان يقتل من أصحاب داوود ، ولا يقتل من هؤلاء أحد ، فأوحى الله إليه : إني علمتهم بدء الخلق وآجالهم ، وإنما أخرجوا إليك من لم يحضره أجله ومن حضر أجله خلفوه في بيوتهم فمن ثم يقتل من أصحابك ولا يقتل منهم أحد . قال داوود : « ربِّ على ماذا علمتهم ؟ قال : فدعا الله عز وجل ، فحبس الشمس عليهم ، فزاد النهار ، ولم يعرفوا قدر الزيادة ، فاختلط حسابهم . . قال علي : « فمن ثم كره النظر في علم النجوم »[3] . وكنا قد أشرنا الى هذه الرواية من قبل ، لكن ، ليس تفصيلا . وهذا الحديث ، إن صحت نسبة إسناده الى علي ، يثبت قدم ما يعرف بعلم أحكام النجوم .

---

(١) المصدر السابق ٥٨ / ٢٣١ ـ ٢٣٢ ، الحديث ١٣ .
(٢) الكليني : الكافي ٨ / ١٩٥ ، طباعة طهران ١٣٧٧هـ .
(٣) المجلسي : البحار ٥٨ / ٢٣٦ . الحديث ١٧ .

وثمة روايات وأحاديث أخرى تعزّز مثل هذا الإتجاه ، منها حديث يُنسب إلى ابن عباس الذي يقول عن علم النجوم : « هو علم يعجز عنه الناس ، ووددت لو أني علمته » ، وفي رواية « أنه من علم النبوة ، وليتني كنت أحسنه »[1] .

وعن عكرمة ، أنه سمع ابن عباس يقول : « عجز الناس عنه ، ووددت أني علمته » . وعن عكرمة أيضاً أن ابن عباس سمع برجل يهودي يتكهن ويخبر بالحادثات ، فبعث إليه ، فجاءه اليهودي ، فقال ابن عباس : « يا يهودي ، بلغني أنك تُخبر بالغيب . قال : لك ولد ، وله عشر سنين ، وهو يختلف الى الكتاب ؟ قال : نعم . قال : فإنه يأتي غداً محموماً من الكتاب ، ويموت يوم العاشر ، وأما أنت ، فلا تخرج من الدنيا حتى يذهب بصرك . قال ابن عباس : هذا ما أخبرتني به عن ابني وعن نفسي ، فأخبرني عن نفسك . قال : أموت رأس السنة »[2] .

ويعقب عكرمة على الرواية ، فيقول متعجباً من صحة ما حصل : « فجاء

---

(1) ابن طاووس : فرج المهموم ، ص ١٢٢ .
وإنه ليحضرنا في هذا المقام أن نشير إلى بعض ما نُسب إلى الإمام علي من شعر يؤكد نسبة هذا العلم إلى الأنبياء والأوصياء ، وإن كنا نميل بقوة إلى التشكيك بأن يكون الإمام علي قال هذا الشعر ، نظراً لتناقضه مع موقف الإمام المعلن من التنجيم ، من جهة ، ونظراً لأن بيان هذا الشعر ونسقه وكلماته لا تنسجم وما عُرف عن الإمام علي من بلاغة قول وفصاحة تعبير ، ولعل هذا الشعر وُضع في عهودٍ متأخرة ، مع ما وُضع من شعر وسواه .
والشعر هو التالي كما ورد في (مجموعة ابن سينا الكبرى في العلوم الروحانية) :

لنعم اليوم يوم السبت حقا ... لصيد أن أردت بلا افتراء
وفي الاحد البناء لأن فيه ... تبدّى الله في خلق السماء
وفي الإثنين إن سافرت فيه ... تموت من المصائب والبلاء
وإن رمت الفصاد ففي الثلاثاء ... ففي ساعاته سفك الدماء
وإن شرب امرؤ منكم شراباً ... فنعم اليوم يوم الاربعاء
وفي يوم الخميس قضاء حاج ... فإن الله يأمر بالقضاء
ويوم الجمعة التزويج فيه ... نبيّ أو وصي الأنبياء

انظر : ابن سينا : المجموعة الكبرى في العلوم الروحانية ، ص ٧٨ ، مطبوعات عبد العزيز الكرم ، مصر .
(2) فرج المهموم ، ص ١١١ .

ابن عبد الله بن عباس محموماً من الكتّاب ، ومات في اليوم العاشر . فلما كان رأس السنة . قال ابن عباس : يا عكرمة ، أنظر ما فعل اليهودي ، فأتيت أعوده ، فقالوا : مات أمس » . ثم أن ابن عباس ما خرج من الدنيا حتى ذهب بصره[1] .

مثل هذه الرواية وما يشاكلها من روايات ، إن صحت ، فهي تدل على استمرار شيوع ما يُعرف بظاهرة الكهانة والتنجيم حتى في العصر الإسلامي ، وهي تكشف عن التأثير اليهودي في تعزيز مثل هذه الظاهرة ، أو هي ، على الأقل ، تدل على توارث هذا العلم واستمرار تدارسه وانتشاره في أوساط اليهود الذين كانوا « يسترون علم الطب ، وعلم النجوم ، فلا يعلّمونها لأولادهم لحاجة الملوك اليهما ، لئلا يكون سبباً لصحبة الملوك ، والدنو منهم ، فيضمحل دينهم »[2] على ما جاء في كتاب « فرج المهموم » ، وإن لم يكن هذا العلم وقفاً على اليهود ، بالضرورة ، إذ أن صاحب الكتاب نفسه ، يحدثنا عن آخرين من غير اليهود ، كانوا يتعاطون علم النجوم ، ومنهم أخو الاشعث بن قيس الكندي عفيف بن قيس ، أحد أصحاب الإمام علي في حرب النهروان[3] .

في العصر الاموي :

وإذا ما تجاوزنا عصر صدر الإسلام ، وأشرفنا على العصر الأموي ، نجد معاوية ، يطلب إلى دغفل بن حنظلة أن يعلم ولده يزيد العربية ، والأنساب والنجوم[4] . واستجاب المعلم لطلب سيده الخليفة ، فعلّم يزيد العربية ، والأنساب ، ولا نعلم إن كان علمه النجوم ، لكن الذي نعلمه جيداً أن خالد بن يزيد ، إثر الصدمة القاسية التي تلقاها بتنحيته عن الخلافة بعد معاوية الثاني ، أخيه ، اهتم اهتماماً بالغاً بعلم الصَّنعة ، وهو علم تحويل المعادن إلى ذهب ، فاشتغل ، كما ذكر الرواة ، بالصنعة ، ويُطلق عليها أيضا اسم « السيمياء » واسم الكيمياء العربية ، لأن معنى السيمياء يفيد مزج الإرادة بالمادة ، كما يفيد ما يعرف بسحر العيون .

---

(١) المصدر نفسه ، ص ١١١ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ١١٣ .
(٣) فرج المهموم ، ص ١٤٤ .
(٤) ابن طاووس : فرج المهموم ، ص ٢١٠ .

من المعلوم أن خالدا ، هذا ، كان أول من أمر بنقل الكتب العلمية وترجمتها وهي تبحث في الطب والنجوم والصنعة ، إلى العربية . ويُقال إن « اصطفن » الملقب بالإسكندراني ، كان نقل له ، وبالعربية أيضاً ، عدداً من الكتب منقولة عن القبطية واليونانية ، مما يثبت إتصال المسلمين في عهد مبكر ، بمدرسة الإسكندرية ، والأخذ عن أساتذتها الأفلوطينيين[1] .

واصطفن ، هذا ، كما ذكر ابن النديم ، هو اصطفن الراهب من الموصل ، وكان يُسمى ميخائيل ، وله عدة كتب في هذه الصناعة ، منها كتاب « الاختيار النجومي » للصنعة[2] . وبهذا يكون أول نقل في الإسلام قد تمّ على يد خالد بن يزيد بن معاوية الذي يُسمى بحكيم آل مروان ، والذي خطر بباله « الصنعة » كما يقول ابن النديم ، فأمر باحضار فلاسفة اليونان الذين ينزلون مصر ، وبنقل كتب الصنعة من اليونانية والقبطية إلى العربية[3] . وقد يكون اصطفن ، هذا ، هو اصطفن البابلي ، على ما ذكر القفطي ، الذي اعتبره أحد حكماء الكلدان في زمن بعثة الرسول (ص) ، وقال عنه إنه كان عالماً بتسيير الكواكب وأحكامها ، وله كتاب في أحكام النجوم[4] .

وقبل ختم حديث خالد نذكر أنه ينسب إليه ديوان في الصنعة والكيمياء يُعرف باسم « كتاب الفردوس » . ولهذا الكتاب مخطوطات عدة يتوزعها عدد من المكتبات في شتى أنحاء العالم[5] . وتجدر الإشارة أخيراً إلى أن ثمة عدداً من

---

(١) الفارابي : كلام الجمع بين رأيي الحكيمين ، ص ٤٧ ـ ٥٣ .
(٢) ابن النديم : الفهرست ١٠ / ٤٢٤ .
(٣) المصدر نفسه ٥ / ٣٠٣ .
(٤) القفطي : إخبار العلماء بأخبار الحكماء ، ص ٥٠ .
(٥) منها على سبيل المثال:
١ ـ ديوان خالد بن يزيد في الصنعة . مكتبة المتحف العراقي . رقم ٢١٢٣ .
٢ ـ فردوس الحكمة . المكتبة الشرقية . بيروت . الرقم ٢٥٥ .
٣ ـ منظومة في الكيمياء . المكتبة الوطنية . باريس . الرقم ٦٢٨١ .
٤ ـ ديوان خالد . المكتبة الظاهرية . دمشق . الرقم ٧٦١٤ .
٥ ـ المنتخب من ديوان خالد . مكتبة آيا صوفيا .
٦ ـ ديوان النجوم . مكتبة كوبدولو .

المستشرقين شكك في صحة هذا الديوان المنسوب إلى خالد ومنهم المستشرق (روسكا)[1] .

ويذهب سارطون إلى ما نسب إلى خالد بن يزيد من اهتمام بالصنعة والسيمياء ، وما نسب إليه أيضا من كتب تعالج مثل هذا العالم ، إنما هو عمل يغلب طابع الخيال عليه ، وينطبع بطابع الأسطورة إلى حدٍ بعيد ، وإن كان من غير المشكوك فيه أصلا ، أن خالداً أظهر منذ نعومة أظفاره ، ميلاً إلى تحصيل العلوم[2] ، وما الكتب التي زعم أنها له إلاّ من قبيل الكتب التي زعم أنها للإمام جعفر الصادق ، وهي تبحث موضوعات في الصنعة والكيمياء ، ويغلب عليها طابع الانتحال « حتى يتوفر دليل على صحة نسبتها إليه » حسب رأي جوليوس روسكا في كتابه (السيميائيون العرب) « Arabishe Alchemisten »[3] .

ويحضرنا في هذا المقام اسم آخر يضاف إلى اسم اصطفن الإسكندراني الذي ذكر أنه أطلع خالد بن يزيد على كتب الصنعة والسيمياء ، وترجمها له ، هو اسم سيرجيوس .الذي يظن أنه مار سيوجيوس السرياني ، أحد تراجمة العصر الأموي ، والذي كان معاصراً لمروان بن الحكم . . ويُقال إنه أول من ترجم إلى العربية كتاب « السرب » المنسوب إلى الحكيم اليوناني أبولونيوس النجار المولود عام ٢٥٠ق . م . ، والذي ذكره ابن جلجل في طبقاته[4] . وهذا الكتاب ، إن صحت ترجمة مارسيرجيوس له ، يكون باكورة الكتب التنجيمية بشكلها المنظم ، والتي كان لها أبعد الاثر في اطلاع العرب على ما يسمى بمباحث علم التنجيم . وهو كتاب تحدث فيه المؤلف عن علل الأفلاك والكواكب السبعة ، وعلى البروج الاثني عشر ، وعن الرياح وعلاقتها بالبروج ، وعن أشراف الكواكب وطبائعها ، والملائكة والأرواح التي في الأفلاك ، وعن البر ، والبرق والرعد وقوس قزح ، وعن دوران الأفلاك وعن المواليد الثلاثة وعللها ، وهي الحيوان والنبات

---

(١) مجلة معهد المخطوطات العربية . ص ٥٥٦ . مجلد ٢٦ . جزء ٢ . الكويت ١٩٨٢م .
(٢) شاخت وبوزورث : تراث الإسلام ، ص ٨٥ .
(٣) المصدر السابق ، ص ٨٧ .
(٤) لعله إبو كونيوس الطياني المار ذكره في حاشية سابقة ، ويُنسب إليه كتاب « سر الخلق » مخطوط في باريس ، ورسالة في التنجيم . ولعل المقصود بالشرب الأسرب وهو الطب .

والمعادن ، وعن أنواع المعادن والأحجار والأملاح . . أقول إن هذا الكتاب ، إن صحت ترجمته في العصر الاموي ، يعني أن المعايير أو المقاييس التي بنى عليها المنجمون معظم أحكامهم قد ظهرت في عصر متقدم على عصر بني العباس ، وأنها كانت إرهاصاً بذلك [1] .

ويُقال أيضاً إن سيرجيوس هذا هو ماسرجويه الطبيب الهندي ، أول معرّب للخلاصة الطبية المعروفة بالسريانية باسم (الكناش) ، وهو الكتاب الذي وضعه « أهرن » الطبيب الإسكندراني في عهد مروان بن الحكم ، وكان له تأثير كبير[2] .

والمهم في الأمر أن المنجمين في عهد بني أمية راحوا يشقون طريقهم إلى بلاط الخلفاء والولاة ليكونوا في بطانتهم فيحسب لهم حساب ويؤخذ بآرائهم وهذا ما فتح الباب واسعاً لمن جاء بعدهم من المنجمين في العصر العباسي يؤيد ذلك رواية تنسب إلى الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز وفيها أنه قال لمنجم رغب في أن يدله على نزول القمر في الدبران : « كأنك أردت أن تعلمني أنه في الدبران ؟ ! إنّا لا نخرج بشمس ولا قمر ولكنا نخرج بالله الواحد القهّار »[3] .

وفي رواية ثانية أنه قال لعمر بن عبد العزيز : انظر إلى القمر ، ما أحسنه ! فنظر عمر ، فقال : قد علمت إنك أردت نزوله بالدبران ، ونحن لا نتطير بذلك ولا نعتقده »[4] .

ومن الثابت في جملة معتقدات العرب ، أن الليلة التي يدخل فيها القمر بنجم منحوس ، كالدبران مثلا ، تُسمى ليلة الوكس ، ومن ذلك قول الراجز :

هيّجها قبل ليالي الوكس [5]

وفي أخبار الولاة ، أن الحجاج ، أحد أبرز ولاة بني أُمية ، هجره النوم

---

(1) انظر : كتاب (السر) للحكيم أبولونيوس ، مترجماً إلى العربية على يد سرجيوس ، ص ١٨٣ ـ ١٨٤ . وتوجد منه نسخة مخطوطة مودعة خزانة مكتبة المتحف العراقي ببغداد تحت رقم ١١٣٨١ .

(2) فخري ، ماجد : تاريخ الفلسفة الاسلامية ، ص ٢٧ . ترجمه عن الانكليزية د . كمال يازجي . الدار المتحدة للنشر . بيروت ١٩٧٤م .

(3) الدميري : حياة الحيوان الكبرى ٢ / ٩٨ . ط . عبد الحميد أحمد حنفي . مصر .

(4) المقري : نفح الطيب ٧ / ٢١٨

(5) الزمخشري ، محمود : أساس البلاغة ، ص ٦٨٧ .

والرقاد ، فلما احتضر قال لأحد المنجمين : « هل ترى ملكاً يموت ؟ قال : نعم أرى ملكاً يموت ! اسمه كليب . فقال الحجاج : أنا والله ، كليب . بذلك سمتني أمي . قال المنجم : أنت ، والله ، تموت . كذلك دلت عليه النجوم » فأمر الحجاج به فضربت عنقه[1] .

وفي محاضرات الراغب الأصبهاني ، أن الحجاج قال للمنجم : ويلك ، انظر ماذا ترى ؟ فقال : أرى ملكاً يموت ، ولست هو . قال : وما اسمه ؟ قال: كليب . فقال الحجاج : أنا ، والله ، فقد كانت أمي سمتني كليبا »[2] . وذكر أيضا أنه لما قدم عبد الله بن عمر إلى العراق والياً عليها من قبل يزيد بن الوليد ، كتب إلى نصر بن سيار ، بالعهد على خراسان ، وكان الكتاب وصل إليه بعد خروج الكرماني من حبس نصر الذي قال له المنجمون : إن خراسان سيكون بها فتنة . فما كان من نصر الاّ أن أمر برفع الحاصل في بيت المال ، فأعطى الناس بعض أعطياتهم ورقاً وذهبا[3] . على أن ولده ليثا ، من بعده ، لم يكن ليعتقد هذا الاعتقاد ، ولا ليألف هذا الضرب من الكهانة ، فقال ، كما ذكر قتيبة بن سعيد : « ما تركت شيئاً من فنون العلم إلاّ نظرت فيه ، إلاّ هذا الفن ، وما عجزت إلاّ أني رأيت العلماء يكرهونه ـ يعني النجوم ـ »[4] .

وعلى سبيل التذكر ، يحضرنا في هذا المقام ، ما قاله تيوفيل الرومي ، المنجم في عهد الأمويين : « إن ملة الإسلام تبقى مدة القران الكبير أي ٩٦٠ سنة ، فإذا عاد القران إلى برج العقرب ، كما في ابتداء الملة ، وتغير وضع الكواكب ، بعد هيئتها في قران الملة ، فحينئذٍ إما أن يفتر العمل به ، أو يتجدد

---

(١) ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ، ص ١١٣ .

(٢) الراغب الاصبهاني : محاضرات الأدباء ١ / ١٤٦ . وللتحقق من أن الحجاج كان اسمه كليبا ، اقرأ الأبيات التالية الواردة في كتاب (المبرد) حيث يقول القائل متحدثاً عن الحجاج وكان معلما :

أينسى كليب زمان الهزال ... تعليمه سورة الكوثر
رغيف له فلكة ما ترى ... وآخر كالقمر الأزهر

المبرد: الكامل في اللغة والأدب ١ / ٣٠٢ . مكتبة المعارف . بيروت .

(٣) الطبري : التاريخ ٩ / ٣٧ .

(٤) الحموي ، ياقوت : معجم الأدباء ١٧ / ٤٨ .

من الاحكام ما يوجب خلاف الظن»[1].

وبالطبع ، فإن نبوءة تيوفيل لم تصح ، لكن الذي صح هو أن ثمة طبقة من المنجمين أخذت طريقها إلى بلاط الحكام الأمويين لتزودهم بما سوف يقع ، ولا سيما ما يتعلق بالملة ودوام الملك ، مبشرين ومنذرين ، حتى إنه لُيقال أن السبب الذي من أجله لم يستخلف الأمويون بني الأماء ، إنما يعود إلى ما زرعه المنجمون في عقولهم من أن زوال ملكهم سوف يكون على يد ابن أم ولد[2] .

وفي ختام هذا الفصل نذكر ، للدلالة على اهتمام الأمويين بالتنجيم والفلك ، أن أقدم رسوم فلكية في الإسلام ، هي تلك التي كانت تمثل دائرة البروج ، وجدت في مبنى أثري أموي يُعرف باسم (قصر عميرة) الذي بُني في السنوات ٩٣ ـ ٩٧هـ / ٧١١ ـ ٧١٥م[3] .



---

(١) ابن خلدون : المقدمة ١ / ٥٩٩

(٢) أمين ، أحمد : ضحى الإسلام ، ص ٢٥ . ط . دار الكتاب العربي . بيروت .

(٣) شاخت ، وبوزورث : تراث الإسلام ، ص ١٨٣ .

الفصل الثاني

التنجيم في العصر العباسي

ـ مبحث أول : صورة العصر .

نبذة أولى : في المشرق العربي .

نبذة ثانية : في المغرب العربي والأندلس .

ـ مبحث ثانٍ : العلوم الدخيلة وحركة الترجمة والنقل :

نبذة أولى : التأثير اليوناني .

نبذة ثانية : التأثير الهندي والفارسي .


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

تلك كانت شواهد ونماذج مبثوثة هنا وهناك دلّت على شيوع ظاهرة التنجيم عند العرب في العصور الجاهلية والإسلامية والأموية . لكن التنجيم لم يزدهر ، ولم يبلغ غايته إلاّ في العصر العباسي الذي كان عصر العرب الذهبي ، نظراً إلى ما شهدته العلوم فيه من ازدهار وتقدم ، ومن انفتاح على كل جديد تمثل بهذا النتاج الضخم من المؤلفات التي وصلتنا في اللغة والأدب والفلسفة والتاريخ والاجتماع وسائر العلوم التي اطلّع عليها العرب مباشرة ، أو بالواسطة مترجمة عن الفارسية والهندية واليونانية ، فعملوا على تمثلها وتطويرها والإبداع فيها ، الأمر الذي ساعد على إقامة صرح علمي لا تنكر قيمته .

والتنجيم باعتباره رافداً من تلك الروافد العلمية ، أو قل ، فناً من تلك الفنون أو صناعة من تلك الصناعات ، كان له أيضاً نصيب من هذا النتاج ، تمثل بوضع العديد من الكتب والرسائل ، وكان له أبلغ الأثر ، سلباً وإيجاباً ، في ميادين الحياة الفكرية والاجتماعية والأدبية على السواء .

وإننا لنستهل حديثنا في هذا الفصل بمبحث أول يتناول هذا العصر ، ويكشف عن بعض جوانبه التاريخية والسياسية والإجتماعية والفكرية ، ثم يتبعه مبحث ثانٍ يتناول العلوم الدخيلة التي أخذ بها العرب عن طريق حركة الترجمة والنقل عن الفرس والهنود واليونان بشكلٍ خاص ، مما كان له أعمق الأثر في تعزيز ظاهرة التنجيم . ونبدأ الحديث بصورة العصر .


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

مبحث أول
صـورة العصر

نبذة أولى : في المشرق العربي :

أ ـ البيئة السياسية :

عصر بني العباس الذي امتد من سنة ١٣٢ هـ / ٧٤٩ م حتى سنة ٦٥٦ هـ /١٢٥٨ م ، عصر تميز بالنظر إلى امتداد حقبته الزمنية بالكثير من التقلبات والتغيرات في أحوال السياسة والفكر والاجتماع والإدارة ، إذ سرعان ما أخذت الخلافة العباسية ، وهي التي بدأت قوية في المائة من أعوامها الأولى ، تتجزأ ـ كما هو معلوم ـ وتشهد ظهور العديد من الثورات والحروب ، وقيام الدويلات التي راحت تنفصل عنها الواحدة تلو الأخرى، فاستقل أصحابها عنها بالحكم ، وإن ظل الولاء قائماً في أكبر عدد منها، للخليفة العباسي في بغداد ، ولو بالاسم .

أما أبرز الثورات التي شهدها العصر فكانت ثورات الشيعة والقرامطة [1]

---

(١) القرامطة : حركة دينية سياسية تنسب إلى حمدان قرمط من دعاة الإسماعيلية . ظهر في العراق نحو ٢٥٨ هـ / ٨٧١ م . من أتباعه زكروية ، وأبو سعيد الجنّابي ، وابنه أبو طاهر . انتشروا لا سيما في البحرين واليمن . استولوا على مكة ٣١٧ هـ / ٩٣٠ م ، ونقلوا منها الحجر الأسود ، ثم ردوه بعد اثنتين وعشرين سنة . انتزعوا دمشق من الفاطميين سنة ٣٦٠ هـ / ٩٧٠ م وزحفوا إلى مصر فهزمهم المعزّ الفاطمي ٣٦٢ هـ / ٩٧٢ م . قضى عليهم الأمراء العيونيون في البحرين ٤١٩ / ١٠٢٧ م فانقرضوا وانتهى أمرهم .

والزنج [1] ، وأما أهم الحروب فكانت حروب العرب ضد البيزنطيين في العهود الأولى ، وحروب العرب ضد الصليبيين في العهود المتأخرة . وأما أشهر الدول أو الدويلات التي انفصلت عن جسم الخلافة العباسية ، فكانت في العصر الأول ، دولة الأمويين المروانيين في قرطبة بقيادة عبد الرحمان بن معاوية بن عبد الملك بن مروان ، الملقب بالداخل ، وذلك في عام ١٣٨ هـ ـ ٧٥٥ م ، ثم دولة الأدارسة التي أنشأها إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عام ١٧٢ هـ / ٧٨٧ م في المغرب ، ثم دولة الأغالبة التي أسسها إبراهيم بن الأغلب بتونس عام ١٨٤ هـ / ٨٠١ م ، وكان والياً عليها من قبل العباسيين [2] .

وفي العصر العباسي الثاني ، وهو العصر الذي تجاوز المائة عام بقليل ، أُنشئت الدولة الطولونية بمصر ، على يد أحمد بن طولون عام ٢٥٤ هـ / ٨٦٧ م ، فالدولة الفاطمية في شمالي أفريقيا ، وفي مالطة وصقلية وسردينية وكورسيكا عام ٢٩٦ هـ / ٩٠٨ م ، فالدولة الإخشيدية بمصر على يد الإخشيد بن طغج عام ٣٣٣ هـ / ٩٤٤ م ، وهذا كله في أفريقيا والبحر المتوسط والأندلس والمغرب العربي [3] .

أما في المشرق العربي وما جاوزه ، فثمة دول أخرى انفصلت عن الدولة الأم ، نذكر منها في العصر الأول ، الدولة الطاهرية (١٠٥ ـ ٢٥٩ هـ / ٨٢٠ ـ ٨٧٢ م) نسبة إلى طاهر بن الحسين ، أحد قواد الخليفة العباسي المأمون ، في خراسان ، وفي العصر الثاني نذكر الدولة السامانية (٢٦١ ـ ٣٩٠ هـ / ٨٧٤ ـ ٩٩٩ م) نسبة إلى سامان خداه ، في خراسان وما وراء النهر ، والدولة الصفارية في خراسان (٢٥٤ ـ ٢٨٩ هـ / ٨٦٨ ـ ٩٠٢ م) نسبةً إلى مؤسسها يعقوب بن الليث بن الصفار ، والدولة الزيارية في جرجان وقزوين والرّي والجبال (٣١٦ ـ ٤٧٠ هـ / ٩٢٨ ـ ١٠٧٧ م) نسبةً إلى مؤسسها مرداويج بن زيار ، والدولة الحمدانية في الموصل وحلب والجزيرة الفراتية (٣١٧ ـ ٣٩٤ هـ /

---

(١) كان ظهور علي بن محمد صاحب الزنج بالموضع المعروف ببرنخل من أعمال البصرة للنصف الأول من شوال سنة ٢٥٤ هـ في خلافة المهتدي . غلب على البصرة وأكثر كور الأهواز وما يلي ارجان من أرض فارس وواسط ، حتى نواحي الكوفة . قتل زمن المعتضد سنة ٢٧٠ هـ .

(٢) فروخ ، عمر : تاريخ الفكر العربي ، ص ٢٣٧ .

(٣) نفسه ، ص ٢٣٧ ـ ٢٣٩ .

٩٢٩ ـ ١٠٠٣ م) نسبةً إلى مؤسسها حمدان بن حمدون شيخ قبيلة تغلب في ماردين ، والدولة البويهية في إصفهان (٣٢٠ ـ ٤٤٧ هـ / ٩٣٢ ـ ١٠٥٥ م) نسبةً إلى مؤسسها أبي شجاع بويه وأولاده الثلاثة[١] .

وفي العصرين الثالث والرابع أُنشئت الدولة الغزنوية (٣٥١ ـ ٥٨٢ هـ / ٩٦٢ ـ ١١٨٧ م) نسبةً إلى غزنة جنوب غربي كابل في أفغانستان وشرقي خراسان ، والدولة التركمانية السلجوقية في إيران وآسيا الصغرى والعراق وسوريا ، بين القرن الخامس والقرن السابع الهجريين : الحادي عشر والثالث عشر الميلاديين ، والدولة الخوارزمشاهية في آسيا الوسطى وبخارى وسمرقند ، وأشهر ملوكها سلالة خوارزمشاه (٤٩١ ـ ٦٢٩ هـ / ١٠٩٧ ـ ١٢٣١ م) ، فالدولة الأتابكية في شمالي العراق وبلاد الشام ، في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي ، فالدولة الأيوبية التي أسسها صلاح الدين الأيوبي عام ٥٦٤ هـ / ١١٦٨ م[٢] .

وعموماً تميز العصر العباسي الأول الذي استمر قرناً من الزمن ، وهو عصر القوة والإنبعاث ، بغلبة النفوذ الفارسي على الصعيد السياسي والاجتماعي والحضاري ، وكان ألمع خلفائه أبو جعفر المنصور ، وهارون الرشيد ، والمأمون . فيما تميز العصر العباسي الثاني بغلبة النفوذ التركي ، وسيطرة العبيد والغلمان والنساء ، مما أضعف مقدرات الدولة فاختلت مقاييس القيم والأخلاق ، واشتد التنافس بين أبناء الخلفاء ، والكيد بين الوزراء والأمراء والولاة . وفي العصر العباسي الثالث غلب النفوذ البويهي[٣] ، وحدثت تغيرات في السياسة والفكر والاجتماع . . أما في العصر الرابع فكان النفوذ إجمالاً للسلاجقة ، فلم يبقَ للخليفة في أُخريات هذا العهد إلّا بعض السيطرة الاسمية على بغداد وما حولها[٤] .

---

(١) فروخ ، عمر : تاريخ الفكر العربي ، ص ٢٣٨ ـ ٢٤٠ .

(٢) نفسه ، ص ٢٣٩ ـ ٢٤١ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٢٤٠ . والبويهيون : أسرة فارسية حكمت في أصفهان وشيراز وكرمان وبغداد . أسسها أبو شجاع بويه وأولاده الثلاثة : عماد الدولة وركن الدولة ومعز الدولة الذي دخل بغداد سنة ٣٣٥ هـ / ٩٤٥ م . أبرز ملوكها عضد الدولة . قضى عليها طغرل بك السلجوقي .

(٤) تاريخ الفكر العربي ، ص ٢٤١ . والسلاجقة : سلالة من التركمان ، جدها سلجوق . =

ب ـ البيئة الإجتماعية :

شهدت الحياة الإجتماعية تطوراً ملحوظاً في العادات والتقاليد والأزياء والعمران . . وكان لتمازج الشعوب ، وللصراعات العنصرية ، ولتفاعل الثقافات والحضارات المختلفة الأثر الواضح في الفكر والقيم والسياسة والأخلاق . . ولقد افتّن أصحاب السيادة والنفوذ ، والمترفون من الأغنياء في استخدام وسائل الترف . وأسباب اللهو ، والأخذ بمظاهر الحضارة الجديدة فابتنوا القصور وعمّروا الدور وزيّنوها بالبساتين والرياحين والورود . . وشاع اللهو والشراب ، وعمّت الخلاعة ، وظهر الفساد والمجون ، وكثرت الجواري ، واقتني الغلمان . . ولقد أثر هذا الجانب اللاهي من الحياة ، واستئثار فئةٍ مميزة بمقدرات الدولة والأموال ، على جماعاتٍ كثيرة من الفقراء والمحرومين الذين ظهرت في أوساطهم نزعات الزهد والتقشف ، وفي بعضهم الأخر نزعة الثورة والنقمة على حياة الخلفاء والوزراء والأمراء ، وهذا ما أدى إلى الكثير من الفتن والثورات والاضطرابات . ولعل أبرز ما ميّز الحياة الاجتماعية العباسية ، وطبعها بطابعه ، كان ظهور النزعة الشعوبية ما بين العرب وغير العرب ، وهي نزعة أذكت نارها الصراعات الفكرية والسياسية والحزبية والقومية والعرقية والمذهبية ، فكان ثمة شعوبية سياسية واجتماعية ودينية وأدبية[1] .

ج ـ البيئة الفكرية :

ارتقت الحياة الفكرية في العصر العباسي رقياً لم تعرف العصور العربية مثيلاً له ، وذلك في مجالات اللغة والأدب والعلوم على اختلافها ، فكان ثمة شعراء وأدباء وعلماء ، وكان ثمة ثقافات متنوعة ، ومذاهب فكرية متعددة ، ومدارس أدبية ليس أقلها بالنسبة إلى الأولى ، الثقافة العربية ويتعلق بها علوم القرآن واللغة والشعر والحديث والتشريع والقضاء ، والثقافة غير العربية وهي مأخوذة في الغالب عن اليونانية والفارسية والهندية ، ويتعلق بها عدد من الفلسفات والعلوم

= تفرعت منها عدة فروع حكمت في إيران وآسيا الصغرى والعراق وسوريا ما بين القرنين الخامس والسابع الهجريين / الحادي عشر والثالث عشر الميلاديين . قضى عليها جنكيز خان وخلفاؤه .

(1) فروخ ، عمر : تاريخ الفكر العربي ، ص ٢٤٢ .

والمعارف . . وليس أقلها بالنسبة إلى المذاهب الفكرية والخلقية والدينية والفلسفية والكلامية ، مذهب السلفيين والمجددين ، ومذهب الجبرية والقدرية ، ومذهب المعتزلة والأشاعرة ، والدهرية والزنادقة . . وليس أقلها بالنسبة إلى المدارس الأدبية ، الصراع بين أنصار القديم وأنصار الجديد، سواء أكان ذلك لجهة اللفظ والأداء أم لجهة الشكل والمضمون[1] .

نبذة ثانية : في المغرب العربي والأندلس :

أ ـ البيئة السياسية :

دام حكم العرب لبلاد الأندلس حوالي ثمانية قرون من الزمان بدأت في عام ٩٢ هـ / ٧١٠ م ، وانتهت عام ٧١٠ هـ / ١٤٩٢ م ، وهي حقبة زمنية طويلة يمكن تقسيمها إلى ثلاث حقب صغيرة ، أو ثلاثة عهود هي التالية : عهد الولاة (٩٢ ـ ١٣٨ هـ / ٧١٠ ـ ٧٥٥ م) ، والعهد الأموي (١٣٨ ـ ٤٢٢ هـ / ٧٥٥ ـ ١٠٣٠ م) ، وعهد ملوك الطوائف (٤٠٣ ـ ٨٩٧ هـ / ١٠١٢ ـ ١٤٩٢ م) .

تميز العهد الأول ، وهو عهد الولاة ، بالغزوات والفتوح وتدفق أموال الفيء والخراج يوجهها الولاة إلى الخليفة الأموي في الشام ، وبالمنازعات القبلية والحزبية العربية ما بين قيسيين ويمنيين ، أو عدنانيين وقحطانيين ، وكان أبرز الولاة طارق بن زياد فاتح بلاد الأندلس . وتميز العهد الثاني بالقوة والرقي ، وبتنظيم الجيش والبلاد ، وتوطيد أركان الحكم الأموي ، وكان أبرز خليفة فيه عبد الرحمن الثالث الملقب بأمير المؤمنين الناصر لدين الله ، ثم ولده الحكم المستنصر الذي تابع سياسة أبيه حزماً وسياسة وتدبيراً .

أما العهد الثالث والأخير ، فقد ضعفت فيه سلطة الخلافة وتفككت عراها ، فاستقل رؤساء الولايات بمناطقهم ، وأسسوا دويلات عرف أصحابها بملوك الطوائف ، وأهم هاتيك الدويلات : الدولة الزيرية في غرناطة ، والحمودية في قرطبة ومالقة ، والهودية في سرقسطة ، والعامرية في بلنسية ، والعبادية في أشبيلية ، ودولة بني الأفطس في بطليوس ، والجهورية في قرطبة ، ودولة ذي النون في طليطلة .

---

(١) فروخ ، عمر : تاريخ الفكر العربي ، ص ٢٤٤ ـ ٢٦٠ .

هذا في الأندلس . . أما في المغرب فقد ظهر عدد من الدول التي بسطت نفوذها على بلاد الأندلس أيضاً ، فكان من أبرزها : دولة المرابطين ، وهم برابرة صنهاجة في المغرب ، ولقبوا بالملثمين ، وأشهر ملوكهم يوسف بن تاشفين الذي جعل من مراكش مقر دولته ، ولُقِّب بأمير المؤمنين إثر انتصاره على الفرنجة في معركة الزلاقة عام ٤٧٩ هـ / ١٠٨٥ م ، ثم دولة الموحدين التي أسسها محمد بن تومرت ، فجاء من بعده خلفاء تلقبوا بلقب أمير المؤمنين ، وأشهرهم أبو يعقوب يوسف ، وابنه أبو يوسف ، يعقوب . . ثم دولة بني الأحمر التي اتخذت من غرناطة قاعدة لها ، وكان آخر ملوكها أبو عبد الله الذي شهد سقوط غرناطة بيد فرديناند ملك الفرنجة عام ٨٩٧ هـ / ١٤٩٢ م .

ب ـ البيئة الاجتماعية والفكرية :

كان لطبيعة الأندلس الفاتنة والغنية ، ولتمازج الشعوب بها من عرب وبربر واسبان مسالمة ومولّدين ، وصقالبة متحدرين من أصل أجنبي ، التأثير البيّن في مجريات الأمور الاجتماعية والفكرية والحضرية ، فانطبعت الحياة بطابع مميز ظهر أثره واضحاً في تهذيب الأذواق ، وارتقاء الفنون ، وتأنق العيش ، وشيوع الطرب والغناء ، وإقامة مجالس اللهو والشراب . كما ظهر أثره واضحاً في نهضة العمران والآداب والعلوم حيث المدن الزاهرة والجوامع الواسعة ، والقصور الشامخة ، والجنائن الزاهية ، والمدارس الراقية ، والمجامع العلمية والمكتبات العامرة . . ومن منا لم يسمع بقصر الزهراء في قرطبة ، وقصر الحمراء في غرناطة . . ومن منا لم يسمع بأسماء ابن طفيل وابن رشد وابن خلدون من الفلاسفة ، وبأسماء ابن هانىء وابن دراج وابن زيدون وابن حمديس وابن عبدون وابن خفاجة من الشعراء ، وبأسماء أبي علي القالي وابن عبد ربه وابن شهيد وابن حزم وابن بسام والبطليوسي والزبيدي والمقري ، من الكتّاب والمترسلين والأدباء واللغويين ؟ . .

مبحث ثانٍ
العلوم الدخيلة وحركة الترجمة والنقل

من أهم العوامل التي ساعدت على ازدهار التنجيم في العصر العباسي ، اطلاع العرب والمسلمين عن طريق الترجمة والنقل ، على علوم فارس والهند واليونان والكلدان وهي علوم عُرفت باسم العلوم الدخيلة ، وتدور في معظمها حول المنطق والعلوم العددّية ، أو علوم التعاليم ، كما أسموها ، وتشمل علم العدد والحساب والجبر والهندسة والمقابلة ، وعلم البصريات والمناظر ، وعلوم الطبيعيات ، والطب ، والإلهيات أو علم ما بعد الطبيعة[1] ، على أن أهم العلوم إطلاقاً ، وهذا ما يهمنا ، علم الهيئة والأزياج والتقاويم ، ويلحق بها ، بالضرورة علم التنجيم ، أي علم الأحكام الذي نقلوه ، ومعه السحر والطلاسم والفلاحة أو الزراعة عن الأنباط والكلدان ، بشكلٍ خاص[2] . كل هذا نقله العرب عن الأمم التي سلفت وإن كان لا ينكر عليهم في الوقت ذاته ، وبالمقابل إبداعهم وتخصصهم في مجالات علمية ذات نشأة عربية بحتة ، وهي تتمثل باللغة والأدب والنقد والرواية والتاريخ والأنساب والتفسير والحديث والفقه .

وللحقيقة نقول إن بواكير اطلاع العرب وانفتاحهم على العلوم الأعجمية أو الدخيلة ، بدأ في عهدٍ سابق للعصر العباسي ، عنيت عهد بني أمية ، لكن ضمن

(١) فروخ ، عمر : تاريخ الفكر العربي ، ص ٢٤٥ .
(٢) زيدان ، جرجي : تاريخ التمدن الإسلامي ٣ / ١٣٣ . ط . حسين مؤنس .

نطاق محدود لم يتسع ، ولم يبلغ مداه إلاّ مع إطلالة العصر العباسي حينما وجد العرب والمسلمون أنفسهم مبهورين بالثقافة الأعجمية التي عمل على نقلها وترجمتها والتعريف بها ، نفر غير يسير من المثقفين من النقلة والمترجين الذين كانوا في معظمهم من طائفة السريان ، ومن الصابئة وبقايا الكلدان[1] .

ولقد كان للمدارس التي تخرج منها هؤلاء النقلة والمترجون وأساتذتهم من قبل ، فضل لا ينكر على تشكيل العقل العربي ، وتلقيحه بمعطيات العقل الأعجمي ، وذلك عن طريق ترجمة العديد من كتب اليونان والفرس والهند إلى السريانية ، ومن ثم إلى العربية . . ولنبدأ الحديث عن الكتب اليونانية ، أو قل لنبدأ الحديث عن التأثير اليوناني .

نبذة أولى : التأثير اليوناني :

كانت الإسكندرية مركزاً متقدماً من مراكز الدراسات العلمية اليونانية المتأخرة في الزمان ، يضاف إليها مراكز أخرى في انطاكية والرّها وقنسرين ونصيبين ورأس العين[2] . ولقد تخرج من هذه المراكز أو المدارس عدد من العلماء السريان ، وغير السريان الذين درسوا اللغة اليونانية ثم درّسوها ونقلوا الكتب اليونانية إلى السريانية ، ومن هذه إلى العربية . ومن المرجح أن دراسة اللغة اليونانية في بادىء الأمر بهدف الإطلاع على مؤلفات اليونان اللاهوتية ، تلك التي جذبت إليها الكثيرين من الدارسين الذين توافدوا على الإستفادة منها في عصر متقدم من عصور مدرسة الإسكندرية . ومن هذه الكتب أو المؤلفات ، على سبيل المثال ، « التاريخ الكنسي والتجلي Théophony » ليوسيبيوس ، وكتاب « الإقرارات Recognitiones » المنسوب إلى القديس كليمانتس الإسكندري ، و« خطب » تيطوس البوستري[3] ، ضد المانوية ، ومؤلفات ثيودور الموبسيوستي ، وديودورس الطرسوسي[4] . وبصرف النظر عن هذه الترجمات اللاهوتية

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٤٧ ، ج ٣ م ٢ . طبعة دار مكتبة الحياة ١٩٦٧ م . بيروت .
(٢) فخري ماجد ، تاريخ الفلسفة الإسلامية ، ص ٢٤ .
(٣) لعله تلميذ القديس بولس الذي أقامه على كنيسة كريت في القرن الأول الميلادي .
(٤) تاريخ الفلسفة الإسلامية ، ص ٢٤ .
وديوورس هذا ، ربما كان ثيودورس الطرسوسي ، الراهب اليوناني الذي رسمه البابا فيتاليانس أسقفاً على كنتربري عام ٦٦٩ م ، فنظم شؤونها الدينية والثقافية .

المتقدمة ، وعن تلك التي تتعلق بالمنطق والفلسفة ، لا بد من التنويه بالدور الذي قام به عدد من تلاميذ الإسكندرية ، أتباع أفلوطين مبتدع مذهب « الأفلاطونية المحدثة » في القرن الثالث الميلادي ، وهو مذهب ، كما بيّنا من قبل ، يُعتبر مزيجاً مشوّهاً من فلسفة فيثاغورس وأرسطو وأفلاطون ، وفلسفات ونظريات ومذاهب دينية لا تخلو من تأثير فلسفي هندي[1] .

وبالإضافة إلى الدور المهم الذي قام به علماء مدرسة الإسكندرية وتلاميذها لا بد من التنويه بالدور الآخر الذي قام به من قبل لفيفٌ من العلماء الذين ينتسبون إلى مدارس الرها[2] وقنسرين[3] ونصيبين[4] ، وهو دور نشط ظل مستمراً حتى أواخر القرن السابع الميلادي . وحسبنا من هؤلاء العلماء ذكر كل من سويروس سيبوخت القنسريني المتوفى عام ٦٦٧ م ، وهو الواضع لشروح كتابي « العبارة » و« الشعر » لأرسطوطاليس ، وأثناسيوس البلدي المتوفى ٦٩٦ ، صاحب الترجمة الكاملة لكتاب أرسطو « ما بعد الطبيعة » ، وتلميذة جاورجيوس المعروف بأسقف العرب ، أحد واضعي أو شارحي كتابي « المقولات » و« العبارة » والقسم الأول من كتاب « القياس » لأرسطو ، وكتاب « الأيساغوجي » لفرفوريوس الصوري ، ثم يعقوب الرهاوي المتوفى عام ٧٠٨ م[5] . كذلك لا يمكن إغفال الدور الذي قام به علماء مدرسة جنديسابور « جندي شابور » المدينة التي أنشأها سابور الأول الساساني في خوزستان ، جاعلاً منها مسكناً لسبي الروم ، إلا أن هذه المدرسة على الرغم من أنها كانت بادىء الأمر حاضرة للثقافة الفارسية ، غدت في ما بعد حاضرة من حواضر الثقافة الإغريقية ، ومركزاً من مراكز علوم اليونان ، كان ذلك لما وفد عليها ثلة من علماء

(١) فروخ ، عمر : تاريخ الفكر العربي ، ص ١٣٠ .
(٢) الرها : هي أورفا Urfa اليوم ، المدينة التركية في ما بين النهرين قرب الحدود السورية .
(٣) هي اليوم قرية بسورية جنوبي حلب على نهر قويق .
(٤) نصيبين Nizip : مدينة قديمة في ما بين النهرين على الحدود السورية التركية . ظلت مركز الآداب السريانية طوال القرن الثالث الميلادي حتى سقوطها في أيدي الساسانيين . عرفت بمدرستها النسطورية في القرن السادس الميلادي . احتلها العرب عام ٦٣٩ م .
(٥) تاريخ الفلسفة الإسلامية ، ص ٢٤ و ٢٥ .
وانظر أيضاً : Whrigt , W : history of siriac literature PP 46 f , london 1894
وانظر أيضاً : Gorr . khalil · les catégories d'Aristote dans leurs versions syro - Arabes , P 14 , Beirouth 1984 .

اليونان إثر إقدام الأمبراطور البيزنطي يوستينيانوس[1] على إقفال مدرسة أثينا عام ٥٢٩ م .

ولقد تخرج من جند يسابور نخبة من علماء النساطرة واليعاقبة[2] ذوي الثقافة السريانية واليونانية والعربية ، وكان فيهم فلكيون وأطباء تميزوا بحضورهم الفاعل في العصر العباسي أمثال آل بختيشوع النساطرة الذين قيض لهم أن ينشئوا أول مستشفى وأول مرصد فلكي ببغداد ، أيام الرشيد والمأمون . . ولقد قام جماعة من هؤلاء بترجمة العديد من المؤلفات اليونانية إلى العربية صنيع يوحنا بن ماسويه (ت ٢٤٤ هـ/ ٨٥٧ م)[3] وحنين بن أسحق (ت ٢٦٠ هـ / ٨٧٣ م) أحد ألمع النقلة من اليونانية ، وأول رئيس لبيت الحكمة الذي أسسه المأمون عام ٢١٦ هـ / ٨٣٠ م) . ومن الكتب التي ترجمها حنين كتاب « القضاء من النجوم على الحوادث » لبطليموس ، وتوجد من هذا الكتاب نسخة مخطوطة مودعة خزانة دار الكتب الظاهرية بدمشق ، وهي تتألف من سبعين ورقة ، وتحمل الرقم ٧٩٧٤ .

ومن علماء هذه المدارس المتأخرة الذين وضعوا في النجوم مؤلفات اقتفوا فيها أثر آبائهم الكلدان ، نذكر البرديصاني[4] صاحب « الكتاب في النجوم » ولم يصل إلينا ، والرأس عيني[5] صاحب كتاب « تأثير القمر وحركة الشمس » ،

(١) هو يوستيانيانوس الأول ، الأمبراطور البيزنطي الذي حكم بين ٥٢٧ و ٥٦٧ م . حارب الفندال والفرس واستعاد إيطاليا والأقاليم الإفريقية . أمر بتدوين القوانين الروحانية .

(٢) اليعاقبة هم أتباع يعقوب البرادعي . تفرّعوا من السريان في القرن السادس الميلادي . أما النساطرة فهم طائفة من المسيحيين الذين ينتسبون إلى نسطور بطريرك القسطنطينية . سكنوا الموصل وأرمينيا . نشروا المسيحية في إيران والهند والصين .

(٣) طبيب سرياني خدم الرشيد وعدداً آخر من الخلفاء حتى المتوكل . ولاّه الرشيد ترجمة كتب الطب القديمة . له كتاب « النوادر الطبية » وكتاب « الحميات » وكتاب « الأزمنة » وهو غير يوحنا الترجمان ، المعروف بحيى بن البطريق الذي وُلد نحو ٢٠٠ هـ / ٨١٥ م . وانصرف إلى ترجمة المؤلفات اليونانية التي منها « كتاب السياسة في تدبير الرئاسة » لأرسطو ، وكتاب « الأربعة » لبطليموس ، وكتاب « طيماوس » لأفلاطون . انظر : المنجد في الإعلام ، ص ٦٢٣ .

(٤) من أقدم الكتّاب السريان . عاش في الرّها . يُنسب إليه كتاب « القدر » أقدم كتاب بالسريانية بعد التوراة .

(٥) نسبة إلى رأس العين في سورية على الخابور . قرب الحدود التركية اليوم . فيها آثار رومانية وبيزنطية .

واسبكتي صاحب كتاب « صور البروج » ، ويعقوب الرهاوي الذي مرّ ذكره آنفا ، وداود البيت رباني ، وموسى بن كيفا ، وعموئيل البرشهاري ، وسواهم كثيرون[1] .

أما حرّان[2] ، موطن الصابئة أو الحرّانية نسبة إليها ، وهم الذين سنُسميهم الصابئة الحرانية تمييزاً لهم عن الصابئة الموحدين الذين ذكرهم القرآن الكريم[3] ، حران هذه ، كانت ملتقى حضارة بابل وفارس واليونان ، ومنبت العلماء الذين قاموا بدور الوسيط في تعريب علوم اليونان ، وكانوا بمثابة الجسر الذي عبر عليه العلم اليوناني إلى العرب ، وكان جل اهتمامهم منصباً على علم الفلك وما تفرع منه من أزياج وتقاويم وأحكام نجومية . ومن أبرز هؤلاء ثابت بن قرة (ت ٢٨٩ هـ / ٩٠١ م) الذي عمل في أسرة بني موسى ، وكان منجم بلاط المعتضد ، وله عدة ترجمات وشروحات عن اليونانية والسريانية ، منها شرحه لكتاب أرسطو « في الطبيعة » وتنقيحه لكتاب « تحليل القياس » وكتاب « العبارة » ، وإصلاحه لترجمات «المجسطي » لبطليموس ، وترجمته لـ « أصول الهندسة » لاقليدس ، هذا فضلاً عن عدد من الكتب والرسائل التي وضعها بنفسه ومنها : « رسائل في طبيعة النجوم وتأثيراتها » و« رسالة في مبادىء الأخلاق وعلم الموسيقى »[4] . وثابت هذا ، هو صاحب كتاب « حركة الأفلاك » الذي توجد منه نسخة مخطوطة رقمها ٤٤٨٩ في دار الكتب الظاهرية بدمشق ، وهو الذي قام بإصلاح ترجمة حنين بن إسحاق لكتاب بطلميوس « القضاء من النجوم على الحوادث » ، وتوجد منه نسخة مخطوطة في دار الكتب ذاتها ، وهي تحمل الرقم ٧٩٧٤ .

وإذا ما ذُكر ثابت ، ذُكر معه سنان ، ولده ، وحفيداه ثابت وإبراهيم ، وكانوا جميعاً من النشطين في ميدان العلوم وضعاً وترجمة وتعريباً[5] .

---

(١) زيدان ، جرجي : تاريخ التمدن الإسلامي ٣ / ١٤٧ .
(٢) حران اليوم ، Carrhae تقع في تركيا ما بين نهري دجلة والفرات .
(٣) إشارة إلى الآية ٦٢ من سورة البقرة وهي التالية ﴿ إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ .
(٤) تاريخ الفلسفة الإسلامية ، ص ٣٩ .
(٥) تاريخ الفلسفة الإسلامية ، ص ٢٥ .

والصابئة الحرانية باعتبارهم ورثة الكلدان ، والتالي ورثة التنجيم الذي شهرت به بلاد ما بين النهرين ، كان لاعتقادهم بالنجوم ، وبأن كل إنسان يرتبط مصيره ببرج من بروج السماء ، تعرف به حياته تبعاً لحال البرج وموقعه بالنسبة إلى الكواكب لحظة مولد الإنسان ، أقول كان لهذا الاعتقاد الذي استمر حتى عصر متقدم من عصور العباسيين ، تأثير لا يستهان به في تعزيز ظاهرة التنجيم ورواجه في أوساط المثقفين العرب وغير العرب ، وهو تأثير لا يقل عن تأثير هرمس في المصريين ، وتأثير الأفلاطونية الجديدة في أوساط أتباعها من العارفين والمعجبين [١] .

ويبدو أن ذروة الانفتاح على فكر الصابئة الحرانية يعود إلى عهد المأمون يوم أن زار حران وهو في طريقه إلى غزو بلاد الروم ، فاجتمع بأكابر رجال الحرانيين وعلى رأسهم قرة ، جدّ سنان بن ثابت ، فعرض عليهم السيف أو الدخول في الإسلام ، بعد أن أمهلهم ليتشاوروا أمرهم ريثما يرجع من غزاته ، فاحتال هؤلاء بتسمية أنفسهم بالصابئة الذين ورد ذكرهم في القرآن الكريم ، فيما أسلم بعض منهم ، وتنصر وتهود بعضهم الآخر [٢] .

ومهما يكنْ من أمر ، فلا شك في أن ديانة الصابئة التي كانت تقوم على حركة النجوم والكواكب ، كما يقول سارطون ، والتي جاءت مزيجاً من التصورات الفيثاغورية والكلدانية ، هي التي أصبحت في ما بعد ، لبّ التنجيم [٣] . ومثل هذه الاعتقادات ترجع في جذورها الأولى ، إلى فكرة التعصب للروحانيات التي هي في نظر الصابئة ، الأسباب المتوسطة في الاختراع ، وفي تصريف الأمور من حال إلى حال . وهذه الروحانيات ، في زعمهم ، تستمد القوة من الحضرة القدسية ، ثم تفيض على الموجودات السفلية ، ومن هذه الروحانيات ، مدبرات الكواكب السبعة في أفلاكها ، وهي هياكلها ، كما يقول الشهرستاني [٤] . وفي اعتقادهم أن لكل « روحاني » هيكلاً ، ولكل هيكل فلكاً ، ونسبة « الروحاني » إلى الهيكل كنسبة الروح إلى الجسد ، فهو ربه ومدبره ومديره . ويتجلى فعل

---

(١) انظر : W . E . Peuckirt : L'astrologie , P 156 .

(٢) انظر : Encyclopédie de la civilisation , 1/244 - 245 , Paris , 1964 .

(٣) سارطون : تاريخ العلم ، ص ٤٣٥ .

(٤) الشهرستاني : الملل والنحل ٢ / ٧ .

الروحانيات في تحريكها على قدر مخصوص ، « ليحصل من حركاتها انفعالات في الطبائع والعناصر ، مما يؤدي إلى تركيبات وامتزاجات في المركبات ، فيتبعها قوى جسمانية وتركب عليها نفوس روحانية مثل أنواع النبات والحيوان »[١] . . .

وهذه الروحانيات تختص بزحل والمشتري والمريخ والشمس والزهرة وعطارد والقمر ، وهي جميعها بمثابة الهياكل العلوية ، أو بمثابة الأبدان والأشخاص لها ، ذلك أن كل ما يحدث ، بزعمهم ، من الموجودات والحوادث ، إنما هو مسببات هذه الأسباب . . من هنا كان يجب على الأشخاص في أفعالهم وحركاتهم ، اقتفاء آثار الروحانيات في أفعالهم وحركاتها ، حتى يراعى أحوال الهياكل وحركات الأفلاك في الزمان والمكان والجوهر والهيئة واللباس والبخور والتعزيم والتنجيم والدعاء مما هو مخصوص بكل هيكل[٢] .

ونُسب إليهم ـ هياكل وأصنام بأسماء الشمس والقمر والزهرة وعطارد ، ولهم أنبياء أكثرهم فلاسفة يونان ، وغير يونان . . ولهم قرابين وذبائح يتولاها الكهنة ، ويستخرجون من ذلك علم ما « عسى أن يكون »[٣] .

وقد تكون الحرنانية فرعاً من الصابئة ، أو هي الصابئة نفسها ، وأصحابها كانوا يعتقدون بأن الله أبدع الفلك والأجرام والكواكب ، وجعلها مدبرات هذا العالم ، فهي بمثابة الآباء ، والعناصر هي الأمهات ، والمركبات هي المواليد . . وينسب إليهم نشوء القول بالتناسخ والحلول[٤] .

وذكر ابن النديم إن أول سنة الصابئة نيسان ، وفي الأول والثاني والثالث منه يتضرعون إلى الزهرة . . وفي العشرين منه يذبحون فحلاً من البقر لزحل الإله ، وآخر للمريخ وثالثاً للقمر . . كما ذُكر أنهم يذبحون سبعة خراف للآلهة ، وخروفاً واحداً لإله الجن ، وآخر لرب الساعات . . وفي الرابع والعشرين من كانون الثاني ميلاد الرب الذي هو القمر . . وابتداء من التاسع من شباط يصومون سبعة أيام للشمس ، وهي الرب العظيم[٥] . . إلى ما هنالك من أفكار

(١) نفسه ٢ / ٨ .
(٢) نفسه ٢ / ٢٩ .
(٣) البيروني : الآثار الباقية ، ص ٢٠٥ ـ ٢٠٦ .
(٤) الشهرستاني : الملل والنحل ٢ / ٥٥ ـ ٥٦ .
(٥) ابن النديم : الفهرست ٩ / ٣٨٦ ـ ٣٨٩ .

واعتقادات تعزز القول بما تركه فكر الصابئة على التنجيم في العصر العباسي .
ولقد ظل قسمٌ كبير من الصابئة على ديانتهم ، ديانة الآباء والأجداد ، طوال العصرين العباسيين الأول والثاني حتى جاء العام ٣٢٠ هـ ، فاستفتى الخليفة القاهر [١] أبا سعيد الأصطخري ، محتسب بغداد ، في أمر الصابئة ، فأفتى بقتلهم ، لكن عدداً منهم ظل على ديانته حتى سنة ٤٠٠ هـ [٢] . والمهم أن العلماء الصابئة وهم بقايا الكلدان ، أثروا في العلوم العربية ، ونقلوا إليها التأثير البابلي الكلداني القديم ، ولا سيما ما تعلق بالفلك والتنجيم . وها هو ابن وحشية المتوفى سنة ٢٩١ هـ ، وصاحب كتاب « الفلاحة النبطية » يقول : « رحت أنقل الكتب واحداً بعد واحد عن مكتبة رجل متميز من الكلدان أو النبط ، فكان أول كتاب نقلته ، كتاب « مواناي » البابلي في معرفة أسرار الفلك والأحكام على حوادث النجوم . . ثم نقلت كتاب الفلاحة هذا » [٣] .

والذي نخلص إليه من هذا كله ، إن الذي قدر له أن يؤثر تأثيراً واضحاً ، ويطبع الحياة العقلية بطابعه المميز ، إنما هو الفكر اليوناني الأغريقي الذي ربما كان فضل التعرف عليه ، يعود في الدرجة الأولى إلى طائفة من النقلة والتراجمة السريان والصابئة ممن تأثروا بالحضارة الهيلينية بشكل خاص ، وإلى بعض الفرس المتأثرين بها ، ولكن بدرجة أقل [٤] . والحضارة الهلينية التي تأثر بها هؤلاء ، تعني حضارة اليونان في عصر الانحطاط النسبي الذي تلا حملة الإسكندر المقدوني على بلاد المشرق ، وامتد حتى ظهور النصرانية ، حيث غلَب على ممثلي هذا العصر ، جعلهم من السلوك الإنساني ، ومن الواقع المعاش ، مقياساً لنظرياتهم الفلسفية ، لا جعل الفلسفة مقياساً للسلوك [٥] . ولا يعني أبداً اغفال الدور الذي كان مناطاً بالتيارات الفكرية والعوامل الثقافية واليونانية الأخرى ، مما كان له أثره المميز في توجيه الفكر العربي الإسلامي وانفتاحه على أفكار أبناء الأمم الأخرى ،

---

(١) هو القاهر بالله ، المعتضد ، الخليفة العباسي التاسع عشر . خلع وسلمت عيناه وسجن عشر عاماً .

(٢) متز ، آدم : الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ٤ / ٨٥ - ٨٦ م . نقله إلى العربية محمد عبد الهادي أبو ريدة . دار الكتاب العربي ، بيروت ١٩٦٧ م .

(٣) زيدان ، جرجي : تاريخ التمدن الإسلامي ٣ / ١٧٨ .

(٤) شاخت ، وبوزورث : تراث الإسلام ، ص ٨١ .

(٥) فروخ ، عمر : تاريخ الفكر العربي ، ص ١٢٢ .

وفي تمكينه من تمثل منجزات العصور القديمة في مختلف الميادين العلمية ، ولا سيما في ميادين الطب ، والرياضة ، والفلك ، وما تفرع عن هذا الأخير من علم بأحكام النجوم على وجه الخصوص .

ولا يمكن أيضاً في الوقت ذاته إغفال الدور الذي قام به الخلفاء العباسيون أنفسهم ، بما عُرف عن بعضهم من عناية خاصة بالطب والتنجيم ، ومن تشجيع على الترجمة والنقل .

أما عنايتهم بالطب فمن البداهة بمكان ، وأما عنايتهم بالتنجيم فلاعتقادهم بأن ثمة ارتباطاً بين حركات النجوم وأوضاعها ، وبين ما يحدث في العالم من شؤون وشجون ، حتى إن الطب ، ومعه التنجيم ، كان عملاً رسمياً يتولاه رجال ذوو صفة رسمية[1] . لا بل قد يكون شغف بني العباس بمعرفة أحكام النجوم ، هو الذي اجتذبهم ودفع بهم إلى تشجيع هذا العلم ، ثم راحوا يتدرجون فيه إلى تشجيع الفلك وسائر العلوم المتعلقة به[2] .

ولقد جاء حين من الدهر ، تم فيه دفعةً واحدة ، ترجمة عدد وافر من الكتب العلمية الإغريقية إلى العربية ، ترجمة أمينة صادقة ، مع تصحيح عدد من الترجمات ، فيما ظل الأصل بمنأى عن التلف والضياع أو الانطماس . . ولعل أوضح دليل على ذلك ، ما فعله نصير الدين الطوسي ، العالم الفلكي الشهير المتأخر في الزمان (توفي عام ٦٧٢ هـ) ، إذ حرر ثانية ، كما هو معلوم ، كتاب « الفلك الصغير » المسمى عند العرب كتاب المتوسطات بين الهندسة والهيئة « مع أن الأصل الأول لهذا الكتاب ، أصل يوناني ، ويعزى إلى قسطا بن لوقا المتوفي عام ٣٠٠ هـ[3] .

وإن نحن شئنا أن نعطي أمثلةً على رقي هذا النشاط العلمي المتمثل بترجمة مؤلفات اليونان التي أثرت في الفكر العربي ، فحسبنا منها ترجمة مؤلفات أوطوليقوتس « Autolycus» التي منها كتاب « الكرة المتحركة » « The Sphère in movement » الذي تُرجم لاحقاً إلى اللاتينية ، وكتاب « شروق النجوم

---

(١) أمين ، أحمد : ضحى الإسلام ، ص ٢٧٢ .

(٢) نفسه : ص ٢٧٣ .

(٣) تراث الإسلام ، ص ١٦١ .

وغروبها » The rising and sitting of the stars » وكتاب « حد الشمس والقمر » وكتاب « حجم الأرض وبُعدها عن الشمس والقمر » « The size dis- tance from the earth of the sun and moon »

وحسبنا أيضا من مؤلفات أراطوس[1] « Aratus » ، وابسقلاوس هيبسكليس « Hipsicles » كتاب « مطالع البروج » « Ascentions of the sings » ومن مؤلفات هيبارخوس « Hipparchus » وجمينوس الروديسي « G . of Rhodes » ، كتاب « المدخل إلى علم الفلك » « Introduction to Astronomy » الذي تُرجم إلى العبرية واللاتينية ، وكتاب « أسرار النجوم في معرفة الدول والملل والملاحم »[2] .

ومن المؤلفات المنسوبة إلى بطليموس ، كتاب « الجداول العلمية » « Annual tables » ، وكتاب « المفروضات » « Hypotheses » ومنها « المقالات الأربع » « Tetra biblos » ، وهي عبارة عن رسالة في صناعة أحكام النجوم ، نقلها إلى العربية أبو يحيى البطريق زمن الخليفة العباسي المنصور[3] .

ولا يفوتنا ذكر الكتاب المسمى بـ « الخمسة » والكتب الأخرى في المواليد المنسوبة إلى المنجم الرياضي « دروثيوس » ، والتي فسرها أبو بكر عمر بن فرخان الطبري[4] .

على أن أعظم كتاب لفت أنظار العرب إليه ، وكان له الأثر البالغ في تاريخ الفكر العربي ، كان كتاب « التصنيف في الحساب » « Mathematical Syntax » لبطليموس الفلكي ، والجغرافي اليوناني (٩٠ ـ ١٦٨ م) وهو الكتاب الذي سماه العرب باسم « المجسطي » « Almagest » ، وهي كلمة يونانية من معناها

---

(١) هو اراتوستينس « Eratosthnês » (نحو ٢٧٥ ـ ١٩٥ق . م .) ، عالم رياضي وفلكي وفيلسوف يوناني من مدرسة الإسكندرية . أول من أعطى القياس الصحيح لمحيط الكرة الأرضية .

(٢) هيبارخوس (القرن الثاني ق . م .) فلكي يوناني . ولد في نيقية . مكتشف ناموس تساوي الليل والنهار في أو الربيع والخريف .

(٣) شاخت وبوزورث : تراث الإسلام ، ص ١٦١ ـ ١٦٦ .

(٤) القفطي : أخبار العلماء بأخبار الحكماء ، ص ١٢٦ .

الترتيب ، وظل يُعرف بهذه التسمية حتى زمن ترجمته إلى اللاتينية ومنها إلى سائر اللغات الأوروبية ، وهو عبارة عن ثلاث عشرة مقالة معظمها يندرج في نطاق المباحث الجغرافية والفلكية مثل وصف السماء ، ومدارات النجوم ، والتقويم الشمسي ، وحركات القمر والشمس والكواكب ، وطرق حساباتها ، والخسوف والكسوف ، ومواضع النجوم ، والبرهان على كروية الأرض والسماء ، واعتبار الأرض مركز العالم الثابت ، وميل فلك البروج ، واختلاف عروض البلدان ، وغير ذلك من المواضيع ذات الطابع العلمي الجغرافي ، والفلكي على حد سواء[1] .

ولقد تُرجم هذا الكتاب إلى العربية في عهد الخليفة الرشيد ، ثم أُعيدت ترجمته زمن المأمون ، وأشهر من تصدى لهذا العمل إسحق بن حنين بن إسحاق المتوفى عام ٢٩٨ هـ/ ٩١٠م ، ولقد تمّ إصلاح هذه الترجمة على يد ثابت بن قرة الحراني ، وإن أفضل من حرره وضبطه ، نصير الدين الطوسي المتوفى عام ٦٧٢ هـ / ١٢٧٤ م ، والذي أسماه باسم « تحرير المجسطي »[2] .

ولقد نُقلت ترجمة المجسطي العربية إلى اللاتينية في القرن الثاني عشر الميلادي على يد جيراردودي كريمونا « G . de Grémona » ، وكان راهباً وفد على بلاد الأندلس ، فدرس العربية ثم قام بترجمة العديد من الكتب العربية إلى اللاتينية ، حتى بلغ عدد ما نقله سبعين كتاباً من بينها الترجمة العربية لكتاب «المجسطي »[3] .

ولقد بلغ إعجاب العرب بالمجسطي ، وبصاحبه بطليموس ، حداً دفع البعض منهم إلى شرحه وإلى تبسيطه وتلخيصه والتعليق عليه ، لا بل إن عدداً من هؤلاء تجرّأ على نقد عددٍ من النظريات التي تضمنها ، ولا سيما تلك المتعلقة بتغيير القيم العددية لجداوله[4] . وإننا لنذكر من هؤلاء العلماء ، أبا العباس الفضل بن حاتم النيريزي ، من الشارحين ، ومحمد بن جابر البتاني ، ومحيي

---

(١) تراث الإسلام ، ص ١٦٥ .

(٢) توجد من هذا الكتاب ، للطوسي ، نسخة مخطوطة في دار الكتب الظاهرية بدمشق ، تحمل الرقم ٧٧٩٠ ، وهي تضم ١٧٢ ورقة ، وتضم جداول ورسوماً مختلفة .

(٣) اليازجي ، كمال : أعلام الفلسفة العربية ، ص ١٠٤٦ .

(٤) شاخت وبوزورث : تراث الإسلام ، ص ١٦٥ .

الدين ، يحيى بن محمد بن أبي بكر المعروف بالحكيم المغربي ، والمتوفي عام ٦٨٠ هـ / ١٢٨٠ م ، صاحب كتاب « النجوم » وكتاب « المدخل المفيد في علم المواليد » و« الجامع الصغير » في أحكام النجوم ، من الذين اختصروه ، وأبا محمد جابر بن الأفلح ، ونور الدين أبا إسحق البطروجي ، وكلاهما أندلسي ، من الناقدين ، كما يذكر ثابت بن قرة الذي كان أول من قام باختصار ترجمة هذا الكتاب ، وذلك من أجل أن تعم الفائدة منه الجميع [١] ، لكن ابن النديم ينسب إلى يحيى بن خالد البرمكي ، قيامه بتفسير المجسطي ، وبإخراجه إلى العربية ، قبل أن ينقله حنين بن أسحق ، ثم يحرره الحجاج بن يوسف بن مطير ، وثابت بن قرة في عهد المأمون[٢] .

ولقد بلغ من إعجاب العلماء المسلمين بهذا الكتاب ، أن أحدهم ، وهو أبو الريحان البيروني ، عمل على تقليده ناحياً منحى بطليموس ، فألّف على نسق الكتاب ذاته ، كتابه الموسوم بـ « القانون المسعودي »[٣] ، ومثله فعل أيضاً أحمد بن كثير الفرغاني ، صاحب « المدخل إلى علم هيئة الأفلاك » الذي يحتوي - حسبما ذكر ابن العبري - على جوامع كتب بطليموس[٤] ، وفي طليعتها المجسطي .

ولعل من أكثر الكتب التي كان لها تأثير في تفكير عدد من الخلفاء العباسيين وإقبالهم على التنجيم ، الكتاب الموسوم بـ « كتاب السياسة في تدابير الرياسة » المعروف أيضاً بـ « سر الأسرار » الذي ألفه الفيلسوف أرسطاطاليس لتلميذه الملك الإسكندر بن فيلبس المعروف بـ « ذي القرنين » . ولهذا الكتاب عدة مخطوطات منها : مخطوط ليدن ٧٤٩[٣] فارنر ، ومخطوط رقم ٦٥٠ في منشن (ميونخ) بألمانيا ، ومخطوط برلين رقم ٥٦٠٤ (ألفرت) ، والمخطوطات ذوات

---

(١) اليازجي ، كمال : أعلام الفلسفة العربية ، ص ١٠٣ .
(٢) ابن النديم : الفهرست ٩ / ٣٢٧ .
(٣) تراث الإسلام - الهامش - ص ١٦٥ .
والقانون المسعودي في الهيئة والنجوم ، وضعه البيروني في غزنة ، ثم قدمه للسلطان مسعود بن محمود بن سبكتكين . وهذا الكتاب موسوعة علمية في الجغرافية والفلك والهندسة والرياضيات والتاريخ .
(٤) ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ، ص ١٣٦ .

الأرقام التالية : ٢٤١٧ و٢٤١٨ و٢٤١٩ ، و٢٤٢٠ و٨٢ بالمكتبة الأهلية بباريس[1] .

وبعيداً عما قيل إن هذا الكتاب منحول ، نحله صاحبه لأرسطوطاليس ، وزعم مترجمه يوحنا بن البطريق أنه عثر عليه بعد التنقيب وإعمال الحيلة في هيكل الشمس الذي كان بناه اسقلابيوس بنفسه ، وأنه نقله من اللسان اليوناني إلى اللسان الرومي ، ثم من اللسان الرومي إلى اللسان العربي ، امتثالاً لأمر الخليفة العباسي المأمون (تولى الخلافة سنة ١٩٨ هـ وتوفي سنة ٢١٨ هـ)[2] . .

بعيداً عن هذا كله فإن هذا الكتاب يتضمن معلومات وافية عن علم النجوم الذي ينقسم ثلاثة أقسام هي : تركيب الأفلاك ، وجهة الكواكب ، وأقسام النجوم وأبعادها وحركاتها . ويُسمى هذا الفن علم الهيئة . ومنها قسم وهو معرفة كيفية الاستدلال بدوران الفلك وطوالع البروج على الكائنات قبول كونها تحت فلك القمر . ويُسمى هذا العلم علم الأحكام[3] .

والمهم في هذا الموضوع ، أن أرسطاطاليس ينصح الإسكندر في كتابه باتباع عدد من الوصايا والعهود منها مثلاً نصيحته بأن لا يأكل ولا يشرب ولا يصنع صنعاً إلّا عن اختبار من علم النجوم ، وأن لا يصغي إلى كلام الجهال الذين يعتقدون إن علم النجوم عبث ، وعلم الغائب عبث ، لا يوصل إليه ، ولا إلى أي من يعتقد إن هذا العلم يكذب في ما يتندر به[4] . ويرى « أن تقدمة هذا العلم واجبة لأن الإنسان وإن كان غير ناجٍ مما قدر عليه فهو يوطن نفسه عليه ويقدم دوافعه بحسب استطاعته كما تفعل الناس لدفع برد الشتاء بجمع العدة للاصطلاء وإصلاح السكن وإعداد الحطب والفراء وغير ذلك مما تستدفع به مضرته ، ولحر الصيف : بأنواع المبرّدات ، ولسنين الغلاء : الجمع للأقوات وادخارها ، ومن خوف الفتن : بالهرب منها . . وخصلة ثانية وهي أنه متى علم الناس بالحوادث قبل كونها أمكنهم أن يستدفعوا الله إياها ويقدموا قبل نزولها

---

(١) بدوي ، عبد الرحمن : الأصول اليونانية للنظريات السياسية في الإسلام ، ص ٦٥ ، ج ١ ، دار الكتب المصرية ، ١٩٥٤ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٣٢ و٣٣ .

(٣) المرجع نفسه ، ص ٨٦ .

(٤) نفسه ، ص ٨٥ .

بالدعاء والتضرع إلى الله تعالى والاستقالة والاستغفار والتوبة والإبانة والصوم والصلاة وسؤال الله عزَّ وجلَّ أن يصرف عنهم ما يحذرون ويرفع عنهم ما يخافون »[١] .

ومنها أيضاً ، أي من نصائح أرسطاطاليس للإسكندر ، أن يجعل مدار أمره كله : ظاهرة وباطنة ، على اختيارات علم النجوم بحيث إن الإسكندر إذا أراد عقد الألوية في الحروب ، فليجعل « الطالع الأسد وليصلح القمر وصاحبه ، وليكن في موضع جيد من الطالع ، وليجعل صاحب الطالع في بيوت المريخ ، ولا يخلين منه نظر المريخ من التثليث ، ولينظر كل عمل يريد طبيعته من الكواكب والبيوت »[٢] . وعلى الإسكندر أن يصلح الكوكب والبرج الذي من تلك الطبيعة فإنه رأس الأمر[٣] .

ومنها أيضاً ، في الخروج إلى السفر ، نصيحة الفيلسوف للإسكندر أن يجعل الطالع الطريق ، والسابع ، أي الطالع السابع المناظر له ، البلدة والموضع الذي يسافر إليه ، والعاشر للعمل الذي يطلب ، ووتد الأرض عاقبة ذلك . . وليحذر أن يكون القمر منحوساً أو تحت الشعاع ، أو في السادس ، أو في الثاني عشر . . وليحذر أن يكون عطارد تحت شعاع الشمس أو راجعا ، فإن كان سعد في الطالع دل على الصلاح ، لا سيما إن كان المشتري . . وإن كان في وسط السماء دل على وفاء العمل وتمامه . وإذا كان في السابع دل على قبول الأمر والفرح والسرور وقضاء الحاجة . . وإن كان في وتد الأرض دل على تمام الأمر وحُسن العاقبة . . وليحذر أن يكون القمر عند الخروج في تربيع الشمس . . وليجعل صاحب الطالع في بيت المريخ في وسط السماء والمريخ ينظر إليه نظرة مودة . . وليجعل المشتري في الرابع ، وليصلح القمر ، فهو في الأسفار كلها أعظم دليل[٤] . .

وجاء في المقالة العاشرة من هذا الكتاب مباحث شتى في خصوصيات علم الطلسمات وأسرار النجوم واستحالة النفوس وخواص الأحجار والنباتات ، إذ

---

(١) بدوي ، عبد الرحمن : الأصول اليونانية للنظريات السياسية في الإسلام ، ص ٨٥ .
(٢) نفسه ، ص ١٥١ .
(٣) نفسه ، ص ١٥١ .
(٤) بدوي ، عبد الرحمن : الأصول اليونانية ، ص ١٥٢ .

« بإزاء كل قسم جسماني قسم علوي روحاني هو علة كونه ومدبره . . وإن جميع الصور الأرضية تدبرها الصور الفلكية العلوية الروحانية ، وهذه هي العادة الموجبة لأعمال الطلسمات . وهذه الصورة الفلكية ثابتة في درج الفلك ، والسبعة المدبرات العلويات تقبل أشكالها في أنوارها كما يقبل البصر والمرائي العقلية أشباح الأشياء وصورها وتلبها إلى العالم السفلاني بتقدير صورها ، ومركبها ، فيقبل كل شيء من المعادن والنبات والحيوان منها ما في قوته أن يقبله »[1] . وغير ذلك كثير مما لسنا بحاجة إلى تفصيله .

سبق أن ذكرنا أن حنين بن إسحق كان أحد من تصدى لترجمة كتاب المجسطي ، ولم يكتفِ حنين بهذا العمل ، بل عمل على إعادة ترجمة المؤلفات العلمية والفلسفية ، وعلى شرحها وتنقيحها بعد مقارنتها بالأصل . ولقد ساعد حنيناً في هذا العمل ولده إسحق ، وابن أخته حبيش ، وتلميذه عيسى بن يحيى الذين قاموا جميعاً بترجمة المجموعة الأرسطوطالية بكاملها تقريباً ، هذا فضلاً عن ترجمتهم لعددٍ آخر من مؤلفات أفلاطون[2] . ويضاف إلى هؤلاء عدد آخر من التراجمة والنقلة أشهرهم ابن ناعمة الحمصي ، وأبو بشر متى ، ويحيى بن عدي ، وقسطا بن لوقا ، وأبو عثمان الدمشقي ، وأبو علي بن زرعة ، والحسن بن سوار المعروف بابن الخمار ، وثابت بن قرة وسواهم من الذين انكبوا على ترجمة العديد من كتب الطب والفلسفة والفلك والهندسة ، وأهمها على الإطلاق كتاب الآثار العلوية لأرسطو ، وكتب المنطق الأربعة : « الأيساغوجي » و « المقولات » و « العبارة » و « القياس » وقام ابن الخمار بترجمتها من السريانية إلى العربية[3] .

وفي جميع الأحوال ، فلا يمكن أبداً إغفال الدور الذي قام به خلفاء بني العباس على وجه الخصوص ، بالتشجيع على النقل والترجمة والبحث والتأليف . . فالخليفة المنصور مثلاً ، أسس مكتبة ألحقها بقصره بعد أن عيّن لها عدداً من الوراقين الذين أمرهم بإحضار المخطوطات التي تبحث في مختلف جوانب العلوم ، وفي الوقت ذاته قرّب إليه التراجمة المشهورين ، أمثال يوحنا بن بختيشوع ، وابن البطريق ، طالباً إليهم أن يبادروا إلى نقل المؤلفات اليونانية إلى

---

(١) نفسه ، ص ١٥٦ .
(٢) فخري ، ماجد : تاريخ الفلسفة الإسلامية ، ص ٣٥ .
(٣) نفسه ، ص ٣٧ - ٤٠ .

العربية ، خصوصاً تلك المتعلقة بعلوم الطب والفلسفة والنجوم ، وبصورة أخص تلك التي تنتسب إلى الإسكندرية مركز حضارة الثقافة اليونانية في عهد البطالمة أو البطالسة [1] .

ويأتي المأمون في طليعة الخلفاء الذين كان لهم فضل الريادة في التشجيع على الترجمة ، ومدارسة الكتب ، ومجالسة العلماء والفقهاء والفلاسفة ، ولقد كانت له عناية خاصة بعلوم اليونان ، فأرسل وفوداً إلى بلاد الروم من أجل الحصول على العلوم القديمة ، وفي الوقت ذاته أسس مكتبة ضخمة ، أطلق عليها اسم خزانة الحكمة أو بيت الحكمة ، وكانت تضم مئات من المؤلفات الأدبية والعلمية ، جاعلاً من يوحنا بن ماسويه أشهر التراجمة ، رئيساً لها ، ومن سند بن علي رئيساً للمرصد الفلكي الذي كان قد أمر ببنائه في بغداد إضافةً إلى المرصد الآخر الذي أمر به في تدمر من أعمال الشام . ويذكر ابن النديم أن مراسلات كان تجري بين المأمون وملك الروم ، ومن بينها واحدة طلب فيها المأمون إلى الملك إنفاذ ما لديه من العلوم القديمة ، بعد أن كلف من أجل هذه الغاية الحجاج بن مطر ، وابن البطريق ، وسلما صاحب بيت الحكمة ، فقاموا بهذه المهمة خير قيام ، وأنفذوا له ما وجدوه في بلاد الروم[2] . ويُقال إنهم وجدوا في معبد من معابد القسطنطينية ، وهم في طريق العودة إلى بغداد ، عدداً ضخماً من المخطوطات الفلسفية والعلمية والطبية ، فحملوها معهم إلى بغداد حيث تمت ترجمتها جميعها[3] ، ومثل هذه الحادثة تذكّرنا بحادثة أخرى مماثلة جرت من قبل للرشيد حينما افتتح بلاد الروم ، ثم قفل راجعاً من عمورية وأنقرة وهو يحمل معه عدداً من الكتب اليونانية التي أمر بترجمتها إلى العربية ، بعد أن عيّن يوحنا بن ماسويه أميناً للترجمة ، يعاونه عدد آخر من أفاضل العلماء[4] .

أما الخليفة المتوكل فقد عين حنين بن أسحق العبادي الحيري تلميذ ابن ماسويه ، رئيساً لمدرسة الترجمة ، وكانت طريقة حنين في هذا المجال ، أن يحول النص من اليونانية إلى السريانية أولاً ، ثم يقوم بنفسه ، أو بمساعدة عدد آخر

(١) مجلة المورد ، ص ٥٨ ، العدد الأول والثاني ، المجلد الأول ، ١٣٩١ هـ / ١٩٧١ .
(٢) ابن النديم : الفهرست ، ٩ / ٣٠٤ .
(٣) مجلة المورد ، ص ٥٩ ، العدد الأول والثاني ، المجلد الأول ، ١٣٩١ هـ / ١٩٧١ م .
(٤) مجلة المورد ، ص ٥٨ ، العدد الأول والثاني ، المجلد الأول ، ١٣٩١ هـ / ١٩٧١ م .
وأنقرة وعمورية مدينتان تقعان اليوم في تركيا .

أحياناً ، بترجمة النص السرياني إلى العربية ، وبعد ذلك كان يقارن بين النصوص الثلاثة ، وذلك من أجل التثبت من صحة النقل والترجمة ، وليس أدل على حرصه هذا ، وإتقانه لعمله ، من نقده للترجمة التي كان يقوم بها لنفسه في مستهل حياته[1] .

وحنين بن إسحق هذا ، واحد من مجموعة من المترجمين المشهورين الذين اتصل بهم بنو موسى ، وكلفوهم القيام برحلة إلى بلاد الروم سعياً وراء جمع الكتب العلمية وترجمتها أو مراجعتها ، فكان مما راجعه حنين ترجمة يحيى بن البطريق لكتب أرسطو ، وترجمة إبراهيم بن الصلت لمقالات بطليموس الأربع (الرابوعات) : وكان مما رجعه ثابت بن قرة ترجمة حنين على رأي ، وترجمة الحجاج بن مطير ، على رأي آخر ، لكتب اقليدس[2] . وبنو موسى هؤلاء ، وهم : محمد وأحمد وحسن ، أخوة ثلاثة كانوا علماء ذوي اختصاص في الهندسة والفلك وعلم الحيل ، وكانوا على صلة بمشاهير العلماء الذين بذل لهم هؤلاء الأخوة مبالغ طائلة من أجل ترجمة المخطوطات اليونانية ذات الصفة العلمية في الطب والفلك والرياضيات ، ومن ثم العمل على نشرها وترويجها في أوساط الخاصة من المثقفين[3] .

وفي ختام هذا المبحث لا يسعنا إلاّ أن ننوه بفضل اللغة العربية على الحضارة الإنسانية ، فنذكر أن عدداً لا بأس به من كتب اليونان التي ضاعت أصولها الإغريقية ، لم يبق منها إلاّ الترجمة العربية التي مكنت الغرب أن يتعرف على التراث اليوناني ، وهذا هو حال كتاب « المخروطات » « Conics » الذي ألفه أبولونيوس[4] .

---

(١) إمام إبراهيم أحمد : تاريخ الفلك عند العرب ، ص ٣٤ .

(٢) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، ص ٢٩٥ . تحقيق نزال رضا . دار مكتبة الحياة . بيروت ١٩٦٥ م .

(٣) تاريخ الفلك عند العرب ، ص ٢٧ .

(٤) شاخت وبوزورث : تراث الإسلام ، ص ١٦٦ .

وأبو لونيوس هذا ، هو أبولونيوس البرغي (٢٦٠ ـ ٢٠٠ ق . م .) العالم الرياضي والفلكي الذي علم في الإسكندرية . وهو غير أبولونيوس الرودسي (ت نحو ٢٣٠ ق . م .) وكان شاعراً ، وهو غير أبولونيوس الطياني (القرن الأول الميلادي) وكان فيلسوفاً .

وإننا لنورد مثلاً آخر ، هو ما عثرنا عليه في المكتبة الوطنية بباريس ، من المخطوطات العربية ذات الطابع التنجيمي ، والتي جاءت مترجمة عن كتب يونانية لم يُعرف أصحابها ، وحسبنا منها المخطوطة ذات الرقم ٦٦٨٨ ، وهي عبارة عن مباحث متعددة في التنجيم ، مترجمة عن اليونانية ، بعضها منسوب إلى بطليموس ، وبعضها الآخر غير منسوب إلى مؤلف يوناني معين . . وهي إجمالاً تبحث في أيام السنة ودلالتها على السفر ، تبعاً لمواقع الكواكب في البروج ، وتبعاً لموقع القمر في المنازل ، كما تبحث في معرفة الغالب والمغلوب عن طريق حساب الجُمّل المعروف .

نبذة ثانية : التأثير الهندي والفارسي :

ولئن كان القسم الأكبر من الأصول المعتمدة في ميدان الفلك والفلسفة والطب والرياضيات ، يعود إلى اليونان ، كما بيّنا آنفاً ، فإن مما لا شك فيه كذلك ، إنه كان للأصول الهندية ، وللأخرى الفارسية ، حضور فاعل ، وكان لها تأثير لا ينكر في هذا المجال ، وحسبنا دلالة على مثل هذا التأثير ما ذكره ابن النديم في فهرسته من أسماء كل من راكهر ، وراجه ، ومنكه ، وداخر ، وانكر ، ورنكل ، وجبهر ، وآندي ، وجباري من الهنود ، وكانوا أصحاب مؤلفات معروفة في الطب والنجوم[١].

وحسبنا دلالة أيضاً ، ما أقدم عليه أبو الريحان البيروني بنفسه (ت ٤٠٠ هـ / ١٠٤٨ م) من تأليف في هذا المجال حينما قام بزيارة الهند ، وأقام فيها حقبة من الزمن مكنته من الإطلاع مباشرة على أصول هذا العلم ، ونعني به علم النجوم والهيئة[٢] . ويبدو أن اتصال العرب بالهند ، بشكل وثيق يرقى إلى الخليفة المنصور ، لما جاءه وفد من الهند ، يضم عالماً بحركات النجوم وحسابها ، على مذهب « برهمكبت » صاحب الكتاب الموضوع باللغة السنسكريتية المعروف بـ « بَرَاهْمَسْبُهُطسيذْهانْتَ » ، فطلب المنصور إلى هذا العالم ، وربما كان اسمه « كنكه » أو « منكه » ، أن يُملي على المسلمين مختصر هذا الكتاب ، ففعل ، ثم أمر بترجمته إلى العربية ، وباستخراج خلاصة منه تتخذه

(١) ابن النديم : الفهرست ٩٠ / ٣٣٩ .
(٢) شاخت وبوزورث : تراث الإسلام ، ص ١٦٠ .

العرب أصلا في حساب حركات الكواكب ، وما يتعلق بها من الأعمال التنجيمية ، فقام بذلك العمل اثنان من العلماء هما : يعقوب بن طارق (ت ١٨١ هـ / ٧٩٦ م) وإبراهيم بن محمد الغزاري المتوفى عام ١٦١ هـ / ٧٧٧ م) .

أما الأول فسرعان ما قام بعمل جداول للجيوب أسماها « كتاب تقطيع كردجات الجيوب » ، ولفظة كردجة ، لفظة سنسكرتية تُطلق على جيب كل قوس من أقواس الدائرة التي قسمها الهنود إلى ستة وتسعين جزءاً[1] ، وأما الثاني ، وهو إبراهيم ، فقام بصناعة أول إسطرلاب عربي يُستخدم في رصد النجوم ، وأضاف إلى عمله هذا وضع عدد من المؤلفات الفلكية منها « كتاب العمل بالإسطرلاب المسطح » و« كتاب الزيج على سني العرب » الذي ظل يعمل به حتى زمن المأمون حينما غلب مذهب بطليموس في الحساب، وفي الجداول الفلكية . والذي يتحصل لنا ، هو أن علماء العرب عوّلوا على الجزء الأخير من كتاب هذا العالم الهندي ، وهو « سدهاند » أو « سدهانت » الذي سرعان ما حُرّف فأضحى « سندهند »[2] . ومعنى « السدهاند » ، أو هندا المستقيم الذي لا عوج فيه ولا تغيير . ويُقال إن الذي قام بترجمة السدهاند ، هو محمد بن إبراهيم الغزاري ، لا إبراهيم ، وإن كان من المرجح أن هذا الأخير هو الذي قام بالترجمة فعلاً ، وأن الثاني هو الذي سارع إلى وضع كتاب آخر على مذهب السندهند[3] .

ولقد كان لنقل هذا الأثر النفيس ، عنيت الـ « سندهند » بالغ الأثر في تعزيز ظاهرة النشاط الفلكي ، بل التنجيمي ، ذلك أن المنجم الماهر لا يتأتى له بناء الأحكام التنجيمية إلاّ وفاقاً لحسابات ، فلكية دقيقة ، ومعرفة واسعة بمواقع الكواكب والنجوم ، وتحديد مساراتها ، ومعرفة قراناتها ومنازلها في البيوت أو البروج .

---

(١) إمام إبراهيم أحمد : تاريخ الفلك عند العرب ، ص ٢٢ .
(٢) أمين ، أحمد : ضحى الإسلام ، ص ٢٤٢ ـ ٢٤٣ .
(٣) إمام إبراهيم أحمد : تاريخ الفلك عند العرب ، ص ٢٣ . وانظر أيضاً : مجلة المورد . المجلد الثامن . العدد الرابع . (مقالة في العلوم والفلسفة في حضارة بغداد أيام العباسيين الأولى) .

و« سدهاند » أو « سندهندا » اسم يُطلق في الواقع ، على أكثر من كتاب عندهم ، وإن كان أشهرها خمسة هي التالية : « سورج سدّهاند » المنسوب إلى الشمس ، والذي تولاه « لات » ، و« بسشت سدهاند » المنسوب إلى أحد نجوم كوكبة بنات نعش ، تولاه « بشنجنندر » ، و« بلس سد هاند » ورابعها هو « رومك سدهاند » الذي عمله « اشرنجين » وينسب إلى الروم ، أما الخامس فهو « براهم سدهاند »وينسب إلى « براهم » ، لكن الذي عمله هو « برهمكوبت بن جشن » في بهلّمال الهندية[1] . وهذا الكتاب الأخير يبحث ، كما ذكر البيروني ، في أحوال الكرة ، وهيئة السماء والأرض ، ومزاولة الأزمنة ، وأدوار الكواكب وتقويمها وتقويمها واقترانها وعروضها وتحقيق أوساطها وتقويمها ، كما يبحث في رؤية الهلال ، وحال قرنيه ، وكسوف الشمس والقمر ، وظل القمر ، وانحرافات الكسوف ، كما يبحث أيضاً في أوزان الشعر وعروضه ، وفي الدوائر والآلات والأزمان والمقادير الأربعة ، أي الشمسي ، والطلوعي والقمري والمنازلي ، وفي علامات الأعداد والأرقام في خلال المنظومات . . وباختصار ، هو كتاب يضم أربعة وعشرين باباً تبحث في المسائل المشار إليها آنفاً[2] .

ونظراً إلى أهمية الكتاب ، فقد عمل بعض المؤلفين المسلمين على محاكاته ، وراحوا يضعون المؤلفات الفلكية على نسقه ، ومن هؤلاء ، نذكر الخوارزمي الذي يُنسب إليه وضع جداول فلكية أسمى بعضها « السندهند الصغير » مقتفيا فيه أثر كتاب « السندهند » المعروف ، إلاّ أن الخوارزمي جمع في كتابه خلاصة آراء الفرس والهند واليونان مجتمعة[3] .

والذي يبدو لنا ، هو أن جل التأثير الهندي المتسرب إلى الفكر العربي عن طريق ترجمة السندهندا ، إنما ينصب على الناحية الفلكية العلمية البحتة ، دون التعرض لتأثير الكواكب والأحكام المترتبة عليها ، حتى أن البيروني الذي عاين عن كثب ، كتب الهند ، وتعرف على كبار منجميها ، لم يكن مطمئناً تماماً إلى

(١) البيروني : تحقيق ما للهند من مقولة ، ص ١١٨ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ١١٩ ـ ١٢٠ .
(٣) إمام ، إبراهيم أحمد : تاريخ الفلك عند العرب ، ص ٣٣ . والخوارزمي . هذا ، ربما كان محمد بن موسى المتوفى سنة ٢٣٥ هـ / ٨٤٩ م وهو أحد منجمي المأمون وصاحب كتاب « الجبر والمقابلة » . وربما كان أبا عبد الله الخوارزمي المتوفى سنة ٣٨٨ هـ / ٩٩٧ م ، وهو صاحب كتاب « مفاتيح العلوم » .

سلامة ما زعم عن هذا التأثير الذي وصل إلى المسلمين من الهند عن طريق السندهندا ، وهو ، أي البيروني ، يجد نفسه في موقف اللائم لأصحابه الذين « لم يعهدوا طرق الهند في أحكام النجوم ، بل لم يقفوا قط على كتاب لهم فيها » ، حسب تعبيره ، كاشفاً في الوقت ذاته عن وجود فروقات وخلافات بين طرق استدلال الهند على الكائنات ، والتي هي أقرب إلى النرد والفراسة ، وبين ما هو معروف ومتداول في أوساط أصحاب هذه الصناعة من العرب والمسلمين[1] . ولعل أبرز خلاف بينهما هو أن الهند تنسب التأثير إلى النجوم الثوابت ، وتقول بنسبة « المثلثات » إلى الجهات بالجملة ، لا إلى العناصر والطبائع ، كما هو شائع ومعلوم .

على أن الذي يجب ذكره ، هو أن انتقال الأثر الهندي إلى العرب ، لم يكن لينتقل إليهم إلّا بواسطة الثقافة الفارسية ، لكن مما يؤسف له حقاً ، هو الافتقار إلى الكتب البهلوية ذات الصلة بهذا الموضوع ، مما جعل من العسير ، التفريق بين الأصول الفارسية التي تظهر مثلاً في « زيج الشاه » ، وبين الأصول الهندية والعناصر اليونانية التي تسربت إلى الفرس أثر هجرة العلماء اليونان من بيزنطية ، وكتاب « زيج الشاه » هذا ، يرجع تاريخ كتابته إلى أيام يزدجرد الثالث ، آخر ملوك الفرس في القرن السابع الميلادي .

ومهما يكن ، فإنه يمكن الإطلاع على الأثر الفارسي بوضوح ، عن طريق العلماء المسلمين ذوي الأصل الفارسي من الذين ألّفوا في هذه الموضوعات أمثال أبي معشر البلخي[2] ، وأبي سهل النوبختي الذي نقل إلى العربية عدة كتب في الفلك ، وما شاء الله اليهودي ذي الأصل الفارسي ، والذي يُنسب إليه وضع عدة مؤلفات في الفلك والتنجيم والآثار العلوية ، وفي الدول والملل[3] .

كما يمكن تلمّس الأثر الفارسي مشوباً بآخر يوناني من خلال تتبع نشاط العلماء العرب والمسلمين وغير المسلمين ، من الأطباء النساطرة ذوي الثقافة السريانية واليونانية ، ممّن أقام في بغداد زمن هارون الرشيد ، وكانوا في معظمهم

---

(١) البيروني : تحقيق ما للهند من مقولة ، ص ٥١٥ .
(٢) شاخت وبوزورث : تراث الإسلام ، ص ١٦٠ - ١٦١ .
(٣) فخري ، ماجد : تاريخ الفلسفة الإسلامية ، ص ٣٠ .

تخرجوا من جند يسابور المدينة الفارسية الواقعة في مقاطعة خوزستان ، والتي أنشأها سابور الأول الساساني ، وأسكنها سبي الروم . وهذه المدينة التي عُرفت بمدرستها الطبية الراقية ، وبمرصدها الفلكي ، كانت مركزاً ثقافياً مميّزاً في نهضة النشاط العلمي والعقلي في الإسلام ، وكانت تُدرس فيها علوم اليونان المتأخرين ، باللغة الآرامية ، وظلت قائمة حتى أوائل العصر العباسي[1] .



(١) دائرة المعارف الإسلامية ١٢ / ٣٥٩ ـ ٣٦٠ .
وانظر أيضاً : فخري ، ماجد تاريخ الفلسفة الإسلامية ، ص ٢٦

الفصل الثالث

نجوميون ومنجمون

تمهيد :

ـ مبحث أول : نجوميون :

أولاً : في المشرق .

ثانياً : في مصر والمغرب والأندلس

ـ مبحث ثانٍ : منجمون

الطائفة الأولى : من غير أصحاب المؤلفات :

أولاً : في المشرق .

ثانياً : في مصر والمغرب والأندلس .

الطائفة الثانية : أصحاب المؤلفات :

المجموعة الأولى .

المجموعة الثانية .


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

نجوميون ومنجمون

تمهيد :

يكاد يكون من معاد القول ، بل من نافله ، تبيان اهتمام العلماء الأوائل بدراسة الكتب العلمية وترجمتها ونقلها ، ثم وضع العديد من المؤلفات التي تبحث في شتى مناحيها وفروعها ، ولا سيما تلك المتعلقة بشؤون الهيئة والنجامة .

ولربما كان لانتقال الحكم إلى بني العباس ، وللانتفاضات السياسية التي تلت سقوط دولة الأمويين ، بشكل خاص ، ما عزز الإعتقاد لدى عددٍ من خلفاء بني العباس بأن قيام الدول وانحلالها ، وانتقال الحكم من جماعة إلى جماعة ، ومن قوم إلى آخرين ، إنما هو ضربٌ من الحتمية التاريخية التي تدل عليها اجتماعات الكواكب وقراناتها ومساراتها ، وهذا ما لا يقدر على استنباطه والكشف عن حسبانه ، وتحديد زمانه ، إلّا من أتقن فنّ التنجيم ، واضطلع بالعلوم الموطئة له ، عنينا علوم الهيئة على اختلافها من أزياج وتقاويم وأرصاد وآلات نجومية ، انصرف إلى التخصص بها عدد من النجوميين والمنجمين الذين وضعوا فيها العديد من الكتب والرسائل والمباحث .

وإن ما يعزز هذا القول ويؤيده ، أن عدداً لا بأس به من الخلفاء والوزراء وذوي المناصب العالية ، كان لهم منجمون رسميون وعلماء متخصصون عنوا بصيانة كتب الفلك والنجامة وصناعة الأحكام والعمل على نقلها وترجمتها ، ووضع ما يضارعها بالعربية ، لا ، بل إن واحداً من أولئك الخلفاء ، وهو

المأمون ، كان لا يقدم على عمل سياسي أو عسكري مهم ، إلا بعد أخذ مشورة المنجمين ، والوقوف على رأيهم فيه[1] . وسنرى حين نتحدث عن اهتمام الخاصة بالتنجيم كيف أن عدداً لا يُستهان به من الكتب المسماة بالأزياج ، وتلك التي تبحث في التقاويم أو تُعنى بتطوير صناعة الأسطرلاب ، ما كانت توضع في الغالب إلّا خدمة لضبط عملية استخراج الطالع والكشف عن الغيب ، وذلك بالاستناد إلى الوقوف بدقة على مواقع الكواكب في بروجها وبيوتها ، الأمر الذي يستدعي من وجهة نظرهم ، الوقوف على أدق الأحكام النجومية وأكثرها صواباً .

وقبل أن نعرض لهذه المؤلفات النجومية على اختلافها ، وللمنجمين على اختلاف نزعاتهم ومشاربهم ، نود أن نشير إلى أن قسماً كبيراً من هؤلاء كانوا ممن اشتغل بالطب والحساب والرياضة والفلسفة ، إضافةً إلى اشتغالهم بالنجوم التي كان الإطّلاع عليها ، والإلمام بها ، سمة من سمات ثقافة العصر ، ولا يعني هذا بالضرورة تصديقاً بما تقوله النجوم ، أو اعتقاداً بصحة أحكامها ، بل ربما كان الأمر نقيض ذلك تماماً ، يؤكد هذا عدد غير قليل من الكتب والرسائل التي ردّ فيها أصحابها على المنجمين ، تفنيداً لآرائهم ، ودحضاً لمزاعمهم .

وإن كان من كلمة نقولها في ختام هذا التمهيد ، فإن من الأهمية بمكان أن نؤكد مجدداً على أن جلّ اهتمامنا في هذا الفصل إنما هو ينحصر في الانصراف إلى تعريف القارىء بطائفة من النجوميين والمنجمين الذين تحدثت عنهم المصادر التاريخية والأدبية ، سواء أكانوا من أصحاب الكتب المتخصصة بهذه العلوم أم لم يكونوا من أصحابها المذكورين ، إلا من كان من الشهرة وذيوع الصيت على جانب لا يمكن إغفاله أو التغاضي عنه ، فنتحدث ما أمكن عنه ، وعن مؤلفاته ، ونشاطاته ، ضمن حدود معقولة من التوسع والشمول .

وتوضيحاً لهذه الغاية ارتأينا أن نقسم هذا الفصل إلى مبحثين اثنين أساسيين اختص الأول منها بالحديث اقتضاباً عن النجوميين ، أي علماء النجوم الذين وضعوا مؤلفات في الهيئة والأزياج والإسطرلاب والتقاويم ، أو قاموا بأرصاد مشهودة ساعدت على ترسيخ أقدام التنجيم بالنظر إلى الصلة الوثيقة التي تربط بينه وبين علومهم التي ما كان التخصص بها والتعمق فيها في الغالب ،

---

(١) فخري ، ماجد : تاريخ الفلسفة الإسلامية ، ص ٣٠ .

وهذا ما ألمعنا إليه ، إلاّ خدمة لأغراض التنجيم وتوطئة له وتمهيداً .

أما المبحث الثاني ، وهو الأهم ، فهو مختص بالحديث عن الذين غلبت على أعمالهم ومؤلفاتهم صفة التنجيم ، والذين قسمناهم بدورهم إلى قسمين أسمينا كل قسم بنداً يتحدث الأول عن المنجمين الذين لم تذكر المصادر مؤلفات لهم بعينها ، وتحدث الآخر عن أولئك الذين عرفوا بمباحثهم ومؤلفاتهم التي تضمنت المعرفة بأحكام هذه الصناعة ، وإلماماً بدقائقها بالسلب أو بالإيجاب .



مبحث أول

نجوميون

يُقصد بالنجوميين علماء الهيئة الذين اشتغلوا بالنجوم فقاموا بمراقبتها ، وتطوير آلات رصدها ، ووضع كتب الأزياج[1] والتقاويم على اختلافها ، ممن كانوا من المنجمين ، أو من الذين وطدوا سبل الاسترشاد بها لمن عاصرهم أو جاء بعدهم من المنجمين الذين آمنوا بأحكامها فعلا ، واعتقدوا بتأثيرها . وهاك ثبتاً ، أجملنا فيه القول آونة ، وفصلناه آونة أخرى ، بأبرز هؤلاء النجوميين الذين راعينا في إيرادهم قدر المستطاع ، جانب المحافظة على التسلسل الزمني .

أولاً : في المشرق :

الفزاريّان :

وهما إبراهيم ومحمد ، من بني فزارة . أما الأول وهو أبو إسحاق إبراهيم بن حبيب ، (ت ١٥٩ هـ / ٧٧٧ م) ، فهو أول مترجم للسندهندا ، وأول من عمل إسطرلاباً في الإسلام ، وهو صاحب القصيدة المشهورة في علم

---

(١) نعود فنكرر القول إن الأزياج جمع زيج . والزيج معرّب (زه) ، وهي مسطارة البنائين التي يقال لها القانون ، باليونانية . أو هي معرب (زيك) بالفارسية ومعناها السّدي الذي تنسج فيه لحمة النسيج . وقد أطلقت هذه الكلمة على الجداول لأن خطوطها الرأسية تشبه خيوط السدي .

انظر : خليفة ، حاجي : كشف الظنون ٢ / ٩٦٤ .

وانظر : تاريخ الفلك عند العرب للدكتور إمام إبراهيم أحمد ، ص ٢٣ .

النجوم ، وصاحب كتاب « العمل بالإسطرلاب المسطح وذي الحلق »[1] . وإليه يُنسب وضع كتاب في الزيج[2] . وأما محمد ، ابنه (ت ١٨١ هـ / ٧٩٦ م) فكان خبيراً بالنجوم والحدثان ، وهو الذي قال فيه يحيى بن خالد البرمكي : « أربعة لم يدرك مثلهم في فنونهم : الخليل بن أحمد ، وابن المقفع ، وأبو حنيفة ، والفزاري »[3] . أو هو الذي قال فيه جعفر بن يحيى بن خالد البرمكي : « لم ير أبدع في فنه من الكسائي في النحو ، والأصمعي في الشعر ، والفزاري في النجوم ، وزلزل في ضرب العود »[4] .

ومنهم من ينسب إليه ، لا إلى أبيه إبراهيم ، ترجمة « السندهند »[5] ، والقصيدة التي تقوم مقام الزيجات للمنجمين ، وهي القصيدة المزدوجة الطويلة التي أولها :

الحمد لله العليّ الأعظم ذي الفضل والمجد الكبير ، الأكرم

الواحد الفرد الجواد المنعم

الخالق السبع العلى طباقا والشمس يجلو ضوؤها الإغساقا

والبدر يملأ نوره الآفاقا[6]

أما سبب الاختلاف في ما إذا كان إبراهيم الفزاري ، أو ابنه محمد ، هو الذي قام بترجمة السندهند ، وفي ما إذا كان هو صاحب القصيدة المشهورة في علم النجوم ، فربما يعود إلى ورود الاسمين معاً في مختلف الروايات المتصلة بالكتاب وبالقصيدة ، وإن كان مرجّحاً ، على ما يبدو ، « أن إبراهيم هو الذي قام بالترجمة فعلاً ، أما ابنه فقد وضع كتاباً على غرار السندهند ، يُشير إلى ذلك قول ابن الأدمي المتوفى في أواخر القرن التاسع الميلادي ـ الثالث الهجري ـ في زيجه المسمّى « نظم العقد » « أن الخليفة المنصور كلف محمد بن إبراهيم الفزاري بعمل كتاب على مذهب السندهند »[7] .

(١) ابن النديم : الفهرست ٧ / ٣٣٠ . وانظر أيضاً : القفطي : أخبار العلماء بأخبار الحكماء ، ص ٤٢ .
(٢) خليفة ، حاجي : كشف الظنون ٢ / ٩٦٤ .
(٣) ياقوت : معجم الأدباء ١٧ / ١١٨ .
(٤) نفسه ١٧ / ١١٨ .
(٥) القفطي : أخبار العلماء ، ص ١٧٧ .
(٦) ياقوت : معجم الأدباء ١٧ / ١١٨ .
(٧) إبراهيم أحمد ، إمام : تاريخ الفلك عند العرب ، ص ٢٣ .

يعقوب بن طارق :

ومن الذين قاموا بترجمة السندهند إلى العربية ، بل من أوائل من قام بهذا العمل ، يعقوب بن طارق (ت ١٧٨ هـ / ٧٩٦ م) ، وكان أحد نجومي الخليفة المنصور . وليعقوب هذا ، كتاب أسماه « تقطيع كردجات الجيوب » ، وله كتاب آخر في تعيين الوقت ، كما إن له جداول فلكية موضوعة على أساس السندهند المشهور[1] . ويقول صاحب « الفهرست » إن كتاب يعقوب المعروف بالزيج ، هو عبارة عن كتابين : الأول في الفلك ، والثاني في علم الدول ، أي هو مباحث تنجيمية[2] .

نجوميّو المأمون :

ونعني بهم من كان زمن الخليفة المأمون (حكم من ١٩٨ ـ ٢١٨ هـ / ٨١٦ ـ ٨٣٦ م) أو من اشتغل بالنجوم تحت رعايته ، وبالرصد ، وهم علي بن عيسى ، وخالد بن عبد الملك المورروذي ، وابنه محمد ، وأبو سعيد الضرير ، والجوهري وابن كثير الفرغاني ، وحبش ، ويحيى بن أبي منصور، والخوارزمي .

علي بن عيسى :

أما الأول ، وهو علي بن عيسى الملقب بالإسطرلابي ، فهو ، كما يدل عليه لقبه ، أحد الذين برعوا في استخدام الإسطرلاب ، وشرح تفاصيله وطرق استعماله في كتاب يُعتبر الأول من نوعه ، وضعه خدمة للمرصد الذي أنشأه المأمون ، بل للمراصد التي أنشأها ، ونخّص بالذكر منها ما كان في بغداد وتدمر[3] .

خالد بن عبد الملك وابنه محمد :

وأما الثاني والثالث فهما : خالد بن عبد الملك المروذي الذي شارك في

---

(١) المرجع نفسه ، ص٢٢ .
وكردجات ، جمع كردجة، وهي تعريب كلمة « كرماجيا » السنسكريتية . . والـ « كرماجيا » تطلق على جيب كل قوس من أقواس الدائرة الستة والتسعين جزءاً ، حسب تقسيم الهند ، كما جاء في الصفحة ذاتها .

(٢) الفهرست ٧ / ٣٣٦ .

(٣) تاريخ الفلك عند العرب ، ص ٢٧ .

أرصاد الشمس التي جرت بدمشق[1] ، وابنه محمد الذي وضع في الإسطرلاب كتاباً هو « الإسطرلاب المسطح » . كما وضع عددا من الجداول الفلكية[2] .

أبو سعيد الضرير :

وأما الرابع فهو أبو سعيد الملقب بالضرير ، وقد وضع كتاباً يتحدث فيه عن طرق رسم خط الزوال الذي يشير من الشمال إلى الجنوب[3] .

الجوهري :

وأما الخامس فهو العباس بن سعيد الجوهري ، وكان منجماً وعالماً بالرصد . شارك في أعمال الرصد التي جرت في الشماسية ببغداد بأمرٍ من المأمون . وكان له زيج مشهور ، وهو يُعتبر ، ومعه سند بن علي ، وخالد بن عبد الملك المرورذي ويحيى بن أبي منصور ، من أوائل الذين رصدوا في الملّة الإسلامية[4] .

الفرغاني :

وأما السادس ، فهو أبو العباس ، أحمد بن محمد بن كثير الفرغاني ، الذي عاصر المأمون ، وكان حياً زمن المتوكل . ترك عدة مؤلفات فلكية أهمها على الإطلاق كتابه الموسوم بـ « الحركات السماوية وجوامع علم النجوم » والمتضمن تقاويم العرب والسريان والفرس والروم والقبط ، وعدداً من الآراء والمباحث الفلكية المختلفة في دوران النجوم ، وكروية السماء ، وكروية الأرض ، ووصفا موجزاً لمواقع البلدان والأقاليم . وقد تُرجم هذا الكتاب مرتين إلى اللاتينية في القرن الثاني عشر الميلادي ، ثم إن هذه الترجمات « طُبعت في أوروبا في القرنين الخامس عشر والسادس عشر ، فصار الكتاب أحد المراجع الهامة التي اعتمدت عليها دراسات الفلك في أوروبا في ذلك الوقت »[5] .

---

(١) إمام ، إبراهيم أحمد : تاريخ الفلك عند العرب ، ص ٣٢ .
(٢) نفسه ، ص ٣٢ .
وانظر أيضاً : القفطي : أخبار العلماء بأخبار الحكماء ، ص ١٨٥ .
(٣) تاريخ الفلك عند العرب ، ص ٣٢ .
(٤) أخبار العلماء ، ص ١٤٨ .
(٥) تاريخ الفلك عند العرب ، ص ٣٠ . وانظر قبله : ابن النديم ، الفهرست ٧ / ٣٣٧ .

وللفرغاني كتاب آخر لا يقل أهمية عن الأول ، هو « المدخل إلى علم هيئة الأفلاك » ويحتوي جوامع كتب بطليموس[1] . وتوجد من هذا الكتاب نسخة مخطوطة تضمها مكتبة چسربتي بدبلن ، رقمها ٤١١٤ ، وهي تتألف من أربع وأربعين ورقة يعود تاريخ نسخها إلى سنة ٧٤٠ هـ / ١٣٤٠ م[2] . كما توجد من هذا الكتاب أيضاً نسخة مخطوطة رقمها ٦٣٩١ مودعة خزانة مكتبة الأوقاف العامة ببغداد .

وإذا صح ما نسبه البعض إلى الفرغاني ، بخصوص قسمة الأقاليم السبعة العامرة من الأرض ، وقوله إن حصة الدرجة الواحدة من دور الفلك هي ستة وخمسون ميلاً وثلثا الميل ، بالميل الذي هو أربعة آلاف ذراع ، بالذراع السوداء ، كما في أيام المأمون ، فإن الفرغاني يكون من أوائل الذين حسبوا قطر الأرض حساباً دقيقاً ، فيكون وفق ذلك ستة آلاف وخمسمائة ميل ، وهي النتائج نفسها التي توصل إليها فلكيو المأمون[3] .

حبش :

حبش ، سابع نجومبي المأمون ، وهو اللقب الذي عُرّف به ، ربما نسبة إلى لون بشرته الداكن ، واسمه الحقيقي أحمد بن عبد الله ، الحاسب ، المروذي أو المروروذي ، نسبة إلى مرو ، هو أهم وأطرف شخصية في علم الفلك الإسلامي الأول . عاش ، كما يؤكد ابن يونس ، في عهد المأمون والمعتصم ، وقام بعدة أرصاد في بغداد عام ٢١٤ هـ / ٨٦٤ م ، وتوفي في بغداد ما بين سنة ٢٥٠ هـ وسنة ٢٦٠ هـ[4] .

ذكر له صاحب الفهرست ثلاثة كتب في الهيئة هي : « الزيج الدمشقي »

---

(١) ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ، ص ١٣٦ .
(٢) مجلة المورد ، مجلد ١ ، عدد ١ و ٢ ، ص ٢٢١ ، بغداد ١٩٧٥ م .
(٣) إمام ، إبراهيم أحمد : تاريخ الفلك عند العرب ، ص ٣٢ .
وهذا الرقم الذي توّصل إليه الفرغاني ورفاقه من نجومبي المأمون يقرب كثيراً من قطر الأرض المكتشف ، بل الثابت حالياً ، وهو اثنا عشر ألفاً وسبعمائة كيلومتر .
انظر : هويل ، فرد : مشارف علم الفلك ، ص ٣٤ . دار الكرنك ، القاهرة ١٩٦٣ م .
(٤) دائرة المعارف الإسلامية ١٣ / ٣٠٤ .

و« الزيج المأموني » و« العمل بالإسطرلاب »[1] . أما ابن العبري فذكر له كتاب « القرانات » وكتاب « الزيج » إضافة إلى الزيجين الآخرين فكان أولها على مذهب السندهند مخالفاً فيه كلا من الفزاري والخوارزمي ، وثانيها وهو « الزيج الممتحن » أو ما يعرف بـ« Tabulae probatae » ، والثالث هو « الزيج المأموني » ويُعرف أيضاً « بالزيج الصَّغير » وباسم « زيج شاه »[2] .

يحيى ابن أبي منصور :

أما ثامن نجومي المأمون ، فهو أبو علي يحيى بن أبي منصور (ت ٢٣٠ هـ / ٨٤٥ م) من أصل فارسي ، وهو من أشهر الذين رصدوا للمأمون بالشماسية في بغداد وقاسيون بدمشق عام ٢١٥ هـ وعام ٢١٧ هـ[3] . ولقد يُقال عن يحيى أنه زاد في دقة أجهزة الرصد بتقسيم درجاتها إلى ستة أجزاء مما يسمح بإعطاء القيمة المطلوبة دقة في الحساب ، ويجعلها أقرب ما يكون إلى الحقيقة[4] .

الخوارزمي :

وأما التاسع فهو محمد بن موسى الخوارزمي (ت ٢٣٥ هـ / ٨٤٩ م) الذي انقطع إلى خزانة الحكمة التي أسسها المأمون ، وترك عدة أزياج ، وكتبا أخرى في الإسطرلاب[5] .

والخوارزمي ، كما هو معلوم ، من أبرز علماء الرياضة والجغرافية ، يدل على ذلك كتابه المسمّى بـ« حساب الجبر والمقابلة » وكتابه الآخر المسمّى بـ« صورة الأرض » ، هذا فضلاً عن كتبه الأخرى التي من بينها بالطبع كتب فلكية منها جدول أسماه بـ« السندهند الصغير » وهو على مذهب كتاب السندهند المعروف ، لكنه يختلف عنه في « أن المبادىء التي بناه عليها هي خلاصة لآراء الفرس والهند والإغريق مجتمعة ، وقد تُرجمت جداوله عن الجيوب والظلال إلى

---

(١) الفهرست ٧ / ٣٣٤ .
(٢) ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ، ص ١٣٦ .
(٣) القفطي : أخبار العلماء بأخبار الحكماء ، ص ٢٣٤ .
(٤) تاريخ الفلك عند العرب ، ص ٢٧ .
(٥) أخبار العلماء ، ص ١٨٧ .

اللاتينية في القرن الثاني عشر الميلادي »[1] .

بنو موسى بن شاكر :

وكانوا زمن المأمون ، وهم : محمد وأحمد والحسن ، أولاد موسى بن شاكر الذين ساعدوا في ترجمة المخطوطات اليونانية ذات الصبغة العلمية والفلكية والرياضية بشكل خاص ، وقاموا ببعض الأعمال والأبحاث الفلكية ، وإن كان محمد ، وكنيته أبو جعفر ، أبرع الثلاثة في هذا الميدان[2] .

الحسين الكرماني :

ومن الذين كانوا أيام المأمون ، الحسن بن أحمد الصوفي الكرماني ، صاحب كتاب « الزيج المأموني » وصاحب الكتاب الآخر المسمّى بـ « جداول تقريبات الميل »[3] .

بنو الصباح :

ومن الذين ذكرهم صاحب « الفهرست » بنو الصباح الذين أتقنوا علوم الهيئة والأحكام ، وإليهم يُنسب كتاب « صنعة الاسطرلاب » الذي ألّفه كما قيل ، محمد ثم أتمه إبراهيم[5] . أما الحسن ، ثالث الأخوة ، فكان عالماً بالهيئة والهندسة ، وله كتاب « العمل بذات الحلق »[6] ، أو « الزيج المخترع » كما ذكر صاحب « فرج المهموم »[7] .

ابن حبيش :

ومن علماء الهيئة الذين ذكرهم صاحب الفهرست ، ابن حبيش ، واسمه

---

(١) إمام ، إبراهيم أحمد : تاريخ الفلك عند العرب ، ص ٣٣ .
(٢) نفسه ، ص ٢٨ . وانظر.
وانظر قبله : القفطي : أخبار العلماء ، ص ٢٠٨ .
(٣) ابن طاووس : فرج المهموم ، ص ٢٠٣ .
(٤) ابن النديم : الفهرست ٧ / ٣٣٥ . وانظر أيضاً : أخبار العلماء ، ص ٤٣ .
(٥) ابن طاووس : فرج المهموم ، ص ٢٠٣ .
(٦) ابن النديم : الفهرست ٧ / ٣٣٥ ، وانظر أيضاً : أخبار العلماء ، ص ٤٣ .
(٧) نفسه ٧ / ٣٣٥ .

الكامل عبد بن أحمد ابن حبيش ، صاحب كتاب « الإسطرلاب المسطح »[1] .

حكيم آل طاهر :

ومنهم منصور بن طلحة بن الحسين الملقب بـ « حكيم آل طاهر » ، وله كتاب « الإبانة عن أفعال الفلك »[2] .

النيريزي :

ومنهم أبو العباس ، الفضل بن حاتم النيريزي . كان عالماً بالنجوم والهيئة وله كتابان هما : « الزيج الكبير » و« الزيج الصغير »[3] . وله كتاب في « الإسطرلاب الكرّى » يبين فيه أسباب تفضيله على الأسطرلاب المسطح ، معدداً طرق استعماله ، والأرصاد التي يمكن أن تستخدم فيها ، وينسب إليه كتاب في الزيج ، ذو صبغة هندية أسماه « الزيج المعتضدي » نسبة إلى الخليفة المعتضد (حكم بين ٢٧٩ و ٢٨٩ هـ) مما يدل على أن النيريزي كان في عصر هذا الخليفة العباسي[4] .

قسطا بن لوقا (ت ٣٠٠ هـ / ٩١٢ م) :

من النجومين المشهورين ، والأطباء المعدودين أيام المقتدر ، الخليفة العباسي (مدة حكمه من ٢٩٥ ـ ٣١٧ هـ / ٩٠٧ ـ ٩٢٨ م) صاحب كتابي « المدخل إلى علم النجوم » و« العمل بالكرة النجومية »[5] . أو « العمل بالكرة ذات الكرسي » التي توجد منه نسخة مخطوطة في دار الكتب الظاهرية بدمشق ، وهي تضم ثماني وستين ورقة ، وتحمل الرقم ٤٤٩٤ .

ابن محفوظ :

ومن منجمي المقتدر ، جمال الدين أبو القاسم بن محفوظ ، المنجم

(١) ابن طاووس : فرج المهموم ، ص ٢٠٦ . لكن اسمه ورد في المصدر المذكور ، الحسين ، لا الحسن .
(٢) الفهرست ٧ / ٣٣٨ .
(٣) الفهرست ٧ / ٣٣٨ .
(٤) تاريخ الفلك عند العرب ، ص ٣٨ .
(٥) الفهرست ٧ / ٣٥٣ .

البغدادي ، صاحب « الزيج »[1] .

البتاني :

ومنهم أبو عبد الله البتاني (٢٤٥ ـ ٣١٨ هـ / ٨٥٨ ـ ٩٢٩ م) صاحب الزيج المشهور المعروف بكتاب « الزيج الصابىء » نسبة إليه ، ويُقال له « الزيج الممتحن » ، وهو أشهر الأزياج المعترف بها على الإطلاق[2] . كان أحد الراصدين المشهورين ، ابتدأ بالرصد سنة ٢٦٤ هـ / ٨٧٧ م ، وانتهى منه سنة ٣٠٦ هـ / ٩١٧ م[3] . والبتاني هو الذي توصل في أرصاده إلى إثبات حدوث الكسوف الحلقي للشمس ، وبفضله استطاع دونتورن « Donthorne » المتوفى عام ١٧٤٩ م أن يُحدد لاحقاً كيفية تسارع القمر في حركته الدائمة حول الأرض[4] .

المهاني :

ومن العلماء الذين كانوا معاصرين للبتاني ، أبو عبد الله محمد بن عيسى المهاني ، أحد أدق الراصدين الذي رصدوا ظاهرتي الخسوف والكسوف . وظاهرة قرانات الكواكب ، مما حدا بابن يونس ـ أحد نجومبي مصر ـ إلى الاعتماد على إرصاده ، وذلك عندما وضع كتابه الشهير المسمّى بـ« الزيج الحاكمي »[5] .

الفضل بن حاتم :

ومن أعلام الهيئة والتنجيم في القرن الرابع الهجري ، العاشر الميلادي ، أبو العباس الفضل بن حاتم ، صاحب « الزيج الكبير » و« الزيج الصغير » . وهو الذي نظر في مولد الطبيب ابن زهرون ، ثابت بن إبراهيم ، فعرف أنه ولد

---

(١) خليفة ، حاجي : كشف الظنون ٢ / ٩١٦ .

(٢) شاخت وبوزورث : الإسلام ، ص ١٩٩ . سلسلة عالم المعرفة . طبع الزيج الصابىء في روما سنة ١٨٩٩ م . عني بطبعه وتصحيحه وترجمته إلى اللاتينية وبالتعليق على حواشيه ، الدكتور كرلونالليو . نقله عن النسخة المحفوظة بمكتبة الأسكوريال من بلاد لأندلس .

(٣) ابن النديم : الفهرست ٧ / ٣٣٨ .

(٤) تراث الإسلام ، ص ١٩٩ .

(٥) إمام ، إبراهيم أحمد : تاريخ الفلك عند العرب ، ص ٣٨ .

وسهم الغيب في درجة الطالع ، مع درجة المشتري وسهم السعادة[1] .

نجوميّو بني بويه :

ومن أبرز علماء النجوم الذين حفل بهم بلاط بني بويه ، أو هم كانوا زمن بني بويه ، عبد الرحمن الصوفي ، وابن الأعلم ، وأبو الوفاء البوزجاني ، وعمر بن محمد المروروذي ، وأبو حامد الصاغاني . وأبو حنيفة الدينوري ، والكوهي والخجندي .

الصوفي :

أما الأول ، وهو أبو الحسين ، عبد الرحمن بن عمر الصوفي (٢٩١ - ٣٧٦ هـ / ٩٠٣ - ٩٨٦ م) فهو صاحب الكتاب الشهير المسمّى بـ « الصور السمائية » وصاحب الأرجوزة المشهورة في علم النجوم ، وصاحب كتاب « مطارح الشعاعات »[2] .

كان الصوفي منجم عضد الدولة البويهي . وكتابه « صورة السماء » أو « الصور السمائية » أو « صور الكواكب الثابتة » يضم رسوماً للنجوم وللكوكبات التي هي على صورة الإنسان أو الحيوان ، تلك التي ما زال بعضها يستعمل حتى الآن ، وذلك مثل كوكبه الدب الأكبر ، والدب الأصغر ، والحوت والعقرب ، والعذراء . وللكتاب شهرة عالمية واسعة تمثلت بترجمته إلى الإسبانية زمن ألفونسو العاشر بعنوان : « Libroros del saber de astronomıa » أي « كتاب المعرفة الفلكية »[3] .

ابن الأعلم (ت ٣٧٥ هـ / ٩٨٤ م) :

ذكره البيهقي في تاريخه فقال إنه صاحب الزيج المنسوب إليه . وإن المهندسين بأسرهم متفقون على أن تقويم المريخ من زيجه[4] . وفي حين اكتفى

---

(١) ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ، ص ١٧٤ .
(٢) نفسه ، ص ١٧٤ .
(٣) تراث الإسلام ، ص ١٨٣ .
(٤) البيهقي : تاريخ حكماء الإسلام ، ص ٩٠ .

ابن العبري بالقول إن ابن الأعلم البغدادي كان من علماء الهيئة[1] ، العلوي الحسيني المعروف بابن الأعلم ، صاحب الزيج المعروف في بغداد ، وصاحب « تقويم المريخ . . . والذي ذكر زايرجته يوماً فكان طالع مولده الميزان »[2] .

البوزجاني (ت ٣٧٦ هـ / ٩٨٥ م) :

هو أبو الوفاء ، محمد بن محمد بن إسماعيل بن العباس المولود في بوزجان من بلاد نيسابور عام ٣٢٨ هـ / ٩٣٩ م . كان عالماً بالرياضة والحساب والنجوم وله عدة كتب في حركات الكواكب[3] .

لكن شهرة أبي الوفاء تعود ، في الواقع ، إلى أعماله الرياضية ، ولا سيما تلك التي في الهندسة وحساب المثلثات ، وإن كان وضع ، كما أسلفنا ، كتباً عدة في الهيئة أو الفلك ، ومنها كتابه المسمّى « المجسطي » الذي وضعه على منوال مجسطي بطليموس ، وكتابه الآخر المسمّى بـ « الزيج الواضح »[4] أو « الزيج الشامل » كما في كشف الظنون[5] .

عمر بن محمد المروروذي (ت ٣٧٩ هـ / ٩٨٨ م) :

وهو صاحب الأرصاد المشهورة ، وله كتاب « تعديل الكواكب » ، وكتاب « صنعة الإسطرلاب المسطح »[6] . والمروروذي ، نسبة إلى مدينة مرو الروذ ، التركمانية .

الصاغاني (ت ٣٧٩ هـ/ ٩٨٨ م) :

هو أبو حامد الصاغاني ، ويُقال له الإسطرلابي ، العالم بالهيئة والرصد والإسطرلاب . كان أحد الذين رصدوا الكواكب السبعة لشرف الدولة البـويهي[7] . وشرف الدولة هذا ، هو ابن عضد الدولة ، وكان بنى مرصداً في

---

(١) ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ، ص ١٧٤ .
(٢) ابن طاووس : فرج المهموم ، ص ١٢٥ .
(٣) ابن النديم : الفهرست ٧ / ٣٤١ .
(٤) إمام ، إبراهيم أحمد : تاريخ الفلك عند العرب ، ص ٥٣
(٥) خليفة ، حاجي : كشف الظنون ٢ / ٩٦٩ .
(٦) الفهرست ٧ / ٣٣٥ .
(٧) القفطي : أخبار العلماء الحكماء ، ص ٥٧ .

حديقه قصره ببغداد ، وزوده بأجهزة الرصد التي هي من صنع أبي حامد نفسه ، والتي شاركه فيها ابن الأعلم المار الذكر ، فنالت شهرة واسعة لفتت إليها أنظار وتقدير العلماء لعشرات السنين[1] .

أبو حنيفة الدينوري :

هو أبو حنيفة الدينوري ، صاحب كتاب « الأنواء » ، وصاحب « الزيج » المشهور الذي صنفه لركن الدولة حسن بن بويه الديلمي ، سنة ٣٣٥ هـ / ٩٤٥ م[2] . والذي يثبت أن أبا حنيفة كان من القائلين بنسبة الأحكام إلى النجوم ، لكن بصورة معتدلة ، قوله إنها إمارات وأعلام نصبها الله للدلالة على ما يحدث[3] .

الكوهي :

هو أبو سهل الكوهي ، أحد الذين اعتمد عليهم شرف الدولة البويهي في رصد الكواكب السبعة ، إضافة إلى أبي حامد الصاغاني السالف الذكر[4] .

الخجندي :

وبالحديث عن مرصد شرف الدولة ، فلا بد من الحديث أخيراً عن حامد بن خضر الخجندي ، المعاصر لكل من الكوهي والصاغاني ، وهو الذي ابتكر الآلة المسماة بـ« الآلة الشاملة » في محاولة منه لاختصار القيام بأعمال الرصد ، مبيناً تركيب هذه الآلة ، وكيفية استعمالها في كتاب خاص[5] .

العايني والطبري :

ومن الحكماء الذين أرّخ لهم البيهقي ، نذكر كلاً من أبي محمد العدلي العايني صاحب « الزيج العدلي » ، ومهذب زيج البتاني ، ومحمد بن أيوب

---

(١) تاريخ الفلك عند العرب ، ص ٤١ ـ ٥٣ . وانظر أيضاً تاريخ مختصر الدول ، ص ١٧٦ .

(٢) خليفة ، حاجي : كشف الظنون ٢ / ٩٦٥ .

(٣) ابن طاووس : فرج المهموم ، ص ٢٠٥ .

(٤) ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ، ص ١٧٦ .

(٥) إمام ، إبراهيم أحمد : تاريخ الفلك عند العرب ، ص٥٣ .

الطبري صاحب « الزيج » و« أمثلة الأعمال النجومية »[١] .

الفتح بن نجية :

ومن الحكماء المتأخرين الذين أرّخ لهم القفطي صاحب كتاب « أخبار العلماء في أخبار الحكماء » الفتح بن نجية الإسطرلابي المتوفى عام ٥٠٤ هـ ١١١٠ م ، وهو كما يدل عليه لقبه ، عرف بأعمال الإسطرلاب والرصد[٢] .

الخيام :

ومن المتأخرين نذكر الشاعر والرياضي ، عمر الخيام المتوفى عام ٥٢٧ هـ / ١١٣٢ م ، وهو صاحب الزيج المعروف باسم « زيج ملكشاهي »[٣] .

المزني :

ومنهم أيضاً شمس الدين ، عبد الرحيم المزني المتوفى سنة ٥٦٥ هـ / ١١٦٩ م وله الرسالة « في علم الفلك » . وتوجد منها نسخة مخطوطة تحمل الرقم ٦٤٤٢ وهي محفوظة في مكتبة الأوقاف العامة ببغداد[٤] .

البزّاز وابن المبارك :

وأخيراً ، فإننا نذكر كلا من أبي الحسين البزاز الأصفهاني ، صاحب الكتاب في « علم الإسطرلاب » وابن المنجم المبارك بن الحسين بن طراد المارديني صاحب « المنار في علم مواقيت الليل والنهار »[٥] .

ثانياً : في مصر والمغرب والأندلس :

كان هذا من في بلاد المشرق . أما في مصر وبلاد المغرب والأندلس فإليك

---

(١) ابن العبري : تاريخ حكماء الإسلام ، ص ٨٩ و ٩٢ .

(٢) القفطي : أخبار العلماء ، ص ١٦٩ .

(٣) خليفة ، حاجي : كشف الظنون ٢ / ٩٧٢ .

(٤) فهرس المخطوطات العربية في مكتبة الأوقاف العامة في بغداد ، ص ١٤١ ، الجزء الرابع .

(٣) ابن طاووس : فرج المهموم ، ص ٢٠٧ و ٢٠٦ .

طائفة من أبرز علماء الهيئة والنجوم :

المجريطي (٣٤٠ - ٣٩٨ هـ / ٩٥٠ - ١٠٠٧ م) :

وُلد أبو القاسم بن مسلمة بن أحمد المجريطي سنة ٣٤٠ هـ / ٩٥٠ م ، بمجريط الطبيب والرياضي والفلكي من بلاد الأندلس ، ثم سافر إلى بلاد المشرق ، فعاد ومعه عدد من المخطوطات اليونانية والعربية ذات الطابع العلمي والفلكي . عني بالرصد وترك عدة مؤلفات منها « رسالة في الإسطرلاب » وكتابه الموسوم بـ« اختصار تعديل الكواكب من زيج البتاني » تنسب إليه عن طريق الخطأ كتاب « غاية الحكيم » في السحر واللمياء ، وهو كتاب أُلِّف في القرن الحادي للميلاد / للهجرة ، ويعرف باللاتينية باسم بيكاتريكس « Picatrix »[1] .

ابن يونس (ت ٣٩٩ هـ / ١٠٠٩ م) :

يُعتبر أبو الحسن علي عبد الرحمن بن أحمد بن يونس من أكبر علماء الفلك والنجوم . ألّف العزيز الفاطمي ، صاحب مصر ، كتابه الموسوم بـ« الزيج المصري » أو « الزيج الحاكمي » نسبة إلى الحاكم بأمر الله ، وهو يقع في أربعة مجلدات ، فكان من أكمل الأزياج[2] .

ومن المؤسف أن يكون هذا العبقري أبله مغفلاً ، رث الهيئة ، إذا ركب ضحك الناس لطوله وسوء حاله ، لكنه كان صادق الحدس ، قوي الإصابة في النجامة والأحكام[3] : يقول ابن العماد الحنبلي إنه « أفنى عمره في النجوم والتسيير والتوليد » وحدث عنه فقال إنه « طلع إلى جبل المقطم وقد وقف للزهرة ، فنزع ثوبه ، وعمامته ، ولبس ثوباً أحمر ، ومقنعة حمراء تقنع بها ، وأخرج عوداً فضرب به والبخور بين يديه فكان عجباً من العجب »[4] .

---

(١) تراث الإسلام ، ص ٩٤ . وانظر أيضاً : عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، ص ٤٨٣ .

(٢) الحنبلي ، ابن العماد : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ٣ / ١٥٦ . دار أحياء التراث العربي . بيروت .

(١) الحنبلي ، ابن العماد : شذرات الذهب ٣ / ١٥٧ .

(٢) نفسه ، ٣ / ١٥٧ .

مسلمة بن أحمد :

ومن الذين اعتنوا بالرصد ، وكان عالماً بحركات النجوم والأزياج ، أبو القاسم مسلمة بن أحمد ، صاحب « اختصار تعديل الكواكب من زيج البتاني »[1] . ويبدو أن أبا القاسم كان معاصراً أو متقدماً قليلاً على صاحب « نفح الطيب » المتوفي عام ٤٣٢ هـ / ١٠٤١ م ، والذي سمع ممن وثق بدينه وعقله يقول : « لم يؤلف في الأزياج مثل زيج مسلمة وزيج ابن السمح »[2] .

ابن الهيثم (٣٥٥ ـ ٤٣١ هـ / ٩٦٥ ـ ١٠٣٩ م) :

ولا يضاهي ابن يونس في الشهرة الفلكية والنجومية إلاّ أبو علي الحسن بن الهيثم البصري المولد ، المصري الإقامة ، صاحب كتاب « المجرة » أو « ماهية المجرة » وصاحب « الأرصاد » و« البرهان على ما يراه الفلكيون في أحكام النجوم »[3] .

وفضلاً عن ذلك فإن لأبي علي نشاطات في الرصد ، ومقالات متعددة في الكواكب الحادثة في الجو ، وفي ضوء القمر ، وفي اختلاف ارتفاع الكواكب ورؤيتها وضوئها[4] . إلاّ أنه لم يعرف عنه كثير اهتمام في التنجيم .

التجيبي :

ومن العلماء الأندلسيين بالهيئة أو الهندسة الحسين بن محمد التجيبي القرطبي الذي زار مصر ، فبغداد ، فاليمن في سنة ٤٥٦ هـ / ١٠٦٣ م ، وله زيج يُعرف بـ« الزيج المختصر » وضعه على طراز « السندهند » المعروف[5] .

---

(١) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، ص ٤٨٣ .
(٢) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ٤ / ١٦٨ .
(٣) أخبار العلماء بأخبار الحكماء ، ص ١١٦ .
(٤) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء في طبقات ، ص ٥٥٨ .
(٥) معجم الأدباء ١٠ / ١٦٠ . ولعل نسبة التجيبي إلى بني تجيب ، القبيلة العربية التي خدمت الأمويين وحكمت سرقسطة عام ٢٧٦ هـ / ٨٨٩ م ، ثم خلفها بنو هود . انظر : المنجد في الأعلام ، ص ١٦٩ .

ابن السمح (ت٤٧٧ هـ / ١٠٨٧ م) :

ومن برع في علم النجوم والهندسة ، أبو القاسم أصبغ بن السمح الغرناطي ، وكان له عدة مؤلفات في هذه الحقول منها كتابه المسمى « المدخل إلى الهندسة في تفسير اقليدس » وكتابه المسمّى « في الهندسة » . أما في الإسطرلاب والأزياج ، فله زيج على مذهب السندهند ، قيل إنه لم يؤلف في الأزياج مثله ، وله كتابان في علم الإسطرلاب[١] .

الزرقالي (ت٤٧٧ هـ / ١٠٨٧ م) :

ومن الأعلام المرموقين في بلاد الأندلس ، إبراهيم بن يحيى القرطبي الطليطلي صاحب « الجداول الفلكية » الطليطلية في قرانات الكواكب ، على طريقة أصحاب المثلثات ، وصاحب « الصفيحة الزرقالية » المنسوبة إليه وهي عبارة عن إسطرلاب مبتكر يُعرف أيضاً بـ « الزرقاوية » . وهذا الإسطرلاب جدد صنعه ، وزاد عليه جيما فريزيا « Gemma Frisia » ، (١٥٠٨ ـ ١٥٥٥) مُطلقاً عليه اسم « الإسطرلاب الكاثوليكي » « Astrolabum Catholicum » باللاتينية[٢] . وإلى إبراهيم يعود الفضل باسم « المقالة الزرقالية في تدبير الكواكب »[٣] .

ابن أبي الصلت (ت ٥٢٩ هـ / ١١٣٤ م) :

ومن المتأخرين الأندلسيين نذكر أمية بن عبد العزيز بن أبي الصلت المغربي الأندلسي صاحب الرسالة المسماة « العمل بالإسطرلاب » وتوجد منها نسخة مخطوطة في دار الكتب الظاهرية بدمشق تتألف من سبع وخمسين ورقة ، وتحمل الرقم ٣٠٩٠ .

وأُمية هذا ، كان شاعراً وأديباً ، وهو صاحب الأبيات المشهورة في الإسطرلاب ، وهي التالية :

---

(١) المقري : نفح الطيب ٤ / ٣٤٦ .
(٢) شاخت وبوزورث : تراث الإسلام ، ص ١٩١ .
(٣) نفسه ، الهامش ، ص ١١٢ .

أفضل ما استصحب النبيل ولم يعدل به في المقام والسفر
تحمله وهو حامل فلكاً لو لم يدر بالبنان لم يدر
مسكنه الأرض وهو ينبئنا عن جلّ ما في السماء من خبر(١)

ابن الصفّار :

ومن علماء الأندلس الذين لم نقف على تاريخ حياتهم بدقة ، نذكر أبا القاسم بن الصفار . العالم بالهندسة والعدد والنجوم ، وصاحب « الزيج المختصر » على مذهب السندهند ، وكتاب « العمل بالإسطرلاب »(٢) .

هذا ما أورده صاحب « نفح الطيب » أحمد بن محمد المقّري التلمساني المتوفى عام ٤٣٣ هـ / ١٠٤١ م ، مما يثبت أن صاحبنا أبا القاسم عاش قبل وفاة المقري .

جابر بن أفلح :

ومنهم أبو محمد ، جابر بن أفلح المعروف باسم « Geber » في القرون الوسطى ، والذي خلط بينه وبين جابر بن حيان العالم الكيميائي المشهور . ابن أفلح هذا من أشبيلية توفي في منتصف القرن السادس الهجري / الثاني للميلاد . له كتاب في الفلك يحمل عنوانين مختلفين هما : « كتاب الهيئة ، كما في مخطوطة الأسكوريال ، و« إصلاح المجسطي » .

النقاش :

ومن هؤلاء إبراهيم بن يحيى النقاش ، صاحب « الصفيحة الزرقالية في الحركات الفلكية » على ما ذكر صاحب « أخبار العلماء »(٣) .

بلمظفر بن معرف :

ومنهم أيضاً بلمظفر بن معرف ، صاحب الكتاب في علم النجوم ، على ذمة ابن أبي أصيبعة صاحب « عيون الأنباء »(٤) .

---

(١) القفطي : أخبار العلماء ، ص ٥٨ .
(٢) المقري : نفح الطيب ٤ / ٣٤٧ ، وانظر أيضاً : عيون الأنباء ، ص ٤٨٥ .
(٣) دائرة المعارف الإسلامية ١٠ / ٣٦٤ .
(٤) أخبار العلماء بأخبار الحكماء ، ص ٤٢ .

علماء آخرون (ابن الليث ، ابن حي ، ابن الوقشي) :

وأخيراً فثمة علماء بالفلك والنجوم لم يعرف عنهم وضع عدد معين من المؤلفات ، ومن هؤلاء محمد بن الليث ، الذي كان بارعاً في العدد والهندسة وحركات الكواكب ، وابن حي القرطبي ، البصير بالهندسة والنجوم ، وابن الوقشي الطليطلي ، العارف بالهندسة والمنطق والزيوج ، وجميعهم سابقون ، أو معاصرون لصاحب « نفح الطيب » المتوفى عام ٤٣٢ هـ / ١٠٤١ م[1] .



(١) المقري : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ٤ / ٣٤٧ .

مبحث ثانٍ

منجمون

هذا المبحث يتناول الحديث عن طائفتين من المنجمين : أولاهما تضم المنجمين الذين لم يعرف عنهم أنهم وضعوا مؤلفات في التنجيم ، والثانية تضم المنجمين الذين عُرف عنهم أنهم وضعوا مثل تلك المؤلفات ، ونبدأ بالطائفة الأولى .

الطائفة الأولى : من غير أصحاب المؤلفات :

أ ـ في المشرق :

نبدأ بالمنجمين الذي عاشوا في كنف الدولة العباسية على امتداد الرقعة الواقعة إلى الشرق من مصر وبلاد المغرب والأندلس ، وهم :

تيوفيل الرهاوي :

هو تيوفيل بن توما النصراني ، المنجم الرهاوي ، نسبة إلى الرها المدينة التركية الواقعة في ما بين دجلة والفرات قرب الحدود السورية ، كان تيوفيل رئيس منجمي الخليفة المهدي (حكم من ١٥٨ ـ ١٦٠ هـ ٧٧٥ ـ ٧٨٥ م) ، كان له « في أحكام النجوم إصابات عجيبة » حسب تعبير القفطي[١] .

(١) القفطي : أخبار العلماء بأخبار الحكماء ، ص ٧٧ .

عبد الله بن سهل :

هو عبد الله بن سهل بن نوبخت ، وبنو نوبخت أسرة فارسية عريقة النسب ، غلب على أبنائها نزوعهم إلى الأخذ بأسباب العلوم على اختلافها كان عبد الله منجماً عند المأمون (حكم بين ١٩٨ ـ ٢١٨ هـ) ، وهو الذي اختار وقتاً لبيعة الإمام علي بن موسى الرضا ، فكان الطالع السرطان ، وفيه المشتري[١] .

محمد بن موسى :

ومن منجمي المأمون الذي ذكرهم صاحب « أخبار العلماء » ، محمد بن موسى ، المعروف « بالمنجم » ولا نعلم عن حياته شيئاً[٢] .

ابن عمير (ت ٢١٧ هـ / ٨٣٢ م) :

ومن الذين عاصروا المأمون ، محمد بن أبي عمير ، الذي كان ينظر في النجوم ، ويعرف الطالع[٣] .

سهل بن حبيب :

ومن المنجمين الذين خدموا طاهر بن الحسين ، القائد في جيش المأمون ، ووزيره الحسن بن سهل (٢٣٦ هـ / ٨٥١ م) ، سهل بن حبيب بن هانىء ، وكان يُطلق عليه اسم الإسرائيلي المنجم ، وهو مشهور بأحكام النجوم[٤] .

إسحاق بن حنين (ت ٢٩٨ هـ / ٩١٠ م) :

ومن المنجمين المشهورين ، والعلماء المعدودين ، إسحاق بن حنين بن إسحاق ، المتوفى عام ٢٩٨ هـ / ٩١٠ م ، وأحد النقلة المبرزين ، كان إسحاق نديما للخليفة المكتفي بالله (حكم بين ٢٨٩ ـ ٢٩٥ هـ / ٩٠٢ ـ ٩٠٨ م) ، وكان منجماً له ، يستشيره في كثير من الأمور . ولقد حدث صاحب « تاريخ حكماء الإسلام » عن إصابة إسحاق في أحكام النجوم ، فقال إن المكتفي بالله دعاه يوماً

---

(١) القفطي : أخبار العلماء بأخبار ، ص ١٤٩ و ١٥٠ .
(٢) أخبار العلماء ، ص ١٨٧ .
(٣) ابن طاووس : فرج المهموم ، ص ١٣٤ .
(٤) أخبار العلماء ، ص ١٣٤ .

ليختار له الطالع الملائم لتنصيب ولده وليا للعهد ، ولما حضر إسحاق ، وكان مع الخليفة وزيره العباس بن الحسن ، طلب الخليفة من الوزير ومن إسحاق أن يبايعا ولده الطفل أولاً ، فقال إسحاق : « يا أمير المؤمنين قد بايعنا ولدك الطفل ، ولكن الطفل ناقص ، لا يتم أمره ، ولا يصلح للخلافة » ثم إن إسحاق توجه بكلامه إلى الوزير فقال : « تأملت طالع المكتفي بالله فوجدت صاحب عاشره في ثالث طالعه ، فعلمت أن الأمر بعده لأخيه » ، وكان الأمر كما قال إسحاق ، إذ تولى الخلافة بعد المكتفي أخوه المقتدر[1] .

ابن قلندي :

ومن المنجمين الصابئة الذين صحبوا محمد بن طغج الأخشيدي ، في حملته التي أعلن على أثرها قيام دولته بمصر عام ٣٣٣ هـ / ٩٤٤ م ، ابن قلندي المنجم البعلبكي الذي لم يكن موفقاً في أحكاه التنجيمية ، حسبما ذكر القفطي[2] .

الرقي :

ومن الذين صحبوا سيف الدولة ، أمير بني حمدان ، في حلب والموصل والجزيرة الفراتية (استمرت دولة الحمدانيين من سنة ٣١٧ـ ٣٩٤ هـ / ٩٢ـ ١٠٠٣ م) ، نذكر المنجم أبا القاسم الرقي ، نسبةً إلى الرقة في الجزيرة الفراتية ، وكان عارفاً بالأحكام[3] ، وهو غير أبي جعفر الرقي المار ذكره ، والذي كان صاحب مؤلفات في التنجيم من بينها « كتاب الجمل » و« كتاب النجوم » .

ابن العجيم :

ومن الأطباء المنجمين الذين خدموا في بلاط البويهيين (حكموا من سنة ٣٢٠ ـ ٤٤٧ هـ / ٩٣٢ ـ ١٠٥٥ م) نذكر المنجم المعروف بابن العجيم ، ولا نعلم شيئاً آخر مفصلاً عن حياته[4] .

---

(١) البيهقي : تاريخ حكماء الإسلام ، ص ١٨ .
(٢) القفطي : أخبار العلماء بأخبار الحكماء ، ص ٢٨٥ .
(٣) القفطي : أخبار العلماء بأخبار الحكماء ، ص ٢٧٩ .
(٤) نفسه ، ص ٢٨٦ .

هارون بن علي (ت ٣٧٦ هـ / ٩٨٥ م) وولده أبو الفتح :

ومنهم هارون بن علي ، المنجم البغدادي ، وهو حفيد يحيى بن أبي منصور المذكور آنفا ، والمتوفى عام ٢٣٠ هـ / ٨٤٥ م ، والذي رصد للمأمون في الشماسية ببغداد ، وقاسيون بدمشق في الأعوام ٢١٥ و ٢١٦ و ٢١٧هـ . وسار على منواله ولده أبو الفتح علي[١] .

فرخان شاه (ت ٣٧٦ هـ / ٩٨٥ م) :

ومنهم أيضاً ، المنجم البغدادي ، المعروف بفرخان شاه ، وهو من الديلم ، وكان « خبيراً بالنجامة » حسب تعبير القفطي[٢] .

جعفر بن المكتفي بالله (ت ٣٧٧ هـ / ٩٨٦ م) :

ومن العالمين بأحكام النجوم ، أبو الفضل جعفر بن الخليفة المكتفي بالله (ت ٢٩٥ هـ / ٩٠٨ م) . كان يخلو بعضد الدولة البويهي (ت ٣٧٣ هـ / ٩٨٣ م) فيخبره بالحدثان ، فيصح كثير من أخباره[٣] .

ابن أبي حيّة :

ومن تلاميذ جعفر بن أبي حية ، المنجم البغدادي[٤] .

القلانسي (ت ٣٨٦ هـ / ٩٩٥ م) :

ومن المنجمين الذين برعوا في صناعتهم ، أورد القفطي اسم أبي عبدالله القلانسي المتوفى عام ٣٨٦ هـ / ٩٩٥ م ، ولا نعلم شيئاً آخر عن حياته[٥] .

أبو العباس (ق ٤ هـ / ١٠ م) :

ومن أعلام التنجيم في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي ، أبو

---

(١) نفسه ، ص ٢٢٠ . وانظر فرج المهموم ، ص ٢٠١ .
(٢) أخبار العلماء ، ص ١٦٩ .
(٣) نفسه ، ص ١٠٨ . وانظر أيضاً : تاريخ مختصر الدول لابن العبري ، ص ١٧٦ .
(٤) أخبار العلماء ، ص ٢٨٥ .
(٥) نفسه ، ص ٢٦٧ .

العباس ، هبة الله ، المنجم ، الذي نظر في مولد ثابت بن إبراهيم بن زهرون الحراني الصابىء (ت ٣٦٩ هـ / ٩٧٨ م) فعرف أن مولده حصل « وسهم الغيب في درجة الطالع درجة المشتري وسهم السعادة » فكان بارعاً في الطب[١] .

والد أبي العباس المنجم :

وبمناسبة الحديث عن هبة الله ، فلا بد من أن نذكر والده الذي كان هو أيضاً من الذين اشتغلوا بعلم النجوم ، على ذمة صاحب « فرج المهموم »[٢] .

الخاقاني :

ومن الذين كانوا لا يزالون أحياء بعد عام ٤٠٠ من الهجرة ، المنجم المعروف بـ « الخاقاني » ، وكان « مشهوراً بالتنجيم » على حد تعبير صاحب « أخبار العلماء »[٣] .

داوود المنجم (ت ٤٣٠ هـ / ١٠٣٨ م) :

ومن الذين اشتهروا بالتنجيم والنجوم في عهد بني بويه ، داوود المنجم المتوفى عام ٤٣٠ هـ / ١٠٣٨ م[٤] .

الكرماني :

ومن المنجمين الذين عاصروا الفيلسوف علي بن سينا (ت ٤٢٨ هـ / ١٠٣٧ م) نذكر الحكيم والعالم أبا القاسم الكرماني ، نسبة إلى كرمان ببلاد فارس ، الذي عبر عن اعتقاده بالنجوم معللاً ذلك بالقول : « تأثير العلويات بتقدير الله تعالى في السفليات لا ينكر ، لأن الأسفل مربوط بالأعلى ، والتفاصيل لا تدرك ، فاختر أمراً بين أمرين . فإنك في ذلك تحتاج إلى علم زماني وغير زماني »[٥] .

---

(١) ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ، ص ١٧٤ .
(٢) ابن طاووس : فرج المهموم ، ص ٢٠١ .
(٣) القفطي : أخبار العلماء بأخبار الحكماء ، ، ص ١٢٤ .
(٤) نفسه ، ص ١٦٤ .
(٥) البيهقي : تاريخ حكماء الإسلام ، ص ٤٨ .

المعموري البيهقي (ت ٤٨٥ هـ / ١٠٩٠ م) :

ومن الحكماء المتفلسفين محمد بن أحمد المعموري البيهقي الذي عمل بالرصد في إصفهان ، فنظر ذات مرة في النجوم ، يريد معرفة طالعه ، فعرف أنه سيموت ، فقتل عن طريق الغلط في اليوم ذاته ، على أيدي الشرطة الذين كانوا يلاحقون جماعة من الباطنية الخارجين على القانون[١] .

ابن شاهك البيهقي :

وثمة بيهقي آخر ذكره صاحب « تاريخ حكماء الإسلام » المولود سنة ٤٩٩ هـ / ٢٠٠٣ م هو الإمام الفيلسوف علي بن شاهك القصاري الضرير البيهقي الذي اشتغل بالأعمال لنجومية ، فكان ، حسب تعبير صاحب التاريخ ، « يستخرج الطالع ، ويحسبه ، ويحفظه حتى يكتب المقصود واحد من المتصلين به »[٢] .

ظهير الدين البيهقي (ولد ٤٩٩ هـ / ١٠٠٣ م) :

وهو مؤلف « تاريخ حكماء الإسلام » الذي اعتمدناه مرجعاً ، بل مصدراً وثقنا من خلاله كثيراً من أخبار المنجمين وأصحاب المؤلفات التنجيمية . أما كيف عرفنا أنه اشتغل بالنجامة واستخراج الطالع ، فمن خلال ترجمته للحكيم أبي الفتح عبد الرحمن الخازن صاحب « الزيج السنجري » . يقول ظهير الدين « وعرض عليه طالع من استخراجي فكتب عليه : أما الحساب فقد حفظ أجزاءه بالموازين . وأما الأعمال فقد ألّف بينها وبين المؤامرات . وأما الأحكام فقد جمع فيها بين المنقول والمسموع والمطبوع . . ومن سعادة هذا الطالع أن مستخرجه كامل في تلك الصناعة »[٣] مما يثبت اشتغال ظهير الدين بتلك الصناعة التنجيمية .

ابن عيسون :

هو أحد المنجمين الذي أدلوا برأيهم لما اجتمعت الكواكب الستة في برج

---

(١) نفسه ، ص ١٦٤ .
(٢) تاريخ حكماء الإسلام ، ١٧١ .
(٣) البيهقي : تاريخ حكماء الإسلام ، ص ١٦٢ .

الحوت عام ٤٨٩ هـ / ١٠٩٣ م ، فصح رأيه ، فخلع المستظهر عليه وأثابه[1] .

أبو الفضل الخارجي :

وهو أحد منجمي بغداد ، العالم بالأحكام ، وأحد الذين أرهصوا بالأهوال عند اجتماع الكواكب السبعة في برج الميزان عام ٥٨٢ هـ / ١١٨٥ م ، فلم يصح ما أخبر به المنجمون[2] .

هبة الله بن البديع :

ومن الذين اشتغلوا بالنجامة ، وعملوا بالطلّسمات ورصد ما يوافقها من الأوقات ، هبة الله المنجم ، وهو ابن أبي القاسم الحسين المعروف بالبديع الإسطرلابي المتوفى عام ٥٣٤ هـ / ١١٣٩ م[3] .

محيي الدين المغربي :

ومن المنجمين الذي عاشوا في منتصف القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي ، محيي الدين المغربي ، الذي نجا من هولاكو بسبب قوله إنه رجل « أعرف بعلم السماء والكواكب والتنجيم »[4] .

شكيح :

ومن الذين أورد أسماءهم القفطي ، ولم نعرف شيئاً عن تاريخ حياتهم أو مماتهم ، شكيح ، المنجم الأعمى البغدادي ، « ولم يكن موفقاً في أحكامه ، وكان يعتمد على غلام له في رؤية الكواكب »[5] .

محمد بن إسماعيل :

ومنهم محمد بن إسماعيل التوخي المنجم ، الذي « رحل إلى الهند طلبا لهذا

---

(١) ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ، ص ١٩٦ .
(٢) أخبار العلماء ، ص ٢٧٨ .
(٣) القفطي : أخبار العلماء ، ص ٢٣٤ .
(٤) تاريخ مختصر الدول ، ص ٢٨٠ .
(٥) أخبار الحكماء ، ص ١٤٣ .

العَلَم ثم عاد منها بغرائب في الإقبال والإدبار » حسب تعبير القفطي[1] .

مخرج الضمير :

ومن هؤلاء نذكر أيضاً المنجم المعروف بـ « مخرج الضمير » ، الذي كان « يستخرج الغيب والضمير عن طريق الاتصال بالكواكب »[2] .

أبو قيراط :

ومن الذين أورد صاحب « فرج المهموم » لهم ذكرا ، دون الاطلاع على حياتهم أو مماتهم ، المنجم أبو الحسن ، النقيب ، الملقب أبا قيراط[3] .

خطير الدين :

ومنهم العالم الزاهد محمود بن محمد الملقب بـ « خطير الدين » . أدركه المؤلف (ت ٦٦٤ هـ / ١٢٥٦ م) وعرف بعض إصاباته وهو في بغداد ومن غريب إصاباته إنه مرض في سنة ، فاقتضت دلالة النجوم أنّ عليه « قطعاً » أو « قطوعاً » ، فطلب إلى صاحب « فرج المهموم » أن يتعاهده فمات في الوقت الذي حدده له[4] .

مردويه :

ومنهم مردويه بن إبراهيم بن السعدي الذي كان « خطيباً وفقيهاً وناسباً وطبيباً ومتكلماً ومنجماً »[5] .

ابن نمرد :

ومنهم أبو بكر بن نمرد ، أحد العارفين بعلم النجوم ، « وإن لم يعرف له شيء من الأحكام »[6] .

---

(١) نفسه ، ص ١٨٥ .
(٢) أخبار العلماء ، ص ٢٢٠ .
(٣) و(٤) ابن طاووس : فرج المهموم ، ص ١٢٦ .
(٥) فرج المهموم ، ص ١٤٤ .
(٦) نفسه ، ص ٢٠١ .

ابن سليمان :

ومنهم أبو الحسن محمد بن سليمان ، صاحب الجيش ، وكان منقطعاً إلى أبي علي بن مقلة (ت ٣٣٨ / ٩٥٠ م) قبل تسلمه مقاليد الوزارة ، وبعد تسلمه ، وكان مختصا به[١] .

ابن زيد :

ومنهم الحسن بن علي بن زيد ، المنجم ، غلام أبي نافع عامل معز الدولة على الأهواز[٢] .

التياني :

ومنهم الشيخ محمد بن خطير الذي يعرف بـ « التياني » ، وكان صاحب رسالة في الهندسة[٣] .

ب ـ في مصر والمغرب والأندلس :

ـ في مصر :

المنجم الخارجي :

من الذين تكلموا على الحدثان ، واشتغلوا بالنجامة في مصر ، المنجم الخارجي الذي زعم أنه سيكون ملكاً ، فخرج إلى صعيد مصر سنة ٣٩٨ هـ / ١٠٠٧ م ، وذلك في أيام العزيز بالله ، داعياً إلى المهدي ، ومعه ثلاث مائة وثلاثون مناصراً ومحازباً ، ولكن سرعان ما أُلقي القبض عليه ، فسُجن ودُقت عنقه[٤] .

علي بن رضوان (ت ٤٥٣ أو ٤٦٠ هـ / ١٠٦٠ أو ١٠٧٠ م) :

ومن الأطباء المصريين الذين مارسوا النجامة ، وهو الذي كان يقعد على

---

(١) فرج المهموم ، ص ٢٠١ .
(٢) نفسه ، ص ٢٠١ .
(٣) فرج المهموم ، ص ٢٠٤ .
(٤) القفطي : إخبار العلماء بأخبار الحكماء ، ص ٢١٧ .

الطريق ويرتزق بها ، علي بن رضوان[1] . ولقد ذكر ابن رضوان سيرته يوماً فقال : « كانت دلالات النجوم في مولدي تدل على أن صناعتي الطب . وُلدت بأرض مصر في عرض ٣٠ درجة ، وطول ٥٥ درجة ، والطالع بزيج يحيى بن أبي منصور ، الحمل ، وعاشره الجدي ، ومواضع الكواكب الشمس بالدلو ، والقمر بالعقرب ، وعرضه جنوب ، وزحل بالقوس ، والمشتري بالجدي ، والمريخ بالدلو ، والزهرة بالقوس ، وعطارد بالدلو ، وسهم السعادة بالجدي ، وجزء الاستقبال المتقدم بالسرطان . . . الخ »[2] .

رزق الله النحاس :

ومنهم أيضاً شيخ منجمي مصر ، رزق الله النحاس [3] . ولقد حدث أبو الصلت أمية المغربي ، قال : « رأيت بمصر عام ٥١٠ هـ رزق الله المنجم المعروف بالنحاس ، وكان شيخ أكثر المنجمين بمصر وكبيرهم »[4] .

علوي الديري :

ومن الذين ذكرهم صاحب « أخبار العلماء » ، ولم نقف على تاريخ حياتهم ، علوى الديري ، المنجم بصعيد مصر ، الذي قيل إنه « ادعى رصد كوكب ، فوقف له وأخدمه بعض روحانيته » ، وكان يقول إن اسم هذا الملك الروحاني ، هو أبو الورد[5] .

المكفوف الملاحي :

ومنهم أيضاً ، المكفوف الملاحي ، الذي كان « يتكلم في الملاحم والحدثان » حسب تعبير القفطي[6] .

---

(١) ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ، ص ١٩٢ .
(٢) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء في أخبار الأطباء ، ص ٥٦١ . وحذفنا من هذا القول لابن بطلان ، الأحرف الأبجدية الدالة على الأعداد ، بلغة المنجمين .
(٣) أخبار العلماء ، ص ١٢٧ .
(٤) ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ، ص ٢٠١ .
(٥) القفطي : أخبار العلماء ، ص ١٦٧ .
(٦) نفسه ، ص ٢١٩ .

ابن العين زربي :

ومن الذين ذكرهم صاحب « عيون الأنباء في طبقات الأطباء » ولم نقف على تاريخ حياتهم ، ابن العين زربي ، الذي اشتغل بالنجوم والتنجيم[1] .

ابن أبي جرادة (ت ٥٥١ هـ / ١١٥٤ م) :

وأخيراً فإن من بين المنجمين المصريين ، أبا الحسن الإنطاكي ، الحلبي المولود ، المصري الإقامة ، الذي يعرف بابن أبي جرادة ، وكان له معرفة باللغة والأدب والحساب والنجوم[2] .

في المغرب والأندلس :

الأسقف القرطبي :

هذا في مصر ، أما في بلاد المغرب والأندلس ، فنذكر ابن زيد المعروف بالأسقف القرطبي ، والذي كان له في التنجيم تصانيف لم نقف عليها ، وكان مختصاً بالمستنصر بن الناصر المداني[3] .

مطرّف الأشبيلي :

ومنهم مطرّف الأشبيلي الذي كان في عصر صاحب « نفح الطيب » (توفي المقري عام ٤٣٣ هـ / ١٠٤١ م) ، وقد اشتغل بتصانيف التنجيم « إلا أن أهل بلده كانوا ينسبونه إلى الزندقة ، فكان لا يظهر شيئاً مما يصنف »[4] .

حنين اليهودي :

ومنهم المنجم حنين اليهودي الذي « جلب الأندلس كلها إلى طليطلة في يوم واحد ، وذلك عام ٥٢٧ هـ ، وهو الذي أعلم ألفونس أنّ ولده سيدخل قرطبة

---

(١) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ، ص ٥٧١ .
(٢) ياقوت : معجم الأدباء ١٤ / ٦ .
(٣) المقري : نفح الطيب ٤ / ١٧٦ .
(٤) نفسه ٤ / ١٧٦ .

ويملكها »[1] .

صاحب القبلة :

ومن الذين اشتهروا بهذه الصناعة ، أي التنجيم والنجوم ، أبو عبيدة مسلم بن أحمد المعروف بصاحب القبلة ، « وكان عالماً بحركات الكواكب وأحكامها ، وكان صاحب فقه وحديث ، دخل المشرق ، وسمع بمكة من علي بن عبد العزيز ، وبمصر أبا المزني وغيره » ، على حد تعبير المقري[2] . أما سبب تسميته بصاحب القبلة فلأنه كان « مولعاً بالتشريق في قبلته ، مفتوناً بذلك » على حد تعبير ابن الفرخي[3] .

الكرماني :

ومنهم أبو الحكم عمر الكرماني القرطبي الذي « دخل المشرق ، واشتغل بحرّان ، وهو أول من دخل برسائل إخوان الصفاء إلى الأندلس »[4] .

أبو مسلم بن خلدون :

ومنهم أبو مسلم بن خلدون الأشبيلي ، « وكان متصرفاً في علوم الفلسفة والهندسة والنجوم والطب »[5] .

الرعيني :

ومنهم أبو الحسن مختار الرعيني ، تلميذ أبي مسلم بن خلدون ، « وكان بصيراً بالهندسة والنجوم »[6] .

السرقسطي :

ومنهم عبد الله بن أحمد السرقسطي الذي « كان نافذاً » في علم الهندسة

---

(١) المقري : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ١ / ١٩٢ .
(٢) نفسه ٤ / ٣٤٦ .
(٣) ابن الفرضي : تاريخ علماء الأندلس ٢ / ١٢٧ . الدار المصرية للتأليف ١٩٦٦ م .
(٤) نفسه ٤ / ٣٤٧ .
(٥) نفح الطيب ٤ / ٣٤٧ . وانظر : عيون الأنباء ، ص ٤٨٥ .
(٦) نفسه ٤ / ٣٤٧ .

والعدد والنجوم »[1] .

ابن دميج :

ومنهم ابن دميج ، « وكان عالماً بالنجوم »[2] .

ابن حسداي :

ذكره صاحب « عيون الأنباء » فقال إنه « برع في علم النجوم »[3] .

ابن الخياط :

ومن الذين ذكرهم أيضاً ، ابن الخياط الذي كان بارعاً في النجوم ، يُعرف بالمكفوف الأندلسي[4] .

ابن عمير :

ومن الذين ذكرهم صاحب « تاريخ علماء الأندلسي » أبو بكر قاسم بن محمد بن حجاج بن حبيب بن عمير الأشبيلي ، الذي « كان عالماً بالنحو واللغة وعلم النجوم »[5] .

أبو الأصبغ :

ومنهم أيضاً عثمان بن محمد بن يوسف الأزدي القرّي القرطبي ، المكني بأبي الأصبغ . ذكر صاحب « تاريخ علماء الأندلس » أنه كان فقيهاً ، ألّف كتاباً في الفقه ، لكنه كان كذاباً وما « كان يستأهل أن يحدث عنه » حسب تعبير صاحب « التاريخ » لأن العلم الذي كان ينسب إليه ، وغلب عليه ، كان التنجيم[6] .

ابن السمينة :

ومن الذين ورد ذكرهم في المرجع السابق ، يحيى بن يحيى المعروف بابن

---

(١) نفسه ٤ / ٣٤٧ .
(٢) عيون الأنباء ، ص ٤٨٥ .
(٣) نفسه ، ص ٤٩٩ .
(٤) عيون الأنباء ، ص ٤٩٧ . وانظر : نفح الطيب ٤ / ٢٧٠ .
(٥) ابن الفرضي : تاريخ علماء الأندلس ، ١ / ٣٦٣ .
(٦) نفسه ١ / ٣٠٦ .

السمينة ، الذي كان متفنناً في الآداب ورواية الأخبار وعقد الشروط ، بصيراً بالاجتماع والكلام ، « نافذاً في معاني الشعر وعلم العروض والتنجيم والطب »[1] .

ابن باجة :

ومن الذين قد يكونون حكموا للكواكب بالتدبير ، أبو بكر بن الصائغ التجيبي السرقسطي المعروف بابن باجّه الذي « نظر في تلك التعاليم ـ يقصد التعاليم الفلسفية ـ وفكر في أجرام الأفلاك وحدود الأقاليم ، ورفض كتاب الله الحكيم العليم . . واقتصر على الهيئة ، وأنكر أن تكون منه إلى الله تعالى فيئة ، وحكم بالتدبير ، واجترم على الله اللطيف الخبير » على حد تعبير الفتح بن خاقان ، وكان بينه وبين ابن باجة معاداة ونفور[2] .

الطائفة الثانية : أصحاب المؤلفات التنجيمية :

لدينا عدد من المصادر والمراجع التي تحدثت عن طائفة الذين أولوا التنجيم عنايتهم ، فتركوا فيه مؤلفات : كتباً رسائل ومقالات . ولا يهمنا كثيراً إن كان هؤلاء من المنجمين حقاً ، المصدقين بأحكام النجوم ، أو لم يكونوا منهم إذ يكفي الاطلاع على هذا النتاج التأليفي ذي الطابع الموسوعي ، للدلالة على سعة ذلك النشاط العلمي والفلكي والنجومي والتنجيمي . . ولا نقول ذلك إلاّ لأن معظم الذين اشتغلوا بهذا العمل ، كانوا من العلماء المرموقين في ميدان التأليف على اختلاف فنونه وألوانه . ولعل كتاب الفهرست لابن النديم ، من أقدم المصادر التي تحدثت عن هذا النشاط ، وخصصت لأصحابه حيزاً ، لا يستهان به ، لأولئك الأعلام الذين أغنوا العلوم العربية ، بوضعهم تلك المؤلفات ، ثم يليه عدد آخر من المصادر أو المراجع التي جاءت لتؤكد هذا النشاط ، ومنها : طبقات الأطباء والحكماء ، لابن جلجل ، وتاريخ حكماء الإسلام ، للبيهقي ، أخبار العلماء بأخبار الحكماء ، للقفطي ، وفرج المهموم في تاريخ علماء النجوم ، لابن طاووس ، وعيون الأنباء في طبقات الأطباء ، لابن أبي أصيبعة ، وتاريخ مختصر

---

(١) تاريخ العلماء الأندلس ٢ / ١٨٨ .

(٢) المقري : نفح الطيب ٩ / ٢٣١ .

الدول ، لابن العبري ، هذا فضلاً عن عدد آخر من المصادر والمراجع التي اعتمدناها في مبحثنا هذا ، ومن بينها عدد من المخطوطات التي تم الاطلاع عليها شخصياً ، أو من خلال كتب الفهارس والمخطوطات .

أ ـ المجموعة الأولى :

وهي تضم أصحاب المؤلفات التنجيمية الذين ذكرهم صاحب « الفهرست » بشكل خاص ، وكانوا جميعاً من المشارقة الذين سبقوا ابن النديم صاحب الفهرست ، والمتوفى عام ٣٨٠ هـ أو ٣٨٥ هـ .

كنكه الهندي :

لا نعرف عن حياة هذا المنجم الذي ذكره صاحب « الفهرست » ناسباً إليه ثلاثة كتب في التنجيم ، سوى أنه وفد إلى بغداد ـ وهذا هو الأرجح ـ عام ١٥٠ هـ / ٧٦٧ م ، في جملة من وفد إليها زمن الخليفة المنصور (تولى الخلافة عام ١٣٦ هـ / ٧٥٤ م) حاملاً معه مرجعاً هاماً في علم الفلك ، اسمه « السدهانت » والذي حرّفه العرب فيما بعد فعرف باسم « السندهند » وعلى نهجه سار علماء الهيئة العرب مدى نصف قرن أو أكثر[١] . والذي يهمنا ، إن لكنكه هذا ، كما أسلفنا ، ثلاثة كتب تبحث في قرانات الكواكب وتأثيرها على المواليد ، وهي التالية : كتاب « أسرار المواليد » وكتاب « القرانات » الكبير ، وكتاب « القرانات » الصغير[٢] . ويكفي دلالة على أهمية كنكه قول أبي معشر عنه : « إنه المقدم في علم النجوم عند جميع العلماء من الهند في سالف الدهر »[٣] .

ما شاء الله اليهودي :

واسمه الحقيقي ميش بن ايري الملقب « باليهودي » ، وهو أحد المنجمين الذين اشتغلوا بالحدثان وعلم الغيب في أيام المنصور ، وكان حياً زمن المأمون . نسب إليه صاحب « الفهرست » كتاب « المواليد » الكبير ، وكتاب الـ « الواحد والعشرين » في القرانات والملل والأديان ، وكتاب « الدول والملل » ، وكتاب

(١) إمام ، إبراهيم أحمد : تاريخ الفلك عند العرب ، ص ٢٠ و ٢١ .

(١) ابن النديم : الفهرست ٧ / ٣٣٠ . وانظر أيضاً : القفطي في « أخبار العلماء بأخبار الحكماء » ، ص ١٧٥ .

(٢) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، ص ٤٧٣ .

« الحكم على الاجتماعات والاستقبالات » و« الكتاب الرابع في شهادات الكواكب » هذا فضلاً عن عدة كتب في الهيئة والإسطرلاب منها كتاب « صنعة الإسطرلاب والعمل بها » ، وكتاب « ذات الحلق »[1] . وذكر القفطي أن حوارا جرى بين ماشاء الله وبين سفيان الثوري الذي قال له : « أنت تخاف زحل ، وأنا أخاف رب زحل ، وأنت ترجو المشتري ، وأنا أرجو رب المشتري ، وأنت تغدو بالاستشارة ، وأنا أغدو بالاستخارة ، فكم بيننا ؟ فرد ماشاء الله قائلاً : كثير ما بيننا : حالك أرجى ، وأمرك أنجح وأحجى »[2] . .

الخياط :

من تلاميذ ماشاء الله ، أبو علي يحيى بن غالب المعروف بالخياط . ذكره صاحب « الفهرست » فقال إنه من أفاضل المنجمين ، ونسب إليه كتباً ثلاثة في التنجيم أحدها « المدخل » ، والآخر « الدول » وثالثها كتاب « المواليد »[3] .

ومن هذا الكتاب الأخير توجد في دار الكتب الظاهرية بدمشق نسخة مخطوطة تحمل الرقم ٦٨٨٤ أولها : « زحل إذا كان في الطالع دل لصاحب المسألة على ضيق الصدر وتقسيم الفكر » . كما توجد في مكتبة المتحف العراقي ببغداد مخطوطة بعنوان « كتاب المسائل » تنسب إلى ماشاء الله وهي مؤلفة من خمس وثلاثين صفحة وتحمل الرقم ٢٣٣٩٠ / ٤ مع الإشارة أخيراً إلى أن كتاب « المواليد » طبع للمرة الأولى في نورنبرغ عامي ١٥٤٦ م و١٥٤٩ م[4] .

الفضل بن نوبخت :

هو أبو سهل ، الفضل بن نوبخت ، الفارسي الأصل ، والذي عمل في خزانة الحكمة التي اهتمت بنقل الكتب وبترجمتها زمن هارون الرشيد (تولى الخلافة من سنة ١٧٠ هـ ـ ١٩٣ هـ) وابنه المأمون (تولى الخلافة من سنة ١٩٨ هـ ـ ٢١٨ هـ / ٨١٣ م ـ ٨٣٣ م) ولكون أبي الفضل فارسياً ، فإنه ترجم ، بل وضع عدة كتب بالفارسية في مباحث التنجيم ، ومنها كتابه الموسوم

---

(١) ابن النديم : الفهرست ٧ / ٣٣٣ . انظر أيضاً : أخبار العلماء ، ص ٢١٤ .
(٢) القفطي : أخبار العلماء ، ص ٢١٤ .
(٣) الفهرست ٧ / ٣٣٥ . وانظر أيضاً : فرج المهموم في تاريخ علماء النجوم ، ص ٢٠٦ .
(٤) دائرة المعارف الإسلامية ١٠ / ٧٥ .

بـ « النهمطان » في المواليد . وإليه يُنسب كتاب « الفأل النجومي » ، المنتحل من أقاويل المنجمين في الأخبار والمسائل والمواليد »[1] . وذكر له صاحب « فرج المهموم » كتاباً اسمه (الأعمال) ويعرف ، أيضاً بـ « السجل » ، وهو يدل على تمكنه من علم النجوم[2] .

ابن الفرّخان (توفي في حدود ٢٠٠ هـ / ٨١٦ م) :

ومن المنجمين الذين عاصروا الرشيد ، أبو بكر ، محمد بن عمر الفرّخان الطبري ، وكان من « أفاضل المنجمين » بلسان صاحب الفهرست ، وإليه يُنسب كتاب « المواليد » والكتاب الآخر الموسوم بـ « التسييرات في المواليد » ، والثالث في الهيئة ، وهو كتاب «العمل بالأسطرلاب »[3] .وفي مكتبة المتحف العراقي نسخة مخطوطة تحمل الرقم ١٢٤٨٠ ، وتضم أربع عشرة ومائة صفحة ، بعنوان «المسائل في التنجيم » وهي تُنسب إلى أبي بكر هذا ، وتتألف من ١٣٨ بابا . وكتاب « المسائل » هذا يعرف بكتاب « أحكام على أنواع السائل والقضاء على الدلائل » توجد منه نسخة مخطوطة في مكتبة جستربتي بدبلن ، تحمل الرقم ٤٠٨١ ، وتضم تسعين ورقة ، ويعود تاريخ نسخها إلى العام ١٣٥٦ م[4] . وثمة نسخة مخطوطة أخرى من هذا الكتاب تحمل الرقم ٢٦٠٠ مودعة خزانة المكتبة الوطنية بباريس ، ضمن مجموعة من النسخ التي تحمل الرقم ذاته ، وتتحدث عن رموز الحروف الهجائية كما هي في « الجفر » ، وعن الحروف المذكورة والمؤنثة ، وعن موضوعات أخرى تتعلق بالغيب والكهانة . ولا بد من التذكير في هذا المقام بأن والد أبي بكر ، وهو عمر بن الفرخان ، كان أحد الذين حققوا حركات النجوم وأحكامها ، وله عدة كتب وترجمات لبلطليموس[5] .

---

(١) ابن النديم : الفهرست ٧ / ٣٣٣ . انظر أيضاً : أخبار العلماء بأخبار الحكماء ، ص ١٦٩ .
(٢) ابن طاووس : فرج المهموم ، ص ١٢٥ .
(٣) الفهرست ٧ / ٣٣٢ . وانظر : أخبار العلماء ، ص ١٨٧ .
(٤) مجلة المورد ، ص ٢١٩ . العدد ١ و ٢ . مجلة ٤ . بغداد ١٩٧٥ م .
(٥) أخبار العلماء ، ص ١٦١ .

سند بن علي :

سند بن علي ، اليهودي الديانة أصلاً ، والذي أسلم على يد الخليفة المأمون ، فكان واحداً في عداد منجميه وراصديه ، بل كان رئيس فلكييه وحاسبيه[1] ، وهو الذي أصلح آلات الرصد وشارك بالشماسية في بغداد[2] . أما كتبه التنجيمية فإن منها « المدخل » الذي انتحله أبو معشر لنفسه ، « التسع المقالات » في المواليد ، و« كتاب القرانات » المنسوب عن طريق الخطأ إلى ابن البازيار[3] .

الأبح :

ومن جملة المنجمين الذين عاصروا المأمون ، نذكر الحسن بن إبراهيم ، الملقب بـ « الأبح » صاحب كتاب « الاختيارات » ، عمله للمأمون ، وكتاب « المواليد »[4] .

سهل بن بشر (كان حياً عام ٢٣٧ هـ / ٨٥١ م) :

ومن الذين خدموا طاهر بن الحسين ، قائد جيش المأمون ، ثم الحسن بن سهل ، وزير المأمون ، أبو عثمان ، سهل بن بشر ، وكان منجماً مرموقاً ، ترك عدة مؤلفات في التنجيم ، منها كتاب « المواليد » الكبير ، وكتاب « المواليد » الصغير ، وكتاب « الأوقات والإختيارات » ، إضافة إلى الكتاب الفلكي المسمى « الهيئة وعلم الحساب »[5] .

الحسن بن الخصيب :

ومن منجمي القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي ، أبو بكر ، الحسن بن الخصيب ، العالم بالفلك والفارسي الأصل ، صاحب كتاب « المدخل إلى علم الهيئة » وكتاب « المواليد » في التنجيم[6] . والجدير بالذكر أنه ينسب إلى

(١) ابن النديم : الفهرست ٧ / ٣٣٤ . وانظر : تاريخ الفلك ، ص ٢٨ .
(٢) القفطي : أخبار العلماء بأخبار الحكماء ، ص ١٤٠ .
(٣) و (٤) ٧ / ٣٣٤ .
(٥) الفهرست ٧ / ٣٣٣ .
(٦) نفسه ٧ / ٣٣٥ . طبع هذا الكتاب ، أي « المواليد » في البندقية عامي ١٤٩٢ و ١٥٠١ م . انظر : دائرة المعارف الإسلامية ١٠ / ٧٥ .

الحسن ، كتاب في الأحكام ، أي أحكام النجوم ، اسمه بالفارسية « كارمهتر » ، لكن أحكامه اختبرت فلم يصح منها شيء . هذا ما ذهب إليه القفطي في كتابه « أخبار العلماء في أخبار الحكماء » مؤكداً إنه اختبر مقالة الحسن أن زحل إذا نزل في دقائق من أول درجة من الجوزاء ، دلّ على موت ملك مصر ، فلم تصح[1] .

أبو معشر البلخي (ت ٢٧٢ هـ / ٨٨٥ م) :

يُعتبر أبو معشر جعفر بن محمد بن عمر البلخي من أبرز علماء الفلك ، وفي الطليعة بين أصحاب الأحكام وصناعة التنجيم . لقد فاق علماء عصره قاطبة في هذا الميدان ، وكان له قدرة مميزة في أخذ الطالع ، وفي تسديد الأحكام والإصابة في الحدثان ، فلا عجب والحالة هذه أن يكون أبو معشر من ألمع المنجمين وأكثرهم شعبية ، إذا صح التعبير ، قيل إنه تعلم صناعة التنجيم على يدي الكندي الفيلسوف العربي ، وإن كان قد عزم من قبل، على قتل أستاذه بسبب الحظوة التي كانت لهذا الأخير في بلاط فارس : تقول الرواية إن أبا معشر أخفى خنجراً ، ودخل إلى بلاط الملك ، فنظر إليه الكندي ثم قال له : « ألست أبا معشر البلخي ؟ إنك ستصير أعظم منجم في العصر! لكن يجب أن تتراجع عن نواياك السيئة! ألق خنجرك ثم اقعد ، واتبع ما أقوله لك » . . عند ذلك ، ما كان من أبي معشر إلّا أن انحنى ثم جثا بين يدي الكندي فصار تلميذاً له[2] .

وقيل إن أبا معشر ، لم يكن في أول الأمر على علم بالنجوم ، بل كان يتعاطى الحديث ، وينكب على دراسة الفقه والأصول . . ولما أن قدم من خراسان يريد الحج ، مرّ « بكركر » وقد وصفت له خزانة الحكمة التي كانت لعلي بن أبي منصور المنجم ، وهي مكتبة كانت تضم آلاف الكتب من كل فن وعلم . . ولما أقام أبو معشر بكركر ، وأطلع على محتويات هذه الخزانة مستوفياً كتبها العلمية والفلكية ، أضرب عن الحج ، وراح يتعلم علم النجوم حتى أغرق فيه وألحد ، على حد تعبير ياقوت ، وكان ذلك آخر عهده بالحج والدين[3] .

---

(١) أخبار العلماء ، ص ١١٤ . وفي « فرج المهموم » لابن طاووس ، نجد أن صاحب الـ « كارمهتر » هو أبو الحسين بن أبي الخصيب القمي ، المقيم في الكوفة ، ولعل الإثنين اسمان لعلم واحد . انظر : فرج المهموم ، ص ١٢٩ .

(٢) W . E . Peuckert : L'astrologie , P 156 —

(٣) ياقوت : معجم الأدباء ١٥ / ١٥٧ .

وقيل أيضاً إن سبب تعلمه النجوم ، هو أنه كان ملمّاً بالحديث ، لكنه كان شديد الكراهية للكندي ، فبعث له هذا من زيّن له علم النجوم ، كان ذلك بعد مضي سبعة وأربعين عاماً من عمره ، ثم إنه قضى ما بقي من عمره في هذا العلم ، منصرفاً إليه ، وهو الذي تجاوز عمره المائة من السنين . كان أبو معشر من الإصابة في الأحكام على جانبٍ عظيم مما جعل الموفق بقربه إليه ويستخدمه منجماً له ، وشهد معه محاصرته للزنج بالبصرة . وللدلالة على إصاباته فإن المستعين ضربه ذات يوم أسواطاً عدة لأنه أصاب في شيء أخبر به قبل وقته ، فكان يقول : « أصبت فعوقبت »[1] . وإجمالاً ، فإن أبا معشر ، هو كما قال القفطي : « عالم أهل الإسلام بأحكام النجوم ، ترك في هذه الصناعة كتباً كثيرة أهمها : كتاب « القرانات » ، وكتاب « صناعة الأحكام » وكتاب « الألوف » وكتاب « الدول والملل » وكتاب « الملاحم » و« الزيج الكبير » و« الزيج الصغير » أو « المدخل الصغير » ، و« زيج الهزارات » و« أعمار الدول » و« إثبات علم النجوم » و« تفسير المنامات من النجوم »[2] . أما كتاب « القرانات » أو « اقترانات الكواكب في البروج الاثني عشر وما يلحق بذلك » كما هو عنوانه في نسخة مخطوطة في خزانة المكتبة الظاهرية بدمشق تحمل الرقم ١٠٠٧٤ ، فآخره مايلي :

« ودل على خسارتهم ، وتوقف معيشة الأدباء ، وأرباب العلم مع الرعية ، والقبض على بعض الوزراء ، وقبض العمال ، وكثرة الأمطار والرياح والعجاج ، كل ذلك ينسب إلى الزمان الموافق لذلك » .

وينسب إليه ابن النديم كتاب « أسرار النجوم » ، وكتاب « اقتران النحسين في برج السرطان » ، وكتاب « المواليد الكبير » و« كتاب المواليد الصغير »[3] ، والمقصود « بالمواليد » الطالع المعين لهم والمتضمن كشفاً لأهم ما سوف يلاقونه في حياتهم ، وذلك على طريقة أهل التنجيم في استخراج الطالع ، من هنا فإن هذا الكتاب قد يُسمى باختصار « الطالع » أو « الطالع في مواليد الرجال والنساء » ، ومن هذا الكتاب ذي العنوان الأخير نسخة مخطوطة ما زالت محفوظة في مكتبة الأوقاف العامة ببغداد ، وهي تحمل الرقم ٦٤٧٦ . وقد يكون

---

(١) ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ، ص ١٤٩ .
(٢) القفطي : أخبار الحكماء بأخبار العلماء ، ص ١٠٦ - ١٠٧ .
(٣) ابن النديم : الفهرست ، ص ٣٣٦ .

هذا الكتاب ، هو نفسه ، كتاب « مواليد الرجال والنساء » الذي أوله ما يلي : « القول على طوالع الرجال ، البرج الأول . . الحمل والمريخ ، يقال له الكبش : نحس وأحكامه ، علم أن برج إبراهيم عليه السلام » ، أما آخره فهو التالي « بيت منية الحوت والمشتري ، يخاف عليه من عام يكون طالعه الحمل ، من علة تحدث له في جسده ، أو في رأسه ، وينجو منها ، والله أعلم » . ويوجد من هذا الكتاب نسخة مخطوطة في دار الكتب الظاهرية بدمشق تحمل الرقم ٣٥٤٨ . وقد يكون أيضاً ، هو كتاب « طالع المولود » الذي أوله ما يلي: « القول على برج الحمل وهو برج ناري ، قال الحكيم أبو معشر : المولود بهذا البرج له ثلاثة وجوه » . أما آخره فهو التالي : « القول على برج الحوت والمشتري . . ترّجا ـ كذا ـ أموراً وتنوي فيه ورجاؤها » . . وتوجد منه نسخة مخطوطة تحمل الرقم ٩٧٩٠ ، وتضم ٦٠ ورقة في دار الكتب الظاهرية بدمشق .

وثمة كتاب بين أيدي الناس ، وفيه ذكر طوالع الرجال والنساء[1] ، وهو مع الأخطاء الكثيرة وزيادة الحشو فيه ، لا يختلف كثيراً في طريقته ومحتواه عن كتب الطوالع التي مرّ ذكرها وجميعها تنسب إلى أبي معشر . من ذلك مثلاً ، الفصل الذي يتحدث عما يحدث في السنين بحسب الأيام السبعة ، والفصل الذي يتحدث عن كواكب الأيام وطبائعها ومعادنها وملوكها ، والفصل الذي يتحدث عن كواكب الأيام وطبائعها ومعادنها وملوكها ، والفصل الذي يتحدث عن ساعات الأيام المنحوسة والسعيدة ؟ والفصل في ذكر ساعات الليالي : سعيدها ونحسها ، وفصول أخرى كثيرة تتحدث عن حساب الغالب والمغلوب ، والشريك والرفيق والزوج والأخوة والغائب والمسافر والمريض والمحبوس والحامل وأوقات الولادة . .

على أن أهم كتب أبي معشر على الإطلاق ، كتابه الموسوم بـ « أسرار النجوم » الذي توجد منه نسخة مخطوطة في مكتبة المتحف العراقي ببغداد ، تحمل الرقم ٣٠٠٠٩ ، وتتضمن هذه المخطوطة ستاً وسبعين صفحة عرض خلالها أبو معشر لأحكام الكواكب والبروج في عدة من الأبواب ، أهمها الباب الذي يتحدث فيه عن كتب النجوم التي كانت معروفة في زمانه ، وكانت محفوظة في خزائن

(١) عنوان الكتاب : « كتاب أبي معشر الفلكي الكبير» وفيه « طوالع الرجال والنساء » بالتمام والكمال . مكتبة الجمهورية العربية . بدون تاريخ وغير محقق .

الملوك والسلاطين وكبار رجال الدولة ، والعلماء ، وهي الكتب التي أغفل ذكر بعضها المؤرخون ، ومنها كتاب « التجارب » ليحيى بن برمك ، وكتاب « الرجوع والهبوط » لحيى بن أبي منصور ، وكتاب « منافع النجوم » في الطلسمات ، لأبي مسافر اليماني ، وكتاب في « صور البروج » ، وكتاب « الأسرار » النسوب إلى هرمس ، وكتاب « المحاسن » لمحمد بن عبد الله بن طاهر ، وكتاب « الصور الثلاثمائة والستين » وكتاب « المناحس والسعادات » لسند بن علي . . وغيرها كثير . . ويتحدث أبو معشر في هذا الكتاب عن هذا الكتاب عن أقدم الأزياج المعروفة في زمانه ، معتبراً زيج أرخميدس منها ، أقدم الأزياج . ولهذا الكتاب مختصر توجد منه نسخة مخطوطة في المكتبة الوطنية بباريس تحمل الرقم ٦٦٨٠ . . ويُنسب إلى أبي معشر كتاب « المدخل الكبير في علم الأحكام والنجوم » . وهو كتاب عوّل عليه من جاء بعده من المنجمين ، توجد منه نسخة مخطوطة . في المكتبة الوطنية بباريس ، يعود تاريخ نسخها إلى العام ٣٢٥ هجرية / ٩٣٥ م ، وتحمل الرقم ٥٠٩٢ كما توجد من هذا الكتاب نسخة ثانية مخطوطة في مكتبة جستربيتي بدبلن ، تحمل الرقم ٤٠٧٥[1] .

ومن أشهر كتب أبي معشر كتاب « الألوف » أو كتاب « الأدوار والألوف » وهو كتاب في الأحكام ، يتحدث فيه أبو معشر عن تأثير الكواكب على العالم والحدثان ، وعن دلالتها على أعمار الدول والملل ، وتوجد من هذا الكتاب نسخة مخطوطة في خزانة المكتبة الوطنية بباريس ، وهي تحمل الرقم ٢٥٨١ . وفي الخزانة ذاتها مخطوات كثيرة تنسب إلى أبي معشر ، منها المخطوطة ذات الرقم ٢٥٨٢ ، بدون عنوان ، وهي تبحث في التنجيم وتأثير الكواكب والبروج ، والمخطوطة ذات الرقم ٢٥٨٣ ، وهي عبارة عن كتاب « المواليد » وفيه صور عدد من الكواكب ، وصور للشيطان والقمر والبروج ، والمخطوطة ذات الرقم ٢٥٨٤ ، وهي أيضاً عبارة عن كتاب « المواليد » وفيه صور عدد من الكواكب ، وصور للشيطان والقمر والبروج ، والمخطوطة ذات الرقم ٢٥٨٤ ، وهي أيضاً عبارة عن كتاب « المواليد » وتتضمن اثنتي عشرة صورة ، إضافة إلى تضمنها عدداً من الطلاسم ، والمخطوطة ذات الرقم ٢٥٨٥ ، وهي تحمل العنوان التالي : « كتاب في المواليد للحكيم » . ولعل المقصود به أبو معشر نفسه ، لأن فصولها

---

(1) مجلة المورد : مجلد ٤ ، العدد الأول ، ص ٢١٩ ، بغداد ١٩٧٥ م .

الاثني عشر تتحدث ما تحدث عنه أبو معشر في أكثر من كتاب من كتبه ، وهي تدور في معظمها على البروج وصورها وتأثيرها ، وهناك مخطوطتان أخريان تحملان الرقمين ٢٥٨٦ و٢٥٨٧ ، وهما عبارة عن كتاب « المواليد » المار ذكره ، أما المخطوطة ذات الرقم ٢٥٨٨ فهي عبارة عن كتاب « أحكام تحويل سني المواليد » لأبي معشر ، ويعود تاريخ نسخها إلى العام ٦٩٠ من الهجرة ، وأما القسم الثالث من المجموعة ذات الرقم ٢٥٨٠ ، فهو عبارة عن كتاب « قرانات الكواكب » المار ذكره وهو لأبي معشر ، إضافة إلى كتاب ثانٍ منسوب إلى هرمس ، وثالث يتحدث عن الطالع من السنين وعن تأثير الكواكب في كل برج من البروج الاثني عشر . وثمة كتاب آخر باسم « أحكام سني العالم » نسب إلى أكثر من واحد ، من بينهم أبو معشر ، وأحمد بن عبد الجليل السنجري ، أو السجزي[1] .

ويصرف النظر عن هذا العدد الضخم من المؤلفات التنجيمية ، وسواء أصحت نسبتها جميعاً إلى أبي معشر ، أم لم تصح ، فإن مما لا شك فيه أن هذا المنجم الذائع الصيت كان من الذين برعوا في استخراج الطالع ، وحسبك الطالع الذي أخذه للوزير ابن الفرات ، فصح ما قاله إلى حد بعيد[2]، وحسبك أيضاً الطالع الآخر الذي كان أخذه في حضرة الموفق فصح حكمه بعدما عرف ما أضمره معرفة دقيقة وصحيحة[3] ، والطالع الثالث الذي أخذه في مولد المعتز ، وحكمه له بتولي الخلافة[4] ، أما عن شهرة أبي معشر فحسبك أن ملك سرنديب بالهند كلفه القيام بأخذ طالع ولده ، فكان « الجوزاء وزحل في السرطان ، والشمس في الجدي » ، فحكم أبو معشر له بالعيش مدة دور زحل الأوسط[5] .

---

(١) حاجي خليفة : كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ١ / ١٨ .
ويأتي الحديث لاحقاً عن أحمد السنجري .

(٢) الصابيء : الوزراء ، ص ١٨٠ . وابن الفرات هو أبو الحسن علي بن موسى (ت ٣١٢ هـ / ٩٢٤ م) . المسعودي : التنبيه والإشراف ، صفحة ٣٢٩ . دار صعب . بيروت . وانظر الخبر مفصلاً في موضع آخر من هذا البحث .

(٣) التنوخي : نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة ٣ / ٣٢٧ ـ ٣٢٨ . تحقيق عبود الشالجي ، ١٣٩١ هـ ـ ١٩٧١ م . وانظر الخبر مفصلاً في موضع آخر من هذا البحث .

(٤) المصدر نفسه ٨ / ٥٦ ـ ٥٧ . والمعتز ، هو الخليفة العباسي الثالث عشر (٢٥٢ ـ ٢٥٥ هـ ـ ٨٦٦ ـ ٨٦٩ م) .

(٥) البيروني ، أبو الريحان : الآثار الباقية عن القرون الخالية ، ص ٨٢ .

وأما عن إصابات أبي معشر في معرض استخراج الضمير، والتنبؤ بالأحداث، فقد حفلت كتب الرواية أو التاريخ منها، وكل ذلك يدل على طول باع هذا المنجّم، وعلو كعبه في هذه الصناعة، ومن ذلك ما حكاه أبو سعيد شاذان بن بحر، عن أبي معشر أنه نزل يوماً في خان من خانات إحدى قرى الري، فالتقى بكاتبٍ كان موجوداً في الخان ويريد العراق، وكان الكاتب على دراية بعلم النجوم. . ولما نظر كلاهما في القمر، وكان في تربيع المريخ، مما لا يسمح بالسفر في ذلك اليوم حسب دلالة النجوم، ولما رفض المكاريون نصيحة أبي معشر والكاتب معاً وهي نصيحة تقضي بتأجيل السفر إلى يوم الغد، همت السيارة بالرحيل فصعد أبو معشر إلى سطح الخان، وأخذ الطالع في السماء، فإذا هو الثور، وفيه المريخ، والقمر في الأسد، فخاطبهم بأعلى صوته وهو يقول: «الله الله في أنفسكم» فلم يجيبوه، وظلوا سائرين؟ ثم التفت أبو معشر إلى الكاتب قائلاً: «أما هؤلاء فأهلكوا أنفسهم»، ثم جلسا، وأكلا، وجعلا يشربان وإذا بجماعة من القافلة عادوا وهم مصابون بجراحات ثخينة، ذلك أن جماعة من قطاع الطرق صدّوهم عن المسير وذلك على بعد فرسخين من الخان، فاعتدوا عليهم، فقتل من قتل منهم، واحتملوا أموالهم وأمتعتهم، ثم فرّ من استطاع الفرار، حتى جاؤوا أبا معشر فأخذوه بالحجارة والعصي وهم يقولون: «يا ساحر، يا كافر، أنت قتلتنا، وقطعت علينا الطريق» وما استطاع أبو معشر التخلص منهم إلا بعد جهد، معاهداً نفسه «أن لا يكلم أحداً من السوقة في شيء من هذا العلم» حسب تعبيره[1].

ومن ألطف الإصابات الدالة على تمكن أبي معشر من علم التنجيم، وعلى ثقته القوية بنفسه، ما نقل عنه لجهة معرفته بمكان اختفاء أحد الفارين لجرم اقترفه. . فلقد عمد هذا الشخص إلى «طشت» كبير ملأه دماً، ثم جعل في الدم هاوناً من الذهب، فقعد عليه أياماً، والملك يجد في طلبه حتى عجز عنه. . ولما أحضر أبو معشر إلى الملك، وطلب إليه أن يدل على مكان هذا الرجل، سحب من جيبه آلة يستخرج بها الأحكام، فنظر فيها، فسكت طويلاً وهو متحير، فقال له الملك: «وما سبب سكوتك وحيرتك؟ فقال أبو معشر: أرى شيئاً عجباً، أرى الرجل المطلوب على جبل من ذهب، والجبل في بحر من دم،

---

(١) ابن طاووس: فرج المهموم، ص ١٦١.

ولا أعلم موضعاً على هذه الصفة . فقال الملك : أعد النظر ، ففعل ، ثم قال له : ما أرى إلا ما ذكرت ، وهذا شيء ما وقع لي مثله » . . ولما نادى الملك البلد بالأمان للرجل ، ولمن أخفاه ، ظهر الرجل فحضر بين يدي الملك ، فسأله عن الموضع الذي كان فيه ، فأخبره بما اعتمد عليه ، فأعجبه احتياله في إخفاء نفسه ، وأعجب أكثر بلطافة أبي معشر وبراعته في استخراجه[1] . وقريب من هذه النادرة أخرى تقول إن امرأة افتقدت خاتماً من ياقوت ، فأرسلت إلى أبي معشر ، فعمل حساباً ثم قال : « الخاتم! الله الكريم أخذه » ، فتعجب من كان حاضراً من هذا الكلام ، ولما أن عادت المرأة تطلبه من جديد ، وجدته في أثناء ورق المصحف[2] .

ومن إصابات أبي معشر الدقيقة ما حكم به على علي بن محمد صاحب الزنج ، إذ أخذ له طالعاً فعرف أنه سيقدم على الدماء وخراب المدن ، فكان أن خرج علي بن محمد بالبصرة عام ٢٤٩ هـ ، وفعل ما فعل ، وخرب ما خرب[3] .

والغريب في أمر أبي معشر أنه ، على علمه وفهمه وقدرته على استخراج الطالع ، لم يكن يعرف لنفسه مولداً ، مما اضطره إلى عمل طالع له يتبين من خلاله ، عمره وأحواله ، ولما عمل المسألة ، وأخذ الطالع سأل المنجم الزيادي طالعاً آخر له ، ومسألة تضاف إلى مسألته ، وذلك بهدف أن تكون أصح دلالة إذا اجتمع عليها طبيعتان : طبيعة السائل وطبيعة المسؤول ، فخرج طالعه السنبلة والقمر في العقرب ، في مقابلة الشمس ، والمريخ ناظر إلى القمر في بيت الولد ، وهذا ما يوجب الصّرع في المولود ، على مذهب أهل التنجيم . . ومن غريب الصدف أن أبا معشر كان مصاباً ، فعلاً بالصرع ، يصيبه عند امتلاء القمر في كل شهر مرة[4] . وأغرب من ذلك ، أن أبا معشر ، على تقدمه في هذه الصناعة ، لم يقل ـ حسبما ذكروا ـ باستطاعة النجوم ولا اختيارها ، بل ، وكما يقول هو نفسه : «الأظهر المستطيع لفعل يفعل ضده ، ويقدر أن يمسك من الفعلين جميعاً . والذي

---

(١) ابن حجة الحموي : ثمرات الأوراق في المحاضرات ، ص ٧٧ .
(في هامش المستطرف في كل فن مستطرف) للابشيهي ـ بدون تاريخ ولا طباعة ـ .
(٢) أبو حيان التوحيدي : البصائر والذخائر ٣ / ١٤٧ .
(٣) ابن طاووس : فرج المهموم ، ص ١٦٢ .
(٤) نفسه ، ص ١٦٣ .

لا يستطيع ، إنما يجري على طبع واحد ، والكواكب حركتها واحدة ولا تمسك عنها في حال ولا تنتقل إلى غيرها »[1] .

وبعيداً عن هذا كله ، وعن صحة أحكام أبي معشر وخطئها ، فإن مما لا شك فيه ، أن الرجل كان فذاً بين الأفذاذ من المنجمين ، يدل على ذلك استمرار الأخذ بالطالع وفق طريقته ، حتى عصرنا هذا ، وحسبنا من من ذلك كله أن أبا معشر كان ، وهذا ما يقوله جون فيرنه J. Vernet ، أوفر المنجمين الأوائل حظاً من الاحترام ، وأقواهم تأثيراً : فلقد ألم بالتراث القديم ، وهو صاحب النظرية التي تقول إن الصور النجمية تتراءى في السماء مع حلول العشور Decans أي عقود الشهور الـ ٣٦ التي يشكل كل منها ثلث كل برج من البروج الإثني عشر ، « وهذه الصور التي عُرفت باسم القرانات Paruntellonta كان لها بالغ التأثير على المصورين في عصر النهضة »[2] . وثمة شهادة ثانية لـ : تيخو براخ Tycho Brahe ، العالم الفلكي الدانمركي (١٥٤٦ ـ ١٦٠١ م) في كتابه الموسوم بـ « دراسات تمهيدية في أحياء الفلك » Astronomiae instauratae progymnasmata إذ قال عن أبي معشر إنه أول عالم دحض رأي أرسطو القائل بأن المذنبات، إنما هي تنتمي إلى العالم الفاني، أو إلى عالم ما تحت فلك القمر شأنها في ذلك شأن مجرة درب التبانة اللبني[3] ، في حين يذكر أبو معشر أنه شاهد مذنبات في فلك الزهرة ، مما يوحي بأنه يشير بذلك إلى النجم الكاذب « قائد » Kayd الذي كان يستخدم في التنجيم . وهذه التسمية التي أطلقت على هذا النجم ، إنما هي تحوير لغوي أخير لكلمة كيتو Ketu الهندية التي أطلقها العلماء الهنود على العقدة النجمية الهابطة والتي تتمثل أحياناً بشكل غيمة صغيرة نسبوا إليها فترة دوران تستمر ١٤٤ عاماً[4] .

---

(٣) فرج المهموم ، ص ٨٢ .

(١) شاخت وبوزورث : تراث الإسلام ، ص ١٩٠ ـ ١١١ .

(٢) درب التبانة ، أو الطريق اللبني ، اسم يطلق على البياض المشهور الذي يعترض في السماء من الشرق إلى الغرب تارة ، ومن الشمال إلى الجنوب تارة أخرى ، ولقد أطلقوا عليه قديماً اسم المجرة .
انظر : شامي ، يحيى : النجوم في الشعر العربي القديم ، ص ٤٧ ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ١٩٨٢ م .

(١) تراث الإسلام ، ص ١٨٦ ـ ١٨٧ .

ابن البازيار :

ومن المنجمين الذين أورد ذكرهم صاحب « الفهرست محمد بن عبد الله المعروف بابن البازيار ، وكان تلميذاً لحبش (توفي بين عامي ٢٥٠ و ٢٦٠ هـ) العالم الفلكي المشهور ، وإليه يُنسب كتاب في « الزيج » وكتاب « القرانات » في التنجيم[١] .

السرخسي :

ومنهم أيضاً ، أحمد بن محمد بن مراوان بن الطيب السرخسي ، تلميذ الكندي (توفي سنة ٢٥٢ هـ ـ ٨٦٦ م) وصاحب كتاب « المدخل إلى صناعة النجوم »[٢] .

الصيمريان :

ومن أعلام التنجيم في القرن الثالث الهجري ، التاسع الميلادي ، الصيمريان : أبو العباس وأبو العنبس : الأول كوفي الأصل ، كان قاضياً للصيمرة ، كان أديباً ونديماً للمتوكل العباسي (٢٣٢ ـ ٢٤٧ هـ / ٨٤٧ ـ ٨٦١ م) وهو صاحب كتاب « الرد على المنجمين » وكتاب « أحكام النجوم » وكتاب « المدخل في صناعة التنجم »[٣] ، والثاني صاحب كتاب « المواليد » وكتاب « المدخل إلى علم النجوم »[٤] ولدينا منسوباً إلى هذا الأخير مخطوطتان ، إحداهما مخطوطة مودعة خزانة مكتبة جستربتي بدبلن رقمها ٤٠٦٦ ، بعنوان : « أصل الأصول لطبقات العلوم في أسرار أحكام النجوم »[٥] . والثانية أودعت خزانة دار الكتب الظاهرية بدمشق ، وهي بعنوان « أصل الأصول في خواص النجوم وأحكامها وأحكام المواليد » ، رقمها ٩٢١٩ ، وآخرها ما يلي : « المعاونة في خمسة : النيّران : نيّر الشمس ونير الليل ، أعني الشمس والقمر ،

---

(١) ابن النديم : الفهرست ٧ / ٣٣٤ . وفي « فرج المهموم » ، ص ١٢٨ ، اسم الكتاب « القرانات والدول والملل » .

(٢) نفسه ، وانظر أيضاً : أخبار العلماء ، ص ٥٦ .

(٣) الفهرست ٣ / ١٦٨ ـ ١٦٩ .

(٤) الفهرست ٧ / ٣٣٦ .

(٥) المورد ، ص ٢١٨ ، العدد ١ و ٢ ، مجلد ٤ ، بغداد ١٩٧٥ م .

والطالع ، وسهم السعادة ، والاجتماع والإستقبال ، ومن هذه يعلم كل شيء في العالم ، وهي الهيلاجات الخمسة التي بها المواليد والمسائل » .

غلام زحل :

ومن الذين عاصروا الصيمريين ، أبو القاسم عبد الله بن الحسن الذي يُعرف بـ « غلام زحل » صاحب كتاب « أحكام النجوم »[1] .

قال ابن العبري إنه أحد أشهر حذّاق التنجيم في بغداد، وكان معتدلاً في أحكامه غير غال ، وهذا ما يؤكد ردّ غلام زحل ، نفسه ، على جماعة من العلماء الذين تذاكروا العلوم ، ومن بينها النجامة ، واتفاقهم على أنها من العلوم التي لا تجدي فائدة، ولا يصح فيها حكم . لقد ردّ غلام زحل على هؤلاء بالقول : « صحتها وبطلانها يتعلقان بآثار الفلك . وقد يقتضي شكل الفلك في زمان أن لا يصح منها شيء . وقد يزول ذلك الشكل فيجيء زمان لا يبطل منها شيء . وقد يتحول هذا الشكل في وقت آخر أن يكثر الصواب فيها والخطأ . ومتى وقف الأمر على هذا ، فلا يثبت على قول قضاء ولا يوثق بجواب » . فكان كلامه هذا « أحسن ما يمكن أن يقال في هذا الباب »[2] على حد تعبير أبي سليمان المنطقي أحد أبرز علماء المنطق والفلسفة ببغداد في القرن الرابع الهجري ، وأحد الذين تذاكروا مع غلام زحل في النجامة ، ومن بينهم النوشجاني ، والعروضي ، والمقدسي والقومسي[3] .

ابنا قرة : ثابت وولده سنان :

ومن الذين خدموا المعتضد (٢٨٩ ـ ٢٨٩ هـ / ٨٩٢ ـ ٩٠٢ م) ، وكان رئيس أطباء المقتدر (تسلم الخلافة عام ٢٩٥ هـ / ٩٠٨ م) الفلكي والرياضي والمنجم ، أبو الحسن ، ثابت بن قرة الحرّاني (ت ٢٨٨ هـ / ٩٠٠ م) . وكان من الصابئة ، ونسب إليه صاحب « طبقات الأطباء والحكماء » كتباً في الهيئة

---

(١) ابن النديم : الفهرست ٧ / ٣٤٢ .
(٢) ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ، ص ١٧٥ . وأبو سليمان هذا ، هو أحد أبرز علماء المنطق والفلسفة ببغداد في القرن القرن الرابع الهجري .
(٣) أخبار العلماء بأخبار الحكماء ، ص ١٥١ .

والتنجيم والحساب والمنطق ، ولم يسمها[1] . لكن القفطي استدرك ذلك فذكر من كتبه التي تبلغ المئات على حد تعبيره ، كتابا « في طبائع الكواكب وتأثيراتها » ، وكتابا في « الأعداد المتحابة » وثالثاً « في الأهلّة وكسوف الشمس والقمر »[2] . وذكر له صاحب « عيون الأنباء في طبقات الأطباء » فضلاً عن ذلك كتاباً « في حالة الفلك » وآخر « في تركيب الأفلاك » ، وثالثاً « في الهيئة » ورابعاً « في الأنواء »[3] .

أما سنان بن ثابت المتوفى عام ٣٣١ هـ / ٩٤٢ م ، وكان خدم كلاً من القاهر والراضي الخليفتين العباسيين ، فنسب إليه القفطي وضع عدد من الكتب والرسائل الفلكية والتنجيمية ، منها « رسالة في النجوم »[4] ، ونسب إليه صاحب « عيون الأنباء » رسالة أخرى في « سهيل »[5] . أما صاحب « معجم الأدباء » فإنه ذكر لسنان هذا ، رسالة في « قسمة أيام الجمعة على الكواكب السبعة » ، كان وضعها لأبي إسحاق الصابىء[6] .

ابن أماجور (ت ٣١١ هـ / ٩٢٣ م) :

وثمة عالم بالهيئة والنجوم ، هو أبو القاسم ، عبد الله بن أما أجور ، الهروي والفرغاني ، نسبة إلى هراة وفرغانة المدينتين القديمتين ، صاحب كتب الأزياج الخمسة وهي : الزيج المعروف « بالمزنّر » ، والزيج المعروف بـ « الخالص » ، والزيج المعروف بـ « البديع » ، وزيج « السندهند » ، « وزيج الممرات »[7] . وثمة زيج آخر نُسب إليه ، وربما كان واحداً من الأزياج المارّذكرها . هو « زيج المريخ على التاريخ الفارسي »[8] . والمهم بعد هذا كله ، أن ابن أماجور هو صاحب كتاب « جوامع أحكام للكسوفين وقران الكوكبين ،

---

(١) الفهرست ٧ / ٣٣١ .
(٢) ابن جلجل : طبقات الأطباء والحكماء ، ص ٧٥ .
(٣) أخبار العلماء في أخبار الحكماء ، ص ٨١ .
(٤) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ، ص ٢٩٥ .
(٥) أخبار العلماء ، ص ١٣٣ .
(٦) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، ص ٣٠٤ .
(٧) ياقوت : معجم الأدباء ١١ / ٢٦٣ .
(٨) ابن النديم : الفهرست ٧ / ٣٣٨ .

زحل والمشتري ، ودلالة ذلك على أمر الملك والأديان والملوك وأحوال العالم » ، وتوجد من هذا الكتاب نسخة مخطوطة مودعة دار الكتب الظاهرية بدمشق ، رقمها ٩٠٦٠ ، من مائة وأربع وثلاثين ورقة ، وهي تتحدث عن تأثيرات الكواكب في الأنام ، وآخرها ما يلي : « وإن كان النحس الوالي ، ولم يكن في موضع موافق ، ولم ينظر إليه السعود ، اشتد صرصره - كذا ، ولعلها حرة - لغلبة مزاج الشمس وغور طبيعته . . فاعتبر بما وضعت وقس عليه » .

الرازي ، أبو بكر (٢٥١ - ٣٢٠ هـ / ٨٦٤ - ٩٣١ م) :

أبو بكر ، محمد بن زكريا الرازي ، نسبةً إلى الرّي ، أحد أشهر علماء الإسلام في الرياضة والطب والفلك وصاحب مئات الكتب والرسائل ، على حد تعبير صاحب « الفهرست » ، والتي منها مقالته في « مقدار ما يمكن أن يستدرك في أحكام النجوم على رأي الفلاسفة الطبيعيين ومن لم يقل منهم أن الكواكب أحياء »[١] ، هذا فضلاً عن الكتب والرسائل الأخرى ، ذات الطابع الفلكي البحت ، أو الطبي بشكلٍ خاص[٢] .

وإن نحن صدقنا ما قاله الكعبي فإن أبا بكر لم يكن موفقا في أحكامه النجومية ، قال الكعبي مخاطباً أبا بكر : ادّعيت ثلاثة علوم وأنت أجهل الناس بها : « ادّعيت الكيمياء ، وقد حبستك زوجتك على عشرة دراهم . وادّعيت الطب، وتركت عينك حتى تذهب . وتدعي النجوم والعلم بالكائنات وقد وقعت في نوائب لم تشعر بها حتى أحاطت بك »[٣] .

جحظة (ت ٣٢٤ هـ / ٩٣٥ م) :

ومن الذين ذكرهم صاحب « الفهرست » ، سليل آل برمك ، الأسرة الفارسية المشهورة في تاريخ العباسيين ، جحظة ، واسمه الحقيقي أبو الحسن ، أحمد بن جعفر بن موسى بن يحيى بن خالد البرمكي . كان شاعراً وعالماً بالنجوم

---

(١) الفهرست ٧ / ٣٥٩ .

(٢) منها : كتاب « هيئة العالم » انظر : عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، ص ٤٢٢ . ومنها في مجال الطب « برء الساعة » و « الحاوي » أكبر موسوعة طبية عربية ، و « الجدري والحصبة » و « الطب الروحاني » وغيرها كثير . انظر : المنجد في الإعلام ، ص ٢٥٩ .

(٣) ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ، ص ١٥٨ .

له كتاب في التنجيم أسماه « ما جمع مما خزنه المنجمون فصح من الأحكام »[1] .
وفي « معجم الأدباء » ، فإن اسمه « ما جمعه مما جربه المنجمون فصح من الأحكام »[2] وهو الأكثر صواباً .

ابن وحشية (كان حياً سنة ٣٨٧ هـ / ٩٩٦ م) :

ومن متأخري المنجمين في أواخر القرن الرابع الهجري ، العاشر الميلادي ، أبو بكر ، أحمد بن علي بن المختار النبطي الكلداني ، المعروف بـ « ابن وحشية » ، صاحب كتاب « أسرار الكواكب » ، وكتاب « طرد الشياطين » ، وكتابي « السحر الكبير » و « السحر الصغير »[3] . ونسب إليه حاجي خليفة كتاباً خامساً هو « أسرار الشمس والقمر في النيرنجات »[4] . ولقد عُرف أخيراً ، وهو الكلداني الأصل ، أنه جامع وشارح العديد من المؤلفات العلمية القديمة ، وأنه ترجم كتاباً في أحكام النجوم ينسب إلى « تالكوشا » ، وأنه ، وبدافع من نزعته الشعوبية ، نقل إلى العربية عدة كتب بابلية مزعومة ليس لها أصل ثابت ، منها كتاب « الفلاحة النبطية » وكتاب « السموم » ، وذلك من أجل تعزيز سمعة بني جلدته من الكلدان والأنباط والبابليين ، وإظهاراً لتفوقهم على العرب ، هذا ما ذهب إليه ، وأثبته « غوتشمد Gutschmid الباحث والعالِم الأوروبي[5] .

العياشي (القرن ٤ هـ / العاشر الميلادي) :

ومن أصحاب المؤلفات التنجيمية في القرن الرابع الهجري ، العاشر الميلادي ، فقيه الشيعة الإمامية ، أبو النضر محمد بن مسعود العياشي السمرقندي ، وله مئات الكتب والرسائل التي منها « كتاب النجوم والفأل والقيافة

---

(١) ابن النديم : الفهرست ٣ / ١٦٣ .
(٢) ياقوت : معجم الأدباء ٢ / ٢٤٣ . ومن شعره الذي أورده له صاحب « المعجم » قوله :

ولي كبد لا يصلح الطب سقمها ... من الوجد لا تنفك دامية حرّى
فيا ليت شعري والظنون كثيرة ... أيشعر بي من بت أرعى له الشعرى

انظر : معجم الأدباء ٢ / ٢٥٥ .
(٣) الفهرست ٨ / ٣٧٢ .
(٤) خليفة ، حاجي : كشف الظنون عن أسامي والفنون ١ / ٨٣ .
(٥) شاخت وبوزورث : تراث الإسلام ، ص ٩٥ و ٩٦ .

والزجر »[1] .

* * *

ومن أصحاب المؤلفات التنجيمية الذين لم نقف على تاريخ ولادتهم أو مماتهم أو حياتهم ، وهم بالتأكيد متقدمون على ابن النديم الذي كانت وفاته ما بين عامي ٣٨٠ و ٤٨٥ هـ ، على اعتبار أنهم مذكورون جميعاً في كتابه « الفهرست » ، وإننا لنشير إلى كل من :

ابن سمويه اليهودي :

وهو صاحب كتاب « المدخل إلى علم النجوم »[2] .

ابن سمعان :

واسمه محمد بن عبد الله ، صاحب « المدخل إلى علم صناعة النجوم »[3] ويبدو أنه كان تلميذاً لأبي معشر البلخي المتوفى عام ٢٧٢ هـ ٨٨٥ م ، كما نص على ذلك القفطي[4] .

ابن الصلت :

وكنيته أبو زكريا ، واسم أبيه عمرو بن يوحنا بن الصلت ، صاحب كتاب « الاحتجاج في صحة النجوم والأحكام فيها »[5] .

أحمد بن محمد الحاسب :

وهو صاحب كتاب « المدخل إلى علم النجوم »[6] . ولا ندري إن كان أحمد هذا ، هو أبو العباس الحاسب ، نفسه ، صاحب كتاب « المفاتيح في استخراج الطالع » الذي توجد نسخته المخطوطة في المكتبة الوطنية بباريس ، وتحمل الرقم ٦٨٤١ .

---

(١) الفهرست ٥ / ٢٤٥ . وانظر أيضاً : فرج المهموم ، ١٢٤ .
(٢) و (٣) ابن النديم : الفهرست ٧ / ٣٣٦ .
(٤) القفطي : أخبار العلماء بأخبار الحكماء ، ص ١٨٨ .
(٥) الفهرست ٧ / ٣٣٨ .
(٦) نفسه ٧ / ٣٤١ .

الدنداني :

وهو عبد الله بن علي النصراني ، صاحب كتاب « صناعة التنجيم » ، وقد اطلع عليه ابن النديم بنفسه ، وكان رثاً بالياً[1] .

المصيصي :

وهو أبو الحسن علي ، صاحب كتاب « القرانات» في التنجيم[2] .

اصطفن الراهب :

أما آخر هؤلاء فهو اصطفن الراهب الموصلي ، واسمه الحقيقي ميخائيل ، صاحب كتاب « الأدعية والقرابين » التي تستخدم قبل مباشرة صناعة الكيماء ، وصاحب كتاب « الاختيار النجومي للصناعة »[3] . ولا ندري إن كان ثمة لبس بين اصطفن هذا ، والذي نظنه عباسياً ، وبين اصطفن البابلي الذي ذكره ابن العبري ، على أنه أحد الحكماء الكلدان الذين كانوا زمن بعثة النبي (ص) ، وهو العالم بتسيير الكواكب وأحكامها ، وصاحب الكتاب في أحكام النجوم[4] .

ب ـ المجموعة الثانية :

الرقي :

نستهل المجموعة الثانية من أصحاب المؤلفات التنجيمية ، منجمين وغير منجمين ، بأبي جعفر أحمد بن محمد بن علي الرقي ، نسبة إلى الرقة في الجزيرة الفراتية ، وأصله من الكوفة ، كان يوسف بن عمر الثقفي ، والي العراق من قبل هشام بن عبد الملك قد حبس جده ، وله عدة كتب منها : « النجوم » ، وكتاب « الجمّل » وهما من كتب النجامة ، في أغلب الظن ، كما يدل العنوانان[5] .

القصراني (كان حياً ٢٠٠ هـ / ٨١٦ م) :

عُرف بهذا الاسم المنسوب ، وذكره القفطي على أنه من المنجمين ذوي

---

(١) الفهرست ٧ / ٣٣٨ .
(٢) نفسه ٧ / ٣٣٧ .
(٣) الفهرست ١٠ / ٤٢٤ .
(٤) أخبار العلماء ، ص ٥٠ .
(٥) ياقوت : معجم الأدباء ٤ / ١٣٤ .

الإصابات الموفقة في الأحكام النجومية ، يدل على ذلك كتابه « المسائل » ، وكان القفطي قد وقف عليه بنفسه[1] . ولا ندري حقاً ، إن كان هذا المنجم ، هو نفسه ، أبو القاسم علي بن القاسم القصري الذي أورد ذكره ابن طاووس في كتابه « فرج المهموم » ناسباً إليه كتاباً في التنجيم ، اسمه « ترتيب دساتر الكواكب السبعة »[2] . وكتاب « المسائل » الآنف الذكر ، توجد منه نسخة مخطوطة مودعة مكتبة چستربتي بدبلن تضم مائتي ورقة ، ورقمها ٤١٩٠ . كما توجد في المكتبة الظاهرية بدمشق نسخة مخطوطة منسوبة إلى القصراني ، من تسع وأربعين ورقة ، ورقمها ٦٣٦٧ ، وهي بعنوان « الرسالة في إخراج الضمير » .

ابن الجهم المنطقي :

وثمة منجم آخر نسب إليه القفطي ، المنطق ، هو محمد بن الجهم المنطقي ، صاحب كتاب في « الاختيارات » النجومية ، ألّفه للخليفة المأمون[3] .

البرقي (٢٧٤ هـ أو ٢٨٠ هـ / ٨٨٧ أو ٨٩٣ م) :

ومن مصنفي الكتب النجومية الذين ذكرهم ابن طاوس ، أحمد بن خالد بن عبد الرحمن البرقي ، صاحب أحد الكتب ـ لم يسمّ الكتاب ـ في علم النجوم[4] .

إسحاق الكندي :

ومن الذين أورد ابن طاووس لهم ذكرا أيضاً ، إسحاق بن يعقوب الكندي ولا ندري إن كان يعقوب ، هذا ، هو أبو يوسف يعقوب الكندي الفيلسوف المشهور المتوفى عام ٢٥٢ هـ ـ ٨٦٦ م . المهم أن إسحاق نسب إليه كتاب بل رسالة في علم النجوم تتألف من خمسة أجزاء[5] .

أحمد بن سهل البلخي (ت ٣٢٢ هـ / ٩٣٣ م) :

ومن تلاميذ الكندي ، الذين تعمقوا في درس الفلسفة والطب والطبائع

---

(١) القفطي : أخبار العلماء بأخبار الحكماء ، ص ١٧٤ .
(٢) ابن طاووس : فرج المهموم في تاريخ علماء النجوم ، ص ١٢٨ .
(٣) أخبار العلماء ، ص ١٨٦ .
(٤) فرج المهموم ، ص ١٢٢ .
(٥) فرج المهموم ، ص ١٢٨ .

والنجوم والتنجيم ، أبو زيد ، أحمد بن سهل البلخي ، صاحب كتاب « ما يصح من أحكام النجوم » ، مما يشير إلى أن أبا زيد كان حسن الاعتقاد فلا يثبت من علم النجوم إلاّ ما دلّ عليه الحسبان . هذا ما ذكره ياقوت فقال إنه « أحد ثلاثة قيل فيهم : متكلمو العالم ثلاثة : الجاحظ ، وعلي بن عبيدة اللطفي ، والبلخي » ، يعني أحمد بن سهل[1] . وهذا القول ، يدل أيضاً على أن البلخي كان من الذين اشتغلوا بعلم الكلام فكانوا من المبرزين . ويحدثنا التاريخ عنه فيقول إنه كان على مذهب الإمامية لما خرج من شامستيان ، قريباً من بلخ ، قاصداً العراق حيث مكث ثمانية أعوام ، درس خلالها على الكندي ، وعلى غيره علوم الفلسفة والطب والفلك والتنجيم . . فظل ردحاً من الزمن مقسماً بين ولائه للمذهب الذي كان عليه ، وبين اتباعه القائلين بأحكام النجوم ، فانتهى به الحال إلى التمسك بأقوال أهل السنة ، والمضي في دراسة العلوم الدينية إلى جانب العوم الفلسفية[2] .

من مؤلفات أبي زيد كتاب في التفسير اسمه « نظم القرآن » وكتاب آخر يبدو أنه كان في الفلسفة أو النجوم ، انقطع عنه كل من الحسين بن علي المروروذي ، وكان قرمطياً ، وأبي علي الجيهاني ، وزير نصر بن أحمد الساماني ، وكان ثنوياً ، مما يثبت أن ثمة من كان يميل إلى نزع الثقة عمّن كان يقول بأحكام النجوم على الرغم من شيوع القول بها في ذلك العصر[3] .

البلخيّان : زين الدين وأبو القاسم :

وثمة بلخيّ آخر هو زين الدين أحمد بن علي ، صاحب كتاب « المدخل إلى صناعة النجوم » وهو يشتمل على ستين باباً في حساب الجمّل ، الكبير والصغير ، وأسماء الكواكب والبروج ، والأفلاك ، وحركات الأبواب وأبعادها ، والاتصالات القمرية ، والأقاليم السبعة ، وأسماء البلدان .

وقد يُنسب هذا الكتاب إلى بلخي ثالث هو أبو القاسم عبد الله بن أحمد بن محمود البلخي (ت ٣١٩ هـ ـ ٩٣١ م) ، ويُعرف أيضاً باسم أبي القاسم

---

(١) ياقوت : معجم الأدباء ٣ / ٧٨ .

(٢) دائرة المعارف الإسلامية ٧ / ٥٥٦ ـ ٥٥٧ .

(٣) دائرة المعارف الإسلامية ٧ / ٥٥٧ .

الكعبي ، لكن اسم الكتاب المنسوب إليه هو « المدخل إلى أحكام النجوم » ، وتوجد منه نسخة مخطوطة تتألف من ثمان وخمسين صفحة ، تضمها مكتبة المتحف العراقي ، ورقمها ١٠٨ / . وأبو القاسم ، هذا ، نافح عن عقيدة المعتزلة ، وله كتاب « المقولات » وكتاب « محاسن خراسان »[١] .

ابنا نوبخت : موسى والحسن :

ومن أصحاب التصانيف النجومية الذين ذكرهم صاحب « فرج المهموم » وكانوا من المنجمين ، موسى بن الحسن بن عباس بن إسماعيل بن نوبخت ، والحسن بن موسى المتوفى عام ٣١٠ هـ-٩٢٢ م ، صاحب الكتاب الذي استدرك فيه على أبي علي الجبائي ، في رده على المنجمين ، وصاحب كتاب « الآراء والديانات » الدال على معرفة الحسن بالنجوم ، وصاحب كتاب « الرصد على بطلميوس في هيئة الفلك والأرض »[٢] .

ابن هبنتى (ت ٣٣٠ هـ / ٩٤١ م) :

ومن بين المخطوطات النجومية والفلكية التي اطلعنا عليها في دار الكتب الظاهرية بدمشق واحدة خاصة بأبي علي بن هبنتى القنائي ، رقمها ٩٣٥٤ ، وعدد أوراقها ١٨١ وهي بعنوان « المغني من النجوم في أحكام النجوم » . أول النسخة هو التالي « مخروم العارضين ، طويل العنق ، غليظ الساقين والقدمين ، في شعره شهوب ، وفي بطنه فتق العدو ، عالماً بالمساحة ، حريصاً على جمع المال ، محباً للدواب ، به علامة في الفرج والآليتين ، أو بين الوركين ، خال أو شامة طيب » ، أما آخرها فهو : « تم الجزء الأول من كتاب المغني من النجوم لابن هبنتى في أحكام النجوم ، ويتلوه في الجزء الثاني ما ذكره هرمس مما يدل عليه

---

(١) نفسه ٧ / ٥٥٨ .

(٢) ابن طاووس : فرج المهموم ، ص ١٢١ و ١٢٥ . وفي بني نوبخت ، الأسرة التي عُرفت بإتقان العلوم النجومية ، يقول ابن الرومي مشيراً إلى هذا المعنى :

أعلم الناس بالنجوم بنو نوبخت علماً لم يأتهم بالحساب :

بل بأن شاهدوا السماء علواً ... يترقى في المكرمات الصعاب

ساوروها بكل علياء حتى ... بلغوها مفتوحة الأبواب

« فرج المهموم ، ص ١٣٢ .

الشمس إذا اعترته ظلمة وحمرة » ، الأمر الذي يشير إلى إن لهذا الكتاب جزء آخر ، يُرجح إنه مفقود .

الجلودي (ت ٣٣٢ هـ ٩٤٣ م) :

ومن المنجمين أصحاب المؤلفات التنجيمية ، عبد العزيز بن يحيى الجلودي ، صاحب كتاب « ثواب الأعمال والطب والنجوم »[١] .

الحسن الهمداني (ت ٣٣٤ هـ / ٩٤٥ م) :

ومن أصحاب الأزياج الذين كتبوا في أحكام النجوم ، الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني ـ في كشف الظنون : اليماني ـ صاحب الزيج المعروف ، وصاحب الكتب في أحكام قرانات النجوم[٢] .

أحمد بن يونس (ت حوالى ٣٤٠ هـ / ٩٥١ م) :

ومن كبار المؤلفين في الطب والحساب والتنجيم ، أحمد بن يوسف ، شارح كتاب « الثمرة » لبطليموس[٣] . وكتاب « الثمرة » هذا هو « الفصول المائة » ، أي الأقوال المائة في التنجيم ، ويعرف باللاتينية باسم : Gentiloqium[٤] . ولربما كان هذا الكتاب منسوباً إلى بلطميوس ، فهو منحول عليه نظراً إلى ما في الكتاب من خرافات في التنجيم لا يليق صدورها عن هذا العالم الجليل . هذا ما ذهب إليه بعض المحدثين ، ومنهم كرست صاحب كتاب « تاريخ الأدب اليوناني »[٥] . أما تسمية الكتاب بـ « الثمرة » ، فكأنّ منتحله جعله ثمرة مقتطفة من « كتاب الأربعة » Titra biblos المتضمن للعديد من التنبوءات النجومية ، كان إبراهيم بن الصلت نقله إلى العربية ، وأصلحه حنين بن إسحاق ، وفسره أبو بكر عمر بن الفرخان والنيريزي والبتاني ، إضافة إلى إبراهيم نفسه[٦] . والمهم

(١) فرج المهموم ، ص ١٢٢ .
(٢) القفطي : أخبار العلماء في أخبار الحكماء ، ص ١١٣ .
وانظر أيضاً : كشف الظنون ٢ / ٩٧٢ .
(٣) القفطي : أخبار العلماء بأخبار الحكماء ، ص ٥٦ .
(٤) بدوي ، عبد الرحمن : الأصول اليونانية للنظريات السياسية في الإسلام ، ص ٢٧ ، ج ١ . دار الكتب المصرية . ١٩٥٤ م .
(٥) نفسه ، ص ٢٧ .
(٦) الأصول اليونانية ، ص ٢٧ و ٢٨ .

في الأمر أن أبا جعفر ، كنية أحمد بن أبي يعقوب يوسف بن إبراهيم ، والذي كان منجماً عند آل طولون بمصر ، عرف أنه صاحب هذا الشرح الآنف الذكر ، كما عرف أنه صاحب عدد آخر من الكتب الدالة على سعة اطلاعه ، وعلى علمه بالطب والتاريخ والحساب والنجوم ، بما فيها التنجيم . وهذه الكتب هي التالية :

١ ـ سيرة أحمد بن طولون .
٢ ـ سيرة أبي الجيش خمارويه .
٣ ـ سيرة هارون بن أبي الجيش .
٤ ـ سيرة غلمان بني طولون .
٥ ـ كتاب « المكافأة » .
٦ ـ كتاب « حسن العقبى » .
٧ ـ كتاب « أخبار الأطباء » .
٨ ـ كتاب « أخبار المنجمين » .
٩ ـ كتاب « مختصر المنطق » .
. . . . . . الخ[١] .

كوشيار (ت ٣٥٠ هـ / ٩٦٦) :

هو أبو الحسن كوشيار بن ليان بن باسهري الجيلي ، صاحب « الزيج الجامع » و « الزيج البالغ » ، وهما يتضمنان مباحث في علم النجوم ، إضافة إلى مباحث أخرى في علم الإسطرلاب[٢] .

ومن بين المخطوطات التي اطلعنا عليها في دار الكتب الظاهرية بدمشق مخطوطة تحمل عنوان « دلالات الكواكب » ، وهي عبارة عن رسالة في التنجيم تنسب إلى كوشيار ، رقمها ٥٢٦٥ ، وأولها : « دلالات الكواكب مع بعض الأشياء : زحل ، له الأقليم الأول ، ومن البلدان السند والهند والحبشة وسودان المغرب واليمن » . أما آخر النسخة المخطوطة فهو التالي : « وضرر الشمس من مقارنة المريخ ومقابلة زحل ، والقمر ضرره بعكس الشمس والكواكب ، إذا كان

(١) الأصول اليونانية ، ص ٢٦ و ٢٧ و ٢٨ .
(٢) البيهقي : تاريخ حكماء الإسلام ، ص ٩١ . وأيضاً كشف الظنون ٢ / ٩٦٨ .

في اثني عشرية كوكب ، فهو كالمتصل به . . وإذا كان في اثني عشرية بيت من صورة الطالع ، فهو كائن في ذلك البيت » . . . ولكوشيار كتابٌ آخر اسمه « القرانات » وجدنا نسخة مخطوطة في دار الكتب الظاهرية ، رقمها ٨٢٠٦ ، وأولها : « دلالة قراناة ـ كذا ـ الكواكب السبعة في البروج الإثني عشر : القرانات في برج الحمل الحمل ي ن ل يدل على قتل ملك عظيم ، وسوء سير الملوك ، مع كثرة القحط وقلة الزرع وتعذر الأمطار » . أما آخر النسخة فهو التالي : « هـ ن م ، يدل على سوء حال الكتاب والوزراء ، وكثرة السمك ، ومرور الأنهار ، وكثرة الأنواء والرعود » .

كذلك ، فإن لكوشيار كتاباً ثالثاً اسمه « المجمل في أصول صناعة النجوم » ، وتوجد منه نسخة مخطوطة في الدار ذاتها ، رقمها ٤٧٠٠ ، وأولها « إني جمعت من هذا الكتاب من أصول صناعة أحكام النجوم ، وجمّلها ، والطريق إلى التصرف فيها ، واستعمالها ، ما ظننته كافياً في معناه ، مغنياً في أكثر الأمور عما سواه » ، أما آخر النسخة ، فهو التالي : « ولا تعجل بالحكم به إلّا بعد النظر الكثير ، والفكرة الطويلة ، والتأمل الشافي . . ونختم المقالة الرابعة بهذا الكتاب ، والكتاب بهذه المقالة ، والحمد لله » .

القبيصي (توفي في حدود ٣٨٠ هـ ـ ٩٩٠ م) :

هو أبو الصقر عبد العزيز بن عثمان القبيصي الهاشمي ، صاحب « المدخل إلى علم النجوم » وهو في كتب النجوم » مثل كتاب الحماسة في الأشعار « حسب تعبير البيهقي ، الذي نسب إليه تصانيف أخرى في إثبات صناعة أحكام النجوم ، ومنها رسالته في نقض رسالة عيسى بن علي في إبطال أحكام النجوم[1] . وللقبيصي رسالة ثانية في « امتحان المنجمين » ، كان بعث بها إلى سيف الدولة الحمداني ، أمير الدولة الحمدانية ، وتوجد منها نسخة مخطوطة في دار الكتب الظاهرية بدمشق ، رقمها ٤٨٧١ ، وهي تتألف من ست أوراق ، لا غير . وكتاب «المدخل » للقبيصي ، وقد يعرف أيضاً باسم « المسائل والاختيارات » توجد منه نسخة مخطوطة في مكتبة المتحف العراقي ، رقمها ٩٩٩ / ٣ ، طبع سنة ١٥٥١ م ، ثم سنة ١٥٧١ م ، في مدينة بال مع تنقيح يسير في أسلوبه ،

---

(١) البيهقي : تاريخ حكماء الإسلام ، ص ٩٢ .

شرحه يوحنا السكسوني Johannes de saxonia ، وعلّق عليه نابود V. Nabood[1] .

الفيريابي (٣٨٥ هـ / ٩٩٥ م) :

ومن أعلام المؤلفين في صناعة النجوم وأحكامها ، نذكر محمد بن عبد الله ، المنجم الإفريقي المصري ، المعروف بالفاريابي ، وهو صاحب عدة من الكتب ، لم يسمها القفطي ، في أحكام النجوم[٢] .

الشماشطي (أواخر القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي) :

ومن الذين ألّفوا في صناعة التنجيم ، وكانوا من القائلين بإبطال أن تكون النجوم علة فاعلة أو مختارة ، علي بن محمد العدوى الشماشطي المتوفى في أواخر القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي ، صاحب الرسالة الموسومة باسم « إبطال أحكام النجوم »[٣] .

نصر القمي (القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي) :

من مؤلفي كتب الأحكام والنجوم ، نصر بن الحسن القمي ، أحد أعلام القرن الرابع الهجري : العاشر الميلادي ، وصاحب الكتاب المسمّى بـ « المدخل في علم النجوم »[٤] ، على أن ثمة نسخة مخطوطة مودعة خزانة المكتبة الوطنية بباريس ، تحمل العنوان ذاته ، رقمها ٦٢٢٤ ، تضم خمساً وثمانين ورقة ، وهي تُنسب إلى مؤلفها أبي النصر الحسن بن علي ، الذي نرجح أنه هو ، نفسه ، نصر بن الحسن الذي ذكره ابن طاووس في « فرج المهموم » .

ولأبي نصر هذا ، أو لنصر ، بالأحرى ، في المكتبة ذاتها ، نسخة ثانية ، تحمل العنوان ذاته ، رقمها ٢٥٨٩ ، وهي تتضمن خمس مقالات قدمها لفخر الدولة البويهي ، وهي تبحث في أوضاع الكواكب والبروج ، وكيفية

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية ١٠ / ٧٥ .

(٢) القفطي : أخبار العلماء بأخبار الحكماء ، ص ١٨٧ .

(٣) ابن طاووس : فرج المهموم ، ص ١٢٣ .

(٤) ابن طاووس : فرج المهموم ، ص ١٢٧ .

الاستدلال بها على الطالع ، ومعرفة المستقبل .

ابن فانجس (أوائل القرن ٥ هـ / ١١ م) :

ومن الذين ألفوا في التنجيم ، وردوا على القائلين به ، علي بن محمد بن العباس بن فانجس المتوفى بعد سنة أربعمائة من الهجرة ، وهو صاحب كتب الردود المشهورة : « الرد على المنجمين » ، و « الرد على الفلاسفة » ، و « الرد على أهل المنطق »[١] .

ابن أبي الرجال (ت ٤٣٢ هـ ١٠٤٠ م) :

من أشهر الكتب النجومية وأشملها في علم الأحكام ، كتاب « البارع في أحكام النجوم » لعلي بن أبي الرجال ، الشيباني المغربي ، القيرواني صاحب « الأرجوزة في الأحكام » التنجيمية ، وصاحب كتاب « الرموز » الذي يُعرف بـ « المنظومة الحاسبية في القضايا النجومية » ، شرحها أحمد بن حسن ، منقذ القسطنطيني المتوفى عام ٨١٠ هـ / ١٤٠٧ م ، وتوجد منها نسخة مخطوطة في مكتبة چستربتي بدبلن ، تتألف من خمس وسبعين ورقة وهي تحمل الرقم ٤٠٧١ ، ويرجع تاريخ نسخها إلى عام ١٨١٢ م[٢] . وكتابه « البارع في أحكام النجوم » كان موضع اهتمام ملك إسبانيا ، ألفونس العاشر ، الذي أمر بترجمته إلى الإسبانية ، وهو عبارة عن ثمانية كتب ، أو ثمانية فصول نشرت في البندقية عام ١٤٨٥ م وعام ١٥٠٣ م وعام ١٥٢٣ م[٣] ، وهي تبحث في طبيعة البروج وخواصها وأحوالها ، والمواليد ، وكيفية تحويل سني المواليد ، وسني العالم ، والإختيارات ، وتوجد من هذا الكتاب نسختان مخطوطتان في مجلدين اثنين ، تضمها دار الكتب الظاهرية أولها تتألف من ٢٣٢ ورقة ، وآخرها : « سهم الولد يؤخذ بالنهار من المشتري إلى زحل ، وبالليل يكون مخالفاً ، ويلقى من الطالع » ، وهذا آخر الجزء أو الفصل الرابع . أما النسخة الثانية ، ورقمها ٤٨٠٢ ، فهي عبارة عن المجلد الثاني الذي يضم بقية الأجزاء أو الفصول ، وهو عبارة عن ٢١٦ ورقة آخرها : فإن الملك يعدل في رعيته ، ويكون سلام وكثرة

---

(١) نفسه ، ١٢٣ .

(٢) مجلة المورد ، ص ٢١٨ . العدد ١ ـ ٢ . مجلد ٤ . بغداد ١٩٧٥ م .

(٣) دائرة المعارف الإسلامية ١٠ / ٧٥ .

أمطار والله أعلم .

البيروني (ت ٤٤٠ هـ / ١٠٤٨ م) :

ومن ألمع علماء النجوم في العصر العباسي ، وأوسعهم شهرة ، أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني ، المتخصص بعلوم الأوائل « في فنون الحكمة اليونانية والهندية والرياضيات .. ولم يكن في نظرائه أعلم منه بالفلك » ، حسب تعبير ابن العبري[١] . وُلد أبو الريحان بخيوه عام ٣٥١ هـ / ٩٦٢ م ، وفي رواية ثانية عام ٣٦٢ هـ / ٩٧٣ م ، وهي ضاحية من ضواحي خوارزم ، فدرس الرياضيات والفلك والطب والتقاويم والتاريخ ، واهتم بتدوين أخبار الأمم الشرقية عامة ، والهند خاصة ، وكان بارعاً بالفارسية والهندية ، لكنه ألّف معظم كتبه ورسائله بالعربية ، فكان من أشهرها كتابه الموسوم بـ « كتاب الآثار الباقية عن القرون الخالية » الذي نشره لأول مرة أدوار سخاوفي ليبسيك عام ١٨٧٨ م ، مع كتاب آخر لأبي الريحان اسمه « تاريخ الهند » وذلك في عام ١٨٨٧م[٢] . وإذا أضفنا إلى هذين الكتابين ، كتاباً ثالثاً هو : « مقاليد الهيئة » ومقالته في « استعمال الإسطرلاب الكرّي »[٣] ، ورابعاً هو « كتاب الصيدلة » ترجمه إلى الفارسية أبو بكر بن عثمان الأصغر الكاساني ، وخامساً هو كتاب « الجماهر في معرفة الجواهر » ، أهداه لشهاب الدولة ، أبي الفتح مودود المتوفي عام ٤٤٠ هـ / ١٠٤٨ م ، وسادساً هو عبارة عن رسالة يبين فيها الصلة بين أحجام المعادن والجواهر ، توجد منها نسخة مخطوطة بكلية الأقمار الثلاثة للروم الأرثوذكس ببيروت . فإن من أهمها وأشهرها إطلاقاً كتابه الذي يبحث في الهندسة والحساب والتنجيم ، والمعنون باسم : « التفهيم لأوائل صناعة التنجيم »[٤] والكتاب الآخر في الهيئة ، والمسمّى « القانون المسعودي » نسبة إلى السلطان مسعود بن محمود (٣٨٩ ـ ٤٣٢ هـ / ١٠٤٠ م) خامس السلاطين الغزنويين ، هذا الكتاب الذي « يعفّي على أثر كل كتابٍ صُنّف في تنجيمٍ أو حساب » حسب

---

(١) ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ، ص ١٨٦ .

(٢) دائرة المعارف الإسلامية ٩ / ٣ و ٩ / ٧ . وهذا الكتاب هو نفسه كتاب « تحقيق ما للهند من مقولة في العقل أو مرذولة » .

(٣) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، ص ٤٥٩ .

(٤) دائرة المعارف الإسلامية ٩ / ٤ .

تعبير ياقوت الحموي . الذي أورد له أيضاً كتباً أخرى ، في مختلف المواضيع ، ومنها « كتاب شعر أبي تمام » و « كتاب تاريخ أيام السلطان محمود وأخبار أبيه » و « كتاب المسامرة في أخبار خوارزم » و « كتاب الأشعار والآثار »[1] .

والذي يهمنا أن البيروني كان واحداً من الأفذاذ ، وأحد أبرع المنجمين في عصره ، وأوسعهم ثقافة في ميدان التأليف العلمي الرصين . وليس أدل على ذلك من قائمة المؤلفات التي أوردنا قسماً منها قبل قليل ، ولا سيما كتابه المسمّى « التفهيم لأوائل صناعة التنجيم » وكنا اعتمدناه مرجعاً أساسياً لدى الحديث عن التنجيم . وليس أدل على اشتغال أبي الريحان بصناعة الأحكام ، والتنبؤ بالمستقبل ، من قصته مع سلطان غزنة عندما أرسل هذا الأخير يستدعيه إليه . تقول الرواية إن السلطان أراد أن يمتحن أبا الريحان في علم النجوم فطلب إليه أن يدله على الباب الذي ينوي السلطان أن يخرج منه ، وهو أحد الأبواب الأربعة التي كانت لحديقة قصره الصيفي . عند ذلك فكر أبو الريحان مليّا ، ثم طلب إلى السلطان أن يكتب اسم الباب الذي ينوي الخروج منه ، على أن يضع الورقة تحت وسادته . ولما نظر أبو الريحان في إسطرلابه ، قال : « لقد اهتديت إلى الباب الذي سيخرج منه السلطان » . وكتب ذلك في ورقة . في هذا الوقت بالذات ، أمر السلطان بعمل باب خامس في جدار الحديقة على أمل أن يخرج منه ، ظناً منه أن في ذلك خزي أبي الريحان وهلاكه . ولما سمح بفتح الورقة وقراءة ما فيها ، تعجب السلطان ، ومعه الناس كافة ، من أبي الريحان الذي كتب في الورقة أن السلطان سيخرج من هذا الباب الخامس الذي بوشر بثقبه في الجدار ، الأمر الذي أثار حفيظة السلطان عليه ، فأمر بإلقاء أبي الريحان من شرفة القصر إلى الأرض لتدق عنقه ، لكن أبا الريحان وصل إلى الأرض حياً سالماً ، وكان كتب رقعة ثانية جاء فيها أن السلطان سيُلقي به من علٍ وأنه سيصل إلى الأرض سالماً ، مما أغضب السلطان ، ثانية ، فأمر بسجنه في قلعة غزنة ، فحُبس أبو الريحان ستة أشهر ، ولم يخرج منها إلاّ بعد تدخل الوزير أحمد بن الحسن الميمندي ـ نسبة إلى ميمند بفارس ـ الذي عمل على إطلاق سراحه بعد أن أقنع السلطانَ بأن مثل هذا

---

(1) ياقوت : معجم الأدباء ١٧ / ١٨٤ ـ ١٨٥ . وانظر : حاجي خليفة في « كشف الظنون » ١ / ٧٠ . إذ أورد لأبي الريحان كتاباً في التنجيم اسمه « الإرشاد في أحكام النجوم » .

النابغة العالِم ، لا يستحق الحبس ، وإنما هو يستحق الإكرام والتعظيم . واستجاب السلطان لنصيحة وزيره ، وقرّب إليه أبا الريحان ، ثم راح يبيّن لوزيره سبب وجده عليه بالقول : « إن هذا الرجل ليس له نظير في الدنيا سوى ابن سينا ، لكن تنبوءاته لم تتفق مع رغباتي ، والملوك كالأطفال الصغار ، يجب على المرء أن يتكلم بما يتفق ورغباتهم ، ليفوز بمنحهم وعطاياهم ، وكان الخير له ـ لأبي الريحان ـ أن يُخطىء في إحدى هاتين النبوءتين » . ثم إن السلطان عفا عنه ، ومنحه جواداً محلّى بالذهب ، وخلع عليه خلعة سلطانية ، وعمامة من الطيلسان ، وهبة تقدر بألف دينار ، وعبداً وأمة[١] .

وثمة رواية ثانية تقول إن سبب وجد السلطان على أبي الريحان . يرجع إلى اتهام هذا الأخير ، ومعه أستاذه الذي تلقى العلم عنه ، واسمه عبد الصمد الأول بن عبد الصمد الحكيم ، بالزندقة والقرمطة ، فانتقم السلطان من عبد الصمد ، وأذاقه الحمام ، ولما أراد الانتقام من التلميذ قيل له : إنه إمام وقته في علم النجوم ، وإن الملوك لا يستغنون عن مثله ، فأخذه معه ، ثم دخل إلى بلاد الهند وأقام بينهم ، فتعلم لغتهم واقتبس علومهم ، ثم إنه أقام بغزنة حتى وفاته[٢] ، وما كتاب « تحقيق ما للهند من مقولة » إلا شاهد على إقامة البيروني بالهند ، ومخالطته للعلماء الهنود ، ومناقشته إياهم ، بحيث جاء هذا الكتاب بالفعل ، سجلا حافلاً بعلوم الهند واعتقاداتها ودياناتها ، ولا سيما تلك العلوم المتعلقة بالهيئة وصور السماء ، ومنازل القمر ، والبروج والكواكب ودلالتها على الأحداث ، وما يجري في هذا العالم من أمور .

أما كتاب « التفهيم لأوائل صناعة التنجيم » الذي ذكرناه آنفاً ، فهو لا يُعتبر كتاباً في التنجيم ـ كما يدل اسمه ـ وحسب ، بل هو كتاب في الهيئة والحساب والعدد وهيئة العالم أيضاً . . وأبو الريحان عرض لهذه العلوم وعرّف بها ، وحددها قبل أن يعرض ، أو يعرّف ، أو يحدد علم أحكام النجوم ، وذلك لأنه يعتبر أن

---

(١) إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام والديني والثقافي والإجتماعي ـ في العصر العباسي الثاني في الشرق ومصر والمغرب والأندلس ـ ص ٣٩٦ / ٣٩٧ . ط ٧ . ١٩٦٥ ، مكتبة النهضة المصرية .

(٢) ياقوت : معجم الأدباء ١٧ / ١٨٦ .

المرء لا يستحق صفة المنجم إلّا بعد الإطلاع على هذه الفنون الأربعة ، وبعد الإلمام بتفاصيلها[١] .

وللدلالة على إصابة أبي الريحان في أحكام النجوم ، نذكر ، فضلاً عما أشرنا إليه من قبل ، أنه نُسب إليه الحكم لأبي الخير الحسن بن بابان ، أو سوار بن بهنام[٢] ، بأنه سوف يتعرض لـ « قطوع » عاجل ـ القطوع بلغة المنجمين يعني النكبة القاطعة ـ فما لبث هذا أن استدعاه إليه ، سلطان خوارزم ، محمود بن سبكتكين[٣] ، فمر بسوق الخفّافين ، فنفرت دابته به ، فأهلكته[٤] .

الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣ هـ / ١٠٧٠ م) :

ومن الذين ألفوا في علم النجوم ، الفقيه الحافظ ، أبو بكر ، أحمد بن علي بن ثابت ، المعروف بـ « الخطيب البغدادي » صاحب كتاب « تاريخ بغداد » ، وكتاب « القول في النجوم »[٥] .

السنجري (ت ٤٧٧ هـ / ١٠٨٣ م) :

هو أبو سعيد أحمد بن محمد بن عبد الجليل السنجري ، نسبة إلى سنجار شمالي العراق ، صاحب كتاب « سني المواليد » في أحكام النجوم ، مقتفياً في ذلك أثر والده الذي كان عالماً بالنجوم ، وكان له كتب منها كتاب « الزيجات في استخراج الهيلاج » ، وكتاب « الكد خدا » ، أي بيت الرزق[٦] .

واسم كتاب أبي سعيد المار ذكره بالتمام ، هو « الجامع على الجمال والمواقيت في علم النجوم » ، ويعرف أيضاً باسم « جوامع تحويل السنين والمواليد » ،

---

(١) البيروني : التفهيم لأوائل صناعة التنجيم ، ص ١ .
(٢) هو صاحب كتاب « الآثار المخبأة في الجوّ » . انظر فرج المهموم ، ص ٢٠٣ .
(٣) هو يمين الدولة ، محمود بن سبكتكين (٣٧٩ ـ ٤٢٢ هـ / ٩٧٠ ـ ١٠٣٠ م) ، ثالث الملوك الغزنويين وأشهرهم . وهو الذي فتح بخارى وقضى على ممتلكات السامانيين في ما وراء النهر . انظر المنجد في الأعلام ، ص ٥٢٤ .
(٤) البيهقي : تاريخ حكماء الإسلام ، ص ٢٧ .
(٥) ياقوت : معجم الأدباء ٤ / ٢١ .
(٦) ابن طاووس : فرج المهموم ، ص ١٢٧ . والهيلاج ، فارسية تعني بيت العمر ، بلغة المنجمين .

وتوجد منه نسخة مخطوطة تضمها المكتبة الوطنية بباريس ، رقمها ٦٦٨٨ . وأبو سعيد ، هذا ، هو صاحب كتاب « برهان الكفاية في النجوم » الذي لخص فيه كتاب أبي معشر البلخي الموسوم بـ«تحويل سني المواليد» وزاد عليه . وهذا الكتاب ، أي « برهان الكفاية » يضم ثمانية عشر فصلاً ، أو باباً ـ تناول فيها أبو سعيد ذكر الخواص والدلالات للكواكب والشهور والأيام والساعات ، وذكر « القواطع » أي القطوع ، وكيفية معرفتها والتنبؤ بها قبل وقوعها . وتوجد من هذا الكتاب نسخة مخطوطة في مكتبة المتحف العراقي رقمها ١٠٥٤٦ / ٣ ، وهي عبارة عن أربع وتسعين ورقة[1] .

ولأبي سعيد أيضاً ، كتاب « الأسعار » الذي يتضمن معلومات تنجيمية تتحدث عن كيفية ارتباط ارتفاع الأسعار ، أو انخفاضها ، بالحالة التي تكون الكواكب عليها ، والبروج والسهام والطوالع . وهو ، أي الكتاب ، مرتب على عشر جمل ، وفيه ما جرّبه المؤلف بنفسه ، في زمانه ، فكان صحيحاً . ومن هذا الكتاب نسخة مخطوطة رقمها ١٠٥٤٦ / ٢ في سبع عشرة صفحة ، مودعة خزانة مكتبة المتحف العراقي[2] .

وله أيضاً كتاب يُعرف باسم « مزاجات الكواكب » ، وهو عبارة عن ستة جداول تبحث في الكواكب ، أو النجوم ، الثنائية والثلاثية والرباعية ، والخماسية والسداسية والسباعية ، وأسمائها ودلالاتها عن طريق المهازجة ، وخواصها ، وتأثيرها على الأشخاص ، والحوادث الكائنة في الأرض والهواء ، وعلى الطبائع الأربع ومزاجاتها تذكيراً وتأنيثاً وتخنيثاً . توجد من هذا الكتاب نسخة مخطوطة مودعة خزانة المتحف العراقي ، تحمل الرقم السابق نفسه ، أي ١٠٥٤٦ / ٢٢ وهي عبارة عن خمس وأربعين صفحة .

ولأبي سعيد أخيراً ، كتاب خامس اسمه « المنتخب من كتاب الألوف » لأبي معشر البلخي ، وتوجد منه نسخة مخطوطة محفوظة في خزانة مكتبة المتحف العراقي ، تضم أربع عشر صفحة ، وتحمل الرقم ١٥٠٤٦ / ١[3] .

وفي مطلق الأحوال ، يجب التفريق دوماً بين أبي سعيد هذا ، المعروف

---

(١) تم الإطلاع شخصياً على هذه المخطوطة .
(٢) و(٣) تم الإطلاع عليها شخصياً .

بالسنجري ، وبين السجزي الذي كان حياً عام ٣٨٩ هـ / ٩٩٩ م ، صاحب كتاب « الجامع الشاهي » الذي توجد منه نسخة مخطوطة في مكتبة جستريتي بدبلن ، وهي تتألف من ٢٨٢ ورقة ، وتحمل الرقم ٤٠٧٩[١] .

علي بن زيد البيهقي (٥٦٥ هـ / ١١٦٨ م) :

هو أبو الحسن علي بن زيد البيهقي صاحب الكتب المتعددة في الفقه والطب والشعر والنجوم التي منها « خلاصة الزيجة » و « كتاب جوامع الأحكام » ـ ٣ مجلدات ـ و « كتاب أمثلة الأعمال النجومية » و « كتاب معرفة ذات الحلق والكرة والأسطرلاب » و « كتاب أحكام القرانات » وجميعها تدل على تمرس أبي الحسن بالعلوم الفلكية والتنجيمية معاً ، وهو الذي تحدث عن نفسه فقال : « . . . وفي أثناء ذلك كنت أختلف إلى الإمام إبراهيم الخرّاز المتكلم . . وقصدت كورة الرّيّ . . » وكنتُ في تلك المدة أنظر في الحساب والجبر والمقابلة ، وطرفاً من الأحكام ، فلما رجعت إلى خراسان أتممت تلك الصناعة على الحكيم ، أستاذ خراسان ، عثمان بن جذاوكار ، وحصّلت كتباً من الأحكام ، وصرت في تلك الصناعة مشاراً إليّ . . »[٢] .

ابن المأمون (ت ٥٨٦ هـ / ١١٨٩ م) :

ومن الذين ألفوا في هذا الميدان ، أعني التنجيم ومتفرعاته ، في النصف الثاني من القرن السادس الهجري ، شهاب الدين ، أحمد بن أحمد بن علي ، المعروف بابن المأمون ، صاحب الكتاب في الطلاسم المعقولة على أسماء النجوم « أسرار الحروف الكلمات »[٣] .

ابن قدامة (ت ٦٢٠ هـ / ١٢٢٢ م) :

ومن الفقهاء البارزين في علم الخلاف والأصول ، نذكر موفق الدين ، أبا محمد ، عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة ، المقدسي النسبة ، والدمشقي الموطن ، صاحب « المغني في شرح مختصر الخرقي » و « المقنع » . لقد عالج هذا

---

(١) المورد ، ص ٢١٩ . عدد ١ ، مجلد ٤ ، بغداد ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥ م .
(٢) ياقوت : معجم الأدباء ١٣ / ٢٢٣ و ٢٢٨ .
(٣) خليفة ، حاجي : كشف الظنون ١ / ٨٣ .

الفقيه موضوعات الأحكام النجومية فصنف كتاباً أسماه «تحفة الأحباب في بيان حكم الأذناب» أي المذنبات التي تظهر في السماء بين الحين والآخر، وتوجد منه نسخة مخطوطة في دار الكتب الظاهرية بدمشق، رقمها ١٠٧٣٢، وأولها بعد الديباجة ما يلي: «وعلم النجوم مندوب إليه، ومحثوث عليه». أما آخر النسخة فهو التالي: وفي المتوسط من الكواكب وقت طلوع الفجر».

البوني (ت ٦٢٢ هـ / ١٢٢٤ م):

ومن المتصوّفة المغاربة الذين قضوا معظم حياتهم في مصر، العالم بالسحر والنجوم والحروف، محيي الدين، أبو العباس أحمد بن علي البوني، صاحب كتاب «شرح الشجرة النعامية» لابن العربي (ت ٦٣٨ هـ / ١٢٤٠ م)، وفيه حديثه عن أشراط الساعة، وعلامات ظهور المهدي وهو صاحب كتاب «شمس المعارف الكبرى». وهو يبحث في السحر والطلاسم وأسرار الحروف والكلمات والأعداد على أسماء الكواكب والنجوم والبروج وصاحب كتابي «الأصول» و«الصواب في علم البسط والتكسير في الحروف والأوفاق العددية والحرفية»، وتوجد من هذا الأخير نسخة مخطوطة في دار الكتب الظاهرية بدمشق، رقمها ٤٠٤٣، وهي تضم ٢١٨ ورقة.

أيوب الأخلاطي (ت ٦٤٧ هـ / ٢١٤٩ م):

ومن الذين صنفوا في التنجيم من المتأخرين في العصر، نجم الدين أيوب بن محمد الأخلاطي الحاسب صاحب كتاب «إظهار ما كان مستخفياً من علم أحكام النجوم»، وتوجد من هذا الكتاب نسخة مخطوطة مودعة خزانة «استنبول كتبخانه عمومية» بدون رقم خاص بها، لكن رقمها العام المتسلسل هو الرقم ستة[1].

المعماري الشاذلي (ت ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م):

ومن الذين انتهت حياتهم بانتهاء الدولة العباسية، نورد من أصحاب المؤلفات التنجيمية اسم نور الدين أبي الحسن علي بن عبد الجبار الحسني الإدريسي الشاذلي صاحب الرسالة التنجيمية في «الزايرجة ومعرفة استنطاق الحروف

---

(١) مجلة معهد المخطوطات العربية، ص ٧٢، ج ١، مجد ٢٩. الكويت ١٩٨٥ م.

والبروج والمنازل » . ومن هذه الرسالة نسخة مخطوطة مودعة خزانة المكتبة الظاهرية بدمشق ، رقمها ٦٣٤٨ ، وتتألف من تسع عشرة ورقة . وثمة رسالة ثانية في المكتبة ذاتها تنسب إلى المعماري الشاذلي ، وهي بعنوان « رسالة في الزايرجة » تضم اثنتي عشرة ورقة ورقم مخطوطتها ١٠٠٦٣ .

الطوسي (ت ٦٧٢ هـ / ١٢٧٣ م) :

ومن العلماء المتأخرين جداً ، الخواجة أبو جعفر محمد بن محمد بن الحسن المعروف بنصير الدين الطوسي (وُلد عام ٥٩٧ هـ / ١٢٠٠ م) ، نسبة إلى طوس ، صاحب المصنفات الشهيرة في الفلك والتنجيم والرياضيات والفلسفة والحكمة وسواها من العلوم . وأشهر كتبه التي تهمنا كتابه الموسوم بـ « زيج ايلخاني » الفارسية ، وضعه بالإستناد إلى ما حصله من الرصد في المرصد الذي بناه هولاكو ، قائد الغزو المغولي ، وكتابه الآخر المعروف بـ « زيج شاهي » أو زيج الشاه[1] ، والذي يهمنا أكثر ، هو اشتغال الطوسي بالتنجيم ، حيث وضع عدة كتب ورسائل ، من بينها رسالته المسماة بـ « علم التنجيم ومعرفة التقويم »[2] . ولن نتوسع في دراسة هذه الشخصية الفذة لأن وفاته بعد انتهاء العصر العباسي قد تخرج بنا عن الإطار الزمني الذي حددناه لدراسة الموضوع .

أبو الحامد الغزنوي :

ومن أصحاب المؤلفات التنجيمية الذين لم نقف على تاريخ حياتهم ، نذكر ظهير الدين ، أبا المحامد بن مسعود بن محمد بن زكي الغزنوي ، نسبة إلى غزنة جنوب غربي كابل ، صاحب الكتاب بالفارسية ، والمترجم إلى العربية باسم « كفاية التعليم في صناعة التنجيم » ، وتوجد منه نسخة مخطوطة مودعة خزانة المكتبة الوطنية بباريس ، تضم ١٤٨ ورقة ، وتحمل الرقم ٦٥٩٩ .

أبو النصر التكريتي :

ومن هؤلاء أبو نصر بن جرير التكريتي ، نسبة إلى تكريت بالعراق ،

---

(١) كشف الظنون ٢ / ٩٧٩ .

(٢) توجد من هذه الرسالة نسخة مخطوطة في مكتبة الأوقاف العامة ببغداد ، تحمل الرقم ٦٤٦٥ . وتم الإطلاع عليها شخصياً .

صاحب كتاب « الاختبارات في علم النجوم »[1] .

علي بن سليمان :

ومنهم أيضاً ، علي بن سليمان ، الطبيب الذي اشتغل بالنجامة ، وصاحب كتاب « تعديد شكوك في كواكب الذنب »[2] .

ابن طلحة :

ومن الذين اشتغلوا بالنجوم ، وتركوا فيها مؤلفات ، صاحب « فرج المهموم » وثمة طائفة لم نقف على تاريخ حياة رجالها ، ومنهم أبو عبد الله أحمد بن محمد بن طلحة ، صاحب كتاب « النجوم »[3] .

العمراني :

ومنهم أبو الحسن علي بن أحمد العمراني الموصلي ، صاحب كتاب « المواليد والإختيارات »[4] .

الهاشمي :

ومنهم أبو علي محمد بن عبد العزيز الهاشمي ، صاحب كتاب « الجوابات الحاضرة » في علم النجوم[5] .

أبو الخير :

ومنهم الحسن بن سيار المعروف بأبي الخير ، صاحب كتاب « الآثار المخبأة في الجو »[6] .

القرشي :

ومنهم الشيخ المكنّى بأبي موسى القرشي صاحب كتاب « الاختيارات »

---

(١) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ، ص ٣٢٩ .
(٢) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ، ص ٥٥٠ .
(٣) ابن طاووس : فرج المهموم ، ص ١٢٢ .
(٤) و (٥) نفسه ، ص ١٢٧ .
(٦) نفسه ، ص ٢٠٣ .

والمقصود بذلك الاختيارات النجومية[1] .

النقاش :

ومنهم الشيخ المعروف بالنقاش صاحب كتاب «المدخل» والمقصود به : المدخل في علم النجوم»[2] .

ابن طاباد :

وأخيراً ، فإن منهم الشيخ المسمّى بالفضل بن يحيى طاباد ، الذي وصل تصنيفه إلى ابن طاووس صاحب « فرج المهموم » ، وقد كتب عليه : « كتاب جميع ما استخرجته من آراء العلماء في ممازجة الكواكب وأعمالها » . وواضح من هذا العنوان ما يعنيه .



(١) فرج المهموم ، ص ٢٠٤ .
(٢) نفسه ، ص ٢٠٤ .
(٣) نفسه ، ص ٢٠٧ .

البـاب الـثـالث

أثر التنجيم في الحياة الاجتماعية


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

تمهيد

شيوع ظاهرة التنجيم

قلنا إن ظاهرة التنجيم ظاهرة قديمة تضرب جذورها عميقاً في التاريخ ، وتطبع حياة الأمم والشعوب بطابعها المميز ، حتى أن الاهتمام بما يصدر عن أصحاب هذه الصناعة من أقوال ، وما يقضون به من أحكام ، يكاد يكون من الأمور المألوفة التي تشكل جانباً من جوانب اهتمامات الخاصة والعامة ، سواء أحمل هذا الحكم على محمل الجد والتصديق والاعتقاد ، أم حُمل على محمل التكذيب والتندر والاستهجان . كان هذا حال التنجيم في القديم وظل على هذه الحال حتى العصر العباسي : فعلى سبيل المثال حينما دخل الأصمع على الرشيد وراح يثني على أدب ولديه الأمين والمأمون ، رأى العجب من بكاء الرشيد الذي قال متحدثاً عن ولديه على أثر مغادرتهما المجلس : « كيف بكم إذا ظهر تعاديهما ، وبدا تباغضهما ، ووقع بأسهما بينهما حتى تسفك الدماء ، ويود كثير من الأحياء أنهم موتى » . . هنا لم يجد الأصمعي بداً من طرح السؤال التقليدي الذي هو من البداهة بمكان ، فقال : « وهل هذا شيء قضى به المنجمون عند مولدهما ، أو شيء أثرته العلماء في أمرهما يا مولاي » ؟[1] .

---

(1) الدينوري : الأخبار الطوال ، ص ٣٨٩ . والأصمعي (١٢٣ - ٢١٦ هـ ٧٤١ - ٨٣١ م) هو أبو سعيد عبد الملك الباهلي . عالم بأشعار العرب وأثارها وعجائب أخبارها . اختص بالرشيد . له كتاب « خلق الإنسان » وكتاب « الأنواء » وكتاب « الخيل » وكتاب « الشاء » وكتاب « الأمثال » وكتاب « النوادر » وكتاب « النبات » وغير

ونقف عند سؤال الأصمعي لنتبين قوله : « هل هو شيء قضى به المنجمون » . ولنتبين كيف أن أخذ الطالع للمولود خصوصاً إن كان من أبناء الطبقة العليا ، كان شيئاً متعارفاً عليه إلى درجة الشيوع والابتذال . ليس هذا فحسب ، بل إن من عزم أمراً ، وأراد سفراً ، ولبس جديداً ، هو الآخر كان يرجع إلى حكم المنجم من قبل أن يقوم بتنفيذ ما عزم عليه ، أو يمضي في سفره ، أو يلبس هذا الجديد ، وإلاّ عُدّ من الجاهلين أو المقصرين : فالمرتضى في أماليه ، على سبيل المثال يحدثنا عن الوزير الذي سأله يوماً وكان مفتناً بالنجوم والعمل بمقتضاها في سفر أو حضر: « أريد أن أسألك عن شيء في نفسي ، فقال المرتضى : سل عما بدا لك . قال : أريد أن تعرفني : هل بلغ بك التكذيب بأحكام النجوم إلى أن لا تختار يوماً لسفر ، ولبس ثوب جديد ، وتوجه في حاجة ؟ قال المرتضي : قد بلغت إلى ذلك والحمد لله ، وزيادة عليه ، وما في داري تقويم ، ولا أنظر فيه ، وما رأيت مع ذلك إلاّ خيراً »[1].

والإمام الرضا[2] لما سأله رجلٌ من بني إسرائيل : النهار خُلق قبل الليل ، أو الليل خُلق قبل النهار ؟ طلب إلى المأمون والفضل بن سهل[3] وقد ضم الجميع مجلس واحد ، أن يبينا له ما عندهما حول هذه المسألة ، فقال الفضل للرضا : قل ، أنت . قال الرضا : من القرآن أو من الحساب ـ أي النجوم؟ ـ فقال الفضل : من الحساب . قال : قد علمت أن طالع الدنيا السرطان ، والكواكب ، مواضع شرفها ، وزحل في الميزان ، والمشتري في السرطان ، والشمس في الحمل ، والقمر في الثور : وذلك يدل على أن كينونة الشمس في الحمل في العاشر من الطالع في وسط السماء ، مما يوجب أن النهار خُلق قبل الليل ، وأما الدليل من القرآن ، فقوله تعالى : ﴿ لا الشمس ينبغي لها أن تدرك

ذلك . انظر : « فقه اللغة » للثعالبي ، ص ١٩ . المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ١٩٢٠ م .

(١) المرتضى : الأمالي ٢ /. ٣٨٧ ، ط ٢ . تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم . دار الكتاب العربي ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م .

(٢) هو علي بن موسى الكاظم (١٥٣ ـ ٢٠٣ هـ / ٧٧٠ ـ ٨١٨ م) الإمام الثامن للشيعة الإثني عشرية .

(٣) سبق التعريف به .

القمر ولا الليل سابق النهار ﴾[1] . وهذا إن دلّ على شيء ، فإنما هو يدل على ما للنجوم من أثر في حديث الخاصة والعامة سواء بسواء .

ولقد تأخذ لفظة « منجم » مدلولاً أعمّ وأشمل ليتعدى معناها نطاق من يتعاطى هذا الضرب من الصناعة ، فتدل على ما يقوم به العائف والزاجر ، بله مفسر الأحلام وهذا إن دلّ ، كذلك ، على شيء ، فهو يدل على ما كان للمنجمين من حظوة ومكانة واهتمام : ولنا في الرؤيا التي رآها أبو شجاع البهويهي[2] ـ لما ماتت زوجته عن أولاده الثلاثة الذين ملكوا البلاد من بعده ما يعزز القول بصحة ما ذهبنا إليه من القول : فلقد حدث شهريار بن رستم الديلمي عن حزن أبي شجاع لفقد زوجته ، وكان ابن رستم حاضراً في مجلسه الذي أقامه للعزاء عندما مرّ شخص بالباب وهو يصيح : « المنجم ، المعزم ، مفسر المنامات كاتب الرقى والطلسمات » ، فاستدعاه أبو شجاع طالباً إليه تأويل ما رآه في منامه بالأمس ، وكان رأى كأنه يبول ، فخرجت منه نار عظيمة ما لبثت أن استطالت وعلت حتى كادت تبلغ السماء قبل أن تنفرج عن ثلاث شعب ، ثم عن شعبة أخرى أضاءت لها الدنيا بأسرها . . هنا أطرق المنجم ليقول لأبي شجاع : « هذا منامٌ عظيم ! إعلم أنه يكون لك ثلاثة أولاد يملكون الأرض ومن عليها ، ويعلو ذكرهم في الآفاق . كما علت تلك النار ، ويولد لهم جماعة ملوك بقدر ما رأيت من تلك الشعب المتفرقة »[3] .

حقا صحت رؤيا أبي شجاع ، وبلغ أولاده الثلاثة ذروة المجد والملك ، وهم : عماد الدولة أبو الحسن علي ، وركن الدولة أبو علي الحسن ، ومعزّ الدولة أبو الحسين أحمد . على أن شاهدنا هنا ، ليس غرابة رؤيا أبي شجاع ، ولا قدرة المنجم على التأويل ، ولا تملّك الأولاد الثلاثة للأقاليم وإنما هو لبوس هذا العارف بالتأويل لبوس أهل النجامة ، والمناداة على بضاعته بالقول أولاً « المنجم » ثم

---

(١) أبو حيان التوحيدي : البصائر والذخائر ١ / ٣٩٠ ـ ٣٩١ . والآية الواردة أعلاه هي الآية الأربعون من سورة يس وتمامها ﴿ وكلّ في فلك يسبحون ﴾

(٢) سبق التعريف به وبأولاده الثلاثة .

(٣) ابن طباطبا : تاريخ الدول الإسلامية ، ص ٢٧٧ ـ ٢٧٨ . أو الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية ، دار صادر ، دار بيروت ، ١٣٨٠ هـ / ١٩٦٠ م .

بالقول ثانياً « المعزم ، مفسر المنامات » . . تأكيداً لما في لفظة المنجم من شهرة وذيوع صيت .

دليلٌ آخر نسوقه للدلالة على نفاذ ما علق بأذهان الناس من الاعتقاد بأحكام النجوم ، ووضعها في المقام الأول قبل سواها من الأحكام التي كان يضطلع بها أصحاب الزجر والعيافة والتأويل ، ومن كان على شاكلة هؤلاء من الزرّاقين[1] . . الدليل هو ما حصل لأبي معشر البلخي ، وكان إمام زمانه في صناعة التنجيم ، عندما طلب إليه ذات مرة أن يركب إلى صاحب الشرطة مع أحد الأصدقاء للعمل على إطلاق ولده المعتقل في السجن بسامراء . . في الطريق مرّا بزراق ، وبين يديه تخت واسطرلاب وتقويم ، وهو يدّعي النظر في النجوم ، إلّا أن فضول أبي معشر أبى عليه إلّا امتحان صاحبه فسأله عما هم ماضون في سبيله ، ففكر الزراق قليلاً، ثم قال : « تمضون في أمر محبوس، تقول الرواية إن أبا معشر امتقع لونه ودُهش وتلجلج لسانه ثم قال: « وهل يُطلق أم لا ؟ » قال الزراق : « تحضرون وقد أطلق » . وتابعا السير حتى جاءا صاحب الشرطة فسألاه في أمر الرجل فقال : « الساعة ، والله ، وردت عليّ رقعة فلان يسألني في أمره فأطلقت سراحه » ، فنهض أبو معشر وبادر إلى القول : « إن لم أعرف من أين أصاب الزراق في حكمه ، ذهب عقلي ، وحرقت كتبي ، واعتقدت بطلان النجوم » . ثم أنه رجع إلى الزراق فوجده في مكانه من الطريق ، فاستدعاه إلى بيته ثم قال له : « أتعرفني؟ قال : لا . قال : أنا أبو معشر المنجم . فقبّل الزراق يده وهو يقول : أستاذنا ! . وقد سمعت باسمك . قال أبو معشر : دعنا من ذلك ، لك خمسة دنانير عينا ، واصدقني من أين حكمت لنا بما حكمت به ؟ قال : أنا ، والله ، أصدقك ، ولا أجسر أن آخذ منك شيئاً ، وأنت أستاذ هذه الصناعة . إعلم إني لا أحسن من النجوم شيئاً ، وإنما أنا أزرق وأهذي على النساء ، وبين يدي هذا التخت والإسطرلاب والتقويم لخلق الحيلة ، ولكني قد صحبت أهل البوادي في وقتٍ من الأوقات ، وتعلمت منهم الزجر والفأل والعيافة ، وهم يعتقدون إذا سُئلوا عن شيء أن ينظروا إلى أول ما تقع عليه عيونهم فيستخرجون منه معنى يجعلونه طريقاً لما يسألون عنه ، وما يحكمون به فلما سألتني في أي شيء ،

---

(١) جمع زرّاق . والزراق من الرجال ، لغة ، الخدّاع . وهنا تطلق على المنجم والزاجر والعائف والمؤول . . .

تلجلجت فوقعت عيني على سقاء معه ماء محبوس في قربته ، فقلت : محبوس . ولما قلت لي : هل يطلق أم لا ، نظرت أطلب شيئاً أزجره ، فرأيت السقاء قد صب الماء ، وهو يخرج من قربته ، فقلت : إنكم تمضون وقد أطلق . فهل أصبت ؟ قال أبو معشر : نعم ، وفرجت عني أيضاً . أعطوه الدنانير واصرفوه . فأبي أن يأخذ ، فما تركه أبو معشر حتى أخذها وخرج »[1] .

إذاً ، من خلال هذه الحادثة وسواها كان يكفي من أوتي حظاً من العلم أو الكهانة والزجر والعيافة ، أن يشير إلى نفسه بأنه « منجم » وأن يضع بين يديه آلة أو أكثر مما يدل على صناعته ، ليثق الناس به ، ويصدقوه ، رجالاً ونساء ، سوقة وسراة . ولا يعني هذا مطلقاً إغفال الدور الذي كان يضطلع به أصحاب الفراسة والعيافة وأصحاب الرقى والعزائم والطلسمات ، وسواهم ممن برعوا في هذا المجال ، فاستهووا أفئدة الناس ، فخانهم الحظ حيناً ، وصح حكمهم حيناً آخر ، وذلك عن طريق الصدفة والاتفاق ، أو عن طريق الملاحظة والدرس . ألم يطلب إسماعيل بن بلبل قبل أن يصير وزيرا ، منجماً ليأخذ مولد حمل قرب وضعه ، فجيء بأعرابي حاذق في العيافة ، أخفوا عنه ما أضمره إسماعيل ، فأدار عينه في الدار قليلاً فعرف أنه يسأل عن حمل ذكر ، وذلك بعد أن حطّ الزنبور على رأس إسماعيل ، فذبّه عنه غلامه ، فقتله . ثم ألم يتوقع هذا العائف ، وفي المجلس ذاته ، تسلّم إسماعيل مقاليد الوزارة عن قريب ، وهلاك عدوّه صاعد بن مخلد ، فكان الأمر كما توقع ؟[2] . وكذلك ألم يبعث المنصور ، ولم يكن خليفة بعد ، بمسح له قرضه الفأر ، إلى أهل بيت من العرب يعرفون بالفراسة فعرفوا عن طريق النظر إلى المسح المقروض أن صاحب المسح سيتقلد إمرة المؤمنين ؟[3] .

طبقات المنجمين :

يبدو أن المنجمين في العصر العباسي كانوا على ضربين اثنين : ضرب أول

---

(١) التنوخي : نشوار المحاضرة ٣ / ١٧٠ ـ ١٧١ .

(٢) نشوار المحاضرة ٢ / ٣١٨ . وإسماعيل بن بلبل هو وزير الموفق ، وكان ولياً للعهد ، ووزير المعتمد . ولنا عودة إليه لاحقاً .

(٣) الجاحظ : الحيوان ، ص ٢٦٧ ـ ٢٦٨ . ج ٥ . مجلد ٢ . شرح د . يحيى شامي . ط ١ . دار ومكتبة الهلال . بيروت ١٩٨٦ م .

درس هذا الفن ، وحصل منه ما حصل إشباعاً لهواية ، وتحقيقاً لرغبة في نفس ، وضربٌ ثانٍ اتخذ منه حرفة يتعيش بها على سبيل الكسب والإرتزاق ، ومثل هذا الضرب كمثل سواهم من الزراقين والمشعوذين والضاربين بالرمل ، وليس أدل على ذلك من قول أبي الفضل بديع الزمان الهمذاني على لسان أبي الفتح الإسكندراني الذي يشكو في إحدى المقامات وطأة العيش وعسر الحياة وسؤ الحال فيقول : « فلما رأيت الأمر قد صعب ، والزمان قد كلب ، التمست الدرهم فإذا هو مع النسرين ، وعند منقطع البحرين ، وأبعد من الفرقدين . . فجمعت من النوادر والأخبار والأسمار والفوائد والآثار ، وأشعار المتطرفين ، وسخف الملهين ، وأسمار المتيمين ، وأحكام المتفلسفين ، وحيل المشعوذين ، ونواميس المتخرقين ، ونوادر المنادمين ، وزرق المنجمين » . .[1] .

ولقد أتى على المنجمين حين من الدهر كانوا يشكلون فيه طبقة من الموظفين الرسميين ، تجري عليهم الرواتب ، ويُعطون العلاوات ، تماماً كما تجري على فئة المتطببين والكتّاب وأصحاب الدواوين . . وكان الخليفة ، أو السلطان ، أو الأمير ، يستشيرهم في كثير من الأمور السياسية ، والإدارية والاجتماعية ، إلى جانب اضطلاعهم بمسؤولية القيام بدور الطبيب الذي يشمي من العلة وفقاً لما تقتضيه حالة الفلك من أوقات الزيارة والطعام[2] . والكتاب الموسوم « بتحفة الأمراء في تاريخ الوزراء » للصابي يطالعنا بتفصيل وجوه المياومة مما شرط فيه ما قرره الخليفة المعتضد ، وهو يتعلق بكيفية توزيع أرزاق أصحاب النوبة ، ومن برسمهم من المنجمين والبوابين، وأرزاق الخاصة من الغلمان والمماليك الذين أعتقهم الناصر ، حاكم الموصل من قبل المتقي ، وأرزاق الفرسان أحراراً ومميّزين ومختارين من المماليك الناصرية والبغائية ، وأرزاق السقائين والمطبخيين والفرّاشين والملاحين والملهين والبازاريين والفهّادين والكلابين والصقارين . . ومن رؤساء المتطببين ، ومشايخ الهاشميين ، وأصحاب المراتب ، وخطباء المساجد ، وأكابر

---

(١) الهمذاني ، بديع الزمان : ص ٢١١ ـ ٢١٢ . المطبعة الكاثوليكية . بيروت . وبديع الزمان الهمذاني (ت ٣٩٨ هـ / ١٠٠٧ م) نسبة إلى همذان ، هو الشاعر والأديب وصاحب « المقامات » المشهورة التي أخذ بأسلوبها الحريري من بعده . أما أبو الفتح الإسكندراني أو الإسكندري ، فهو بطل مقاماته .

(٢) زيدان ، جرجي : تاريخ التمدن الإسلامي ٣ / ٢٠٨ .

الكتّاب وأصحاب الدواوين[1] .

والجدير بالذكر أن المنجمين في عهد المعتضد كانوا يتلقون أرزاقهم في عداد سبعة عشر صنفاً من المرسومين بخدمة الدار والرسائل الخاصة ، والقراء ، وأصحاب الأخبار ، والمؤذنين ، والفنجاميين ، والغرانقيين ، أي السعاة بالرسائل ، والأنصار ، والحرس ، وأصحاب الأعلام ، والبوقيين ، والمخرّقين ، والمضحكين ، والطبالين ممن كان برسم النوبة فنقل إلى المشاهرة التي كانت أيام كل شهر منها ثلاثين يوماً من جملة ثلاثة آلاف وثلاثمائة دينار بقسط كل يوم مائة وعشرة دنانير[2] .

ويبدو أن المنجمين الذين لم يكونوا أصحاب الحظوة ، أي من المنجمين الرسميين ، لم يكن لهم مواطن معينة يثبتون فيها لاستقبال الناس والنظر في أحكام النجوم : لكن يكفي للقيام بهذا العمل ، بالنسبة إلى بعضهم أن يحمل ما استطاع حمله من كتب ومن أوراق وخرائط وآلات وتقاويم ، ثم ينهض للانتقال بها من مكانٍ إلى آخر ، ومن بلدٍ إلى بلد ، ومن بيتٍ إلى بيت ، معلناً عن طبيعة عمله كأن يصيح مثلاً : « المنجم ، المعزّم. . »[3] . ليقبل عليه ذوو الحاجات ، فيحكم لهذا بكذا ، ولذاك بكيت . والمنجمون الذي اتخذوا لأنفسهم مقاعد ثابتة ، ومجالس مخصوصة ، فغالباً ما تكون هذه على قارعة الطريق ، أو عند رحبة الجسر ، أو في الساحات العامة ، أو في أي مكان آخر يسمح موقعه أكثر باصطياد الزبائن واجتذاب الطامعين في أحكامهم : فابن بطلان ، مثلاً ، وهو الطبيب النصراني المشهور ، والمتوفي ببغداد عام ٤٦٠ هـ / ١٠٦٧ م ، كان في أول أمره منجماً ، وكان يقعد على الطريق ، ويرتزق من صناعة التنجيم قبل أن يصير طبيباً يشار إليه بالبنان[3] . والمنجم الذي كان يتردد عليه المعتصم زمن شبابه قبل أن

(١) الصابيء ، أبو الحسن : تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء ، ص ١٩ . دار إحياء التراث العربية . القاهرة ١٩٥٨ م . والبغائية ، نسبة إلى بغا ، القائد التركي ، وكان ثمة اثنان ، هما بغا الكبير ، وبغا الصغير .

(٢) المصدر نفسه ، ص ١٩ . والفنجاميين : لعلهم الفناجرة وهم الخيالة الحاذقون في ركوب الخيل ، أما الغرانقيون فنسبة إلى الغرانق الذي هو الشاب الأبيض الجميل . والبوقيين : ضاربي الأبواق ، والطبالين : ضاربي الطبول . والمخرقون : الكذابون والذين يصطنعون الكدية والخداع . يمكن الرجوع إلى قصة المنجم مع أبي شجاع البويهي في موضع آخر من هذا الباب .

(٣) ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ، ص ١٩٢ .

يصير خليفة ، والذي تنبأ له بالخلافة ، كان تعوّد الجلوس عند رحبة الجسر بالجانب الغربي من بغداد ، حيث كان يفد عليه كل من أراد أمرا ، أو ابتغى حكماً من أحكام النجوم[1] .

وقد يكون مقعد المنجم غير المرتزق ، ولا المكتسب ، في صدر مجالس العلماء الذين كانوا يمثلون مختلف التيارات الفكرية ، والآراء العلمية والمذاهب الفلسفية ، فكنت تجد في الحلقة الواحدة المسلم المتزمت ، والآخر المنفتح ، وصاحب الفكر النيّر ، والمؤمن بالقدر ، والمدّعي أحكام النجوم ، والآخذ بأقوال المنجمين ، والمنكر عليهم أقوالهم ، وكأنما ذلك كله أمر طبيعي ، وهو إن دلّ على شيء ، فإنما يدل على ما كان للتنجيم من مكانة في صفوف العلماء ، وما كان له من أنصار ومتعصبين ومشايعين ومنكرين . . فالجاحظ مثلاً ، وهو يسوق حديثاً لأستاذه النظام عن أبي العباس ، ختن النظام على أخته ، يقول : « قال لي أبو إسحاق ، قال لي أبو العباس . . وكان رجلاً يدين بالنجوم ، ولا يقرّ بشيء من الحوادث إلاّ بما يجري على الطباع »[2] . . .

وهذا إن دلّ على شيء أيضاً ، فإنما يدل ، بالقدر عينه على ما كان للتنجيم من أثر في حياة الناس جميعاً ، على حد سواء . وهذا ما سنعرض له بالتفصيل، في فصلين اثنين متواليين : أولها يتحدث عن اهتمام الخاصة بالتنجيم ، والآخر يتحدث عن اهتمام العامة به .

---

(١) التنوخي : نشوار المحاضرة ٧ / ٢١٢ - ٢١٥ .

(٢) الجاحظ : الحيوان ، ص ٨٣ ، ج ١ ، م ١ . شرح يحيى شامي . دار ومكتبة الهلال ١٩٨٦ م . والنظام : هو إبراهيم بن سيار (ت ٢٣١ هـ / ٨٤٥ م) تلميذ أبي الهذيل العلاّف . أحد متكلمي المعتزلة . نشأ في البصرة وأقام في بغداد .

الفصل الأول

اهتمام الخاصة

- مبحث أول : الخلفاء والملوك :
  أولاً : في المشرق :
  أ ـ الخلفاء .
  ب ـ الملوك والأمراء .
  ثانياً : في مصر والمغرب والأندلس .
  أ ـ في مصر والمغرب العربي .
  ب ـ في الأندلس .
- مبحث ثانٍ : الوزراء والولاة والقضاة .
  أولاً : الوزراء .
  ثانياً : الولاة والقواد والقضاة .


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

مبحث أول

الخلفاء والملوك

أولاً : في المشرق

أ ـ الخلفاء :

في عصر اشتدت فيه الصراعات القومية ، وكثرت الدسائس والإنقلابات ، وتميز بخلع الخلفاء ، وعزل الوزراء ، والعمال والقضاة ، لم يكن شيء أحب إلى قلب الخليفة ولا آثر عنده ، من أن يطمئن إلى مستقبل منصبه الديني والسياسي في آن ، وذلك عن طريق استطلاع الغيب بوساطة الناجمين الذين غصّ بهم بلاط الخلفاء العباسيين الذين كان جل اهتمامهم ينصب على أخذ الطالع ، وعلى معرفة الأيام التي يصلح فيها القيام بعمل من الأعمال ، كبناء دار أو غرس بستان ، أو إجراء حفلة تنصيب لولاية العهد ، أو القيام بغزو ، وغير ذلك من المناسبات المتعددة والأعمال المتفرقة . وللدلالة على هذا الاهتمام بمعرفة الغيب ، والانكباب على استطلاع ما تخبئه الأقدار ، من قبل الخلفاء ، وغير الخلفاء ، من الملوك ، والوزراء والكتّاب والعلماء ، للدلالة على ذلك يحدثنا صاحب كتاب « فرج المهموم » عن كتاب اطّلع عليه شخصياً . وفيه ذكر لطوالع خلفاء بني العباس ، وملوك بني بويه ، ولطوالع السلطان محمود وابنه السلطان مسعود الغزنويين ، ولطوالع الوزراء من يحيى بن خالد إلى أيام الطائع ، وهو يتضمن مواليد أعيان

الدولتين : بني حمدان وبني دبيس[1] .

أبو جعفر المنصور (حكم من ١٣٦ - ١٥٨ هـ ٧٥٤ - ٧٧٥ م) :

يأتي أبو جعفر المنصور ، في طليعة خلفاء بني العباس الذين عنوا بأمر التنجيم، وأمروا بترجمة الكتب العلمية الفلكية التي تعتبر أساساً للتنجيم ، ومنها كتاب السندهند ، أو السدهندا ، ومعناه الدهر الداهر الذي ظل طويلاً يُعتبر أساساً للأزياج ولاستخراج الأحكام والاهتداء إلى المغيّبات[2] . والتاريخ يحدثنا أن رجلاً من الهند اسمه كنكه أو منكه وفد إلى بغداد زمن المنصور عام ١٥٣ هـ / ٧٧٠ م ، فانضم إلى حلقة رجال العلم والفلك الذين كانوا يعملون لدى الخليفة العباسي حيث يبادلونه ، ويبادلهم الرأي والمشورة[3] . ولا نعجب من هذا ، إذا ما علمنا أن المنصور كان له غاية بالفلسفة والفقه[4] ، وكان في كل مرة يتهدد الخلافة خطر ما ، يستدعي المنجمين للنظر في مآل هذا الأمر وفي ما إذا كان من الخطورة بمكان . . وهذا ما فعله الخليفة لما بلغه خروج محمد بن عبد الله بن حسن[5] ، بالمدينة ، فقد استدعى المنجم الحارث الذي راح ينظر في كتبه ، وإسطرلابه ليقول للخليفة مهدئاً من خاطره ، ومبشراً : « يا أمير المؤمنين ، ما يجزعك منه ، فو الله لو ملك الأرض ، ما لبث إلاّ تسعين يوماً »[6] . . وهذا ما فعله أيضاً من قبل لما أراد السفر إلى عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر الطالبي[7] ، فسأل نوبخت ، المنجم ، عما يؤول إليه الأمر وهو في طريقه إليه ،

---

(١) ابن طاووس : فرج المهموم ، ص ١٤٩ . وبنو دبيس ، نسبة إلى دبيس بن صدقة (ت ٥٢٩ هـ / ١١٣٥ م) أمير الحلّة وبادية العراق . أحد فرسان العرب المشهورين في الحروب الصليبية . اتُهم باغتيال المسترشد ، واغتيل في بغداد بتدبير مسعود السلجوقي . أما الطالع فهو الخليفة الرابع والعشرون من خلفاء بني العباس (٣٦٣ هـ / ٩٧٤ م) . وأما يحيى بن خالد فهو يحيى البرمكي الوزير من البرامكة الأسرة الفارسية التي نكبها هارون الرشيد .

(٢) زيدان ، جرجي : تاريخ التمدن الإسلامي ٣ / ٢٠٨ .

(٣) تراث الإسلام ، ص ١٦٠ .

(٤) ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ، ص ١٣٦ .

(٥) هو محمد بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب . ظهر بالمدينة سنة ١٤٥ هـ / ٧٦٣ م .

(٦) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ٥ / ٢٩٠ .

(٧) من شجعان الطالبيين وشعرائهم .

فقال نوبخت : « أما أنت فتصير ملك العرب ، وأما وجهك هذا فسينالك منه مكروه » ، ولم يكن المنصور قد تسلم مقاليد الخلافة ، بعد .

ويبدو أن المنصور ، لم يتعلق بالتنجيم والمنجمين إلاّ على أثر تلك الحادثة التي جعلته يعتقد اعتقادهم ، ويميل إلى أقوالهم ، ولا سيما أقوال نوبخت الذي كان على دين المجوسية يومذاك ، وكان في علم النجوم نهاية ، وكان محبوساً في سجن الأهواز حيث لقي المنصور . ويحدثنا نوبخت عن تلك الحادثة ، وعن المنصور ، فيقول : « لقد رأيت من هيبته وجلالته وسيماه وحُسن وجهه ، وشأنه ، ما لم أره لأحد قط ، فصرت من موضعي إليه فقلت : يا سيدي ، ليس وجهك من وجوه أهل هذه البلاد . فقال المنصور : أجل ، يا مجوسي . قلت : من أي بلاد أنت ؟ قال : من المدينة قلت : أي مدينة ؟ قال : من مدينة الرسول (ص) . فقلت : وحق الشمس والقمر ، من أولاد المدينة ؟ قال : لا ، ولكن من عرب المدينة . . » ويتابع نوبخت روايته فيقول : « فلم أزل أتقرب إليه وأحدثه حتى سألته عن كنيته فقال : أبو جعفر ، فقلت : أبشر ، وجدتك في الأحكام النجومية تملكني وجميع ما في هذا البلد ، حتى تملك فارس وخراسان والجبال . فقال : وما يدريك يا مجوسي ؟ قلت : هو كما أقول ، واذكر لي هذا . قال : إن قضى الله فسوف يكون . قلت : قد قضى الله من السماء ، فطب نفساً » . ثم إن نوبخت طلب دواة وقلماً، وقرطاساً ، وقال للمنصور : اكتب . فكتب ما يلي : « بسم الله الرحمن الرحيم . إذا فتح الله على المسلمين ، وكفاهم معرّة الظالمين ، ورد الحق إلى أهله ، فلا نغفلك » . ثم إن نوبخت طلب أن يكتب له في خدمته خطاً وأماناً ، ففعل . ولما أن ولي المنصور الخلافة ، صار إليه نوبخت فأخرج له الكتاب . فقال : « أنا له ذاكر مع الأمان ، والحمد لله الذي صدق وعده ، ورد الحق إلى أهله » ، ثم إن نوبخت أسلم على أثر ذلك ، وصار منجم المنصور ومولاه[1] .

وفي الحديث عن نوبخت ، أو نيبخت، ومعرفته وبراعته في علم النجوم ، يحدثنا التاريخ عن طالع كان أخذه للمنصور يوم خرج منهزماً أمام قوة إبراهيم بن عبد الله[2] ، فتفرس نوبخت فيه طويلاً ثم قال له مشدداً من عزيمته : « إن الظفر

(1) البغدادي : تاريخ بغداد ١٠ / ٥٥ . وانظر « نشوار المحاضرة » ٧ / ١١٦ - ٢١٧ .
(2) هو إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، أخو محمد بن عبد الله ، ظهر بالبصرة عام ١٤٥ هـ .

لأمير المؤمنين والهزيمة لإبراهيم » ، لكن المنصور ، وهو الذي ما زال يجرّ أذيال الهزيمة ، لم يأبه لكلامه هذا ، فأصر نيبخت على موقفه ثم قال : « والله إن لم يكن الأمر كما قلت لك ، فاقتلني » وإذا بالخبر يجيء معلناً هزيمة إبراهيم أمام جيش المنصور الذي سرعان ما تمثّل ببيت للبارقيّ .

فألقت عصاها واستقر بها النوى كما قرّ عينا بالإياب المسافر

ثم إنه أقطع نيبخت ألفي جريب بالحويزة[1] . وإبراهيم بن عبد الله هذا ، كان مختفياً على شاطىء دجيل بالأهواز ، وكان محمد بن الحصين يطلبه ، وهو الذي أخبر ذات يوم بأن أمير المؤمنين كتب إليه بخبر المنجمين له بأن إبراهيم نازل في الأهواز[2] . ولما توجه عيسى بن موسى لقتاله ، قال عيسى إن المنصور بعث إليه بنبوءة المنجمين التي تتحدث عن حتمية انتصار الخليفة على إبراهيم[3] . ويبدو أن المبادرة إلى بشارة المنصور بما سيكون عليه في المستقبل ، لم تكن وقفاً على المنجمين الذي ينظرون في النجوم والسماء ، فالتاريخ يحدثنا عن جماعة من العرب الذين برعوا في معرفة بعض أمور الغيب عن طريق الفراسة والفأل والزجر ، والذين كان المنصور أرسل إلى رفّاء منهم ، وكان المنصور لا يزال رجلاً عادياً مثل بقية الرجال ، بمسح له قرضه الفأر ، ليرفوه له ، فرد الرفّاء المسح ناصحاً بعرضه أولاً على شيخ من شيوخ أولئك العرب العارفين بالزجر والفراسة . ولما عُرض عليه المسح ، نظر الشيخ فيه ، ثم انه استوى واقفاً فبارك للمنصور بإمرة المؤمنين ، وهو يحلف الأيمان المغلظة أنّ الأمر سوف يكون كما يراه[4] .

ولما عزم المنصور على بناء بغداد ، واستشار نوبخت منجمه الرسمي[5] وعدداً من الفلكيين والمنجمين الذين شاركوا في اختيار موقع بغداد وأخذ الطالع لها ، كعمر بن الفرخان الطبري ، وما شاء الله اليهودي ، وإبراهيم بن حبيب الغزاري صاحب أول إسطرلاب مسطح في الإسلام ، وصاحب كتاب « العمل

---

(١) ابن طاووس ، فرج المهموم ، ص ٢١٠ . والحويزة مدينة قديمة في جنوبي العراق .

(٢) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ٩ / ٢٤٦ .

(٣) المصدر نفسه ٩ / ٢٥٨ .

(٤) الجاحظ : الحيوان ، ص ٨٣ . ج ١ . م ١ . والخبر مر معنا سابقاً .

(٥) ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ، ص ١٣٦ .

بالإسطرلاب » ذي الحلق[1] .

وفي « تاريخ بغداد » حديث مفصل لبناء بغداد أورده الخطيب برواية أبي عبد الله إبراهيم بن محمد الأزدي ، عن أحد المنجمين ، وفيه أن المنصور طلب إليه أخذ الطالع للمدينة . فنظر المنجم فيه وإذا المشتري في القوس ، وإذا النجوم تدل على « طول زمان المدينة وكثرة عمارتها وانصباب الدنيا إليها ، وفقر الناس إلى ما فيها ، وإنه لا يموت فيها خليفة من الخلفاء أبداً » . وتتابع الرواية فتقول إن المنصور لما سمع ذلك من المنجم تبسم قائلاً : « الحمد لله ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاءوالله ذو الفضل العظيم »[2] .

تلكم كانت رواية بناء بغداد . . أما المدينة فقد صدق قول المنجمين إذ فتحت أبوابها ، وازدهرت عمارتها ، واستطال بنيانها ، وامتدت أكنافها ، وغدت محجة العلماء والسائلين والطالبين ، بل أضحت ذات زمن ، عاصمة الدين والدنيا وحاضرة العلوم والفنون ، وأما أنه لا يموت فيها خليفة أبداً ، فلم يمت فيها إلاّ الأمين الذي قُتل بباب الأنبار[3] ، ثم حُمل رأسه إلى معسكر طاهر بن الحسين[4] ، وأما المنصور ، باني بغداد ومؤسسها ، فإنه ، وكما توقع المنجمون ، مات خارج بغداد ، بمكة ، في المسجد الحرام ، وأما المهدي (١٥٨ ـ ١٦٩ هـ / ٧٧٥ ـ ٧٨٥ م) فمات بماسباذان ، فيما توفي الهادي (١٦٩ ـ ١٧٠ هـ / ٧٨٥ ـ ٧٨٦ م) بعيساباذ ، وأما الرشيد (١٧٠ ـ ١٩٣ هـ / ٧٨٦ ـ ٨٠٩ م) فإنه مات بطوس[5] في خراسان ، وابنه المأمون (١٩٨ ـ ٢١٨ هـ /

---

(١) القفطي : أخبار العلماء بأخبار الحكماء ، ص ٤٢ . وانظر : الفهرست . . ٧ / ٣٣٠ . وما شاء الله هذا هو أحد الذين برعوا في النجامة ، وصاحب الكتب المتعددة في القرانات والمواليد . أما ابن الفرخان (ت في حدود ٢٠٠ هـ / ٨١٦ م) فهو صاحب كتاب « المواليد » وكتاب « العمل بالإسطرلاب » و « المسائل في التنجيم » . انظر : مجلة المورد ، مجلد ٤ . عدد ١ و ٢ ، ص ٢١٩ . العراق ١٩٧٥ م .

(٢) البغدادي : تاريخ بغداد ١ / ٦٨ .

(٣) هي اليوم أطلال مدينة في العراق على الفرات قرب الكوفة . كانت عاصمة السفاح قبل تأسيس بغداد .

(٤) من كبار قواد المأمون . هو الذي زحف على بغداد وظفر بالأمين وقتله ، وأعلن البيعة للمأمون . وهو أيضاً مؤسس الدولة الطاهرية .

(٥) مدينة قديمة من أعمال خراسان بايران ، قريبة من مدينة مشهد التي فيها مرقد الإمام الرضا .

٨١٣ ـ ٨٣٣ م) مات بالبدندون[1] من بلاد الروم ، ثم دُفن بطرسوس ، وأما المعتصم (٢١٨ ـ ٢٢٧ هـ / ٨٣٣ ـ ٨٤٢ م) فإنه مات بسامراء ، وهذا هو حال جميع الخلفاء الذين جاؤوا من بعده باستثناء المعتمد (٢٥٦ ـ ٢٧٩ هـ / ٨٧٠ ـ ٨٩٢ م) والمعتضد (٢٧٩ ـ ٢٨٩ هـ / ٨٩٢ ـ ٩٠٢ م) والمكتفي (٢٨٩ ـ هـ / ٩٠٢ ـ ٩٠٨ م) فإنهم ماتوا في بغداد بالقصور من الزّندرود[2] ، ولقد حُمل جثمان المعتمد إلى سامراء ، ودُفن المعتضد والمكتفي في موضع من دار محمد بن عبد الله بن طاهر ، وذلك خلافاً لما توقعه المنجمون[3] .

وهذا الخلاف كان مثاراً للجدل ، وعرضة للاجتهاد من قبل من راح يتمحّل العذر ، ويسوق الدليل ليثبت صحة حكم النجوم ، لا بطلان ما تقول . ومن هؤلاء القاضي التنوخي[4] الذي ذهب إلى أن الأمين لم يُقتل في بغداد ، وإنما هو قُبض عليه وهو في حرّاقته يتنزه وسط المياه بدجلة ، حيث قُتل هناك . وهذا ما قاله الصّولي[5] أيضاً ، ومثله أحمد بن أبي يعقوب الكاتب الذي ذهب إلى القول بأن الأمين قُتل خارج بغداد عند بستان طاهر[6] .

ومهما يكن فإن القول بعدم موت الخلفاء ببغداد ، حسبما ذهب إلى ذلك المنجمون ، وأشار إليه عدد من الشعراء نكتفي هنا بالإشارة إلى واحدٍ منهم ، هو عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير الخطفي الذي أورد هذا المعنى في الأبيات التالية ، وقيل ، هي للمنصور النمري :

---

(١) البدندون : عين في أرض الروم مما يلي طرسوس . توفي عليها المأمون لثلاث عشرة ليلة بقيت من رجب سنة ٢١٨ هـ وله أربعون سنة ، ودفن بطرسوس . انظر : المسعودي : التنبيه والإشراف ، ص ٣٠٤ .

(٢) لعلها نسبة إلى زنده رود ، النهر الذي يجري في إيران ، ويمر بأصفهان . والمعتمد هو أحمد بن جعفر المتوكل الذي بويع بالخلافة عام ٢٥٦ هـ . أما المكتفي فهو علي بن أحمد المعتضد ، بويع بالخلافة عام ٢٩٥ هـ . وأما المعتضد فهو أحمد بن طلحة الموفق ، بويع بالخلافة سنة ٢٧٩ هـ .

(٣) تاريخ بغداد ١ / ٦٨ .

(٤) هو أبو علي المحَسن (٣٢٨ ـ ٣٨٥ هـ / ٩٣٩ ـ ٩٩٤ م) صاحب كتاب « نشوار المحاضرة » .

(٥) هو أبو بكر الصّولي (ت ٣٣٥ هـ / ٩٤٦ م) الأديب والشاعر وصاحب كتاب « الأوراق » و« أدب الكتّاب » و« أخبار أبي تمام » .

(٦) تاريخ بغداد ١ / ٧٩ .

وعاينت في طول من الأرض والعرض كبغداد داراً إنها جنّة الأرض
صفا العيش في بغداد واخضرّ عوده وعيش سواها غير صافٍ ولا غض
تطول بها الأعمار إن غذاءها مريءٌ وبعض الأرض أمرأ من بعض
قضى ربّها أن لا يموت خليفة بها إنه ما شاء في خلقه يقضي[1]

المهدي (١٥٨ ـ ١٦٩ هـ / ٧٧٥ ـ ٧٨٥ م) :

أما المهدي فقرب إليه عدداً وافرا من المنجمين جاعلاً من توفيل بن توما الرهاوي النصراني رئيساً لهم قاطبة ، وكان لتوفيل في أحكام النجوم إصابات عجيبة[2] ، وللخليفة ثقة بما يقوله حتى إنه يكاد لا يخرج إلى مكان إلّا بعد استشارته ، وأخذ طالع له . وهذا ما فعله على سبيل المثال لما هم بالخروج إلى ماسباذان[3] .

ومن المنجمين الذين ضمهم بلاط المهدي نوبخت ، منجم المنصور ، وما شاء الله اليهودي . أما الأخير فنظر يوماً في النجوم ، فتوقع الموت لمن يحج بالناس ذلك العام ، وهذا ما جعله يدفع برقعة إلى المهدي ، أوصلها إليه الربيع[4] ، وفيها ينصحه بالتخلّي عن الحجّ بالناس ، إلا أن المهدي لم يذعن لما قاله منجمه ، واكتفى بالقول : « ويحك ياربيع ، إن كان كما زعم حقاً ، الموت في هذا الوجه أولى . . إني رأيت كأني دخلت الكعبة ، فانظر كيف يكون المهدي » . ثم ما لبث أن مات ، فصلى عليه يحيى بن محمد[5] .

هذا عن ما شاء الله . أما نوبخت فقد عرف هو الآخر ، بموت الخليفة في العام الذي كان حدّده له ما شاء الله[6] . وهنا لا بد من أن نشير إلى ما قاله أبو

---

(١) المصدر نفسه ١ / ٦٨
(٢) القفطي : أخبار العلماء بأخبار الحكماء ، ص ٧٧ .
(٣) أمين ، أحمد : ضحى الإسلام ، ص ٢٧٢ وما سبذان تقع في جبال فارس .
(٤) الربيع حاجب الخليفة المهدي ، وحجبه من بعده الخضر بن سليمان ، ثم الفضل بن الربيع .
وانظر التنبيه والإشراف ، ص ٢٩٧ .
(٥) فرج المهموم ، ص ٢١٥ .
(٦) مقدمة ابن خلدون ، ص ٦٠١ .

بديل أحد صنائع الدولة ، أيام المهدي والرشيد . يقول أبو بديل « بعث إليَّ الربيع والحسن - ابنا سهل - في غزاتهما مع الرشيد أيام المهدي فجئتهما بجوف الليل ، فإذا عندهما كتاب من كتب الدولة - الحدثان - وإذا مدة المهدي فيه عشر سنين . فقلت : هذا الكتاب لا يخفى على المهدي ، وقد مضى من دولته ما مضى ، فإذا وقف عليه كنتم قد نعيتم إليه نفسه . قالا : فما الحيلة ؟ فاستدعيت عنبسة الوراق ، مولى آل بديل ، وقلت له : انسخ هذه الورقة واكتب مكان عشر : أربعين ، ففعل »[1] .

هارون الرشيد (٧٠ - ١٩٣ هـ / ٧٨٦ - ٨٠٩) :

وأما الرشيد فقد سلك سبيل من سبقه من الخلفاء ، من تقريب المنجمين ، وتعزيز ترجمة الكتب الفلكية . ولقد ذكر أن هارون الرشيد لما خرج من بغداد نزل الرّي[2] ، وكان فيها وزيره الفضل بن الربيع ، وجماعة من المنجمين الذين جمعهم ، ثم سألهم عن عمره وما يستقبله من أمور ، فحكموا جميعهم بهلاكه في خراسان ، بقرية يقال لها سناباد ، من قرى بيهق . ولما أن خرج الرشيد من الري ، جعل طريقة نيشابور ، فطوس ، ولما نزل في قرية ، سأل عنها فقيل إنها سناباد ، ولم يلبث فيها إلاّ قليلاً ، حتى مرض ، فمات ودُفن فيها[3] . وبالمناسبة فإنه ينسب إلى حضيض ، أم ولد الرشيد ، أنها لما أصيبت بالقولنج أرسلت إلى الأبح والطبري[4] ، وكلاهما منجم في البلاط ، فقالت لهما : « اختارا لي وقتاً أتعالج فيه . فقال الطبري : إن القمر اليوم مع زحل ، وهو في غد مع المشتري ، وأنا أرى أن تؤخري العلاج إلى مقارنة القمر المشتري . وقال الأبح : أنا أخاف أن يصير القمر مع المشتري . وقال الأبح : أنا أخاف أن يصير القمر مع المشتري ، وقد عمل القولنج عملاً لا يحتاج معه علاج »[5] .

---

(١) فرج المهموم ، ص ٢٠٥ .

(٢) الري مدينة فارسية قديمة تقع في الشمال من إيران . فتحها العرب في صدر الإسلام . ازدهرت في عهد العباسيين والبويهيين والسلاجقة . فيها وُلد هارون الرشيد وإليها ينسب علماء كثيرون .

(٣) فرج المهموم ، ص ٢١٥ .
ومناباذ قرية من طوس ونيسابور مدينة كانت عاصمة خراسان قديماً .

(٤) الطبري هو أبو بكر محمد بن عمر الفرخان (ت في حدود ٢٠٠ هـ / ٨١٦ م) . صاحب كتاب « المسائل » في التنجيم .

(٥) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، ص ١٧٧ .

الأمين (١٩٣ ـ ١٩٨ هـ / ٨٠٩ ـ ٨١٣ م) :

والأمين ، وإن حذا حذو أبيه الرشيد ، لجهة اصطناع المنجمين ، إلاّ أنه لم يكن ممن يأخذ بأقوالهم أحياناً . هذا ما يتضح لنا من خبر أورده الطبري ، في أحداث سنة ١٩٥ هـ ، وفيه أن منجم الأمين قال له يوم وجّه علي بن عيسى لمقاتله طاهر بن الحسين حينما كان المأمون بخراسان ، « لو انتظرت بمسيرك صلاح القمر فإنه منحوس ، عليه عالية ، والسعود عنه ساقطة » ، لكن الأمين لم يأبه لهذا ، وأجاب بالقول : « قولوا لصاحب المقدمة يضرب بليله ، فإنا لا ندري فساد القمر من صلاحه . . من نازلنا نازلناه ، ومن وادعنا وادعناه »[1] . أما الحصيلة فكانت نصراً للمأمون وهزيمة لجيش الأمين .

المأمون (١٩٨ ـ ٢١٨ هـ / ٨١٣ ـ ٨٣٣ م) :

لكن المأمون الذي كان سبباً في نقل كتب النجوم والكتب التعليمية الأخرى من بلاد الروم ونشرها بين المسلمين ، والذي كان يناقش الفقه والفلسفة والحديث ، والذي قرب إليه العلماء وأغدق عليهم ، وشجع على ترجمة الكتب العلمية والفلسفية والرياضية والفلكية . . أقول إن المأمون هذا ، كان له موقف آخر من المنجمين ، إذ هو وثق صلاته بهم ، ووزع عليهم جوائزه ، متخذاً منهم بطانة وندامى ، ومن هؤلاء نذكر يحيى بن أحمد بن علي بن هارون بن علي بن يحيى بن أبي منصور الذي كان منجماً للخليفة المنصور . ويحيى هذا كان أول من خدم المأمون من المنجمين ، وكان أثيراً به ، يدين بالمجوسية ، ثم أسلم على يده ، وصار منجمه المفضل ، ومولاه المحبب ، ونديمه المقرب[2] . ومما يدل على حذق يحيى في صناعة النجوم ، أن متنبئاً أحضر إلى المأمون ، وكان مجلسه يضم جماعة من المنجمين ، وهم لا يعلمون جميعاً من أمر هذا الرجل شيئاً وقبل أن يستدعي المأمون قضاته لإصدار الحكم بحق هذا المتنبىء ، طلب إلى منجميه أن يتبينوا صحة ما يدعيه هذا الرجل وفقاً لحالة الفلك ، ولأحوال النجوم . يقول يحيى ، وكان في بطانة المنجمين : « اجتمعنا في إحدى الغرف ، وأحكمنا الطالع

---

(١) تاريخ الطبري ١٠ / ١٥١ .

(٢) ياقوت : معجم الأدباء ١٥ / ١٥٧ . وانظر أيضاً : التنوخي : نشوار المحاضرة ٨ / ٢٠٩ .

وصوّرناه ، فوقع الشمس والقمر في دقيقة واحدة ، وسهم السعادة والغيب في دقيقة الطالع ، والطالع الجدي ، والمشتري في السنبلة ينظر إليه ، والزهرة وعطارد في العقرب ينظران إليه ، فاتفق الجميع على أن ما يدعيه صحيح ، وإن له حجة زهرية وعطاردية ، باستثناء يحيى بن أبي منصور الذي قال : « قولهم يا مولاي ، ضرب من التحسين والخداع والتزويق ، ولا صحة له »[1] . ولما أن كشف المأمون للمنجمين عن أمر الرجل ، وبينّ لهم حقيقة دعوته ، وأن معه خاتماً ذا فصّين إن لبسه لا يتغيّر ، وإن ألبسه الغير ضحك فلا يتمالك نفسه من الضحك حتى ينزعه ، وإن معه قلماً يكتب به ، فإن أراد الغير أن يكتب به ، خانته أصابعه فلم تنطلق . هنا ، انبرى يحيى ليبين صحة الحكم الذي ذهب إليه فقال : « يا سيدي ، هذه الزهرة وعطارد زوّر عمله بهما » الأمر الذي جعله يستحوذ على إعجاب المأمون ، فقال له : « لله درّك »[2] . ثم إن المأمون أمر المتنبىء بإعادة فعل ما فعله من قبل ففعل ، وراح يبين وجه الحيلة في ذلك ، وأنه ضربٌ من الطلسمات ، فأثابه المأمون بألف دينار بعد أن استتابه ، وتبرأ من ادّعائه النبوة[3] . والجدير بالذكر أن هذا المتنبيء صار في ما بعد من أعلم الناس بالنجوم .

وبالمناسبة ذاتها ، فإن أبا معشر الذي سيعدّ من ألمع المنجمين ، والذي وقف على هذه المسألة عقب عليها بالقول : « لو كنت مكان القوم فقد ذهبت عليهم أشياء كثيرة ، ولكنت أقول إن أول الدعوى باطلة لأن البرج منقلب ، والمشتري في الوبال ، والقمر في المحاق ، ثم إن الكوكبين ناظران إلى الطالع في برج كذّاب مزوّر ، هو العقرب »[4] . والذي تجدر الإشارة إليه أيضاً ، إن عمل يحيى بن أبي منصور لم يكن ليقتصر على الأزياج وأخذ الطالع ، بل كان على جانبٍ كبير من المعرفة الفلكية ولا سيما رصد الكواكب، إذ تقول المصادر إن المأمون طلب إليه وإلى نفر آخرين من علماء الفلك أن يقوموا بإصلاح آلات الرصد ، وأن يرصدوا الكواكب بالشمّاسية في بغداد ، وبجبل قاسيون في

(١) فرج المهموم ، ص ١٦٤ .
(٢) القفطي : أخبار العلماء ، ص ٢٣٥ .
(٣) فرج المهموم ، ص ١٦٥ . وانظر أيضاً : تاريخ مختصر الدول لابن العبري ، ص ١٣٧ .
(٤) فرج المهموم ، ص ١٦٥ .

دمشق ، وذلك في الأعوام : ٢١٥ ، ٢١٦ و٢١٧ هـ ، وهذا ما قاموا به فعلاً أحسن قيام[١] . وممن شارك في رصد الشماسية من العلماء ، سند بن علي اليهودي الذي كان منجّماً للمأمون ثمّ أسلم على يديه ، والعباس بن سعيد الجوهري المنجّم صاحب الزيج المشهور[٢] .

ومن المنجمين المعدودين الذين كانوا في بطانة المأمون ، حبش بن عبد الله المروزي المعروف بالحاسب الذي وضع له الزيج المأموني ، هذا الزيج الذي يتضمن ذكر المدة الزمنية التي تفصل بين الطوفان والهجرة ، وهي تبلغ ٣٧٢٥ سنة على رأي ، و ٣٩٧٤ على رأي آخر ، والسبب في هذا الاختلاف بين المدتين يعود إلى اختلاف نسخ التوراة ، وذلك من أجل تحديد المدة التي تفصل بين هبوط آدم ووفاة موسى ، في حين أن المدة التي تفصل بين وفاة موسى وملك بختنصر[٣] ، تعلم من المنجمين ، وذلك تبعاً لقرانات زحل والمشتري في المثلثات ، وهذا بحد ذاته موضع خلاف بين المنجمين[٤] .

ومن المنجمين المقربين إلى المأمون ، محمد بن موسى الخوارزمي[٥] ، وما شاء الله اليهودي[٦] ، وأحمد بن محمد بن كثير الفرغاني[٧] صاحب « المدخل إلى علم هيئة الأفلاك وحركات النجوم » ، ومحمد بن الجهم المنطقي الذي ألّف كتاب « الاختيارات » ثم قدّمه للمأمون[٨] . ومنهم أيضاً المنجم دويان الحكيم الذي بعث به ملك زابلستان[٩] إلى المأمون ، فأنباه دويان بحربه مع أخيه ، وبعقد

---

(١) تاريخ مختصر الدول لابن العبري ، ص ١٣٧ .
(٢) أخبار العلماء بأخبار الحكماء ، للقفطي ، ص ١٤٨ .
(٣) هو نفسه نبوخذ نصّر الملك البابلي الذي خرب أورشليم وسبى اليهود عام ٥٨٦ ق . م .
(٤) ابن الوردي ، زين الدين ، عمر : تتمة المختصر في أخبار البشر ١ / ١٠ .
تحقيق أحمد رفعت البدراوي . دار المعرفة . بيروت ١٣٨٩ هـ / ١٩٧٠ م .
(٥) توفي في عام ٢٣٥ هـ / ٨٤٩ م . صاحب كتاب « الجبر والمقابلة » .
(٦) سبق التعريف به .
(٧) هو أبو العباس أحمد الذي كان حياً قبل سنة ٢١٨ هـ . سبق الحديث عنه .
(٨) أخبار العلماء بأخبار الحكماء ، ص ٥٦ و ص ١٨٦ .
(٩) لعلها نسبة إلى الزاب وهو اسم يحمله نهران من روافد دجلة في كردستان شمالي العراق . أحدهما يقال له الزاب الصغير والأسفل ، ينبع من إيران ، والآخر يُقال له الزاب الكبير أو الأعلى .

اللواء لطاهر ، وبانقطاع الملك من عقبه ، واتصاله في ولد أخيه ، وبأن العجم سوف يتغلبون على الخلافة من الديلم ، ثم يكون ما يريده الله ، فيسوء حالهم ، ثم تظهر الترك ، ويقصد السلاجقة ، من شمال المشرق ، فيملكون إلى الشام والفرات وسيحون ، وبلاد الروم[1] .

ومنهم أيضاً عبد الله بن سهل بن نوبخت الذي كان أخذ طالعاً للمأمون يحدد له فيه الوقت الذي يجب أن تتم فيه البيعة من الخليفة للإمام الرضا ، وكان الطالع السرطان وفيه المشتري[2] . والذي حدث أن البيعة لم تتم للإمام ، وذلك لأن المشتري ، وإن كان نجم الشرف والسؤدد والسيادة إلّا أنه واقع في برج متقلب لا يتم أمر يعقد فيه ، خصوصاً إذا كان المريخ في الميزان ، وهو بيت العاقبة مما يدل على نكبة المعقود له[3] ، على أن فشل عبد الله بن سهل في أخذ طالع عقد البيعة ، يقابله نجاح الطالع الذي أخذه المنجم الهندي للمأمون استحضره وهو بمرو ، واستشاره في أمر الأمين ، فأشار المنجم عليه بطاهر بن الحسين ، ووصفه له ، وكان والياً على سنجار بأنه أعور طويل ، ثم سماه قائلاً له : « لا يتم الأمر إلّا به » وكان أن استقدمه سنة ١٩٥ هـ ، ثم خرج طاهر عن حضرة المأمون وكان كما قال المنجم[4] .

المعتصم (٢١٨ ـ ٢٢٧ هـ / ٨٣٣ ـ ٨٤٢ م) :

أما المعتصم الذي أصاب حيث أخطأ المنجمون ، والذي اشتهر بعناده ورباطة جأشه والاعتماد على النفس وإعداد القوة ، والذي ظفر على الروم البيزنطيين ، فاتحاً عمورية خلافاً لما قاله المنجمون ، المعتصم هذا كان في غابر أيامه كلفاً بالنجوم ، مولعاً بأخبارها ، توّاقا إلى التعرّف على أحكام قراناتها . ولنا في القصّة التالية المأخوذة من « نشوار المحاضرة » للتنوخي ما يكفي للدلالة على كلفه هذا ، فلقد ذكر التنوخي بحديث علي بن عباس النوبختي عن محمد بن داوود بن الجرّاح ، عن أبي علي الحسن بن وهب عن الوزير محمد بن عبد الملك

---

(١) مقدمة ابن خلدون ، ص ٦٠٠ .
(٢) أخبار العلماء بأخبار الحكماء ، ص ١٤٩ .
(٣) فرج المهموم ، ص ١٤٢ ـ ١٤٣ .
(٤) نفسه ، ص ٢١٣ .

الزيات وكان بصحبة الخليفة والقاضي ابـن أبي دؤاد ، أن المعتصم لما بلغ رحبة الجسر على دجلة ، أطال الوقوف ثم ما لبث أن نظر إلى الجانب الشرقي وهو يضحك . ولما سأله ابن أبي دؤاد عن سبب ضحكه ، كان رد الخليفة عليه أنه تذكّر منجماً حاذقاً كان يجلس في الرحبة أيام فتنة الأمين ، وكان قصده ذات يوم متنكراً من أجل أخذ طالع له ، فعرف أن طالعه الأسد ، وأنه سيكون ملكاً تُفتح له الآفاق والأمصار ، وأنه سيغادر بغداد مفارقاً وأن أكابر رجال مملكته سيكونون من أصول غير شريفة إشارة إلى وزيره ابن الزيّات الذي كان أبوه بائعاً للزيت ، وإلى قاضيه ابن أبي دؤاد الذي كان ابنا لقيّار يعمل بالقير الذي تُطلى به السفن[1] .

وللمعتصم نادرة عجيبة تتعلق بالنجوم وكان الموت سيدركه حتماً لولا بوران بنت وزيره الحسن بن سهل ، ولولا ذكاء الحسن نفسه ، ذلك أن بوران ، وكانت عالمة بالنجوم بارعة في أحكامها ، رفعت يوماً إسطرلاباً ثم نظرت إلى مولد المعتصم ، فدلتها النجوم على قطع يتعرض له الخليفة في ساعة كذا من يوم كذا ، وإن هذا القطع سيكون سببه الخشب . عند ذلك بادر الحسن إلى إبلاغ المعتصم بحقيقة ما توصلت إليه ابنته ، فاحتاط للأمر ثم خلا بالحسن في الوقت المحدد بعد أن انتقل من المجلس السقفي إلى مجلس آخر ليس فيه أثر للخشب ، ولما حضر وقت الصلاة نصح الحسن سيده بالصلاة ، في المكان عينه ، وإذ بخادم المعتصم وبيده المسواك والمشط يقدمها للخليفة ، فأمر الحسن الخادم بالإمتشاط وبالاستواك ، وكان من الخشب ، ففعل ذلك ، فسقطت ثناياه إلى الأرض ، ثم خرّ مغشياً عليه ، ورُفع ميتاً[2] .

الواثق (٢٢٧ - ٢٣٢ هـ / ٨٤٢ - ٨٤٧ م) :

وتابع الواثق سياسة أبيه المعتصم في تقريب المنجمين إليه فكان منهم

---

(١) راجع الخبر مفصلاً في نشوار المحاضرة ٧ / ٢١٢ - ٢١٣ - ٢١٤ - ٢١٥ .
وابن أبي دؤاد ، هو القاضي أحمد ، المعتزلي المذهب ، المولود في البصرة . قربة المأمون وجعله المعتصم قاضي قضاته . أما الوزير الزيات ، فهو محمد بن عبد الملك (ت ٢٣٣ هـ / ٨٤٧ م) والأديب والشاعر ، وزير المعتصم والواثق العباسيين . انظر : التنبيه والإشراف ، ص ٣١٨ - ٣١٤ .

(٢) فرج المهموم ، ص ١٣٧ .

الحسن بن سهل بن نوبخت الذي حضر يوماً ، ومعه جماعة من أصحاب صناعة التنجيم ، إلى مجلس الخليفة بناء على أمره ، وكان المرض قد اشتدّ به ، فنظروا في مولده فقدّروا له أن يعيش خمسين عاماً مستأنفة من ذلك اليوم ، والذي حصل هو أن الخليفة لم يعش سوى عشرة أيام بعد تلك الواقعة فتوفي عام ٣٣٢ هـ وكان له من العمر اثنتان وثلاثون سنة لا أكثر[١]

المتوكل (٢٣٢ - ٢٤٧ هـ / ٧٤٧ - ٨٦١ م) :

أدنى المتوكل إليه المنجمين وأغدق عليهم متخذاً من البعض منهم نديماً له ومجالساً ، ومن هؤلاء أبو العباس الصيمري ، وكان قاضياً بالصيمرة وأديباً وله إلمام واسع بالنجوم التي ترك فيها كتباً عدة أشهرها : « كتاب أحكام النجوم » ، و « المدخل في صناعة التنجيم » و « كتاب الرد على المنجمين »[٢] . ومن المنجمين الذي أدناهم إليه المتوكل أيضاً علي بن يحيى المنجم الذي كان يقرأ على الخليفة كتاباً من كتب الملاحم وفيه أن الخليفة العاشر من بني العباس يُقتل وهو في مجلسه[٣] ، وهذا ما حصل بالفعل[٤] . ومما يدل على منزلة علي هذا عند المتوكل والواثق من قبله أيضاً أنه كان يؤاكل الخليفة وينادمه ويشاربه ويحضر مجالس لهوه مدلاً عنده بكل فن كان غاية فيه . فهو إلى جانب كونه منجماً ذا معرفة وافية بعلم النجوم ، كان طبيباً وأديباً وشاعراً ومغنياً . ومما يدل على خدمة كل فن تقريباً ، ما ينسب إلى يزيد ابن محمد المهلبي الذي يقول : « كنت أرى علي بن يحيى المنجم فأرى صورته وصغر خلقه ، ودقة وجهه ، وصغر عينيه ، وأسمع بمحله من الواثق والمتوكل ، فأعجب من ذلك وأقول : لأي سبب يستظرفه الخليفة وبماذا حظي عنده والقرد أملح منه قباحة ؟ فلما جالست المتوكل رأيت علي بن يحيى قد دخل عليه في غداة من الغدوات التي قد سهر في ليلتها بالشرب وهو مخمور يفور

---

(١) ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ، ص ١٤١ .

(٢) ابن النديم : الفهرست ٣ / ١٦٨ - ١٦٩ .

(٣) تاريخ الطبري ١١ / ٦٦ .

(٤) إشارة إلى المتوكل نفسه الذي كان الخليفة العاشر ، والذي أجمع على قتله ابنه محمد مواطئاً « وصيفاً » « وبغا » وغيرهما من الموالي على الفتك به ، فأعدوا لذلك عدة من أصاغر الموالي ، منهم باغر ، قتلوه بمدينته المسماة الجعفرية من سر من رأى ليلة الأربعاء لثلاث ليال خلون من شوال سنة ٢٤٧ هـ / ٨٦١ م ، وله إحدى وأربعون سنة . المسعودي : والإشراف ، ص ٣١٣ .

حرارة ، فوقف بين يدي الخليفة وقال : يا مولاي ، أما ترى إقبال هذا اليوم ، وحسنه ، وإطباق الغيم على شمسه ، وخضرة هذا البستان ورونقه ؟ هو يوم تعظمه الفرس وتشرب فيه لأنه هرمزروز ، وتعظمه غلمانك وأكرتك مثلي من الدهاقين ، ووافق ذلك يا سيدي أن القمر مع الزهرة فهو يوم شرب وسرور »[١] .

ثم يتابع المهلبي الكلام فيقول : « ولما وُضعت المائدة وعليها كل صنف أكل المتوكل وأكلنا نهضنا فغسلنا أيدينا وعدنا إلى مجالسنا فغنى المغنون فجعل علي يقول : هذا الصوت لفلان ، والشعر لفلان ، وجعل يغني معهم ، ويعدهم غناء حسناً إلى قرب الزوال فقالوا للمتوكل : أين نحن من وقت الصلاة ؟ فأخرج علي إسطرلاباً من فضة في خفّه ، فقاس الشمس وأخبر عن الإرتفاع وعن الطالع والوقت ، فلم يزل يعظم في عيني حتى صار كالجبل ، وصارت مقابح وجهه محاسن[٢] . ولعل في البيت التالي الذي قاله علي بن يحيى في مدح المعتز بالله ، ما فيه دلالة على كون علي يتقن أيضاً فن الشعر ، فهو يقول فيه :

بدا لابساً برد النبي محمد بأحسن مما أقبل البدر طالعاً[٣]

المعتز (٢٥٢ ـ ٢٥٥ هـ / ٨٦٦ ـ ٨٦٩ م):

والمعتز أيضاً أدنى إليه المنجمين وجعل منهم بطانة له . وكان قد اجتمع حواليه خاصة وذلك لما بويع بالخلافة عام ٢٥٢ هـ ، ولما حضر المنجمون ، طلب إليهم أن يقدروا حياته ومدة بقائه في الخلافة ، وكان أحد الخبثاء حاضراً فعلّق على ذلك بقوله : مهما أراد الأتراك »[٤] إشارة إلى غلبة النفوذ التركي على أمور الخلافة . وللمعتز قصة مع أبي معشر ، إذ أن هذا الأخير كان قد أخذ مولد المعتز وعرف وقت البيعة للمستعين (أبي العباس أحمد بن بالمعتصم) ووقت البيعة

---

(١) ياقوت : معجم الأدباء ١٥ / ١٦٢ ـ ١٦٣ . والأكرة جماعة الفلاحين والدهاقين رؤساء الأقاليم . مفردها دهقان . وهي لفظة فارسية .
(٢) المصدر نفسه ١٥ / ١٧٣ .
(٣) معجم الأدباء ١٥ / ١٧٣ .
(٤) ابن طباطبا : تاريخ الدول الإسلامية ، ص ٢٤٣ .

بالعهد من المتوكل للمعتز ، ونظر فيه فحكم له بالخلافة ، وذلك بعد اشتداد الفتن والحروب ، وحكم على المستعين بالخلع والقتل . وكان أبو معشر قد سلم هذا الطالع للمعتز . ولما صح الحكم وخلع المستعين وتسلم الخلافة المعتز بالله ، ودخل عليه أبو معشر مع من دخل من المهنئين ، التفت الخليفة إلى أبي معشر وكان المجلس حافلاً ثم قال له : « لم أنسك ، وقد صح حكمك ، وقد أجريت لك مائة دينار في كل شهر رزقا ، وثلاثين ديناراً نزلاً ، وجعلتك رئيس المنجمين في دار الخلافة وأمرت لك عاجلاً بألف دينار صلة »[1] .

المعتمد (٢٥٦ - ٢٧٩ هـ / ٨٧٠ - ٨٩٢ م) وأخوه الموفّق :

ونهج المنهج ذاته كل من الخليفة المعتمد وأخيه الموفّق الذي اتخذ أبا معشر البلخي أشهر المنجمين قاطبة ، منجماً له . وكان أبو معشر قد حضر معه محاصرته للزنج بالبصرة[2] . والموفّق ، نفسه ، كان بارعاً في أحكام النجوم والهيئة والفلك ، وله عدد من المؤلفات والكتب والرسائل ذات الصلة بهذه الموضوعات مثل « كتاب القرانات » و « الزيج الكبير » و « الزيج الصغير » أو ما يعرف « بزيج القرانات » لأوقات اقتران زحل والمشتري منذ الطوفان[3] وكان الموفّق يستدعي المنجمين ثم يمتحنهم ليعرف أذكاهم وأبرعهم في هذه الصناعة ، فلقد حدث أبو أحمد ، عبد الله بن عمر بن الحارث الوسيطي عن أبيه وكان يعمل في خزانة السلاح للمعتمد أنه فيما كان قائماً بحضرة الموفّق ، وعسكره يتأهب للذهاب إلى قتال صاحب الزنج ، قال الموفّق لأبي معشر البلخي ، ولمنجم آخر : « خذا الطالع في شيء أضمرته البارحة ، أسألكما عنه وأمتحنكما به ، وأخرجا ضميري » . فأخذا الطالع ، وعملا الزايرجة[4] ثم قالا : « تسألنا عن حمل

---

(١) التنوخي : نشوار المحاضرة ٨ / ٥٦ - ٥٧ .

(٢) ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ، ص ١٤٩ .

(٣) القفطي : أخبار العلماء بأخبار الحكماء ، ص ١٠٦ .

(٤) الزايرجة : لفظة فارسية أصلها زيركاه وهي عبارة عن شبكة مربعة تشتمل على مائة بيت يرسم في كل واحد منها حرف مفرد ، ولهم فيها أعمال يزعمون أنهم يستدلون بها على المغيبات . لكن علم الزايرجة كما في « كشف الظنون » ينسب إلى أبي العباس أحمد السبتي المغربي . وشبكة الزايرجة عند المغاربة عبارة عن دائرة عظيمة في داخلها دوائر متوازية للأفلاك والعناصر وللمكونات والروحانيات إلى غير ذلك من أصناف الكائنات والعلوم . وكل دائرة منها مقسومة بانقسام فلكها إلى البروج والعناصر وغيرهما وخطوط كل منها مارة =

ليس لأنسي » فقال : « هو كذلك ، فما هو ؟ » ، ففكرا طويلاً ، ثم قالا : عن حمل لبقرة » . قال : « هو كذلك ، فما تلد ؟ » قالا ، جميعاً : ثوراً . قال : فما شيته ؟ أي صفته ، قال أبو معشر : أسود ، في جبهته بياض . وقال الآخر : أسود وفي ذنبه بياض . قال الموفّق : ترون ما أجسر هؤلاء ! [أحضروا البقرة، فأُحضرت وهي مقرب . فقال : اذبحوها ، فذُبحت وشُق بطنها] وأخرج منها ثور صغير أسود ، أبيض طرف الذنب ، وقد التف الذنب وصار على الجبهة . فتعجب الموفق ، ومن حضره ، من ذلك عجباً شديداً ، وأسنى جائزتهما »[1] .

وفي رواية ثانية أن الموفق أحضر أبا معشر والمنجم الآخر وقال لهما : معي خبيء فما هو ؟ فقال أحدهما بعد أن أخذ الطالع وعمل الزايرجة ، وفكر طويلاً : هو شيء من الفاكهة . وقال أبو معشر : هو شيء من الحيوان . فقال الموفق للأول : أحسنت ، وقال لأبي معشر : أخطأت ، ورمى من يده تفاحة ، وأبو معشر قائم متحيّر ، وسرعان ما عاود النظر في الزايرجة ، ثم توجه نحو التفاحة فأخذها ثم كسرها وقال : « الله أكبر ! وقدمها إلى الموفق فإذا هي تتنغش بالدّود وتضطرب ، فهال الموفق ما رآه من إصابته وأمر له بجائزة عظيمة »[2] .

ولعل في الحادثة التالية التي يرويها أبو معشر ما فيه الكفاية عن شدة اهتمام الموفق بجمع المنجمين ، ومطارحتهم ، وامتحانهم في ما يضمر ، فلقد حدث أبو معشر أنه حضر مع جماعة من المنجمين عند الموفق ، من بينهم من يعرف بالزيادي أستاذ زمانه في النجوم ، والآخر الذي يُعرف بشيلمة ، والثالث الذي يُعرف بالهاشمي ، فأضمر الموفق شيئاً ثم طلب إلينا معرفته . فقال الزيادي : أضمر أمير المؤمنين رئاسة وسلطاناً ، فقال الموفق : كذبت . وقال شيلمة : أضمر أمير المؤمنين عقد أمر جليل رفيع ، فقال الهاشمي : لست أعرف غير ما قالا ،

= إلى المركز ويسمونها الأوتار وعلى كل وتر حروف متتابعة موضوعة . . وفي داخل الزايرجة ، وبين الدوائر ، أسماء العلوم ومواضع الأكوان ، وعلى ظهور الداوائر جدول للبيوت المتقاطعة طولاً وعرضاً يشتمل على ٥٥ بيتاً في العرض و ١٣١ في الطول ، جوانب منه معمور البيوت تارة بالعدد ، وأخرى بالحروف ، وجوانب خالية البيوت .

انظر: خليفة ، حاجي : كشف الظنون ٢ / ٩٤٨ .

(١) التنوخي : نشوار المحاضرة ٣ / ٣٢٧ .

(٢) المصدر نفسه ٣ / ٣٢٨ .

« الرأس في وسط السماء وصاحب الطالع ناظر إليه ، والكواكب ساقطة ، فقال له الموفق : وأنت كذبت . ثم قال لي : هات ما عندك ، فقلت : أضمر أمير المؤمنين الله عزَّ وجلَّ . فقال : أحسنت والله ، ويلك ، أنّى لك هذا ؟ قلت : الرأس فعله ولا يرى نفسه ، وهو كان في أرفع درجة في الفلك ، ولم أعرف له مثلاً إلاّ الله عزَّ وجلَّ لأن الله يرى فعله ، ولا يرى هو ، وليس فوقه أحد »[1] .

المعتضد (٢٧٩ - ٢٨٩ هـ / ٨٩٢ - ٩٠٢ م) :

ولئن كان من غبر من خلفاء بني العباس على وئام مع رجال التنجيم يقربونهم إليهم ويغدقون عليهم ، فإن المعتضد تميز أحياناً بموقف مخالف إذ هو منع في عام ٢٧٩ هـ / ٨٩١ م ، بيع كتب العلوم والفلسفة والجدل ، ومنع المنجمين والقصّاص من الجلوس في بلاطه ، حتى عُدّ ذلك من حسناته في نظر أهل السلف والتوحيد[2] .

لكن هذا الخبر ينسخه ، ما عُرف عنه من تقريب للمنجمين ، وجعله لهم أرزاقاً معلومة[3] ، وما عرفناه من إدخاله إلى بلاطه أقدر المنجمين وأبعدهم صيتاً ، ومن هؤلاء ، ثابت بن قرة الصابئي العالِم والفيلسوف وصاحب التصانيف العديدة التي منها كتاب في طبائع الكواكب وتأثيراتها ، وكتاب آخر في علم الهيئة ، وكتاب ثالث في الأهلة وكسوف الشمس والقمر[4] .

المكتفي (٢٨٩ - ٢٩٥ هـ / ٩٠٢ - ٩٠٨ م) :

وشبيه بصنيع المعتضد لجهة تقريب المنجمين الكبار ، صنيع الخليفة المكتفي الذي جاء من بعده فقرب إليه أكابر المنجمين والعلماء وعلى رأسهم إسحاق بن حنين الذي استدعاه المكتفي لما عزم على تنصيب ابنه وليّاً للعهد ، ليختار له الطالع الذي يتفق وتلك المناسبة العظيمة ، وكان الوزير العباس بن الحسن حاضراً في المجلس ذاته ، فأحب الخليفة أن يبايع ابنه بولاية العهد ، كل

---

(١) التوحيدي ، أبو حيان : البصائر والذخائر ٣ / ٥٠٥ .
(٢) الحنبلي ، ابن العماد : شذرات الذهب ٢ / ١٧٣ .
(٣) الصابيء : الوزراء ، ص ١٩ .
(٤) ابن النديم : الفهرست ٧ / ٣٣١ .
وانظر أيضاً : القفطي : أخبار العلماء بأخبار الحكماء ، ص ٨١ .

من الوزير وإسحاق بن حنين قبل إقدام هذا الأخير على أخذ الطالع ، فبايعا ، ثم إن إسحاق تقدم من الخليفة واجترأ على القول : « يا أمير المؤمنين ، قد بايعنا ولدك الطفل ، ولكن الطفل ناقص لا يتم أمره ، ولا يصلح للخلافة » ، ثم التفت إلى الوزير ابن الحسن فأسرّ في أذنه قائلاً : « لقد تأملت طالع المكتفي بالله ، فعلمت أن الأمر بعده لأخيه »[1] . وهذا ما حصل فعلاً إذا لم يتولّ ابن المكتفي الحكم ، بل تولّاه من بعده ، المقتدر بالله ، وهو أخو المكتفي .

المستظهر (٤٨٧ ـ ٥١٢ هـ / ١٠٩٤ ـ ١١١٨ م) :

واستمر خلفاء بني العباس في اتخاذ المنجمين بطانة يرجعون إليهم لمعرفة ما تخبئه الأيام وما تحمله من جديد ، لعل في ذلك ما ينجي من هلاك أو يخفف من بلاء عن طريق التنبه له ، والاحتراز منه ، وأخذ الحيطة اللازمة قبل حصول ما لا بد من حصوله . وهذا ما حدث عام ٤٨٩ هـ / ١٠٩٥ م . حينما حكم المنجمون بطوفانٍ عظيم يعمّ البلاد ، كان ذلك في عهد المستظهر بن المقتدي العباسي الذي أحضر منجمه الرسمي ابن عيسون ، ثم سأله حقيقة ما يُقال حول هذا الموضوع ، فأيد ابن عيسون رأي المنجمين مبيناً للخليفة أنه حينما حصل طوفان نوح ، اجتمعت الكواكب السبعة في برج الحوت ، أما الطوفان المرتقب ، فإن ستة من هذه الكواكب باستثناء زحل ، ستجتمع في البرج المذكور ، ولو أن زحل انضم إليها لحدث طوفان يضارع طوفان نوح ، وفي معظم الأحوال فإن الطوفان المرتقب سيحصل وسيغرق بلاداً كثيرة . أما الخليفة فإنه خشي الأمر ، وخاف على بغداد من الطوفان ، فأمر بإحكام السدود على دجلة . . وأما الطوفان فوقع حقاً ، لكنه كان عبارة عن سيل عظيم أتى على وادي المناقب فأغرق عدداً كبيراً من الحجاج الذين كانوا نازلين فيه ، وذهب بأموالهم وأمتعتهم ودوابهم ، ولم ينج من الحجيج إلّا القليل . . وأما ابن عيسون المنجم فكوفىء من قِبل الخليفة الذي أغدق عليه وكساه أثمن الخلع[2] .

ب ـ الملوك والأمراء :

لم يقتصر الاهتمام بالمنجمين على أمراء المؤمنين ، بل تعداهم إلى الملوك

---

(١) البيهقي : تاريخ حكماء الإسلام ، ص ١٨ .

(٢) ابن العبري : تارخ مختصر الدول ، ص ١٩٦ .

والسلاطين والأمراء وحكام الأقاليم التي استقلوا بها وأقاموا فيها نوعاً من الحكم الذاتي ظل خاضعاً بالاسم لحكم بني العباس .

البويهيون(٣٢٠ ـ ٤٤٧ هـ / ٩٣٢ ـ ١٠٥٥ م) :

ربما كان عضد الدولة البويهي في طليعة الملوك والحكام الذين انصب اهتمامهم على مباحث علم الفلك والاعتناء بآلاته ، وعمل الزايرجات ، واستخراج الطالع ، والاشتغال بالملاحم ، وبحدثان الدول ، والعناية بتحويل الشهور والسنين . . وهو ـ كما يقول ابن طاووس في فرج المهموم ـ « عارف بطرفٍ من علم النجوم ، مقرّب للعارفين بها »[١]

وكان من عادة عضد الدولة كلما تحولت له سنة شمسية من يوم مولده ، أن يخلد إلى مجلسه ثم يتهيأ لاستقبال التحويل بعدما يكون قد أمر بإعداد أفخم الموائد وأشهى المآكل وأطيب الفواكه والرياحين ، وقد عُبئت في آلات من الذهب والفضة ، فيما جلس بحضرته كبار الأعيان ، ومنهم القاضي التنوخي ، وأبو علي الفسوي ، وأبو الحسين الصوفي المنجم ، وأبو القاسم عبد العزيز بن يوسف صاحب ديوان الرسائل . . ثم يجيء المنجم فيقبّل الأرض بين يديه ، ويهنئه بتحويل العام الجديد ، وقد حضر المغنون وأخذوا مواضعهم وجلسوا ، وحضر الندماء وأخذوا مواضعهم قياماً . . ثم يجيء المهنئون من أهل المجلس من رؤساء . ووجوه الكتاب والعمال ، وكبار أهل البلد من الأشراف وغيرهم ، فيدخلون إليه ، فيهنئونه ، والشعراء يمدحونه . .[٢] .

ومن الجدير ذكره في هذا المقام ، أن عضد الدولة كان يقول متباهياً : « أنا غلام أبي علي الفارسي في النحو ، وغلام أبي الحسين الصوفي في النجوم »[٣] ، وأبو الحسين ، هذا ، كان منجم عضد الدولة ، وهو صاحب كتاب « صور السماء » المشهور[٤] ، وفي رواية ابن العبري فإن قول عضد الدولة هو التالي :

---

(١) ابن طاووس : فرج المهموم ، ص ٢٠١ .

(٢) التنوخي : نواشر المحاضرة ٤ / ٨٩ . وانظر أيضاً : معجم الأدباء ١٧ / ١٠٢ ـ ١٠٣ .

وانظر أيضاً : معجم الأدباء ١٧ / ١٠٢ ـ ١٠٣ .

(٣) ابن النديم : الفهرست ، ص ٣٤٢ .

(٤) ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ، ص ١٧٤ .

« معلمي في الكواكب الثابتة وأماكنها عبد الرحمن الصوفي ، أي أبو الحسين ، وفي حل الزيج ، الشريف ابن الأعلم ، وفي النحو أبو علي الفارسي »[١] . ولقد كان من أنفس الهدايا وآثرها إلى عضد الدولة ، تلك التي يُقال لها الإسطرلاب ، عنيت الآلة التي بها يُعرف التقويم ، وتُحدد المنازل ، وتُعين مواقع الكواكب والنجوم ، فيُستخرج من ذلك جميعاً الطالع المنشود . ويحدثنا التاريخ عن أبي إسحاق ، إبراهيم بن هلال الصابيء ، أنه أهدى إلى عضد الدولة في يوم مهرجان ، إسطرلاباً وكتب إليه بالأبيات التالية :

أهدى إليك بنو الحاجات واختلفوا ... في مهرجان عظيم أنت مبليه
لكن عبدك إبراهيم حين رأى ... علو قدرك ، لا شيء يساميه
لم يرض بالأرض يهديها إليك فقد ... أهدى لك الفلك الأعلى بما فيه[٢]

وقيل إن هذا الإسطرلاب أُهدي إلى المطهر بن عبد الله وزير عضد الدولة ، لا عضد الدولة نفسه ، وقل الشيء ذاته عن الزيج الذي يبحث في الفلك ، ويحدد مسارات النجوم والكواكب ، ويعين مطالعها ومغاربها، مما لا غنى عنه في أخذ الطالع ، لقد أهدي عضد الدولة زيجاً فقال فيه :

أهديت محتفلاً زيجاً جداوله ... مثل المكاييل يستوفى بها العمر
فقس به الفلك الدوار واجركما ... يجري بلا أجل يخشى وينتظر[٣]

والذي يدل على اهتمام عضد الدولة بأحكام المنجمين ، ما حكى عنه أنه لما علم بأن أبا الفضل جعفر بن المكتفي بالله ، عليمٌ بهذا الفن أخذ يدعوه إليه ويخلو به ، ويكرمه ، و « يسأله عن فنه بأحكام النجوم وأخبار الحدثان ، فيخبره عن ذلك بما يعجب منه ، ولا يبعد وقوعه » .

---

(١) ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ، ص ١٧٤ .

(٢) ياقوت الحموي : معجم الأدباء ٢ / ٣٤ ، وفي يتيمة الدهر للثعالبي نجد الأبيات كالتالي :

أهدي إليك بنو الآمال واحتفلوا ... في مهرجان جديد أنت مبليه
لكن عبدك إبراهيم حين رأى ... علو قدرك عن شيء يداتيه
لم يرض بالأرض مهداة إليك فقد ... أهدي لك الفلك الأعلى بما فيه

انظر : يتيمة الدهر ٢ / ٢٧٩ ، للثعالبي .

(٣) ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ، ص ١٧٦ . وانظر أيضاً .
وانظر أيضاً : أخبار العلماء بأخبار الحكماء ، ص ١٠٨ .

وكان عضد الدولة لا يقوم بعمل ، أو يستعد للقيام بعمل إلاّ بعد أخذ الطالع واستشارة النجوم ، وكان مجلسه يكاد لا يخلو من أصحاب هذه الصناعة وعلى رأسهم عبد الرحمن الصوفي ، وعلي بن الحسن العلوي المعروف بابن الأعلم الذي كان له مكانة خاصة عند عضد الدولة ، فكان هذا « يقف على إشاراته وتسييراته »[1] ، مثلما كان يقف على تلك التي لأبي القاسم عبيد الله بن الحسن المنجم المعروف بغلام زحل[2] .

وفي « نفح الطيب » للمقري أن عضد الدولة البويهي لما وجّه قاضيه ابن الطيب إلى ملك الروم في مهمة خاصة ، سأل القاضي لما عزم على الخروج إن كان أخذ الطالع بخروجه ، فقال القاضي : إن السعد والنجس بيد الله ، وليس للكواكب فيهما تأثير ، وإنما وُضعت كتب النجوم ليتعيش بها العامة ، ولا حقيقة لها البتة ، الأمر الذي حفز عضد الدولة على استحضار عبد الرحمن الصوفي ، والطلب إليه أن يتناظر والقاضي ، فاعتذر عبد الرحمن من ذلك بحجة أن اعتقاده في النجوم لا يعدو القول بأنه إذا كان من النجوم كذا ، كان كذا ، لكن تعليل ذلك من علم المنطق الذي لا قدرة عليه إلاّ لأبي سليمان المنطقي[3] . . ولما أن حضر أبو سليمان قال لعضد الدولة : « إن هذا القاضي يقول إذا ركب عشرة أنفس في ذلك المركب الذي في دجلة ، فالله تعالى قادر على أن يزيد فيهم آخر في ذلك الوقت ، فإن قلت له : لا يقدر ، قطعتم لساني ، فأي معنى لمناظرتي؟ » . عندها أجاب القاضي بالقول : « ليس كلامنا في القدرة لكن في تأثير الكواكب ، فانتقل هذا ـ أي أبو سليمان ـ إلى ما ترى لعجزه ، وأنا إن قلت إن الله تعالى قادر على ذلك ، فلا أقول إنه يخرق العادة الآن ، ولا يجوز عندنا ذلك فقال أبو سليمان : المناظرة دربة ، وأنا لا أعرف مناظرة هؤلاء القوم ، وهم لا يعرفون مواصفاتنا » فقال عضد الدولة : « قد قبلنا اعتذارك ، والحق أبلج »[4] .

---

(١) أخبار العلماء بأخبار الحكماء ، ص ١٥٢ ، ١٥٧ .

(٢) التنوخي : نشوار المحاضرة ٧ / ٢٠٤ .

(٣) هو ابو سليمان ، محمد (ت نحو ٣٧٥ هـ / ٩٨٥ م) . تتلمذ ليحيى بن عدى . له « صوان الحكمة » وعنه نقل أبو حيان التوحيدي . كان مقرباً من عضد الدولة البهويهي . (المنجد في الاعلام ، ص ١٩) .

(٤) المقري : نفخ الطيب ٧ / ٢١٩ .

الحمدانيون (٣٠٧ ـ ٣٩٤ هـ / ٩٢٩ ـ ١٠٠٣ م) :

هذا عن البويهيين ، أما الحمدانيون فقد ضم بلاطهم ، هم الآخرون ، نخبة من رجال الفكر والعلم والأدب ، ولم يخل من العلماء الذين كان لهم معرفة بالفلك والنجامة ومنهم أبو القاسم بن الرقي المنجم والعارف بالأحكام(١) . وأبو القاسم هذا كان ممن أدناهم سيف الدولة واصطحبهم معه في حله وترحاله ، وشهدوا معه غزواته وحروبه(٢) .

الزياريون (٣١٦ ـ ٤٧٠ هـ / ٩٢٨ ـ ١٠٧٧ م) :

كذلك حفل بلاط الزياريين في جرجان وطبرستان بالمنجمين وبعلماء الفلك ، لا بل إن عدداً لا بأس من هؤلاء الملوك كانوا ممّن حذق النجامة إلى جانب حذقهم عدداً آخر من العلوم والفنون . ومن هؤلاء الحسن بن علي المعروف بالناصر ، صاحب طبرستان ، الذي كان غاية في النجوم والشعر(٣) . ومن ملوكهم قابوس بن وشكمير الديلمي الملقب بشمس المعالي (ت ٤٣٠ هـ / ١٠٣٨ م) كان شاعراً وأديباً ، وكان عالماً بالنجوم ، وملما بعدد من العلوم والفنون(٤) . ولقد جمع إلى جانب موهبته الشعرية والأدبية معرفة بالفلسفة وبراعة في النجوم والنجامة ، حتى أنه ينسب إليه رسالة في الإسطرلاب ، أثنى عليها أبو إسحاق الصابىء كثيراً ، وقابوس هو صاحب الأبيات المشهورة :

قل للذي بصروف الدهر عيّرنا ... هل حارب الدهر إلّا من له خطر
أما ترى البحر تعلو فوقه جيف ... وتستقر بأقصى قعره الدرر
وفي السماء نجوم ما لها عدد ... وليس يكسف إلّا الشمس والقمر(٥)

---

(١) القفطي : أخبار العلماء بأخبار الحكماء ، ص ٢٧٩ .
(٢) يُشير إلى ذلك قول ابن القاسم : « كنت في صحبة سيف الدولة غداة المصيبة المعروفة ـ إشارة إلى هزيمته أمام الروم . وكان سيف الدولة » قد انكسر يومئذٍ كسرة قبيحة ، ونجا بحشاشته بعد أن قُتلت عساكره .
انظر : ياقوت : معجم الأدباء ٩ / ٣١ .
(٣) ابن طاووس : فرج المهموم ، ص ١٧٥ .
(٤) ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ، ص ١٧٩ .
(٥) زيدان ، جرجي : تاريخ آداب العربية ، ٢ / ٥٣٥ .

ويكفي دلالة على شغف شمس المعالي بالنجوم وأحكامها ، أنه قرّب إليه أبا الريحان محمد بن أحمد البيروني الخوارزمي ، صاحب « القانون المسعودي » ، ثم إنه استبقاه عنده « لخاصة أمره وحوجاء صدره ، وكان يفاوضه في ما يسنح لخاطره من أمر السماء والنجوم »[1] . كما يقول ياقوت الحموي . وهذا ما فعله أيضاً ابنه السلطان مسعود ، الذي كان معروفاً بإقباله على علم النجوم[2] .

السلاجقة والأيوبيون :

السلاجقة وهم سلاجقة الفرس (٤٢٩ ـ ٥٥٣ م) وسلاجقة الروم (القرن ٥ ـ ٧ هـ / ١١ ـ ١٣ م) وسلاجقة سورية (٤٨٩ ـ ٥١٢ هـ / ١٠٩٤ ـ ١١١٧ م) وسلاجقة العراق (٥١٣ ـ ٥٨٩ هـ / ١١١٨ ـ ١١٩٤ م) . . وربما كان قلج أرسلان[3] في طليعة من اعتنى بالنجوم ، وكان له منجم من هراة يعرف بالعماد ، قربه إليه لبراعته في الاستدلال بالنجوم على كثير من أمور الحدثان . . وهو ، أي المنجم الهروي ، الذي أعلم الملك بزوال ملك خراسان خلال عام واحد على أيدي رجال من غزنة في ما وراء النهر ، وهذا ما حصل ، إذ سرعان ما هاجم الغزنويون خراسان وأعملوا في رقاب أهلها السيف ، وعاثوا فساداً وخراباً . كان ذلك بعدما استأذن العماد سيده بمغادرة البلاد تحسباً لهذه الواقعة ، على ما ذكر ابن طاووس[4] .

وتذكر المصادر انه لما اشتد المرض بالسلطان محمد بن ملكشاه أحضر محموداً (٥١٣ ـ ٥٢٦ هـ / ١١١٨ ـ ١١٣١ م) ، ثم قبله وبكى ، ثم أمره الخروج والجلوس على تخت السلطنة ، وكان عمره يومئذ أربعة عشر عاماً . . ولما قال الابن لوالده : « إن هذا اليوم يومٌ غير مبارك ـ يعني من طريق النجوم ـ قال

---

(١) ياقوت : معجم الأدباء ١٧ / ١٨٣ .

(٢) المصدر نفسه ١٧ / ١٨٤ .

(٣) ثمة أربعة ملوك من السلاجقة الذي تسمّوا بقلج أرسلان ، وهم : قلج أرسلان الأول (٤٨٦ ـ ٥٠١ هـ / ١٠٩٢ ـ ١١٠٧ م) وقلب أرسلان الثاني (٥٥٢ ـ ٥٨٥ هـ / ١١٥٦ ـ ١١٨٨ م) ، وقلج أرسلان الثالث بن سليمان شاعر (٦٠٠ ـ ٦٠١ هـ / ١٢٠٣ ـ ١٢٠٤ م) ثم يأتي من بعد هؤلاء الثلاثة قلج أرسلان الرابع ، ابن كيسرو الثاني (٦٥٥ ـ ٦٦٥ هـ / ١٢٥٧ ـ ١٢٦٧ م) .
انظر : المنجد في اللغة والإعلام ، ص ٣٠٣ .

(٤) ابن طاووس : فرج المهموم ، ص ١٨٦ .

الوالد : صدقت ، ولكن على أبيك ، وأما عليك فمبارك بالسلطنة »[1] . هذا ما قاله السلطان السلجوقي ، لكن ما كان أبلغ ما قاله صلاح الدين ، يوسف بن أيوب (٥٣٢ ـ ٥٨٩ هـ / ١١٣٨ ـ ١١٩٣ م) يوم أن افتتح بلاد الشام ، وهزم الفرنجة ، وحرر بيت المقدس عام ٥٨٣ هـ / ١١٨٦ م ، بعد أن بقيت بأيدي الفرنجة أكثر من تسعين عاماً ، « رضيت أن أفتحه ، وأعمى » وذلك رداً على من قال له : « تفتح القدس ، وتذهب عينك الواحدة »[2] .



(١) تاريخ مختصر الدول ، ص ١٩٩ .
(٢) ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب ٤ / ٢٧٥ .


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

ثانياً : في مصر والمغرب

الفاطميون (٢٩٧ ـ ٥٦٧ هـ/ ٩٠٩ ـ ١١٧١ م) :

لم تكن الدولة الفاطمية في مصر وبلاد المغرب بأقل اهتماماً بالتنجيم من تلك التي كانت في المشرق ، تحت لواء العباسيين ، حتى أنه ليقال إن سبب توصل خلفاء مصر إلى خلافتهم إنما كان سببه علمهم بالنجوم[١] . وقد يُقال إن الإسماعليين الذين ينسب إليهم الفاطميون ، اختاروا ابن حوشب لرياسة دعوتهم في بلاد اليمن ، وذلك لأنهم عرفوا عن طريق النجوم أنه « سيكون له شأن في نشر هذه الدعوة في تلك البلاد »[٢] ، ولربما كان الفهري أول من أرهص في شعره بقيام الدولة الفاطمية عام ٢٩٦ هـ ، وذلك حيث يقول : « فعند الست والتسعين قطع القول في العذر » .

وهو بيت من جملة أبيات شعرية كان لها أبعد الأثر في انضواء الناس تحت لواء الدعوة الإسماعيلية في كل مكان[٣] .

المعز لدين الله (٣٤١ ـ ٣٦٥ هـ ٩٥٣ ـ ٩٧٥ م) :

ومن الخلفاء الفاطميين الذين قربوا إليهم المنجمين ، واهتموا بما يقولونه ،

---

(١) ابن طاووس : فرج المهموم ، ص ١٧٥ .

(٢) إبراهيم حسن ، حسن : تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والإجتماعي ، ص ٣٩٤ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٣٩٤ .

لا بل كانوا هم أنفسهم من المنجمين ، المعز لدين الله الفاطمي[1] . كان المعز عاقلاً حازماً وأديبا ، حسن النظر في النجامة ، إلى جانب كونه عالماً بالطب والهندسة والفلسفة ، مولعاً باستخراج الطوالع والأحكام ، على أساس توحيد الله ، لا على سبيل اختيار النجوم[2] .

ويحكى عن المعز لدين الله أنه لما دخل المنصورية عاصمة ملكه ، وهو عائد من القيروان[3] ، أمر بتغيير اسمها فسماها القاهرة . والسبب في ذلك يعود إلى أن جوهراً الصقلي[4] لما عزم على إقامة سور القاهرة ، كان قد جمع المنجمين ليختاروا له طالعاً لحفر أساسها ، وطالعاً لرمي الحجارة في الأساس ، عند ذلك عمد المنجمون إلى تعليق عدد من الأجراس التي رُبطت بحبل واحد طويل ، شد إلى قوائم الخشب ، حتى إذا ما أخذوا الطالع أمر البناؤون برمي ما بأيديهم من الحجارة والطين . . وصادف وقوع غراب على إحدى القوائم فتحركت الأجراس ، فظن البناؤون أن المنجمين هم الذين حركوها ، فألقوا ما كان بأيديهم من الحجارة والطين ، فصاح المنجمون : لا ، لا ، القاهر ـ أي المريخ ـ في الطالع . . فاستدل من ذلك على أن الغلبة ستكون للترك على هذه المدينة مما دفع بالمعز إلى تسميتها بالقاهرة[5] .

وكذلك يحكى عن المعز أنه لما عزم على بناء قصر البحر ، نظر في النجوم ، فاختار اليوم الملائم للبدء بالعمل ، فكان يوماً في الغاية من حسن الاختيار ، وهو الثلاثاء . ومن عجيب الصدف أن المعز كان قد رأى في منامه في الليلة ذاتها ، بطليموس وهو يلح عليه بالبناء يوم الثلاثاء[6] .

---

(١) ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب ٣ / ٥٤ .

(٢) فرج المهموم ، ص ١٧٣ .

(٣) كانت عاصمة الاغالبة في القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي ، ثم للفاطميين إلى جانب المهدية . أنشأها عقبة بن نافع ٥٠ هـ / ٦٧٠ م .

(٤) قائد فاطمي مشهور (ت ٣٨١ هـ / ٩٩٢ م) . فتح مصر وأنشأ مدينة القاهرة ، وبنى فيها الجامع الأزهر .

(٥) ابن حجلة : سكردان السلطان ، ص ٣٤ . على هامش كتاب « المخلاة » لبهاء الدين العاملي ، دار الفكر للجميع ، ١٣١٧ هـ . وابن حجلة هو شهاب الدين ابن العباس ، أحمد بن يحيى بن أبي بكر الشهير بابن حجلة المغربي التلمساني .

(٦) ابن طاووس : فرج المهموم ، ص ١٧٤ .

العزيز بالله (٣٦٥ - ٣٨٦ هـ / ٩٧٥ - ٩٩٦ م) :

أما الخليفة العزيز بالله ، أحد الذين شجعوا العلماء ، وخصوصاً من كان من أصحاب الهيئة والنجامة ، فهو الذي قدم له « الزيج المصري » أو « الحاكمي » المعروف بزيج ابن يونس ، نسبة إلى أبي الحسن علي بن عبد الرحمن بن أحمد بن يونس الصدفي المنجم ، وهو زيج كبير يقع في أربعة مجلدات بسط فيها صاحبها « القول والعمل » كما يقول ابن العماد الحنبلي[١] .

الحاكم بأمر الله (٣٨٦ - ٤١١ هـ / ٩٩٦ - ١٠٢١ م) :

وأما الحاكم بأمر الله ، وهو الخليفة الفاطمي الذي تنسب المصادر إليه غرابة الأطوار والأقوال والأعمال ، فكان متشدداً جداً على أصحاب النجوم حتى أنه نفاهم من البلاد حيناً من الدهر[٢] ، إلا أنه يستفاد من بعض المصادر أن الحاكم كان يأمر برصد النجوم ، ويشجع على ذلك[٣] ، لا بل إنه كان يغدق على المنجمين ، ويجزل لهم العطاء ، ولقد ذكروا عنه أنه ذات يوم منح مصنف الزيج الحاكمي ، دارا تليق به ، لكن هذا وكان على جانب عظيم من الإصابة في أحكام النجوم ، لم يرض بها ، بعينها ، بل طلب دارا غيرها ، لأن الدار الأولى سوف تغرق في أيام ، حسبما أمر ودلّته على ذلك النجوم . . والغريب في الأمر أنه بعد ثلاثة أيام من تلك الحادثة ، تعرضت القاهرة لسيل عظيم أتى على معظم الدور والقصور ، ومنها الدار التي كان الحاكم قد عيّنها للمنجم بادىء الأمر[٤] .

الطولونيون (٢٥٤ - ٢٩٢ هـ / ٨٦٨ - ٩٠٥ م) :

شجع الحكام الطولونيون المنجمين فكانوا يستشيرونهم في كثير من الشؤون ولقد حدث أن شاهد أحمد بن طولون ، صاحب الدولة ، تساقط النجوم ذات ليلة فأمر بإحضار من كان عنده من المنجمين ، ثم سألهم خبر ذلك فما استطاعوا الإجابة بشيء ، فقال الشاعر المسمّى بالجمل ، في المناسبة

قالوا تساقطت النجوم   لحادث   فظٍّ   عسير

---

(١) ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب ٣ / ١٥٦ .

(٢) المصدر نفسه ٣ / ١٩٣ .

(٣) ابن حجلة : سكردان السلطان ، ص ١٧٣ .

(٤) ابن حجلة : سكردان السلطان ، ص ٣٦ .

فأجبت عند مقالهم   بجواب محتنك خبير
هذي النجوم الساقطات   نجوم أعداء الأمير

فتفاءل ابن طولون بهذا الشعر ، ثم أمر للشاعر بصلة وخلع عليه ، ثم قال لمن كان حاضراً : « أفٍّ لكم ، ما فيكم من يحسن أن يقول مثل هذا »[1] .



---

(١) نفسه ، ص ٢٤ .

ثالثاً ـ في الأندلس

كان الأمر نقيض ذلك تماماً في بلاد الأندلس ، إذ من الثابت تاريخياً ، ولا سيما في الحقبة المتقدمة التي تلت قيام الدولة بالأندلس ، أن مباحث الفلسفة والتنجيم كانت غير رائجة في أوساط العامة ، بخلاف مباحث العلم والأدب وما يتفرع من ذلك من أغراض وفنون وصنائع . ولا يعني هذا غياب تلك المباحث الفلسفية والتنجيمية غياباً تاماً ، لكن العمل بها كان مقتصراً على الخواص من الذين لم يكونوا على درجة من الجرأة للتظاهر به ، حذر الفتنة وهياج العامة . ولقد يكون السبب الرئيسي لذلك ، هو اعتماد الدولة مذهب ابن حنبل المتشدد ، مذهبا رسمياً لها ، بحيث أنه بات كلما قيل : « فلان يقرأ الفلسفة أو يشتغل بالتنجيم » أطلقت عليه العامة نعت زنديق ، وقيدت عليه أنفاسه ، فإن زل في شبهة رجموه بالحجارة ، أو حرقوه قبل أن يصل أمره إلى السلطان الذي قد لا يتورع أحياناً عن البطش به تألفاً لقلوب العامة ، وكثيراً ما أمر ملوك الأندلس بإحراق كتب الفلسفة والتنجيم إذا وُجدت ، على ما جاء في نفح الطيب[1] .

يبدو أن هذه النظرة القاسية للمنجمين والفلاسفة ظلت على حالها ثابتة لا تتغير حتى زمنٍ متأخر من عمر الدولة الأندلسية ، إذ جاء في رسالة للفتح بن خاقان بحق أبي بكر بن باجة آخر الفلاسفة الأندلسيين ، ما نصّه : « نظر في تلك التعاليم ، وفكر في أجرام الأفلاك وحدود الأقاليم ، ورفض كتاب الله الحكيم العليم . . واقتصر على الهيئة ، وأنكر أن تكون منه إلى الله تعالى فيئة ، وحكم للكواكب بالتدبير ، واجترم على الله اللطيف الخبير »[2] . لا بل إن هذه النظرة ظلت سائدة حتى عصر المقري صاحب « نفح الطيب » الذي شهد نهاية حكم

---

(١) المقري : نفح الطيب ١ / ٢٠٥ .

(٢) المصدر نفسه ٩ / ٢٣١ .

العرب في الأندلس ، إذ يحدثنا عن مطرف الإشبيلي المنجم الذي كان في عصره فيقول : « انه اشتغل بالتصنيف في هذا الشأن ، ـ أي في النجامة ـ إلا أن أهل بلده كانوا ينسبونه إلى الزندقة . . فكان لا يظهر شيئاً مما يصنف »[1] .

هشام بن عبد الرحمن الداخل (١٧٢ ـ ١٨٠ هـ / ٧٨٨ ـ ٧٩٦ م) :

ومهما يكن من أمر طارق بن زياد (ت ١٠٢ ـ هـ / ٧٢٠ م) فاتح بلاد الأندلس ، والذي هشّ لحديث العجوز التي أنبأته أنه هو الأمير الضخم الهامة ، ذو الشامة ذات الشعر في كتفه الأيسر ، الذي « يدخل إلى بلاد الأندلس فيغلب عليها ، بذلك حدّثها زوجها ، وكان عالماً بالحدثان »[2] . ولئن لم يجرؤ طارق على الترويج لهذا الخبر ، ولا كان ممن يغري العامة بتصديقه ، فإن هشام بن عبد الرحمن الداخل ، على تردد ، وعدم ثقته بما تقول أحكام النجوم ، لأن علم ذلك « من غيب الله الذي استأثر به » حسب تعبيره ، أصرّ على أن يشخص إليه المنجم الضبّي الذي كان مقيماً في الجزيرة الخضراء ، وكان في علم النجوم والمعرفة بالحركات العلوية ، بطليموس زمانه حذقا وإصابة . . ولما أن مثل المنجم الضبي بين يديه بقرطبة ، قال هشام : « يا ضبي ، لست أشك أنه قد عناك من أمرنا إذ بلغك ما لم تدع تحديد وقته ، فأنشدك الله إلاّ أما نبأتنا ما ظهر لك فيه ، فلجلج وقال : أعفني أيها الأمير ، فإني ألمحت به ، ولم أحقق النظر فيه لجلالته في نفسي « ولما أصرّ هشام ، استمهله الضبي أياماً ، ثم أحضره إليه فقال له : « أحب أن أسمع ما عندك منه فالنفس طالعة » ، فقال المنجم : « اعلم أيها الأمير أنه سوف يستقر ملكك سعيداً جدّك ، قاهراً لمن عاداك ، إلاّ أن مدتك فيه في ما دلّ عليه النظر ، تكون ثمانية أعوام أو نحوها » . . وهنا أطرق هشام ثم قال : « يا ضبّي ، ما أخوفني أن يكون النذير كلّمني بلسانك ، والله لو أن هذه المدة كانت في سجدة الله تعالى ، لقلّت طاعة له » .

ثم إن هشاماً ، تقول الرواية ، زهد في الدنيا ، ولزم أفعال الخير والبرّ[3] . هذا من جهة ، ومن جهة ثانية فإن ثمة ما يفيد أن هشاماً اشتغل فعلاً بالملاحم والحدثان ، وكان من جملة ما وقف عليه من الأحكام ، أن زوال بني أمية

---

(١) المصدر نفسه ٤ / ١٧٦ .

(٢) المقري : نفح الطيب ١ / ٢١٦ .

(٣) المقري : نفح الطيب ١ / ٣١٤ .

بالأندلس ، سوف يكون على يد علوي يبدأ اسمه بحرف العين ، ويُقال إنه لما دخل سليمان المستعين (٣٩٩ ـ ٤٠٣ هـ / ١٠٠٩ ـ ١٠١٣ م) ومعه جماعةٌ من البربر ، فاحتلوا قرطبة ، وكان هشام يومئذٍ محبوساً في منزله ، سأل عن ألمع رجالات البربر ، فقيل له : هو علي بن حمود ، من بني علي بن إدريس بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب[1] ، فاتصل به هشام ، ودس إليه أن الدولة صائرة إليه ، وقال له : « إن خاطري يحدثني إن هذا الرجل يقتلني ـ أي سليمان ـ فإن فعل فخذ بثأري » ، الأمر الذي أذكى حماس علي بن حمود لطلب الإمامة وانتزاع الحكم من المستعين ، ثم إنه « بويع له في قرطبة بقصرها في اليوم الذي قُتل فيه سليمان المستعين »[2] .

المستنصر بالله (٣٥٠ ـ ٣٦٥ هـ / ٩٦١ ـ ٩٧٦ م) :

ومن الخلفاء الأمويين بالأندلس المستنصر بالله ، والمعروف بالحكم الثاني ، والذي يُقال إنه اشتغل بالنجوم ، ونظر في الأحكام والحدثان ، وكان يقدر أن المنصور هو المذكور في الحدثان ـ يعني الخليفة المنصور بن أبي عامر (توفي ٣٩٣ هـ ـ ١٠٠٢ م) ، وكان يقول لأصحابه « أما تنظرون إلى صفرة كفيه ؟ » لكن يستدرك فيقول حينا آخر : « لو كانت به شجّة لقلت إنه هو بلا شك » . ومن عجيب الصدف أن المنصور بعد موت المستنصر بمدة ، شج رأسه ذات يوم شجه « غالب » صاحب مدينة « سالم » وشيخ موالي الفرس بالأندلس[3] .

المعتمد بن عباد (٤٣١ ـ ٤٨٨ هـ / ١٠٤٠ ـ ١٠٩٥ م) :

ومن الملوك الذين حكموا إشبيلية ، المعتمد محمد بن عباد الذي كان منجمه الرسمي أبا بكر الخولاني ، والخولاني هذا ، هو أحد من راسلهم أبو عبد الله محمد بن أحمد بن الحداد الذي قال في رسالة به تدل على اشتغال الخولاني بالنجوم : « لو أنصف الزمان الذي أنت غرة أيامه ، ودرّة نظامه ، لكنت أحق

---

(١) توفي سنة ٤١٠ هـ / ١٠١٨ م ، أسس دولة بني حمود الشيعية التي قامت على انقاض الخلافة الأموية بالأندلس عام ٤٠٧ هـ / ١٠١٦ م . أنهى حكم بني حمود ، بنو عباد أصحاب اشبيلية . انظر : المنجد في اللغة الأعلام ، صفحة ٢٢٥ .

(٢) نفح الطيب ٢ / ٢٧ .

(٣) نفح الطيب ٤ / ٨٨ .

بالنجوم : « لو أنصف الزمان الذي أنت غرة أيامه ، ودرّة نظامه ، لكنت أحق بالسرطان من الزبرقان ، وأولى بالميزان من كيوان ، وأحجى بعلو المراتب من سائر الكواكب ، فما زلت لفلك علمها مركزاً ، ولمذى فهمها محرزاً . . . ولو ميّز الزمان ضياء جوهرك وصفاء عنصرك ، لما عداك من العروج إلى فلك البروج »[1] .

لكن يبدو أن أبا بكر لم يكن موفقاً تماماً في أحكامه ، ولا مصيبا في أقواله ، على الأقل في ما وعد به سيده المعتمد ذات مرة ، إذ يقول المعتمد بن عباد ساخراً منه ، مزرياً عليه خطأه في الأحكام :

أرصدت أم بنجومك الرمد	قد عاد ضداً كل ما تعد
هل في حسابك ما نؤمله	أم قد تصرم عندك الأمد
قد كنت تهمس إذ تخاطبني	وتخط كرهاً أن عصتك يد
فالآن لا عين ولا أثر	أتراك غيب شخصك البلد
وتراك بالعذراء في عرس	أم إذ كذبت سطا بك الأسد
الموت لا يبقي على أحد	والملك لا يبقى له أحد[2]

ابن هود (توفي ٦٣٤ هـ / ١٢٣٧ م) :

ومن ملوك الأندلس المتأخرين الذين بالغوا في القول بأحكام النجوم قولهم بالعلوم الهندسية والفلسفية ، محمد بن يوسف بن هود ، صاحب سرقسطة ، الذي افتخر به الكاتب الشقندي افتخاره بابن طفيل في الطب ،وافتخاره بآخرين في مختلف العلوم ، وذلك في إحدى رسائله التي تبين فضل الأندلس على غيرها من البلدان[3] .

---

(١) ابن بسام : الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ٢ / ٧٠٣ . تحقيق إحسان عباس دار الثقافة بيروت ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م .

(٢) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ٢ / ٥٦ .

(٣) نفح الطيب ٤ / ١٨٢ .

مبحث ثانٍ
الوزراء والولاة والقضاة

أولاً : الوزراء :

ولئن كان الناس على دين ملوكهم ، كما يقال ، فالوزراء أولى باتباع دين ملوكهم في كثير من الأمور التي ليس أقلها الاقتداء بهم في الذوق والمشرب والمأكل والملبس ، وضمن الحدود التي هي رسمت لهم فلا يجوز أن يتعدوها : إنهم يدنون من يدنيه الرؤساء ، ويقلون من يقلونه ، ويؤثرونه ، صدقاً كان ذلك أم كذباً ، سجية أم تصنعا ، وطبعا أم تطبعا ،

ولما كانت هموم الحكم وشؤونه هي هي لدى الحاكم والوزير من حيث التطلع إلى مستقبل سياسي حافل بالدعة والإستقرار والازدهار ، ولما كان كل منهما يتوق إلى معرفة ما ستبديه الأيام ، وما تتكشف عنه الأقدار ، وبما أن ظاهرة التنجيم ، شأنها في ذلك شأن الفأل والزجر والعيافة ، والسحر ، كانت على درجة رفيعة من الشيوع والانتشار ، ولا سيما في تلك العهود الحبلى بالتطورات والقلاقل والثورات ، وبكثرة القيام على الخلفاء ، والأمراء ، وعزل الوزراء . . . فلا عجب والحالة هذه من أن يفتح الوزراء والكتّاب والحجاب أبوابهم أمام هؤلاء الوافدين .

الحسن بن سهل (ت ٢٣٦ هـ / ٨٥١ م) :

ولا عجب أن يكون عدد من الوزراء ، هم أنفسهم ممن اشتغلوا بهذه

الصناعة ، ومنهم الحسن بن سهل الذي نظر في النجوم ، واستخدم من أجل هذه الغاية سهل بن بشر بن حبيب المنجم ، صاحب الشهرة الواسعة في تسخيرات الكواكب ، وصاحب كتاب « المواليد الكبير » وكتاب « المواليد الصغير » وكتاب « الأوقات والاختيارات » وكتاب « الهيئة وعلم الحساب »[1] ، والحارث المنجم صاحب الزيج المشهور[2] .

يحيى البرمكي (ت ٢٣٦ هـ / ٨٥١ م) :

وقبل ذكر الحسن كان لا بد من ذكر يحيى بن خالد البرمكي والفضل بن سهل اللذين استخدما عمر بن فرخان الطبري ، المحقق لحركات النجوم وأحكامها ، وصاحب التحقيق الذي عمله في مولد جعفر بن يحيى ، إذ تبين له أن بين المريخ والقمر درجات يسيرة ضربها في اثني عشر فصح حكمه فيه « ولم يكن المنجمون قبله يلتفتون إلى هذا الباب حتى عمله عمر ، فصح ذلك »[3] .

جعفر بن يحى (توفي ١٨٨ هـ / ٨٠٣ م) :

أما جعفر بن يحيى البرمكي ، وزير هارون الرشيد ، فكان من الذين يرجعون إلى استشارة النجوم في أكثر من مناسبة تقول الرواية إن جعفراً لما عزم على الانتقال إلى قصره الجديد ، جمع المنجمين لاختيار الوقت المناسب ، فاختاروا له وقتاً معيناً من الليل فلما حان الموعد ، ركب جعفر دابته والناس نيام ساكنون . . ولقي في الطريق رجلاً ينشد قائلاً :

يدبر بالنجوم وليس يدري ورب النجم يفعل ما يريد

فأحس جعفر بالخوف والوحشة ، وفرق فرقاً كبيراً ، ثم إنه استدعى إليه الرجل فقال له : أعد ما قلت ، فأعاده ، فقال الوزير : ما أردت بهذا ؟ فقال : والله ، ما أردت بهذا معنى من المعاني ، لكنه شيء عرض لي ، وجرى على لساني »[4] .

---

(١) ابن النديم : الفهرست ٧ / ٣٣٣ ، وانظر أيضاً : القفطي في أخبار العلماء بأخبار الحكماء ، ص ١٣٤ .

(٢) الفهرست ٧ / ٣٣٧ .

(٣) أخبرا العلماء بأخبار الحكماء ، ص ١٦١ .

(٤) ابن طاووس : فرج المهموم ، ص ١٤٨ .

وبالعودة إلى يحيى البرمكي ، أبي جعفر ، فهو الذي دخل عليه موسى بن نصير مرة فوجده مكباً على الاشتغال بالنجوم ، فقال يحيى إنه رأى ، فيما يرى النائم ، رأى نفسه راكبا بغلة ، وهائج يصيح عند الجسر :

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا　　أنيس ولم يسمر بمكة سامر

فأجابه يحيى :

بل نحن كنا أهلها فأبادنا　　صروف الليالي والجدود العواثر

وعندما أفاق يحيى من نومه ، أخذ الطالع فعرف أنه لا بد من زوال مُلك آل برمك ، فما كاد يفرغ من كلامه حتى دخل عليه مسرور الخادم ، ومعه جونة فيها رأس ولده جعفر وهو يقول له : يقول لك أمير المؤمنين : « كيف رأيت نقمة الله في الفاجر؟! »[1] .

ويُقال إن اسماعيل بن صبيح كان يكتب يوماً بين يدي يحيى بن خالد لما دخل عليه ولده جعفر ، فكره يحيى رؤيته ، ولما سأله اسماعيل عن فعله هذا بابنه ، قال يحيى مجيباً : والله لا يكون هلاكنا إلاّ بسببه . ثم إن يحيى كتب رقعة دفعها إلى إسماعيل قائلاً له : « لتكن عندك ، فإذا دخلت سنة ١٨٧ هـ ، ومضى المحرم ، فانظر فيها » .

يقول اسماعيل : فلما كان في صفر الذي أوقع الرشيد بهم فيه ، نظرت في الرقعة فكان في الوقت ، الأمر الذي ذكر[2] .

ابنا سهل : الفضل والحسن (ت ٢٠٢ هـ ٨١٨ م) و (ت ٢٣٦ هـ / ٨٥١ م) :

أما الوزير الفضل بن سهل ، فإنه يعد من أصحاب النجامة ، وكان بارعاً في صناعته لدرجة أنه علم ـ كما قيل ـ اليوم الذي سيقتل فيه . تقول الرواية إن الخليفة المأمون ، على أثر وفاة وزيره الفضل بن سهل الملقب بذي الرياستين ، كان طلب إلى أحد أبنائه أن يحمل إليه ما ترك والده الوزير من متاع نفيس ،

---

(١) فرج المهموم : ص ١٤١ .

(٢) فرج المهموم ، ص ١٤٠ . وهنا إشارة إلى النكبة المشهورة التي تعرف بنكبة البرامكة عام ١٨٨ هـ / ٨٠٣ م .

فحمل إليه في ما حمل ، سلة أحكم إقفالها ، وختمت بخاتم الوزير . ولما أن فتح القفل ، وفض الختم ، إذ بصندوق صغير هو الآخر مختوم ، وفيه درج ، وفي الدرج رقعة كتب عليها بخط الوزير : « بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما قضي الفضل بن سهل على نفسه انه يعيش سبعاً وأربعين سنة ثم يقتل بين ماء ونار »[1] . وبالفعل ، لقي الفضل مصرعه بسرخس في حمام ، إذ قتله غالب ، خادم المأمون بدسيسة منه وذلك سنة ٢٠٢ هـ[2] .

ومما يجب ذكره أن الفضل بن سهل ابان محنة الأمين والمأمون يوم كان هذا الأخير في خراسان خائفاً يترقب ، رفع إسطرلابه ، ونظر في طالع المأمون ثم توجه إليه قائلاً : « ما تنزل هذه المنزلة إلّا خليفة غالبا لأخيك الأمين ، فلا تعجل »[3] . وما زال يسكنه ويثبته حتى ورد عليهم في تلك الساعة رأس علي بن ماهان ، قائد جيش الأمين ، قتله طاهر مثبتا ملك المأمون الذي سرعان ما زال خوفه وظفر بما كان يصبو إليه .

ابن وهب :

ومن الوزراء الذين منحوا المنجمين ثقتهم وأولوهم اهتمامهم ، وأخذوا بأقوالهم وأحكامهم وما استطاعوا إلّا أن يحملوها على محمل الصدق والتأكيد ، نذكر عبيد الله بن سليمان بن وهب[4] ، وزير الخليفة المعتضد الذي خوّفه المنجمون ذات مرة من سنة معينة حددوها له ، فما كان منه إلّا أن احتاط للأمر فسلم أمواله « وأوصى بولديه الحسن وسليمان أثناء شخوصه من واسط فغرق في الطريق »[5] .

ابن مقلة (ت ٣٤٨ هـ ٩٥٠ م) :

ومن الوزراء اللامعين في بلاط بني العباس ، الوزير ابن مقلة ، محمد ،

---

(١) ابن حجلة : سكردان السلطان ، ص ٣٥ . وسرخس مدينة إيرانية قديمة بين مرو ومشهد .
(٢) نفسه ، ص ٣٥ ، وانظر الخبر مفصلاً في : فرج المهموم ، ص ١٣٤ .
(٣) ابن طاووس : فرج المهموم ، ص ١٣٣ .
(٤) استوزر بعد القبض على الوزير إسماعيل بن بلبل ، ثم استوزر من بعده ولد القاسم .
(٥) فرج المهموم ، ص ١٩٣ .

المولود ببغداد، والذي استوزره الخليفة الراضي (٣٢٢ ـ ٣٢٩ هـ / ٩٣٤ ـ ٩٤٠ م) وكان ممن يعتقدون بالنجوم. يُحكى أنه لما عزم على ابتناء دار له تليق بمقامه في مدينة السلام جمع المنجمين ليختاروا له الوقت المناسب لوضع الأساس فكان أن حكموا له به بين المغرب والعشاء. ثم إن البناء قام وأحكم صنعه فكان كما ذكر الرواة داراً عظيمة تحفها البساتين من كل الجهات وتضم الأصناف النادرة العجيبة من الحيوان والطير[١].

إسماعيل بن بلبل:

ولأبي الصقر إسماعيل بن بلبل وزير المعتمد قصة طريفة نوردها للدلالة على أهمية الدور الذي كان يضطلع به المنجم والعائف لدى أصحاب المناصب العالية في دولة العباسيين: فلقد ذكر صاحب نشوار المحاضرة عن إسماعيل إنه قبل تسلمه مقاليد الوزارة كان عرضة لأذى الوزير صاعد بن مخلد (ت ٣٨٠ هـ/ ١٨٩ م)، الذي ما انفك يرهقه ويكيد له، مما اضطر إسماعيل إلى داره وعدم الخروج منها. وكانت امرأته حاملاً، فطلب منجماً ليكون على استعداد لأخذ الطالع ساعة الوضع، ولما أن حضر المنجم، انبرى من بين من كان في المجلس، واحد وهو يقول: «وما تصنع أيدك الله، بالنجوم؟ ها هنا عائف من الأعراب ليس في الدنيا أحذق منه». فأحضر العائف ثم دخل على إسماعيل فقال له هذا: «تدري لأي شيء طلبناك؟ قال: نعم. قال: ما هو؟ فأدار العائف عينيه في الدار ثم قال: تسألني عن حمل. قال إسماعيل: فأي شيء هو؟ أذكر أم أنثى؟ فأدار عينيه ثانية في الدار، فقال: ذكر. وإذ ذاك وقع زنبور على رأس اسماعيل، فيما كان الغلام يذبّ عنه، فضرب الغلام الزنبور، فقتله فقام الأعرابي وقال: قتلت، والله «المزنّر» ووليت مكانه، ولي حق البشارة. ثم جعل العائف يرقص، وإسماعيل يسكنه، إذ ارتفعت الصيحة بخبر الولادة، وكان المولود ذكراً. ومن غريب المصادفة إن إسماعيل بعد أيام معدوات من تلك الحادثة، صار وزيراً للموفق، وأن صاعداً سلم إلى إسماعيل فكان هلاكه على يديه[٢].

---

(١) متز آدم: الحضارة الإسلامية، ص ١٩١.

(٢) التنوخي: نشوار المحاضرة ٢ / ٣١٨.

ناصر العلوي :

ومن الوزراء الذين حكم لهم المنجمون بالوزارة ناصر بن المهدي العلوي الحسني ، وكان ما يزال طالباً للفقه بقم ، ومعه كثير القمي الذي حدث فقال إنه قدم عليهما في مجلس ضم علية القوم ، منجم عالم بالأحكام فأخذ مولد ناصر ، ثم استخرج طالعه فعلم أنه سيكون وزيراً . ثم قال : « صاحب هذا المولد يحكم في الشرق والغرب »[1] .

طالع ابن الجرّاح :

وبشأن الطالع المار ذكره ، فقلما ذكر وزير من الوزراء إلاّ وذكر معه طالع مولده ، وفيه التنبوء بما سوف ينتظر الوزير من خير وشرّ . وعلى سبيل المثال فإن ولادة أبي الحسن علي بن عيسى بن داود بن الجراح (ت ٣٣٤ هـ / ٩٤٦ م) وزير المقتدر والقاهر ، وهو من أهل دير قنى ، هي « يوم الجمعة لثمان خلون من جمادي الأولى سنة خمس وأربعين ومائتين ، والطالع العقرب بد[2] ، والرأس فيه ح د ، والقمر في القوس طلح ، والمشتري راجع في الدلو كايد ، والذنب في الثور د ، والشمس في الأسد يوح ، وزحل فيه بط لا ، وعطارد في السنبلة إيه ، والزهرة فيه كط ، والمريخ في الميزان دلح »[3] .

فانظر إلى هذه العناية في الاحتفاظ بمولد الوزير ، وإلى الدقة في الدلالة على الطالع لحظة ولادته ، ثم انظر إلى هذا الحشد من أسماء الكواكب والبروج وإلى الرأس والذنب لتقف على أية لغة يستخدمها المنجمون .

طالع ابن الفرات (ت ٣١٢ هـ / ٩٢٤ م) :

وينقل صاحب كتاب (الوزراء) طالع مولد الوزير أبي الحسن علي بن موسى الفرات الذي كان أخذه أبو معشر البلخي ، وحكم له فيه بأشياء صحت أحكامها كلها ـ حسبما ذكر الوزير نفسه ـ وكان مما حكم له فيه أنه ، أي الوزير ،

---

(١) ابن طاووس : فرج المهموم ، ص ١٨٧ .

(٢) انظر الفصل الذي تحدثنا فيه من قبل عن طريقة أصحاب النجوم في أخذ الطالع ، وعن كيفية فك رموز هذه الأحرف وما يساويها من أرقام وأعداد .

(٣) الصابىء ، هلال : الوزراء ، ص ٣٠٥ .

سوف ينكب في سنة سبعين من عمره نكبة عظيمة يكون سببها بعض ولده ـ وكان المحسّن ، ابنه ، قد بدأ بمصادرة الناس وقتلهم ـ[1] . يقول أبو علي بن هبنتي القنائي ، المنجم : « كنت قد حصّلت طالع مولد ابن الفرات ، ومولد ابنه المحسن ، فجعلت أنظر فيهما ، وأسيّر الكواكب منهما حتى عرفت من ذلك يوم نكبته . . فما مضت ـ شهد الله ـ خمسة أيام حتى قبض عليه ، وكان تقديري له أنه ينكب في يوم الاثنين ، فنكب في يوم الثلاثاء بعد يوم التقدير »[2] .

وحدث الموكل بابن الفرات عنه في السجن ، قال : « مكث أياماً كاسف البال ، شديد الإشفاق ، حتى إذا كان يوم ضربت فيه عنقه ، جزع جزعاً شديداً . وقال : قد حكم لي أبو معشر في مولدي أنني متى سلمت في هذا اليوم ، انحسرت المحنة عني ، وزالت المخافة علي ، وتجددت لي حال جميلة ، فأنا قلق إلى أن يتصرّم النهار » . . ويتابع الموكل به فيقول : « فما زال ابن الفرات على هذه الصورة حتى سمع الحركة وأصوات الرجال والغلمان ، فقال لي : ما الخبر؟ قلت : الأمير نازوك قد حضر . قال : إنّا لله وإنّا إليه راجعون ، ذهبت ، والله . ولم يكن بأسرع من أن دخل عليه فضُربت عنقه »[3] . ومن غريب ما حدث قبل القبض على ابن الفرات أنه طلع في شهر رمضان من السنة التي قُتل فيها ، كوكب ذو ذؤابة ، ثم طلع آخر مثله في شوال ، في مطلع الهلال ، ثم طلع ثالث في ذي القعدة في مطلع الشمس ولقد أكثر الناس في حينه ، القول في ذلك ، وما سوف يحدث من أحداث ، فكان زوال أمر ابن الفرات الذي خلفه في الوزارة ، أبو محمد بن عبيد الله بن خاقان ، فصادر هذا أموال ابن الفرات ، وضياعه ، وأملاكه ، وإقطاعاته ، وعقاراته ، وغلّاته ، حتى قيل إن مجموع ما قبض عليه بلغ ألف ألف دينار عيناً ، وستمائة ألف دينار ، سوى الأثاث والرّحل والكراع والجمال . . وقيل إنه لم يؤخذ من أحد من الوزراء قبله ولا بعده ، مثل ذلك[4] .

طالع الصاحب بن عباد (٣١٧ ـ ٣٨٦ هـ / ٩٢٨ ـ ٩٩٥ م) :

وأما طالع الوزير إسماعيل بن عباد المعروف بالصاحب ، وهو من طالقان ، والذي وزر لمؤيّد الدولة ولفخر الدولة البويهيين ، فهو كما حدّده في إحدى

(١) كتاب الوزراء ، للصابيء ، ص ١١ وص ١٨٠ .

(٢) و(٣) نفسه ، ص ١٨١ .

(٤) كتاب الوزراء ، للصابيء ،٣ ص ٣٤ ـ ٥ .

رسائله : « وُلدت والشعرى في طالع الجوزاء والسرطان ، ولولا دقيقة لأدركت النبوة »[1] . ولقد سأل أبو حيان الخليليّ عن طالع الصاحب مفصّلاً فأجاب : « حدثني بعض أصحابنا ، منهم الهروي ، أن طالعه الجوزاء والشعرى اليمانية كط ، وكان زحل في الحادي عشر في الحمل ، والقمر فيه يط ، والشمس في السنبلة يج ، والزهرة فيها بي ، والمشتري في الميزان كد ، والمريخ في العقرب نه ، وسهم السعادة في القوس يد ، وسهم الغيب في الجدي يز ، والرأس في الثالث من الأسديا » . ثم عقب قائلاً : « وخفي عليّ عطارد » . وقال غير الخلي معقبر على ذلك فقال : « كان عطارد في السنبلة »[2] .

طالع ابن سينا (٣٧٠ ـ ٤٢٩ هـ / ٩٨٠ ـ ١٠٣٧ م) :

وإذا ما أضفنا شرف الوزارة إلى شرف العلم ، وأخذنا بأقوال المنجمين ، فإن نبوغ أبي علي الحسين بن عبد الله بن سينا ، وهو العالِم والطبيب والفيلسوف والوزير[3] . إنما هو يكمن في كون طالع مولده « السرطان ، ودرجة شرفه المشتري ، والقمر على درجة شرفه ، والشمس على درجة شرفها ، والزهرة على درجة شرفها ، وسهم السعادة في كط من السرطان ، وسهم الغيب في أول السرطان مع سهيل والشعرى اليمانية »[4] . وهذا يعني في لغة المنجمين ، أن صاحب هذا الطالع في الغاية من السعد والتوفيق .

ثانياً : الولاة والقواد والقضاة :

والولاة ، والقواد أمراء الجيوش والقضاة ، وهم المعرّضون لتبدل النعمة وللعزل أو المصادرة ، والوقوع في المكائد ، كانوا أيضاً تواقين إلى استطلاع الغيب ، ومعرفة ما تسفر عنه الأيام . فكم من قاضٍ جاءه الأمر بالعزل ، وهو في قمة العطاء والدرجة الرفيعة من القضاء .

---

(١) ياقوت : معجم الأدباء ٦ / ٢٣٣ .

(٢) يمكن الرجوع إلى الفصل المتضمن تفسيراً لهذه الرموز .

(٣) تقلد ابن سينا الوزارة لشمس الدولة أبي طاهر بن فخر الدولة البويهي ، حاكم همدان وكرمنشاه .

انظر : مجلة التراث العربي ، العددان ٥ ـ ٦ ، السنة الثانية ، ص ٢٧٦ .

(٤) البيهقي : تاريخ حكماء الإسلام ، ص ٥٢ .

الولاة والقواد :

ابن رستم :

ومن الولاة الذين اشتغلو بالنجامة أو استعانوا بها من أجل التعرف على مستقبلهم السياسي ، نذكر ابن رستم الذي كان والياً على اصبهان ، والذي قيل إنه أخذ طالعاً في دخول أبي مسلم محمد بن بحر الأصفهاني الكاتب ، المعين والياً بدلاً منه ، فكان طالعاً غير جيد . . ولما قيل لأبي مسلم ذلك وهو في الطريق إلى أصبهان ، قال هازئاً : « إن كان أخذ طالعي ، فقد أخذت غاربه »[1] .

البريدي :

ومنهم أبو يوسف يعقوب بن محمد البريدي أحد الأخوة البريديين الثلاثة الذين شاع ذكرهم في البلاد ، أبو يوسف هذا استخدم غلام زحل المنجم المعروف منجماً له ، وفي اليوم الذي عزم فيه على الركوب إلى الأبلة ليسلم فيه على أخيه أبي عبد الله الوالي على الأهواز من قِبل الوزير ابن مقلة ، وكان بين الأخوين مشاحة ، قال له غلام زحل ، « أيها الأستاذ ، لا تركب ، فإن هذا اليوم يوجب تحويلك عليك قطعاً بالحديد » ، والقطع بلغة المنجمين هو التعرض لنكبة ما . . إلا أن أبا يوسف رفض قول المنجم ، الذي بادر إلى إخراج ما في داره من متاع وأثاث لعلمه الأكيد بأن دار الوالي ستنهب بعد ساعة من الزمان . وركب الوالي الطيارة في النهر ، ثم مضى في طريقة إلى أخيه أبي عبد الله الذي كان عاجله فأقام غلماناً له في مخترقٍ مسقوف بين دارته بالأبلة وبين الشطر ، فوثب هؤلاء على أبي يوسف بالسكاكين ، ثم انهالوا عليه ضرباً ، وهو يصيح : « أخي ، قتلوني ، وأبو عبد الله يقول : إلى لعنة الله »[2] .

غلام أبي نافع :

ومنهم الحسن بن زيد المنجم ، والمعروف بغلام أبي نافع ، وكان عاملاً لمعز الدولة على الأهواز ، وعلى قطعة واسعة من كورها : فلقد اشتغل هذا العامل

---

(١) التنوخي : نشوار المحاضرة ٨ / ١٩٠ .
(٢) نفسه ٧ / ٢٠٥ - ٢٠٦ . وانظر أيضاً : مسكويه : تجارب الأمم ٢ / ٥١ - ٥٤ .

بالتنجيم وحظي لدى المعز بمكانة مرموقة ، « وكان محله عنده محل أحد وزرائه »[1] .

ابنا طاهر :

ومنهم أيضاً عبد الله بن محمد بن عبد الله بن طاهر ، وأخوه عبيد الله ، وكانا على جانب من العلم بأحكام النجوم . يروى عن الأول أنه قال ذات ليلة : « مولدي السرطان وطالع السنة السرطان ، والقمر يكسف الليلة في السرطان ، وهي الساعة الأخيرة ، فإن نجوت الليلة فسأبقى إلى سنين ، وإن كانت الأخرى فإني ميت لا محالة » . . ثم إنه دعا غلاماً له ، وكان قد علّمه النجوم ، فأصعده قبة له ، وأعطاه بنادق وإسطرلابا ، ثم قال له : «خذ الطالع ، فكلما مضى من انخساف القمر دقيقة فارمِ بندقة » . . فلما انكسف من القمر ثلثه قال الأمير لأصحابه : « ما تقولون في رجل قاعد معكم ، وقد ذهب ثلث عمره ؟ قالوا : بل يطيل الله عمرك أيها الأمير» . فلما انكسف ثلثا القمر ، عمد إلى جواريه فأعتق منهن أحبهن إليه ، ثم عمد إلى ضياعه فوقف منها ما وقف ، وقال لأصحابه : ما تقولون في رجل بينكم يقضي ويمضي ، وقد ذهب من عمره ثلثاه ؟ فقالوا : أطال الله عمر الأمير . فلما انقضى من الثلث الثالث دقيقتان ، قال لهم : إذا استغرق القمر فامضوا إلى أخي عبيد الله . ثم إنه قام فاغتسل ولبس أكفانه ، وتحنط ، ودخل إلى بيت الله رادا عليه بابه ، ثم اضطجع فلما استغرق القمر ، في الانكساف ، فاضت نفسه . . . ولما دخلوا عليه ، إذا هو ميت ، فانطلقوا إلى أخيه عبيد الله ليعلموه بالأمر ، فإذا هذا قد سبقهم وهو يقول : مات أخي ؟ قالوا : نعم . فقال لهم : ما زلتُ آخذ الطالع حتى استغرق القمر في الخسوف فعلمت أنه قد قُبض ، ثم إنه دخل ، فانكب على أخيه باكياً ، ثم خرج وهو يقول :

هدّ ركن الخلافة الموطود ... زال عنها السرادق الممدود
كسف البدر والأمير جميعاً ... فانجلى البدر والأمير عميد
عاود البدر نوره فتجلى ... غير نور الأمير ليس يعود[2]

---

(١) نشوار المحاضرة ٧ / ٢١٠ .

(٢) ابن طاووس : فرج المهموم ، ص ١٧١ ـ ١٧٢ .

عبد السلام الكيلاني :

ومن الولاة الأدباء زمن الدولة الأيوبية ، عبد السلام بن عبد الوهاب بن عبد القادر الكيلاني أو الجيلاني ، الملقب بالركن ، كان حنبلي المذهب ، إلا أنه كان يتعاطى العلوم العقلية والمنطق والفلسفة والتنجيم ، وغير ذلك من « العلوم الردية » حسب تعبير ابن طاووس[1] .

أبو مسلم الخراساني (ت ١٣٧ هـ / ٧٥٥ م) :

ومن القواد الذين كانوا يستأنسون بحكم المنجم قبل السير إلى قتال الأعداء ، القائد العباسيّ ، أبو مسلم الخراساني الذي حكم له المنجمون بأنه سيقتل في بلاد الروم ، فكان مقتله في رومية المدائن[2] .

ابن ماهان :

ومنهم أيضاً علي بن عيسى بن ماهان الذي كان في طريقه إلى خراسان لمحاربة المأمون ، من قبل أخيه الأمين ، فلقيه أحد المنجمين فنهاه عن ذلك ، فأبى إلّا متابعة السير ، فهُزم شر هزيمة ، ونهب عسكره ، وصدقت نبوءة المنجم[3] .

ب ـ القضاة :

أبو القاسم التنوخي (ت ٣٤٢ هـ / ٩٥٣ م) :

كان أبو القاسم علي بن محمد التنوخي ، المولود بأنطاكية ، والقاضي في الأهواز ، عالماً بالنجوم ، وكان له عناية باستخراج الطالع في كل مرة كان يعزم فيها القيام بسفر طويل . ولقد حدّث هذا القاضي ولده المحّسن بقصته لما نفذ من واسط وهو يحمل رسالة من أبي عبد الله البريدي إلى الوزير ابن مقلة ، وكيف أنه كان خوّف من لص مشهور يُعرف بالكرخي ويقطع الطريق على المارة باتجاه الأهواز ، وكان أبو القاسم قد استخرج من قبل ، بموجب تحويل مولده للسنة التي سار فيها ، طالعاً لا يوجب قطعاً ، أي هلاكاً ، لكن الكرخي تعرض لأبي

---

(١) ابن طاووس : فرج المهموم ، ص ١٧١ ـ ١٧٢ .

(٢) نفسه ، ص ١٩٤ .

(٣) نفسه ، ص ١٩٢ .

القاسم ، ومعه غلمانه فكادوا يهلكون لو لم يبادر اللص إلى تقبيل يدي القاضي ، وهو يعتذر عما صدر عنه معرفاً بنفسه أنه هو الذي كان تربى في دار أبي القاضي ، وهو صغير . وهكذا صحّ طالع القاضي فلم يتعرض للقطع ، وأُعيد إليه متاعة وغلمانه[1] .

أبو علي التنوخي (ت ٣٨٤ هـ / ٩٩٣ م) :

ومن القضاة الذين وثقوا الصلة بالمنجمين ، وعكفوا على النظر في تحويل سني مولدهم ، صاحب كتاب « نشوار المحاضرة » أبو علي المحَسن بن أبي القاسم ، القاضي السالف الذكر . ولقد كان المحسن يفضل تسليم تحويل سني مولده ، ومولد أبيه إلى أبي القاسم عبيد الله بن الحسن ، المنجم ، المعروف بغلام زحل ، وذلك للنظر في ما تقوله النجوم ، هذا فضلاً عما كان يقوم به بنفسه أحياناً ، وذلك في كل مرة « لا يقطعه قاطع من عمله بيده »[2] .

هبة الله بن أحمد :

ومن القضاة الذين عنوا باستخراج الطالع ، أبو الفضل هبة الله بن أحمد ، قاضي حلب أيام المقتدي بالله (ت ٤٨٧ هـ / ١٠٩٤ م) . لقد حكم المنجمون لهذا القاضي بالموت على صدور الرجال . وفيما كان على فرسه ، ومعه جماعة ، قال لأصحابه : أمسكوني ، وما لبث أن مات على صدورهم[3] .

ابن سهلان :

ومن القضاة الذين كان لهم شغف بأخذ الطالع وعمل الزايرجات ، في القرن السادس الهجري ، زين الدين عمر بن سهلان الساوي الذي يقول : « طالعي الميزان ، وكان يوماً من الأيام قران الرأس والزهرة على درجة طالعي ، فقلت : أفوز في هذا اليوم بحظٍ جسيم »[4] . حسبما جاء في « تاريخ حكماء الإسلام » لظهير الدين البيهقي المولود في بيهق من أعمال نيسابور عام

---

(١) ياقوت : معجم الأدباء ١٤ / ١٨٩ .

(٢) التنوخي : نشوار المحاضرة ٧ / ٢٠٤ .

(٣) المصدر السابق ، ١٦ / ٢٧ - ٢٨ .

(٤) البيهقي : تاريخ حكماء الإسلام ، ص ١٣٢ .

٤٩٩ هـ / ٢٠٠٥ م .

قاضي لوشة :

ويحدثنا صاحب نفح الطيب عن أحد قضاة لوشة بالأندلس ، أنه كان يستشير زوجته التي فاقت العلماء في معرفة الأحكام . وذلك في كل أمر يصعب عليه في مجلس قضائه ، فتُشير عليه بما يحكم به[١] .

الربغي :

من القضاة فخر الدين « الربغي » الذي اختاره السلطان قاضياً على الإسكندرية مما أثار حفيظة أعيان المدينة وفقهائها فحاولوا أن يظهروا للسلطان أن الناس لا يرتضونه قاضياً عليهم ، لكن ثائرة الثائرين لم تهدأ إلاّ بعد أن « انبرى أحد حذاق المنجمين ليقول : « لا تفعلوا ذلك فإني عدّلت طالع ولايته ، وحققته فظهر لي أنه يحكم أربعين سنة » . وقد صح قول المنجم ، فبقي القاضي في منصبه أربعين عاماً بالتمام والكمال[٢] .

---

(١) المقري : نفح الطيب ٦ / ٣٠ .
(٢) ابن بطوطة : الرحلة ، ص ٢٣ ـ ٢٤ .


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الفصل الثاني

اهتمام العامة

ـ مبحث أول : أخطاء المنجمين .
ـ مبحث ثانٍ : إصابات المنجمين .


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

تمهيد

اهتمام العامة

لئن كان التعرف على اهتمام الخاصة بالتنجيم أمر ميسوراً بسبب استئثار هؤلاء بجلّ اهتمامات التاريخ والمؤرخين ، فليس الأمر ، للأسف ، بهذا القدر من اليسر في ما يخص الآخرين ممن ليسوا هم في موقع الحكم والمسؤولية ، ولا ممن هم في الدرجات الأولى من درجات السلم الاجتماعي .

وانطلاقاً من هذا ، فلئن تعذر علينا الاهتداء إلى كثير من التفاصيل الدقيقة الدالة على اهتمامات العامة بشؤون النجامة والمنجمين ، متمثلة في أخذ طالع المولود ، أو في اختيار وقت ملائم لبناء دار ، أو قيام بسفر ، أو أي عمل من الأعمال . . أقول لئن تعذر علينا ذلك تماما ، فليس أدل على تلك التفاصيل ، من كتب التنجيم ورسائله التي هي إن دلت على شيء ، فإنما تدل بالبداهة ، على أنها ما وُضعت إلّا لتعكس جانباً مهماً من جوانب اهتمامات الناس بمباحث هذا الموضوع ، ولتشير إلى توق هؤلاء إلى معرفة الغيب ، والاطلاع على ما في المستقبل مما قد تدل عليه الكواكب وهي تسير من حال إلى حال ، فتقترن تارة ، وتفترق أخرى ، وتحل في هذا البرج حينا ، وفي ذاك حيناً آخر ، مما قد يهتدى إليه في مظانه من كتب النجوم[1] .

---

(١) ارجع إلى الفصل المتعلق بالدلالة التنجيمية من هذا البحث ، وإلى الفصل الآخر المتعلق بمؤلفات التنجيم .

وليس أدل على اهتمام العامة بأقوال المنجمين والعرّافين من شعر أبي العلاء المعري الذي يصور أدق تصوير تردد الناس على أبواب المنجمين للسؤال عن مريض أو غائب أو مسافر، وعن مستقبل مولود، والذي يتضح لنا أن أكثر المهتمين بهذا الموضوع كنّ من النسوة اللاتي يحذرهن الشاعر الركون إلى المنجمين والإنجذاب إلى زخرف أقوالهم. وهل عمل النسوة هذا إلا الجهل نفسه، والضلال بعينه؟ يقول أبو العلاء ناصحاً ومحذراً :

فحمل مغازل النسوان أولى ... بهنّ من اليراع مقلّمات
وإن جئن المنجم سائلات ... فلسن عن الضلال بمنجمات[1]

وفي هذا دعوة صريحة إلى وجوب تعلم المرأة الغزل والحياكة فهما أليق بها حتى من تعلم القراءة والكتابة.

بل إن الشاعر ليحرض الرجال على ضرب النساء وتأديبهنّ إذا هنّ ترددن على جماعة المنجمين والعرافين الذين هم كالذئاب، بل هم أشد خبثاً ودهاء وافتراساً. يقول أبو العلاء محذراً ومنبهاً :

إذا ابتكرت إلى العراف فاعرف ... مكان عصا تصكّ بها قراها
وساورها إذا أبدت سواراً ... وبارئها متى كشفت براها
وحذّرها المنجم فهو ذئبٌ ... تشوّقه الضوائن أن يراها
فإن هي لم تجبه إلى قبيحٍ ... تحلّبها المنافع وامتراها
يقول لها زخارف معرياتٌ ... فراها الأولون أو افتراها[2]

وهل ثمة أغبى من تلك الأم التي تحمل رضيعها إلى المنجم لتطمئن إلى عمره المديد، ودوام صحته وشبابه؟ يقول أبو العلاء ساخراً ومتعجباً :

سألت منجّمها عن الطفل الذي ... في المهد كم هو عائش من دهره
فأجابها مائة ليأخذ درهما ... وأتى الحمام وليدها في شهره
والعمر إن لم تهده شمس الضحى ... لم يهده جنح الظلام بزهره[3]

---

(١) المعري، أبو العلاء : اللزوميات ١٠ / ٢٣٦ . دار صادر . بيروت ١٣٨١ هـ / ١٩٦١ م.

(٢) نفسه ٢ / ٦٢١ .

(٣) نفسه ١ / ٥٧٠ .

وما أحمق تلك التي غاب عنها زوجها ، فذهبت إلى المنجم ، وقد يكون ضريراً ، لتسأله عن زوجها ، فيبادر إلى القيام بأعمالٍ لا يرضاها الله من إحضار جنّ ، ومن تعزيم وتقسيم ، وهو حامل إسطرلابه الذي يديره فينظر من خلاله إلى مواقع النجوم . . يقول أبو العلاء متحسراً وناقماً :

لو كان لي أمر يطاوع لم يشن ... ظهر الطريق يد الحياة منجّم
أعمى بخيل أو بصير فاجر ... نوء الضلال به مربّ منجم[1]
يغدو بزخرفه يحاول مكسباً ... فيدير أسطرلابه ويرجّم
وقفت به الورهاء وهي كأنها ... عند الوقوف على عرين تهجم[2]
سألته عن زوج لها متغيب ... فاهتاج يكتب بالرّقان ويعجم[3]
ويقول ما اسمكِ واسم أملكِ انني ... بالظن عما في العيوب مترجم
يولي بأن الجن تطرق بيته ... وله يدين فصيحها والأعجم
والمرء يكدح في البلاد وعرسه ... في المصر تأكل من طعام يوجم[4]
أفما يكرّ على معيشته الفتى ... إلّا بما نبذت إليه الأنجم
رجم التنائف بالركاب أعزّ من ... كسب يحق لربه لو يرجم[5]
آه لأسرار الفؤاد غواليا ... في الصدر أستر دونها وأجمجم[6]
عجباً لكاذب معشر لا ينثني ... غب العقوبة وهو أخرس أضجم[7]

وأنت إن سألت عن النسوة اللائي غرّر المنجم بهن ، لوجدتهنّ كل ضعيفة العقل والإرادة ، أو رقيقة الإحساس رائعة الجمال :

حيل تمنّ على الأنام فأدمع العقلاء همّل

---

(١) المرب : من أربت السحابة ، إذا لم تقلع ، والمنجم : السريع المطر . والنوْ : المطر المتأتي عن النجوم .
(٢) الورهاء : الحمقاء . والعرين : اللجم . وهنا يبين أبو العلاء شدة اقبال النساء الجاهلات على المنجمين .
(٣) الرقان : الحنّاء والزعفران . وعجم : ينقط الحروف .
(٤) يوجم : يكره . عرس المرء : زوجته .
(٥) التنائف : القفار ، جمع تنوفة . والرجم : شدة المطر ، والركاب : الأبل .
(٦) جمجم وتجمجم الكلام : لم يبينه . وجمجم عن الأمر : لم يقدم عليه .
(٧) اللزوميات ٤٠٣ ـ ٤٠٤ والأضجم : المعوج الفم . وغب الشيء : عاقبته .

كم غرّ صاحبة الجهال منجم بحساب جمّل[1]

وأنت لو سألت عن هؤلاء المنجمين لما وجدت فيهم إلا كل مضلّل جاهل ، أو أعمى ضرير . يقول أبو العلاء متحدثاً عن المرأة التي سعت لتستعلم المنجم الضرير :

لقد بكرت في خفها وإزارها	لتسأل بالأمر الضرير المنجّما
وما عنده علم فيخبرها به	ولا هو من أهل الحجى فيرجّما
يقول غداً أو بعده وقع ديمة	يكون غياثاً أن تجود وتسجما
ويوهم جهال المحلة أنه	يظل لأسرار الغيوب مترجما
ولو سألوه بالذي فوق صدره	لجاء بمين أو أرمّ وجمجما
كأن سحاباً عمهم بضلالة	فليس إلى يوم القيامة منجما
إذا قال أهل اللب حان انسفاره	تداركه غيم سواه فأنجما
فإن كنت قد وفّقت فانج بوحدة	وخلّ البرايا من فصيح وأعجما[2]

وأخيراً فإن حملة أبي العلاء على المنجمين تبلغ ذروتها في حثه السلطان وذوي الأمر على أن يعملوا جميعاً على محاربة هؤلاء الدجالين والأدعياء ، ومنعهم من عرض بضاعتهم المضلّلة على الأنام ، وذلك لأن المنجم في عرف الشاعر ، سارقٌ يستحق العقوبة ، وقاطع طريق يستأهل النفي من البلاد وقطع اليد أو الرجم . فها هو ذا يقول تارة :

قطع الطريق بجهمه ونظيره في المصر فعل منجّم ومعزّم[3]

على أن ثمة أحداثاً أخرى كباراً استأثرت باهتمام الخاصة والعامة ، وكان لها أبلغ الأثر في توجيه ضمير الجماعة ، وإثارة العواطف على أكثر من صعيد ، وإنها لتفوق بكثير أهمية تلك الأمور المتعلقة بطالع مولود أو استخراج ضمير ، عنيت بها تلك النبوءات التي كان يطلع بها على الناس بين الحين والآخر ، طائفة من المنجمين ، فتصدق تارة وتكذب أخرى ، ولما كانت هذه من الكثرة بمكان ، ولما

(١) اللزوميات ٢ / ٣٧٠ . الأنام : الناس . وهمل : سائلة . وحساب الجمل : هو حساب الحروف الهجائية المجموعة في (أبجد) .

(٢) اللزوميات ٢ / ٤٢٤ .

(٣) اللزوميات ٢ / ٤٦٥ .

كان الخطأ في هذه المسائل ، كما يذهب الجاحظ أكثر من الصواب[1] ، فإننا نستهل حديثنا بتلك التي ثبت خطؤها وبطلانها ، وظهر كذبها في مبحثٍ أول ، على أن نتحدث في مبحثٍ آخر عن طائفة أخرى من المسائل والأخبار التي قيل إنها حصلت ، وثبت صوابها .



(١) الجاحظ : الرسائل الكلامية ، ص ١٤٨ ـ ١٤٩ . شرح علي أبو ملحم . دار ومكتبة الهلال ، بيروت ١٩٨٦ م .

مبحث أول
أخطاء المنجمين

كنا أشرنا في تضاعيف هذا البحث إلى القول بانتهاء ملة الإسلام ، وانتقال مقاليد السلطة من العرب إلى غير العرب ، وهذا ما تجده مبثوثاً في الكتب التي يتحدث فيها أصحابها عما يُعرف بالملاحم والفتن ، وما يُسمى بالحدثان ، وبالأدوار والأكوار . ومن الطبيعي أن تبرز إلى حيز الوجود قضية « المهدي المنتظر »[1] فتُستغل من قبل المنجمين ، والقائلين بالأدوار الزمنية والقرانات الشمسية والقمرية والنجومية ، مثلما تستغل أيضاً من قبل رجال الحكم والسياسة ، ومن قبل الدعاة والثائرين والمصلحين على مرّ الأعوام .

ونحن لو رجعنا بالذاكرة قليلاً إلى الوراء لما أخذتنا الدهشة حينما نعلم أن ثمة دعوات في الإمامة والنبوة ، بل الألوهية ، برزت إلى الوجود منذ اليوم الذي أديل فيه من أبي مسلم الخراساني ، فظهر على ما ذكر البيروني ، وسواه من المؤرخين في رستاق بنيسابور رجل اسمه فريد بن ماه فروذين ، مدعياً أن الله أوحى إليه ، ثم ظهر من بعده المقنع الخراساني ، واسمه هاشم بن حكيم

---

(١) القول بخروج المهدي في آخر الزمان ، قول يخضع لمسلمة عقائدية إسلامية ، تخرج عن نطاق ما يزعمه المنجمون ، وذلك وفاقاً لما جاءت به الأحاديث المنسوبة إلى النبي « ص » ولقد أجمعت فرق المسلمين كافة على ظهوره وعلى خروج عيسى بن مريم «ع» ، لكن الخلاف الجوهري فيما بين بعضهم البعض ، قول فريق بولادته في آخر الزمان ، وقول فريق آخر بأنه ولد فعلاً ، ثم غاب عن الأنظار مستتراً حتى يأذن الله له بالخروج .

(١٦٣ هـ / ٧٨٠م مدعيا الحلول ، وظهر من بعده الحسين بن منصور الحلاج . . وغيرهم كثيرون[١] .

ولو رجعنا بالذاكرة إلى الوراء بقليل لعلمنا أن دعوة العباسيين ، ذاتها ما كان لها أن تنجح وتقوم ، لو لم يروّج بها الدعاة من العرب وغير العرب ، عن طريق الدعوة إلى القائم أو الرضي من آل طاهر سليمان بن الحسن القرمطي ، وفيها يحدد زمان ظهوره في « المثلثة » النارية من الكواكب ، والأبيات تقول :

أغرّكم مني رجوعي إلى هجر ... فعما قليل سوف يأتيكم الخبر
إذا طلع المريخ من أرض بابل ... وفارقه النجمان فالحذر الحذر
ألست أنا المذكور في الكتب كلها ... ألست أنا المنعوت في سورة الزمر
سأملك أهل الأرض شرقاً ومغرباً ... إلى قيروان الروم والترك والخزر
وأعمر حتى يأتي عيسى بن مريم ... فيحمد آثاري ويرضى بما أمر
ففي جنة الفردوس لا شك مربعي ... وغيري سيصلى في الجحيم وفي سقر[٢]

وظهر في الوقت المعلوم من تقمّص شخص عيسى بن مريم ، لكن لم يظهر المهدي . أما من تقمّص عيسى فكان ابن أبي الغراقر بن شلمقان الذي ادّعى أن روح القدس حلت فيه[٣] .

وحديث المهدي يجرّنا إلى حديث « الدجال » الذي لا بد من ظهوره قبل ظهور المهدي ، كما جاء في الأثر . فلقد ادعى رجل من أصبهان أنه الدجال المذكور في الكتب . وكان المنجمون قد حددوا يوم ظهوره من جزيرة طائل عام ٤٦٦ من أعوام يزدجرد بن شهريار[٤] .

ولا بد من الإشارة بهذا الصدد إلى وجود بعض الأفكار ، أو الحركات الدينية القديمة التي ساعدت على ظهور مثل تلك الدعوات ، ومنها الديصانية التي قيل إن أنصارها كانوا ينادون بعودة النفوذ الفارسي ، وبغلبة العنصر المجوسي .

وممن أبلوا بلاء حسنا في هذا المضمار ، محمد بن الحسين الملقب بزيدان ،

---

(١) البيروني : الآثار الباقية ، ص ٢١٠ .
(٢) نفسه ، ص ٢١٤ .
(٣) الآثار الباقية ، ص ٢١٤ .
(٤) نفسه ، ص ٢١٢ .

وهو من الكرج، وكان واحداً من حذاق المنجمين ، ومن الذين تأثروا بأفكار عبد الله بن ميمون القداح الديصاني ، إذ زعم زيدان أن دولة الإسلام لا بد من أن تنتقل إلى الفرس ، وذلك في القرن الثامن لانتقال « المثلثة » من برج العقرب الدال على الملة ، إلى برج القوس الذي يدل على ديانة الفرس والمجوس . ولقد نسب إليه القول أيضاً ، وهو يعقب على ذلك : « وإني لأرجو أن أكون أنا سبب ذلك »[1] : وبالطبع فإن نبوءة زيدان لم تصح ، ومضى القرن الثامن (مدة القران ستون عاماً ، وهو القران الأوسط للكوكبين العلويين زحل والمشتري) ثم تبع هذا القران قرانات أخرى ، والمجوسية لما ترجع ثانية بعد .

كان هذا في المشرق ، أما في مصر والمغرب العربي ، فقد خاض المنجمون والمرجفون في حلبة هذا الصراع ، فتكلم بعضهم في الحدثان ، ومن هؤلاء المنجم الخارجي الذي زعم لنفسه أنه سيملك الأرض ، فخرج إلى صعيد مصر عام ٣٩٨ هـ / ١٠٠٧ م .. وذلك في أيام حكم العزيز بالله (ت ٣٨٦ هـ / ٩٦٩ م) ، مدعيا أنه المهدي المنتظر جامعاً ثلاثمائة وثلاثين شخصاً من الأتباع والأنصار ، لكن سرعان ما افتضح أمره فألقى القبض عليه ، ثم أودع السجن فدقّت عنقه[2] .

وانطلاقاً من حديث مصر ، فإن ثمة منجماً آخر من فارس اسمه الحسن بن الخصيب ، صاحب كتاب في أحكام النجوم سماه « الكارمهتر » اختبرت أحكامه فلم يصح منها شيء ، ومن ذلك أنه إذا نزل زحل في دقائق معلومة من أول درجة من درجات الجوزاء ، كان ذلك إيذانا بهلاك ملك مصر وزوال ملكه وما صح ذلك ، حسبما ذكر صاحب كتاب « أخبار العلماء بأخبار الحكماء »[3] .

هذا في ما يتعلق بأعمار الدول والملل والنحل . أما بشأن التعلق بأعمار البشر ، فكم من عالم بالنجوم خانه « زيجه » و« إسطرلابه » ، وكم من مدع لهذا العلم ظهر فساد رأيه ، وبان خطأ زعمه . وإن لنا في التذكير بحادثة الواثق ما فيه الكفاية للدلالة على مثل هذه الأقوال الخاطئة والمزاعم الواهية : فلقد أحضر الواثق يوماً إليه عدداً من المنجمين ، ومنهم الحسن بن سهل بن نوبخت ، وذلك

---

(١) ابن النديم : الفهرست ٥ / ٢٤٠ .
(٢) القفطي : أخبار العلماء ، ص ٢١٧ .
(٣) نفسه ، ص ١١٤ .

للنظر في مولده ومعرفة ما سيؤول إليه حاله ، وهو الذي كان يعاني من وطأة المرض ما يعاني فحكم المنجمون له جميعاً بالبرء من مرضه ، وباستئناف حياة جديدة قد تمتد إلى خمسين عاماً بدءاً من يوم توعكه وانتكاسته . . لكن الخليفة العباسي كان أسرع في تلبية نداء ربه فمات بعد عشرة أيام فقط من ذلك التاريخ الذي حدده المنجمون[1] ولنا في التذكير بحادثة الوزير ابن مقلة ، وفشل المنجمين في اختيار طالعه الذي شجع على لقائه الخليفة الراضي الذي بادر إلى قطع يد وزيره اليمنى ، ما فيه الكفاية أيضاً للدلالة على مثل هاتيك الأخطاء ، وفساد أقوالهم ومزاعمهم التي يزعمون[2] . .

وكم من مرة أرجف المنجمون فخوّفوا الناس من دهياء مظلمة ومن غرق أكثر من إقليم ، فبات الناس على قلق ينتظرون ، وهم يخشون سوء العاقبة والمصير ، حتى إذا ما أزف الوقت المحدد واقترب الوعد الموعود ، تمخّض الحكم عن حدث سخيف ليس من الأهمية بمكان ، لا بل ربما كان الحدث نقيضاً لما حذر منه مدّعو الإطلاع على أحكام النجوم . ولن نسترسل في ذكر مثل هذه المزاعم والأراجيف ، إذ يكفينا منها ما حكم به المنجمون عام ٢٨٤ هـ / ٨٩٧ م ، تبعاً لاختلاف الرواية ، من غرق أكثر الأقاليم ما عدا أقليم بابل في العراق . وقد تطلع الناس بوجل إلى اليوم الموعود ، حتى إذا مضى العام المذكور بأكمله ، ولم يحصل فيه شيء ، تنفست الناس الصعداء ، وحمدت ربها على محو ما أثبتته كتب المنجمين . لا ، بل إن الناس ، وهذا من عجيب المفارقات ، أُصيبت بالقحط ، ذلك العام ، فكان ، قحطاً لم يُعرف له نظير منذ زمنٍ بعيد ، فغارت مياه الأنهار حتى اضطر الناس في بغداد إلى استسقاء المطر عدة مرات[3] .

---

(١) ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ، ص ١٤١ .

(٢) متز ، آدم : الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ، ص ١٩٢ .

(٣) انظر مثلاً : تاريخ الطبري ١٢ / ٣٦٢ . وانظر الخبر أيضاً في : تاريخ مختصر الدول ، لابن العبري ، ص ١٥١ ، أو انظر : أبو الفدا : المختصر في أخبار البشر ٢ / ٥٨ . ط ١ ، ط ١ ، المطبعة الحسينية بمصر .

مبحث ثانٍ
إصابات المنجمين

على أن من الإنصاف ، وقد أطلقنا العنان للحديث عن أخطاء المنجمين ، أن ننوه في المقابل ، بإصاباتهم التي لهجت بها ألسنة الناس حيناً من الدهر ، وحفلت بذكرها كتب الرواية وأكدتها التواريخ ، حتى إنها - أي هذه الإصابات - طمست ، أو كادت أن تطمس تماماً إزاء ما عرف عن المنجمين من أخطاء ، لا لشيء ، إلاّ انسجاماً مع قول أبي حيان التوحيدي الذي تعرض لهذه الناحية فقال إن الناس مولعون في باب النجوم خاصة ، برواية ما أصيب فيه ، وإخفاء ما وقع الخطأ فيه[1] . أما السر الذي يكمن وراء حصول مثل هذه الإصابات ، فليس هنا محله ، إذ كنا عرضنا لهذا الأمر في موضع آخر من هذه الرسالة ، وإليك عدداً من هذه الإصابات ، نوردها على سبيل المثال ، لا الحصر : لن نعيد على مسامعك حديث إصابة نوبخت في حكمه القائل بتولي المنصور لمقاليد الخلافة ، ولا إصابة حكم الحارث المنجم في هلاك إبراهيم ومحمد ابني عبد الله بن الحسن ، اللذين خرجا زمن المنصور في مدينة الرسول ، ولا تلك التي حكم فيها المنجمون ، بهلاك الرشيد بسناباذ ، ولا إصابة ما شاء الله المنجم في حكمه بموت المهدي من قبل ، وهو في الطريق إلى حج بيت الله الحرام ، ولا تلك التي للمنجم الهندي ، في حكمه للمأمون بأن ظفره سوف يكون على يدي طاهر بن الحسين ،

---

(١) التوحيدي ، أبو حيان : البصائر والذخائر ، ص ١٤٨ .

ولا إصابة المنجم الذي حكم للمعتصم بتولي الخلافة ، ونص على ميزات قضاته ووزرائه على وجه التحديد ، وإصابة علي بن يحيى المنجم الذي توقع موت المتوكل في أيام معدودات ، وأبي معشر القائل بتولي المعتز للخلافة ، وإسحاق بن حنين الذي استخرج طالع المكتفي بالله فدل على تولي المقتدر لها من بعد أخيه ، وابن عيسون الذي قضى للمستظهر بحدوث طوفان عام ٤٨٩ هـ / ١٠٩٥ م ، ولن نفصل الحديث في إصابة المنجم الذي حكم للقاسم بن عبيد الله بتولي الوزارة ، ولا في تلك التي للوزير ابن سهل نفسه ، وتوصله إلى معرفة يوم وفاته بالتحديد ؟ ولا تلك التي لأبي معشر ، وتمكنه من معرفة نكبة الوزير ابن الفرات ، ولا تلك التي لعبد الله بن طاهر في حكمه بموته في يوم معلوم ، ولا تلك التي كانت لغلام زحل في حكمه بموت أبي يوسف البريدي العامل على الأهواز من قبل الوزير ابن مقلة ، ولا تلك التي كانت لبعض المنجمين الذين حكموا بموت القاضي ابن أحمد وهو على صدور الرجال ، ولا تلك التي كانت لصاحب الزيج الحاكمي ومعرفته بيوم وفاته آونة حدوث الطوفان بداره . .

لن نُعيد حديث هذه الإصابات مجتمعة ، إذ يكفي التذكير بها ، لأنها من جهة ، سبق أن مرّت في ثنايا هذا الكتاب، فهي مبثوثة هناوهناك ، ولأنهامن جهة ثانية إصابات غلب عليها ما يُعرف بالطابع الرسمي ، إذا صح التعبير ، إذ هي تتعلق إما بخليفة أو وزير أو ذي منصب خطير . . لن نُعيد هذا كلّه ، بل سنعرض لطائفةٍ أخرى من الأحاديث والإصابات ذات الصلة بحياة أصحابها أنفسهم ، عنيت معشر المنجمين ، أو تلك التي كان لها صلة بحياة الناس العادين فشغلت بالهم ، وكانت موضع إثارة واهتمام ، وهي في معظمها تدور حول تقدير عمر ، أو كشف مضمر ، أو اهتداء إلى ضالة ، أو تنبوء بحدوث زلزال أو طوفان ، أو تفشي وباء ، أو غور ماء ، وهاك منها على سبيل المثال ، ما حصل عند طلوع المذنب عام ٤٤٦ هـ / ١٠٥٣ م .

مذنب عام ٤٤٦ هـ / ١٠٥٣ م :

ذكر ابن بطلان أن هذا النجم أو المذنب ، لما طلع في برج الجوزاء بمصر ، وقع الوباء في الفسطاط ، ونقصت مياه النيل ، فصح بذلك إنذار بطليموس القائل : « الويل لأهل مصر إذا طلع أحد ذوات الذوائب وانجهم في

الجوزاء » . ولما نزل زحل برج السرطان تكامل خراب العراق والموصل والجزيرة ، واختلت ديار بكر وربيعة ومضر وفارس وكرمان ، وبلاد المغرب واليمن والفسطاط والشام ، واضطربت أحوال ملوك الأرض ، وكثرت الحروب والغلاء والوباء ، وصح حكم بطليموس في قوله : « إن زحل والمريخ متى اقترنا في السرطان زلزل العالم »[1] .

وذكر ابن بطلان أيضاً فيما ذكر من الأدباء العظيمة العارضة للعلم بفقد العلماء في زمانه[2] . وأحصى العديد من الفقهاء والعلماء والكتّاب ممن كان بسبب وفاتهم أن انطفأت سرج العلم وبقيت العقول بعدهم في الظلمة .

وأنت إن أردت الاطلاع على نماذج من هذه الإصابات التي كان لها صلة مباشرة بحياة أفراد معينين على وجه التحديد ، فهاك على سبيل المثال ما أصابه أبو علي الجبائي (ت ٣٠٣ هـ / ٩١٥ م) أحد متكلمي المعتزلة ، في تقدير عمر ولده أبي هاشم ، وفي معرفة ما سوف يحل به قبل وفاته :

فلقد حدث أبو الحسن الأزرق أحمد بن يوسف التنوخي عن أبي هاشم عبد السلام الجبائي (ت ٣٢١ هـ / ٩٣٣ م) عن أبيه أبي علي ، وكان كثير الإصابة في علم النجوم ، أنه حكم لولده أن يعيش نيفاً وسبعين سنة شمسية ، هذا إن إفلت من « قطوع » قد يتعرض له في السنة السادسة والأربعين . والذي حصل فعلاً ، هو أن أبا علي لم يفلت من هذا القطوع ، فاعتلّ في السنة المذكورة علّة أودت بحياته[3] .

وفي حديث آخر لأبي الحسن الأزرق نفسه، عن أبي هاشم الجبائي ، أنه وُلد في جوار والده أبي علي ، مولود فقال أبو علي : إني أحب أن نأخذ طالعه . ولما أخذ الطالع عن طريق إسطرلاب كان معه ، حكم للمولود بأشياء صحت كلها من دون استثناء .

ومن إصابات أبي علي أيضاً ، ما ذكره أبو أحمد بن مسلمة الشاهد عن عسكر مكرم بخوزستان ، قال إن أبا علي الجبائي كان جالساً في داره بعسكر مكرم عندما دخل عليه بعض غلمانه ، فقال له أبو علي : اجلس ، فجلس الغلام

(١) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، ص ٣٢٧ .
(٢) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، ص ٣٢٧ .
(٣) التنوخي : نشوار المحاضرة ٧ / ١١٦ .
(٤) التنوخي : نشوار المحاضرة ٢ / ٣٣٣ .

وقال : لي زوجة تطلق ، وأريد الرجوع إليها لحاجة طلبتها . فقال أبو علي لبعض من كان حاضراً : امضِ معه ، فإذا ولدت امرأته ، فخذ الارتفاع وجئني به . ففعل ، فلما كان في الغد ، قال أبو علي : إن صح حكم التنجيم ، فإن هذا الولد يموت بعد خمسة عشر يوماً ، فلما كان اليوم السادس عشر ، مات الولد[1] .

إصابة القاضي التنوخي :

ومن غريب الإصابات ، ما عمله القاضي أبو القاسم علي بن محمد التنوخي ، لنفسه ، فلقد ذكر صاحب « نشوار المحاضرة » عن أبيه القاضي المذكور ، أنه نظر في مولده ، فرأى أنه يموت عصر الثلاثاء لسبعٍ بقين من أحد شهور السنة ذاتها . ثم إنه كتب بذلك إلى أبي الحسن بن بهلول التنوخي الانباري ، ينعي إليه نفسه ، ويُوصيه خيراً . ولما اعتل القاضي ، أدنى إليه ولده ، وأخذ التحويل ، فنظر فيه ثانية ، طويلاً ، فبكى ثم أطبقه واستدعى إليه كاتبه ، فراح يملي وصيته التي مات عنها ، بعد أن شهد فيها من أشهد . ولما جاءه غلام زحل ، المنجم ، راح هذا الأخير يطيّب نفسه مشككاً في تحويله ، فقال القاضي : « يا أبا القاسم ، لست ممن يخفى عليه هذا فأنسبك إلى غلط ، ولا أنا ممن يجوز عليه فتستغفلني » . عندها أخذ غلام زحل في البكاء ، وكان خادماً للقاضي ، فبكى هذا بدوره طويلاً ، وابنه صاحب « نشوار المحاضرة » حاضر ، ثم قال : « يا غلام ، الطست » . فجاءه به ، فغسل التحويل ، ثم قطعه تقطيعاً ، بعد أن ودع أبا القاسم توديع مفارق . ولما كان العصر من ذلك اليوم بعينه ، فاضت نفسه[2] .

إصابة المغيرة بن محمد :

وأما علي بن محمد ، صاحب الزنج ، فإن المنجم المغيرة بن محمد المهدي كان قد تنبأ بمقتله وصح حكمه فيه ، وذلك حينما قال : يا غلام ، أين الإسطرلاب ؟ فأخذ الطالع ، ثم قال : قد أخذ عليه بالمخنّق . ثم أردف قائلاً : والله ، خنق . ثم قال : يا غلام ، خذ الطالع فقد قُتل . وإذ بالضجة تُسمع ،

---

(١) نفسه ٧ / ١٩٩ .
(٢) التنوخي : نشوار المحاضرة ٢ / ٣٣٠ .

وما لبث أن جيء برأس صاحب الزنج[1] .

إصابة ابن ماهان :

ومن المنجمين المعروفين بإصاباتهم الدقيقة ، أبو العنبس محمد بن إسحاق ابن إبراهيم بن أبي عنبس بن المغيرة بن ماهان الصيميري الكوفي المتوفى عام ٢٧٤ هـ / ٨٨١ م . هذا المنجم استدعي مرة للتعرف على وجود مشربة من فضة كانت فُقدت من دار بعض الرؤساء ، فعمل حساباً ، ثم قال : « المتهمة سرقت نفسها »! . واستغرب هذا القول من كان حاضراً ، وظنوا أن به غفلة . . لكنه سرعان ما تابع الكلام فقال : « هل في الدار جارية ، يقال لها فضة؟ » . قالوا : نعم . ولما حضرت فضة ، قال : هذه أخذتها . فسألوها فأقرّت ، وعقب ابن ماهان قائلاً : « الفضة أخذت الفضة! »[2] .

إصابة المعموري :

ومما يُنسب إلى المنجم المعموري من إصابات ، أنه سيّر يوماً درجة طالعه التي هي : الهيلاج[3] ، وهي متصلة بجرم نحس ، وشعاع نحس ، وكان يومئذٍ في دار السلطان محمد بأصفهان ، وصادف ذلك إحراق أصحاب الجهال والقلاع من الباطنية ، فارتاع المعموري من هذا الطالع وتوجس خيفة ، ثم أنه خرج من دار السلطان ، فدخل دار صديق له وقبع فيه . ولما أحاط رجال الشرطة بأحد الباطنية ليحرقوه ، « علت النسوان والصبيان السطوح للنظر إليه ، فعثرت امرأة على سطح البيت الذي فيه المعموري ، فغضبت المرأة وصاحت وقالت : معاشر الناس ، في هذا البيت قرمطي . فدخلوا الدار وأخذوه وقتلوه »[4] .

إصابة ابن يونس :

ومن أغرب إصابات المنجمين ، ما روي عن أبي الحسن علي بن عبد

---

(١) ابن طاووس : فرج المهموم ، ص ٢١٣ . وصاحب الزنج ، علي بن محمد قتل سنة ٢٧٠ هـ / ٨٨٣ م .

(٢) التوحيدي ، أبو حيان : البصائر والذخائر ٣ / ١٤٧ .

(٣) الهيلاج : أحد الهيالج الخمسة : الشمس ، القمر ، الطالع ، سهم السعادة وجسر الإجتماع ، أو الإستقبال . وهي جميعاً تدل على العمر .

(٤) البيهقي : تاريخ حكماء الإسلام ، ص ١٦٤ .

الرحمن بن يونس (ت ٣٤٩ هـ / ٩٥٩ م) مصنّف « الزيج الحاكمي » . فلقد استخرج هذا المنجم طالعاً له ، فعلم أنه يموت عقب مضي سبعة أيام من تاريخ استخراج الطالع ، وكان في تمام الصحة والعافية حينما طلق الحياة الدنيا ، وعزف عن مباهجها ، وانصرف إلى تبييض دهليز داره ، وإعداد موضع قبره منها ، حتى إذا فرغ من جميع ما يحتاج إليه كان جوابه لكل من خاطبه من أصحابه وأهله أنه « قد جاءه الموت ، ثم أغلق باب داره وقال لجاريته : يا إحسان ، قد أغلقت ما لا أفتحه أبداً . وصفى الماء من بركة داره ، وغسل مسوداته ، ولم يزل يقرأ : قل هو الله أحد ، إلى أن خرجت روحه بكرة يوم الإثنين لثلاث خلون من شوال سنة تسع وأربعين وثلاثمائة ، بعد سبعة أيام ، كما قال »[1] .

إصابات منوعة :

ومن الإصابات النادرة المنسوبة إلى بعض المنجمين ، تلك التي حكم بها أحدهم وهي تتعلق « بقطع » سوف يتعرض له الحسين بن محمد بن عبد الرزاق المعروف بابن العسكري ، في عامه الرابع والثلاثين . والذي حصل ، إن صحت الرواية ، ان ابن العسكري ، ركب ، في ذلك العام ، عام القطع ، مهراً ، فنفر به فدُقّ رأسه ، وأشرف على الموت ، وظل هكذا طويلاً عليلاً[2] .

وإنه ليحضرنا في المقام ، ما حكم به منجم آخر ، كان قد طلب إليه أن يعرف ما أخفى أحدهم ، وكان هذا قد أدخل إصبعيه في حلقي مقراض ، فقال المنجم على البديهة : « خاتمي حديد » ![3] .

---

(١) ابن حجلة : سكردان السلطان ، ص ٣٥ .
(٢) ابن طاووس : فرج المهموم ، ص ١٩٣ .
(٣) التوحيدي : البصائر والذخائر ٤ / ٦٩ .


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الباب الرابع

الفقهاء والعلماء والمتكلمون والفلاسفة

ـ الفصل الأول : الفقهاء والعلماء .

ـ الفصل الثاني : المتكلمون والفلاسفة .


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الفصل الأول

الفقهاء والعلماء

ــ تمهيد :

ــ مبحث أول : الفقهاء .

أولاً : فقهاء الشيعة :

الإمام الصادق .

الشيخ المفيد .

السيد المرتضى .

الكراجكي .

الحمصي .

ثانياً : فقهاء السنّة .

الشافعي .

ابن حزم .

ثالثاً : المتصوفة :

السهروردي .

ابن العربي .

مبحث ثانٍ : العلماء :

جابر بن حيان .

أبو بكر الخوارزمي .

ابن طاووس .


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الفقهاء والعلماء

تمهيد

قبل كل شيء نود أن نفصح عما نعنيه بالحياة الفكرية . نعني بالحياة الفكرية مجموعة الآراء والأفكار والمسائل والمبادىء التي كانت لبّ المباحثة ومدار المناقشة في أوساط العلماء والفقهاء على اختلاف مذاهبهم ومشاربهم العلمية والفلسفية والفقهية والكلامية . ولما كانت الأقوال والأحاديث التي جاءت عن النبي (ص) لا تنص صراحةً على تحريم التنجيم ، أو قل لا تفرق تماماً بين هذا الجانب المنهي عنه شرعاً ، وبين الجانب الآخر الذي يمكن الأخذ به . . ولأن القرآن الكريم لم يتطرق إلى هذا الموضوع سلباً ولا إيجاباً ، مما يسمح بتعدد الأقوال والإجتهادات . . وبما أن العلماء المسلمين ، ورجال الدين لم يقفوا موقفاً ثابتاً ومحدداً من هذه الظاهرة التي ألقت بظلها على مباحث الفقهاء ومجالس العلماء مما سمح بظهور عددٍ من الآراء والمباحث ، فمن منكرٍ لهذا العلم أصلا ، لأنه ، في نظره ، لا يعدو كونه ضرباً من الوهم والخداع والتخييل ، وبالتالي فلا صحة لأحكامه ، ولا حقيقة لوجوده ، وهو مخالف لرسالة الأنبياء ومعجزاتهم ، وهذا ما تمسك به جماعة السلف ، والمحافظون على وجه الإجمال . إلى منكر لهذا العلم على سبيل الاستحالة عقلاً ، مستبعداً أن تكون في هذه النجوم أية دلالة على ما يجري من أحداث . . إلى منكر جانباً منه ، وهو الجانب المحصور بالعليّة

والفاعلية دون إنكار الجانب الآخر المتمثل بالهداية والدلالة على الأحداث ، وعلى ما هو مقدّر للمواليد دونما تعارض مع ما ورد من أخبار وجاء من أحاديث لا يستفاد منها النهي ، بالضرورة ، عن هذا العلم إلاّ في نطاق مخصوص ، فلا يجوز حمل النهي على العموم ، إذا أن المحرّم منه ، أو المحظور ، في رأيهم ، هو الإعتقاد بعليّة النجوم وفاعليتها واختيارها ، واستعمال ذلك في معصية الله . . ولأن المنجمين أنفسهم ، كانوا مذاهب شتى ، فهم ما بين منكرٍ لوجود الصانع ، قائلٍ بأن المؤثر في العالم ، هو الكواكب والنجوم ، على نحو العلة التامة ؛ وبين قائلٍ بوجود الصانع لكن ينسب التدبير إلى الفلك ، ويقول بقدم النجوم الملازم لقدم الله ؛ وبين قائلٍ بوجود الله ، وبأن النجوم مستحدثة . . بالنظر إلى كل هذه الاعتبارات ، كانَ لا بد من الوقوف عن كثبٍ على مختلف هذه الآراء والاعتقادات ، كما هي عند الذين تصدوا لمعالجة هذا الموضوع الخطير ، من الفقهاء والعلماء ، وأنا لنخص بالذكر من الفقهاء ، في مبحثٍ أول ، كلا من الإمام الصادق ، والشيخ المفيد ، والسيد المرتضى ، والكراجكي والحمصي كممثلين لمذهب الشيعة الإمامية ، وكلا من الإمام الشافعي ، وابن حزم الأندلسي ، والسهروردي ، وابن العربي ، كممثلين لمذاهب السنة والمتصوفة ، كما نخص بالذكر ، في مبحث ثانٍ ، كلًا من جابر بن حيان ، وأبي بكر الخوارزمي وابن طاووس ، كممثلين للعلماء ، ولا نعني بالعالِم هنا ، رجل الدين ، أو الفقيه ، بالضرورة ، وإنما نعني به من اشتغل بالعلم ، أياً يكن .

مبحث أول

الفقهاء

أولاً : فقهاء الشيعة :

بادىء ذي بدء ، لا بد من القول بأن الفقه من أهم العلوم الإسلامية النظرية ، وهو عبارة عن فن استخراج الأحكام الشرعية واستنباطها من مداركها ومظانّها التي هي الكتاب والسنّة والإجماع والعقل ، بشكلٍ أساسي . والفقه ، بمعنى الاستنباط ، وتطبيق الجزئيات على الكليات والأصول ، كان موجوداً منذ الصدر الأول بين الشيعة والسنة ، مع اختلاف أساسي بين الفريقين من حيث المصادر ، والاعتماد على الرأي والقياس والاستحسان والمصادر المرسلة[1] . والآن ماذا عن التنجيم في الفقه الشيعي الجعفري ؟

إن القول بأحكام النجوم عن طريق ربط الحركات النفسانية والطبيعية بالحركات الفلكية ، والإتصالات الكواكبية ، حرام نصا وفتوى ، وذلك عند جميع علماء الشيعة بلا استثناء . أما الأخبار عن الأوضاع الفلكية المبنية على سير الكواكب ، كالخسوف أو الكسوف مثلاً ، وسواهما من الأوضاع الفلكية فغير حرام ، لا بل إن الإخبار بمثل هذه الأوضاع ، هو من الأمور الجائزة والمشروعة ، ولا جناح البتة على من يذهب إلى مثل هذه الأعمال ، ولو وقع فيها الخطأ ، وذلك

---

(1) المطهري : مرتضى : الإسلام وإيران ، ص ٤٢٨ ـ ٣٢٩ . دار التعارف ودار التبليغ الإسلامي ، بيروت .

لأن الأوضاع الفلكية ، ومنها الكسوف والخسوف مبنية على قواعد سديدة ، وحسابات دقيقة ، والخطأ في ذلك قليل جداً .

هذا في الأساس . أما في الشكل فإنه إذا لم يظهر كفر المنجم بالمعنى المتقدم للتنجيم ، فإن في المسألة نظراً ، يؤيد ذلك ما روي في البحار عن محمد وهارون ابني سهل النوبختي أنهما كتبا إلى الصادق : « نحن ولد نوبخت المنجم ، وقد كنا كتبنا إليك هل يحل النظر في النجوم » ؟ فكتب لهما : نعم : ما لم يخرج من التوحيد[1] . وهكذا في غمرة هذه التناقضات ، كان لا بد من الوقوف على مختلف الآراء فنأخذها من أصحابها الحقيقيين ، ونبدأ بالإمام الصادق الذي أخذ عنه سائر الفقهاء والعلماء .

الإمام الصادق (٨٠ ـ ١٤٨ هـ / ٦٩٩ ـ ٧٦٥ م) :

على الرغم مما نُسب إلى الإمام الصادق من قوله لمعاوية بن حكيم لما سأله عن النجوم ، « أحق هي ؟ : « نعم ، وفي الأرض من يعلمها »[2] ، وعلى الرغم من قوله لحفص بن البختري لما ذكر عنده النجوم : « ما يعلمها إلاّ أهل بيت بالهند وأهل بيت من العرب »[3] ، وقوله الآخر ، كما في رواية أبي عبد الله المدائني : « إن الله تعالى خلق زحل في الفلك السابع من ماءٍ بارد ، وخلق سائر النجوم الست الجاريات من ماءٍ حار ، وهو نجم الأنبياء والأوصياء ، ونجم أمير المؤمنين ، يأمر بالخروج من الدنيا والزهد فيها ، ويأمر بافتراش التراب وتوسد اللبن ، وأكل الجشب ، وما خلق الله نجماً أقرب إليه منه »[4] . وهي رواية مطردة وغير مسندة ، وعلى الرغم من الرسالة الموسومة بـ« رسالة يعلم منها اختيارات الأيام النحسة والجيدة » وتوجد منها نسخة مخطوطة في دار الكتب الظاهرية بدمشق تحمل الرقم ١٠٠٤٢ وأولها : (إن أول يوم من الشهور خلق الله فيه آدم عليه السلام ، يصلح فيه الدخول على الملوك والسلاطين وقضاء الحوائج والبيع والشراء والسفر وغرس الأشجار) وآخرها (ليلة السبت . . حادي عشر ساعة لعطارد ، سافر فيها حيث شئت ، ثاني عشر ساعة للقمر ،

---

(١) المكاسب ٢ / ٣٢٨ .

(٢) ابن طاووس : فرج المهموم ، ص ٩٩ .

(٣) نفسه ، ص ١٠٠ .

(٤) الكليني الرازي : روضة الكافي ، ص ٢١٤ . مطبعة النجف ١٣٨٥ هـ .

ادخل فيها على الملوك والله أعلم)[1] وهي رسالة يكاد يكون من المشكوك تماماً ، نسبتها إلى الصادق ، تماماً كنسبة الكثير من الكتب والرسائل التي تبعث في الملاحم والحدثان والمغيبات ، وتحمل اسم « الجفر » . أقول على الرغم من ذلك كله ، فإن الإمام الصادق ما كان يمكنه إلاّ السير على نهج آبائه وجده رسول الله (ص) في الحكم ببطلان النجوم ، وتكفير من يقول بذلك على وجه العليّة والقضاء والفاعلية والتأثير ، لأن في ذلك إشراكاً بالله ، وكفرا ما بعده كفر : ودليلنا على ذلك ، لا تلك الأحاديث المفردة وغير المسندة التي استهللنا بها كلامنا هذا ، والتي لا يفهم منها ، على افتراض صحتها ، ما يثبت اعتقاد أبي عبد الله بالنجوم ، دليلنا على ذلك نأخذه مباشرة من الإمام الصادق نفسه من خلال عدد من مطارحاته العلمية ومباحثه الكلامية . والذي يتحصل لدينا من تلك المباحث والمسائل والمواقف جميعاً ، أن أبا عبد الله ، وإن لم يبطل بالكلية ذلك العلم ـ أي علم أحكام النجوم ـ الذي أمسى فاقداً لمعظم أسسه ومقوماته وحساباته ، وصار مركباً لأصحاب الكذب والأراجيف والأباطيل ، وهو وإن لم يكفّر من ابتلي به من المؤمنين لجهة القول بأن النجوم مجرد دلالة وإمارة على ما يحدث بعلم الله من أمور ، إلا أنه لا ينصح أبداً به ، ولا يحث على تعلمه ، بل هو يأمر أصحابه باجتنابه لأنه لا يأمن على من تعلمه خطر الوقوع في معصية الله ، والانزلاق إلى هوة الإثم الكبير . وعلى سبيل المثال والتوضيح ، هوذا عبد الرحمن بن سيابة ، وكان ممن يشتهي النظر في النجوم ، يسأل أبا عبد الله ، عن قول الناس في النجوم ، وعما إذا كانت تضرّ بدينه ، فيجيبه قائلاً : « ليس كما يقولون ! لا تضر بدينك . . إنكم تنظرون في شيء منها كثيره لا يدرك ، وقليله لا ينتفع به . . تحسبون على طالع القمر . . أتدري كم بين المشتري والزهرة من دقيقة ؟ وكم بين الزهرة والقمر ؟ وبين الشمس والسنبلة ؟ وبين السنبلة واللوح المحفوظ ؟ » ولما أجاب عبد الرحمن بالنفي ، التفت إليه أبو عبد الله ، وكأنما أنكر

---

(1) ورد ذكر هذه الرسالة في « كشكول البحراني » ، وليس فيها ذكر للساعات التي هي خاصة بالكواكب . هذه الرسالة عبارة عن ذكر السعادة الأيام ونحوستها على مدار شهر كامل . وهاك مثالاً لما ورد فيها : « اليوم الثاني : خلقت فيه حواء . . يصلح للترويج وبناء المنازل والسفر وكتب العهود وطلب الحوائج . المولود فيه صالح للتربية . وهناك مثالاً آخر : « اليوم الحادي والعشرون : يوم نحس مستمر لا يصلح لشيء . . » .
انظر : البحراني ، يوسف : الكشكول ١ / ٣٦١ و٣٧٦ . منشورات الأعلمي ، كربلاء ، ١٣٧١ هـ / ١٩٦١ م .

عليه سؤاله ، ثم قال : « يا عبد الرحمن ، هذا حساب إذا حسبه الرجل ، ووقع عليه ، عرف القصبة التي في وسط الأجمة »[1] .

وفي رواية ثانية ، إن السائل هو هشام الخفّاف ، وأن الصادق أجابه « كيف بصرك بالنجوم؟ قال : ما خلّفت بالعراق أبصر في النجوم مني . قال : كيف دوران الفلك عندك ؟ قال : فأخذت قلنسوتي من رأسي فأدرتها وقلت : هكذا . . فقال الإمام : لو كان الأمر على ما تقول ، فما بال بنات نعش والجدي والفرقدين لا تدور يوماً من الدهر في القبلة ؟[2] . قال هشام : هذا والله شيء لا أعرفه ، ولا سمعت أحداً من أهل الحساب يذكره . فقال : كم للسكينة من الزهرة جزءاً في ضوئها ؟ قال : هذا والله نجم ما عرفته ولا سمعت أحداً يذكره . فقال : سبحان الله ، أفأسقطتم نجماً بأسره ، فعلام تحسبون ؟ » ثم يتابع أبو عبد الله مساءلة هشام فيقول : « وكم للزهرة من القمر جزءاً في الضوء ؟ قال : هذا شيء لا يعلمه إلاّ الله . قال : فكم للقمر جزءاً في ضوئها ؟ قال : ما أعرف هذا . قال : صدقت ، فما بال العسكرين يلتقيان ، في هذا حاسب ـ أي منجم ـ وفي هذا حاسب ، فيحسب هذا لصاحبه بالظفر ، ويحسب هذا لصاحبه بالظفر ، ثم يلتقيان ، فيهزم أحدهما الآخر ، فأين كانت النحوس ؟ قال : لا والله ، لا أعلم ذلك ، قال : صدقت ، إن أصل الحساب حق ، ولكن لا يعلم ذلك إلا من علم مواليد الخلق كلهم »[3] . هذه الرواية ليست بحاجة إلى التعليق عليها نظراً إلى وضوح المعنى الذي قصده أبو عبد الله من الدلالة على فساد هذا العلم ، وكذب أحكامه ، وجهل أصحابه الذين يدعونه وهم الذين لم يحيطوا بما في السماء من نجوم ، ويعجزون عن درك أدنى حساباته المتمثلة بمعرفة النسبة القائمة بين ضياء كل كوكب وآخر .

وثمة محاورة جرت بين أبي عبد الله والمنجم الهندي . وإننا نكتفي بإثبات طرف منها ، وذلك بالنظر إلى طولها ، وهي إن دلت على شيوع ظاهرة التنجيم في ذلك العصر ، إلاّ إنها تفصح بما لا يدع مجالاً للشك ، عن رأي الإمام الصادق في

---

(١) الكليني : روضة الكافي ، ص ١٦٩ .
(٢) بنات نعش والجدي والفرقدان ، من النجوم التي تنسب إلى نصف الكرة الشمالي من الأرض .
(٣) روضة الكافي ، للكليني ، ص ٢٩٠ .

هذا العلم . بعد أن يستهل المنجم الهندي حديثه مع الإمام بالأخبار عن ملوك الهند زاعماً أن سكان الأرض جميعاً إنما هم يتولدون بالنجوم التي وضع أساس علمها أحد حكماء الهند في القديم . . وبعد أن يطرح الصادق على المنجم عدداً من المسائل قال الصادق : « أما أنت فقد أعطيتني إن حساب هذه النجوم حق ، وإن جميع الناس ولدوا بها . . وأعطيتني أن أحداً من أهل الأرض لم يرق إلى السماء فيعرف مجاريها وحسابها . . وكذلك أعطيتني أن أحداً من أهل الأرض لا يقدر أن يغيب مع هذه النجوم والشمس والقمر في المغرب حتى يعرف مجاريها وما يطلع منها إلى المشرق . . فلا أراك تجد بدّاً من أن تزعم أن المعلم لهذا من أهل السماء . . وإن حسابها ودقائقها ، وسعودها ونحوسها ، وبطيئها وسريعها ، وخنوسها ورجوعها ، لا يدرك بالحواس أو يهتدى إليه بالقياس . . وإنك لتزعم أن جميع أهل الدنيا إنما يولدون بهذه النجوم ، وأنهنَّ على ما وصفت من السعود والنحوس ، وأنهنَّ قبل الناس . . أليس ينبغي لك أن تعلم أن قولك أن الناس لا يزالون وما زالوا ، قد أنكر عليك حيث كانت النجوم قبل الناس ، فما تجد بدّاً من القول بأن الأرض خلقت قبلهم . ألست تعلم أن الذي تدور عليه هذه النجوم والشمس والقمر ، هو هذا الفلك الذي كان أساساً لهذه النجوم التي وضعت بعده لأنه به تدور البروج ؟ ! » . قال المنجم : « قد جئت بأمر واضح ، إن الفلك الذي يدور بالنجوم هو أساسها » . قال أبو عبد الله : « قد أقررت أن خالق النجوم هو خالق الأرض ، لأنه لو لم يكن خلقها ، لم يكن ذرء » . قال : « ما أجد بدّاً من إجابتك إلى ذلك » فقال : « أليس ينبغي أن يدلك عقلك على أنه لا يقدر على خلق السماء إلاّ الذي خلق الأرض والذرء والشمس والقمر والنجوم ، وأنه لولا السماء لهلك ذرء الأرض ؟ » . . عندها قال المنجم الهندي : « أشهد أن الخالق واحد ، غير ذي شك ، لأنك أتيتني بحجة بهرت عقلي فانقلعت حجتي ، وإن واضع هذا الحساب ، ومعلم هذه النجوم واحد ، لا من أهل الأرض ، لأنها في السماء ، ولا يعرف ما تحت الأرض إلاّ من يعرف ما في السماء ، ولا أدري كيف سقط أهل الأرض على هذا العلم الذي هو في السماء حتى اتفق على ما رأيت من الدقة والصواب ، فإني لو لم أعرف من هذا الحساب ما أعرف ، لأنكرته ولأخبرتك أنه باطل في بدء الأمر ، وكان أهون علي » . . ثم إن الصادق أثبت للمنجم وجود الله تعالى عن طريق هليلجة كانت في يده ، فأقر بذلك ، وانصاع له طائعاً . . ولذا فإن هذا الحديث المطول الذي أوردنا بعضاً

منه ، يعرف أيضاً بحديث الأهليلجة[1] ، وهو واحد من أحاديث واحتجاجات طالما حاجّ الصادق بها جماعة الزنادقة والمنجمين والدهريين . وهي إن دلت على شيء ، فإنما تدل على موقف الإمام الصادق الرافض لمقولة المنجمين ، وليس آخرها تلك التي ردّ بها على الزنديق الذي جاءه سائلاً : أيها الحكيم ، ما تقول في من زعم أن هذا التدبير الذي يظهر في العالم ، هو تدبير النجوم السبعة ؟ . فقال أبو عبد الله : يحتاجون إلى دليل إن هذا العالم الأكبر ، والعالم الأصغر ؟ من تدبير النجوم التي تسبح في الفلك ، وتدور حيث دارت متعبة لا تفتر ، وسائرة لا تقف . قال الزنديق : فمن قال بالطبائع ؟ قال : القدرية ، فذلك قول من لم يملك البقاء ، ولا صرف الحوادث ، وغير الأيام والليالي . . لا يرد الهرم ، ولا يدفع الأجل ، ما يدري ما يصنع به . قال الزنديق : فما تقول في علم النجوم ؟ قال : هو علم قلّت منافعه ، وكثرت مضارّه ، لأنه لا يدفع به المقدور ، ولا يُتقى به المحذور . إن المنجّم بالبلاء ، لم ينجه التحرّز من القضاء : إن أخبر هو بخير ، لم يستطع تعجيله ، وإن حدث به سوء لم يمكنه صرفه . والمنجّم يضادّ الله في علمه ، بزعمه أنه يرد قضاء الله عن خلقه »[2] .

وليس آخر تلك الأحاديث والاحتجاجات ، ما رد به الصادق على عبد الملك بن أعين حينما سأله قائلاً : « إني قد ابتليت بهذا العلم ، أي النظر في النجوم ، فأريد الحاجة فإذا نظرت في الطالع ، ورأيت الطالع الخير ، وذهبت في الحاجة » . قال أبو عبد الله تقضي ؟ قال : نعم . فقال الصادق : « أحرق كتبك » . وهذا يستنتج منه أن النظر في النجوم على سبيل الفضول أو التفاؤل ، إن صحت الرواية ، ليس من الأمور المحظورة ، لكن النظر فيها على سبيل القضاء ، والعمل بموجب أحكامها ، لهو مما لا يحلّ شرعاً .

الشيخ المفيد (٣٣٤ ـ ٤١٣ هـ / ٩٤٥ ـ ١٠٢٢ م) :

يُعتبر الشيخ المفيد[3] الذي يُسمى بابن المعلم أيضاً علماً من الأعلام الذين

---

(١) انظر الخبر مفصلاً في « فرج المهموم » لابن طاووس ، ص ١١ ـ ٢٠ .
(٢) الطبرسي : الإحتجاج ٢ / ٣٤٧ ـ ٣٤٨ .
(٣) هو محمد بن محمد بن النعمان ، المتكلم والفقيه المشهور . عرف بزهده وتقواه ومثابرته على التحصيل العلمي والتدريس . له من الكتب الفقيهة « المقنعة » وهو موجود ومطبوع انظر : الإسلام وإيران ، ص ٣٣٣ .

انتهت إليهم رئاسة الإمامية ، والذين عظم نفوذهم في بغداد على أيام البويهيين .
والنجوم في نظر الشيخ مجرد أجسام نارية وحركاتها فعل الله تعالى وهو المحرك لها ، وهي من آيات الله الباهرة ، وزينة في سمائه ، وفيها منافع لعباده ، وبها يهتدي السائرون براً أو بحراً ، وفيها للخلق مصالح لا يعلمها إلا الله » . وأما ما ينسب إليها من تأثير بلغة أصحاب التنجيم ، فالشيخ لا ينكر أبداً تأثير الشمس والقمر في العالم عن طريق شعاعاتها المتصلة بالأرض ، وإن كان تأثير الشمس أوضح وأبين للحس من تأثير القمر في « الأزمان والبلدان والنبات والحيوان » ، وأما غيرهما من الكواكب فلا يجد المفيد لها تأثيراً محسوساً لا يقطع بوجوبه عقلاً ، وإن كان من غير المستحيل » بل هو من الجائز في المعقول لأن لها شعاعاً متصلاً في الأرض ، وإن كان دون شعاع الشمس والقمر ، فغير منكر أن يكون لها تأثير خفي على الحس ، خارج عن أفعال الخلق ، فإن كان لها تأثير ، كما يقال ، فتأثيرها مع تأثير الشمس والقمر في الحقيقة من أفعال الله تعالى ، وليس يصح إضافته إليها إلا على وجه التوسع والتجوز ، كما نقول : أحرقت النار ، وبرد الثلج ، وقطع السيف ، وشجّ الحجر ، وكذلك قولنا : أحمت الشمس الأرض ، ونفعت الزرع ، وفي الحقيقة إن الله أحماها ونفع بها الزرع »[1] . إلا أن الشيخ المفيد ينكر على أصحاب التنجيم إضافة تأثيرات الشمس والقمر إليهما من دون الله بغير حجة عقلية أو سمعية ، كما ينكر عليهم إضافة الأفعال إليها والادعاء بأن لها القدرة والحياة ، وينكر أن تكون النجوم موجباً لشيء من أفعال البشر بشهادة العقل الصحيح ، وينكر القول بأن الله لا يفعل فعلاً في العالم ، إلاّ والكواكب أمارة ودلالة عليه ، وذلك « لأن كل شيء يدل عليه لا بد من كونه ، وهذا باطل ، يثبت لها تأثيراً أو دلالة ، فإن الله أجرى تلك العادة ، وليس يستحيل منه تغيير تلك العادة لما يراه من المصلحة . . وقد يصرف الله تعالى السؤ عن عبده بدعوة ، ويزيد في أجله بصلة رحم أو صدقة ، فهذا الذي ثبت لنا عليه من الأدلة وهو الموافق للشريعة ، وليس هو بملائم لما عليه المنجمون »[2] . . انتهى كلام الشيخ المفيد .

وهكذا يتضح لنا أن الشيخ المفيد ينكر أصلاً أن يكون للنجوم أي تأثير على سبيل الإختيار والعلية والفاعلية لكنه من جهة ثانية لا يمانع في الذهاب إلى

---

(١) ابن طاووس : فرج المهموم ، ص ٧٣ .
(٢) نفسه ، ص ٧٣ ـ ٧٤ .

الاستدلال بحركات النجوم على كثير مما ليس يمتنع العقل منه ، والتالي ، لا يمنع أن يكون الله عزّ وجلّ علّمه بعض أنبيائه ، وجعله علماً على صدقه[1] .

السيد المرتضى (ت ٤٣٦ هـ / ١٠٤٣٤ م) :

أما السيد المرتضى الذي هو علمٌ من أعلام الفقة والأصول ، واسمه علي بن الحسين الموسوي (ت ٤٣٦ هـ / ١٠٤٣ م) فموقفه واضح جداً من هذه المسألة ، لا لبس فيه في جوابه الذي سأله عن صحة ما يقال من نسبة وقوع حوادث معينة ، وإضافتها إلى تأثيرات النجوم ، سواء أكان هذا التأثير ذاتياً ومباشراً كتأثير الشمس في الأدمة ، أم كان من فعل الله ، وذلك بمجرى السعادة عند طلوع هذه الكواكب وانتقالها : فكان جوابه نفي جواز أن تكون الكواكب فاعلة و « بطلان الطبائع التي يهذي بذكرها المنجمون ، وبطلان إضافة الأفعال إليها ، لأن الفاعل لا بد أن يكون حياً قادراً . . وقد علم أن الكواكب ليست بهذه الصفة فكيف تفعل وما يصحح الأفعال مفقود فيها ؟[2] .

هذا من جهة ، ومن جهة ثانية ، فكيف تكون فاعلة والسمع والإجماع يوجبان ، برأي السيد ، نفي كون الفلك وما فيه من شمس وقمر وكواكب ، أحياء إذ لا خلاف بين المسلمين في امتناع الحياة عن الفلك وما فيه من كواكب ونجوم ، ولا خلاف كذلك في أن هذه الأخيرة هي مسخرة لأمر الله ، وتخضع لتصرفه وتدبيره ، وهذا ما نتبينه في كتاب الله ، وما نعلمه من رسوله ، ثم إنه لو سلمنا لهم استظهاراً في الحجة ـ يقول السيد ـ إنها قادرة ، فالجسم القادر لا يجوز أن يفعل في غيره إلاّ على سبيل التوليد ، ولا بد من وصلة بين الفاعل والفعول فيه ، والكواكب غير مماسة لنا ، ولا وصلة بيننا وبينها ، فكيف تكون فاعلة فينا ؟ ! فإن ادعى أن الوصلة بيننا الهواء فالهواء لا يجوز أن يكون آلة في الحركات الشديدة وحمل الأثقال ، ثم لو كان الهواء آلة تحركنا بها الكواكب لوجب أن نحس بذلك ، ونعلم أن الهواء يحركنا ويصرفنا على أن في الحوادث الحادثة لايجوز أن يفعل بآلة ، ولا يتأتى عن سبب ، كالإرادات والاعتقادات . . فكيف فعلت الكواكب لك فينا وهي لا يصح أن تكون مخترعة للأفعال لأن الجسم لا يجوز أن

(١) نفسه ، ص ٧٥ .

(٢) المرتضى : الأمالي وهي (غرر الفوائد ودرر القلائد) : ٢ / ٣٨٤ . تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، الطبعة الثانية ، دار الكتاب العربي ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م .

يكون قادراً إلاّ بقدرة ، والقدرة لا تجوز لأمر يرجع إلى نوعها أن تخترع بها الأفعال »[1] .

وفي معرض تفنيد السيد لآراء القائلين بإضافة الأفعال إلى الكواكب ، يعتمد الأدلة ذاتها التي يرد بها على قول المجبرة التي تنسب الأفعال كلها إلى الله ، من خير وشر ، والإنسياق وراء مثل هذا الإعتقاد يقتضي حسب تعبيره « سقوط الأمر والنهي ، والمدح والذم عنا ، ونكون معذورين في كل إساءة تقع منا ونجنيها بأيدينا ، وغير مشكورين على شيء من الإحسان والإفضال »[2] .

أما بشأن القول بأن الله تعالى ربما يكون أجرى العادة بأن يفعل أفعالاً مخصوصة عند طلوع كوكب ، أو عند غروبه ، أو اتصاله بآخر ومفارقته له ، فإن جواب السيد يتمثل بـأن القائلين بهذا إنما هم يتجملون بالتظاهر به عند أهل الإسلام ، وليس هذا مذهبهم البتة .. إن مذهبهم في الأصل ، وكما هو في حقيقة الأمر ، يقوم على نسبة الأفعال إلى النجوم ذاتها ، منسحبين في ذلك على آثار من سبقهم من القائلين بفاعليه النجوم وتدبيرها .. والسيد يحذر من الاغترار بظاهر أقوال هؤلاء ، وهي أقوال مخففة يطلقونها تجملاً منهم ، وتقرباً إلى أهل الإسلام ، وهم في الواقع ما شغلوا بهذا الشأن وأفنوا أعمارهم في معرفة زمان قطع كل كوكب للفلك ، إلاّ لتقديرهم أنه يفضي إلى معرفة الأحكام .

وأما بالنسبة إلى القول بأن الله قد يكون أجرى العادة بذلك وجعل الكوكب دلالة على فعل مخصوص ، فإن السيد ينفيه بقوله : « لا طريق إلى العلم بأن ذلك قد وقع وثبت ، ومن أين لنا بأن الله تعالى أجرى العادة بأن يكون زحل أو المريخ ، إذا كان في درجة الطالع ، كان نحساً ، وإن المشتري إذا كان ذلك ، كان سعداً ؟ وأي سمع مقطوع به جاء بذلك ؟ وأي نبي خبر به واستفيد من جهته ؟ »[3] .

ورداً على القائلين بصحة بعض الأحكام المبنيّة على التجربة والملاحظة ، فإن السيد يزري عليهم أقوالهم هذه ، إذ من ذا الذي يسلم بصحتها وانتظامها

---

(١) نفسه ، ٢ / ٣٨٥ .
(٢) أمالي المرتضى ٢ / ٣٨٦ .
(٣) المصدر نفسه ٢ / ٢٨٦ .

واطّرادها ، والخطأ فيها أكثر من الصواب ، والصدق أقل من الكذب ؟ ويتوجه السيد إلى هؤلاء بالقول : « فهلا نسبتم الصحة ، إذا اتفقت منكم ، إلى الاتفاق الذي يقع من المخمّن والمرجّم ؟ فقد رأينا من يصيب من هؤلاء أكثر ممن يخطىء . . وهو على غير أصل معتمد ، ولا قاعدة صحيحة »[1] . ودليل آخر يسوقه المرتضى في معرض رده على القائلين بصحة أحكام النجوم ، هو أنه لو صح العلم بالنجوم وأحكامها ، لكان يجب أن تكون سلامة المنجمين أكثر ، ومصائبهم أقل ، وذلك لأنهم « يتوقّون المحن لعلمهم بها قبل كونها وتكون محن الآخرين أوفر وأظهر . . وقد علمنا خلاف ذلك ، وإن السلامة والمحن في الجميع متقاربة غير متفاوتة »[2] .

وبخصوص ما يتفق أحياناً للمنجمين من بعض الإصابات الموفقة ، فإن السيد المرتضى يرد عليهم بأن ثمة جماعة ممن يتعاطون أعمال الشعبذة والحيل ، وممن هم على شاكلة الزرّاقين الذي لا يعرفون شيئاً من علم النجوم ، ومع ذلك فهم يصيبون فيما يحكمون به إصابات مستطرفة . ويستشهد السيد على ذلك بالشعراني ، وهو زرّاق مشهور ، كان شاهده في حياته واجتمع به ، فكان لا يحسن الأخذ بالإسطرلاب للطالع ، ولم ينظر في زيج أو تقويم ، ومع ذلك فإن الشعراني كان ذكياً ، حاضر الجواب ، كثير الإصابة وبلوغ الغاية في ما كان يخرجه من الأسرار . . ومن غريب إصاباته أن جماعة من العلماء كانوا حاضرين في مجلس السيد ، سألوا الشعراني عمّا هم عازمون عليه ، فانبرى لتوه ، من غير أخذ طالع ، ولا نظر في تقويم ، فأخبرهم ـ ومعهم السيد ـ بالجهة التي أرادوا قصدها . . لا بل أنه أخبر كل واحد بتفاصيل حياته . . ولقد اختص أحدهم فقال له : « وأنت من بين الجماعة قد وعدك واعدٌ بشيءٍ يوصله إليك ، وقلبك به متعلق ، وفي كمّك شيء مما يدل على هذا ، وقد انقضت حاجتك وانتجزت » . ثم ضرب يده إلى كمه ، واستخرج ما فيه من رقاع فيها واحدة تأمر بصلته في ذلك الوقت بعينه . وهذا ما حدا بأحد أصحاب المرتضى إلى القول : « من أدل دليل عل بطلان أحكام النجوم ، إصابة الشعراني »[3] .

وأخيراً ، وبعد أن ينوّه السيد بمعجزات الأنبياء ، وبإخبارهم بالمغيبات ،

(١) المرتضى : الأمالي ٢ / ٣٨٦ .
(٢) نفسه ٢ / ٣٨٨ .
(٣) أمالي المرتضى ٢ / ٣٨٩ .

مستدلاً بها على بطلان أحكام النجوم ، إذ لو كان العلم بما يحدث طريقاً نجومياً ، لم يكن ما ذكر عن الأنبياء معجزاً ولا خارقاً للعادة .. أقول بعد هذا كله ، يتساءل السيد فيقول : « وكيف يشتبه على مسلم بطلان أحكام النجوم ، وقد أجمع المسلمون قديماً وحديثاً ، على تكذيب المنجمين ، والشهادة بفساد مذاهبهم وبطلان أحكامهم . . ومعلوم من دين رسول الله ضرورة التكذيب بما يدعيه المنجمون ، والإزراء عليهم والتعجيز لهم ؟ وفي الروايات عنه (ص) من ذلك ، ما لا يحصى كثرة ، وكذلك عن علماء أهل بيته ، وخيار أصحابه ، فما زالوا يبرؤون من مذاهب المنجمين ، ويعدونها ضلالاً ومحالاً »[1] . ولا يعني هذا مطلقاً البراءة من مذاهب علماء النجوم الذين يصيبون في الإخبار عن الكسوفات والخسوفات ، مما لا ينكر بوجه من الوجوه .. وإنما الفرق بين الأمرين أن الكسوفات والخسوفات ، واقترانات الكواكب وانفصالها ، طريقه الحساب وتسيير الكواكب ، وله أصول صحيحة ، وقواعد سديدة ، وليس كذلك ما يدعونه من تأثيرات الكواكب في الخير والشر ، والنفع والضر ، ولو لم يكن الفرق بين الأمرين - يقول المرتضى - « إلا الإصابة الدائمة المتصلة في الكسوفات وما يجري مجراها ، ولا يكاد يبين فيها خطأ البتة وإن الخطأ المعهود الدائم هو في الأحكام الباقية ، حتى أن الصواب هو العزيز فيها ، فإن ما يتفق فيها من الإصابة ، ما قد يتفق من المخمّن أكثر منه ، فحمل أحد الأمرين بهت وقلة دين »[2] .

الكراجكي :

ومن العلماء المعدودين والفقهاء المشهورين ، تلميذ المفيد والمرتضى ، أبو الفتح محمد بن عثمان الكراجكي الذي رأى في النجوم مجرد علامات على الأحداث ، فهي ليست بفاعلة ولا ذات علّة البتة .

وهو يرد بذلك على القائلين بأن أفعال الخلق تخضع لتأثير الشمس والقمر والنجوم ، معتبراً مثل هذه الأقوال ضرباً من السخف ، وباباً من أبواب التضليل . وإن مثل هذا ليتمثل أكثر ما يكون بسعي هؤلاء للاطلاع على الأحكام قبل حدوثها ، وأخذ الطالع للمولود ، وعمل الزايرجة ، وتحويل السنين

---

(١) نفسه ٢ / ٣٩٠ .
(٢) نفسه ٢ / ٣٩١ .

من أجل العلم بما سيكون ، من سعود ونحوس ، وبقصد التحرز من الضرر ، وتعجل السعادة ، والتأهب لها قبل حصولها على وجه الثبوت . يقول الكراجكي : « ماذا ينفع هذا العلم ، وهو لا يقدر أن يزيد منه سعداً ، ولا ينقص منه نحساً مما أوجبه مولده . . . وما نفع هذا التوقع وحرقة الانتظار بحيث يكون فكر الإنسان مقسماً وقلبه معذباً . . وربما أخلف الوعد وتأخر السعد ، فليست جميع أحكامهم تصيب ، ولا الغلط منهم بعجيب »[1] .

وبعد أن يفند الكراجكي أقوال المنجمين في الاحتراز من المنحسة ، بدفعها ، أو بالنقص منها قبل وقوعها ، يتوجه إلى المنجم بالقول : « إذا سلمتم أن أفعال العباد مختصة بهم ، وليست مما توجبه النجوم ، وأنتم مع هذا تقولون للإنسان : احذر على مالك من طروق سارق ، فقد أقررتم أن حذره من تأثير المختص به ، فأخبرونا الآن عن طروق السارق ، وما الموجب له ؟ فإن قلتم النجوم ، رجعتم عما أعطيتم ، ورددتم إليها أفعال العباد ، ونافيتم وأرقلتم أن طروق السارق مختص به ، ولا موجب له غير اختياره ، أجبتم بالصواب ، وقيل لك : فما نرى للنجوم تأثيراً في هذا الباب »[2] .

الحمصي :

أما شيخ المتكلمين ، سديد الدين محمود بن علي الحمصي ، صاحب التعليق الوافي الذي فرغ منه عام ٥٨١ هـ بالحلة ، فيعترف للنجوم بما لها من تأثير في الكسوف والخسوف والأهلّة والحساب . . لكنه ينكر إنكاراً تاماً كون النجوم علة موجبة ، أو فاعلة مختارة أو مؤثرة ، وهذا ما يبطل دعوة المجبرة بأننا غير مختارين .

أما عن الصواب الذي قد يقع في بعض أحكام المنجمين ، فيرده الحمصي ، إلى الاتفاق الذي يقع مثله أيضاً لأصحاب الفأل والزجر ، وهم الذين لا يعرفون النجوم ، كما قد يقع مثله للمصروع والكثيرين من ناقصي العقول الذين يخبرون أحياناً عن أشياء « فيتفق وقوع ما يخبرون عنه »[3] .

---

(١) ابن طاووس : فرج المهموم ، ص ٦١ ـ ٦٢ .
(٢) نفسه ، ص ٦٣ .
(٣) فرج المهموم ، ص ٧٧ .

هذا من جهة ، ومن جهةٍ ثانية فإن الحمصي يميل إلى الرأي القائل بأن المنجم إنما هو لا يقول ، ولا يخبر عما يخبر عنه إلاّ عن طريق ، وذلك لأنه تعالى جعل اتصالات النجوم وحركاتها دلالات على ما يحدث ، فمن أحكم العلم بها أمكنه الوقوف عليها إما بعلم أو ظنه ، وليس هذا من الإخبار عن الغيوب[1] .

ثانياً : فقهاء السنة والمتصوفة :

اخترنا من فقهاء السنة علمين اثنين هما : محمد بن إدريس الشافعي ، صاحب المذهب السني الشهير المعروف باسمه ، وابن حزم الأندلسي ، أحد أبرز ممثلي المذهب الظاهري السني المتشدد . كما اخترنا من المتصوفة علمين اثنين هما : السهروردي وابن العربي .

أ ـ فقهاء السنة :

الشافعي (ت ٢٠٤ هـ / ٨١٩ م) :

قد يُقال إن الشافعي[2] ، نفسه ، نظر في علم النجوم ، وكان لا يزال حدثا صغير السن ، حتى إذا ما تفوق فيه ، انقطع عن متابعته تحرجاً وتورعاً . كما قد يقال إن سبب انقطاعه عن مواصلة التحصيل في هذا العلم ، هو أنه لما حملت امرأته ، حسب لها بحساب النجوم ، فقال : « تلد جارية عوراء ، وعلى فرجها خال أسود ، وتموت إلى كذا وكذا . . » . ولما ولدت ، وكان الأمر كما حسب ، آلى على نفسه أن لا ينظر في هذا العلم أبدا . ثم إنه دفن جميع الكتب التي كانت عنده في علم النجوم ، وزاد على ذلك بأن أنكر على أهل الكلام ما يقولونه في هذا العلم ، مزرياً بمن يشتغل فيه[3] . هذا مع الإشارة إلى أنه ذكر عنه أنه قال يوماً : « إن كان المنجّم يعتقد أن لا مؤثر إلاّ الله ، لكن الله تعالى أجرى عادته بأن يقع كذا عند كذا ، والمؤثر هو الله ، فهذا عندي لا بأس به » .

---

(١) نفسه ، ص ٧٩ .
(٢) هو محمد بن إدريس الشافعي المتوفى سنة ٢٠٤ هـ / ٨١٩ م ، عربي قرشي . وهو من حيث التقليد ، وعدد الاتباع ، لا يقل عن أبي حنيفة .
(٣) ابن الوردي : تتمة المختصر في اخبار البشر ١ / ٣٢٣ .

ابن حزم (ت ٤٥٦ هـ / ١٠٦٤ م) :

يُعتبر علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي[١] من أبرز الممثلين للمذهب الظاهري[٢] ، وموقف ابن حزم من قضية التنجيم يجاري عموماً ، موقف المتكلمين الشيعة والمعتزلة والأشاعرة من حيث اعتبار النجوم مظهراً من مظاهر صنع الله وخلقه وإعجازه ، فهي مسخرة بأمره ، متحركة بقدرته ، ومن حيث اعتبارها غير عاملة فينا على سبيل العلّية أو الفاعلية والتأثير ، على وجه الخصوص ، إلا أن ابن حزم يتميز من هؤلاء جميعاً بنبرته الحادة ، ولهجته المتشددة ، فهو يقف من القائلين بأحكام النجوم موقفاً عدائياً متشدداً لا هوادة فيه ، مفنداً آراءهم ، داحضاً مزاعمهم ، راداً على الحجة بحجة مثلها ، وإن كان لا ينكر إطلاقاً على أهل العلم معرفتهم بقطع النجوم في أفلاكها ، ومعرفتهم بأوقات مطالعها ومغاربها ، وأبعادها ، وارتفاعاتها ، وشعاعاتها ، واختلاف مراكز أفلاكها ، لا بل إنه يعتبر ذلك علماً صحيحاً وشريفاً يحسن النظر إليه ، والتعمق فيه ، لأنه يؤدي بصاحبه إلى معرفة الله حق المعرفة ، وهو يدل على عظمة الخالق ، ودقيق صنعه وبديع حكمته في خلقه[٣] . والقائلون بتأثير النجوم وفاعليتها وتدبيرها ، في نظر ابن حزم طائفتان : طائفة تميل إلى الإعتقاد بأن النجوم ، ومعها الفلك ، إنما هي مخلوقات أزلية كانت ، ولم تزل ، تعقل وتميّز وتفعل فعلها سواء أكان هذا من دون الله أو كان معه ، فالأمر سيان . .

وهؤلاء كافرون بالله ، مشركون به ، يحل قتالهم ، وتستباح دماؤهم وأموالهم ، وذلك بالإجماع ، لأنهم هم المعنيون بالحديث القدسي القائل : « أصبح من عبادي كافر بي ، مؤمن بالكواكب »[٤] . وأما الطائفة الثانية من

---

(١) ولد ابن حزم في قرطبة عام ٣٨٤ هـ / ٩٩٤ م وتوفي عام ٤٥٦ هـ / ١٠٦٤ م . له عدة مؤلفات كتب ، وأشهرها على الاطلاق « طوق الحمامة في الألفة الألآف » و « الفصل في الملل والأهواء والنحل » .

(٢) ينسب هذا المذهب لابن داود الأصفهاني صاحب كتاب « الزهرة » المتوفى عام ٢٩٦ هـ / ٩٠٩ م . وأصحاب هذا المذهب عموما يرفضون جميع أشكال القياس والاستدلال ، ويتمسكون بالدلالة الحرفية للنص . وهم يعتبرون المذاهب الكلامية على اختلافها ، سواء في الضلال .

(٣) ابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل ٣ / ٣٦ . مكتبة المثنى . بغداد .

(٤) نفسه ٣ / ٣٦ .

المنجمين ، فهم الذين قالوا إن الكواكب مخلوقة ، وهي غير عاقلة ، جعلها الله دلالة على الحوادث والكوائن . . هؤلاء على خطأ ، أيضاً ، في ما ذهبوا إليه من اعتقاد ، وإن كانوا غير كافرين بالله ، ولا مشركين به ولا مبتدعين . . هم على خطأ لأنهم يبنون أحكامهم استناداً إلى ما يظهره الحس أو تثبته التجربة من أثر بفعل النجوم ، ولا سيما الشمس والقمر ، وذلك في كثير من الوقائع والحالات ، مثل تأثير القمر في المد والجزر ، والمساعدة على نحو القرع والقثاء ، وتأثيره في الدم والدماغ والشعر ، ومثل تأثير الشمس في كسر حدة البرد ، وتسخين الأرض وتصعيد الرطوبات ، وتأثيرها في أعين السنانير غدوة ، ونص النهار ، وعشية ، ونصف الليل . . مثل هذه الحالات والوقائع التي تخضع لتأثير الشمس والقمر ، مما أثبتته التجربة ، ولاحظه الحس ، مثل ذلك لا ينكر أصلاً ، ولا يدافع بوجه من الوجوه ، لكن ليس معنى هذا ما يدفع بالضرورة إلى القول أن للنجوم ، قياساً على ذلك ، دلالات وتأثيرات تتعلق بالحدثان ، وبتكوين الأخلاق والطباع ، وتوزيع ما يصيب الناس من خير وشر ، أو نفع وضر . . وذلك أن التجربة لم تثبت صحة هذا الأمر ، كما لم تثبت قط صحة ما يدعي أصحاب التنجيم ، القائلون بنظرية الأدوار إذ من ذا الذي يزعم لنفسه ملاحظة ذلك وتتبع صدقه من كذبه في عشرات الألوف من السنين ؟

هذا من جهة ، ومن جهة ثانية فمن ذا الذي يزعم لنفسه ، مهما يكن نظره ثاقباً ، وآلته دقيقة ، صحة تحديد مواقع هذه النجوم ذات الأبعاد السحيقة ، تحديداً أمينا صحيحاً ، وكذلك صحة تحديد وقت قراناتها ، وهبوطها ، ومطارح شعاعاتها ، ومواقع سهامها ، وتحقيق الدرج النيرة والغائمة والمظلمة ، تحديداً مضبوطاً يتحقق معه صحة الأحكام المنبثقة عن هذا الاقتران أو الافتراق أو الصعود أو الهبوط ، وذلك في الدقيقة والساعة ، بل اليوم والأسبوع ؟ ثم من ذا الذي أحاط بطبيعة هذه الأجرام العلوية ، بدءا بفلك القمر وانتهاء بفلك زحل ، فأضاف إليها ما كان من صفات العناصر التي هي دون فلك القمر ، ثم قال إن من طبع زحل البرودة واليبوسة ، ومن طبع المريخ الحرارة واليبوسة ، ومن طبع القمر الرطوبة والبرودة . ثم كيف جوّز هؤلاء لأنفسهم الإدعاء بتقسيم الأرض والجسم والفلزات ، على أسماء الكواكب والبروج ، وكيف جعلوا للمدن طوالع وحظوظاً ؟ ثم أنه لماذا لم يكن موت الدجاج والحمام والضأن والمعز والبقر والجمال في الغالب ، إلا ذبحاً ، ولم يكن موت الحمير والبغال وكثير من السباع في

الغالب إلا حتف الأنف أو قتلاً ، علماً بأن كثيراً من هذه أو تلك ، قد استوت أوقات ولاداتها فكيف جاز لهم الحكم والقضاء بما يوجب موتاً طبيعياً ، وآخر كرهياً ؟ ثم إننا لو تساءلنا عن سبب تفشي الخصاء في سكان الأقليم الأول من الأرض ، وفي السابع منه دون الأقاليم الأخرى ، لما وقفنا على ما يعزز يقيناً أو يثبت حقاً في ما ذهب إليه المنجمون ، ونحن نعلم أن كذا أعداداً تستوي أوقات ولاداتهم في جميع الأقاليم ، فلم كان هذا مخصياً والآخر غير مخصي ؟[1] . ثم نأتي للحجة الأخيرة التي يوردها ابن حزم ليدحض بها حجج أصحاب النجوم فيقول : « إن المشاهدة توجب إننا قادرون على مخالفة أحكامهم متى أخبرونا بها ، فلو كانت حقاً وحتماً ، ما قدر أحد على خلافها ، وإذا أمكن خلافها فليست حقاً ، فصح أنها تخرّص كالطرق بالحصا ، والضرب بالحب ، والنظر في الكتف ، والزهر ، والطيرة ، وسائر ما يدعي أهله . . وما يخص ما شاهدناه وما صح عندنا مما حققه حذاقهم من التعديل في المواليد . وتحاويل السنين ، ثم قضوا فيه فأخطأوا ، وما تقع إصاباتهم من أخطائهم إلاّ في جزءٍ يسير ، فصّح إنه تخرصٌ لا حقيقة فيه ، ولا سيما دعواهم في إخراج الضمير ، فهو كله كذب لمن تأمله ، وبالله تعالى التوفيق ، وكذلك قولهم في القرانات أيضاً ولو أمكن تحقيق تلك التجارب في كل ما ذكرنا لصدقناها وما يبدو منها ولم يكن ذلك علم غيب لأن كل ما قام عليه دليل من خط أو كتف أو زجر أو تطير ، فليس غيباً لوصح وجه كل ذلك ، وإنما الغيب وعلمه هو أن يخبر المرء بكائنة من الكائنات دون صناعة أصلاً من شيء مما ذكرنا ولا من غيره فيصيب الجزئي والكلي ، وهذا لا يكون إلاّ لنبي ، وهو معجزة حينئذ . وأما الكهانة فقد بطلت بمجيء النبي فكان هذا من أعلامه وآياته »[2] . . انتهى كلام ابن حزم .

ب : المتصوفة :

السهروردي (ت ٥٨٧ هـ / ١١٩١ م) :

أما جماعة المتصوفة ، وأصحاب الرؤية والمكاشفة ، فيبدو أن عدداً منهم آمن بتأثير الكواكب ، يدل على ذلك ما جاء من قول لشهاب الدين السهروردي المتوفى عام ٥٨٧ هـ / ١١٩١ م ، وصاحب « حكمة الإشراق » و« هياكل

---

(١) ابن حزم : الفصل في الملل والنحل ٣ / ٣٦ ـ ٣٧ ـ ٣٨ ـ ٣٩ .
(٢) الفصل في الملل والنحل ٣ / ٣٩ ـ ٤٠ .

النور » و« رسالة اعتقاد الحكماء » ، يقول هذا المتصوف المقتول بحلب ، في رسالة له تُسمى « رسالة كلمات الصوفية » ، « والأخبار بالكائنات ليس ببعيد ، فإن الأفلاك مطلعة على لوازم حركاتها الآتية السالفة ، ولا حجاب بين كلماتها وبينها إلا علاقة »[1] . وذكر ابن حجلة ، نقلاً عن القاضي شمس الدين بن خلكان ، إن السهروردي كان بارعاً في أصول الفقه ، وأوحد زمانه في العلوم الفلسفية ، وإنه كان يعرف السيمياء التي هي فرع من فروع التنجيم : حكى عنه أنه استطاع أن يصور للتركماني في دمشق ، أن يده قطعت منه ، ثم ما لبث إن أعادها إليه .. وحُكي عنه أيضاً ، أنه استطاع أن يُري الحضور مدينة حُفّت بالجنائن والقصور ، ثم ما لبث أن أخفاها عنهم في الحال[2] .

ابن العربي (ت ٦٣٨ ٢هـ / ١٢٤١ م) :

وبما يدل على اعتقاد بعض المتصوفة بالتنجيم ، قول ابن العربي ، محيي الدين أبي عبد الله محمد بن علي بن محمد ، المتوفى عام ٦٣٨ هـ / ١٢٤١ م ، في فصله الثالث المسمّى بفصل « حكمة سبوحية في كلمة نوحية » .

«ومن أراد أن يقف على أسرار نوح ، فعليه بالرقي في فلك نوح ، وهي في التنزلات الموصلية لنا » مما يشير إلى أن ابن العربي يؤمن بنظرية أرواح الكواكب ، وإن لكل كوكب روحاً خاصاً به ، وعلماً لا يشاركه فيه غيره[3] . يؤكد ذلك أيضاً قوله : « إن أعلى الأمكنة ، الذي تدور عليه رحى علم الأفلاك ، هو فلك الشمس ، وفيه مقام روحانية إدريس عليه السلام ، وتحته سبعة أفلاك ، وفوقه سبعة أفلاك ، وهو الخامس عشر ، فالذي فوقه فلك المريخ الأحمر ، وفلك المشتري ، وفلك كيوان ـ أي زحل ـ وفلك المنازل ، والفلك الأطلس ـ الذي لا كوكب فيه ـ وفلك البروج وفلك الكرسي ، وفلك العرش والذي دونه فلك الزهرة ، وفلك الكاتب ـ أي عطارد ـ وفلك القمرية ـ وكرة الأثير ، وكرة الهواء ، وكرة الماء وكرة التراب »[4] . وهذا ما ينسجم ، كما يبدو لنا ، مع ما كان متعارفاً عليه في عصره ، بل قبل عصره من قبل أصحاب النجوم .

---

(١) مجلة معهد المخطوطات العربية ، ص ١٧١ . ج ١ ، مجلد ٢٨ ، الكويت ١٩٨٤ م .
(٢) ابن حجلة : سكردان السلطان ، ص ٣٨ و ٣٩ .
(٣) ابن العربي : نصوص الحكم ٢ / ٤٣ .
(٤) نفسه ١ / ٧٥ .

على أن أعظم كتب ابن العربي التي تتضمن اعتقاده في النجوم هو رسالته الموسومة بـ (متن الشجرة النعمانية الكبرى في الدولة العثمانية وما يتعلق بمدتها من الحوادث الكلية) وهي أشبه ما يكون بكتب الملاحم التي تتحدث عن قيام الدول وزوالها وزوال الممالك . وتوجد من هذا الكتاب أو الرسالة ، نسخة مخطوطة في دار الكتب الظاهرية بدمشق تحمل الرقم ٨٢٢٦ ، وأولها بعد البسملة والحمدلة : (فإني ذاكر في هذه الرسالة ما دعت الحاجة إليه من ذكر حوادث الزمان المنبعثة من تأثيرات الإقتران وحركات الأفلاك في الدوران) . أما آخر الرسالة فهو التالي : (. . أعوامه كوامل ، وأيامه فواضل ، ودعواته وسائل ، ينتهي أمره إلى غاية عام أيقغ ـ كذا ـ بأعوام خليفته الذي بعده يتبع ، وهنا يفترض قبض عنان البنان بأفصح من هذا البيان حتى يؤذن لنا في ذكر حوادث ما بعد أيقغ ـ كذا الحساب)[1] .



(١) ربما كان يعني بلفظة أيقغ ، الرقم ١١١١ ، بحساب الجمّل .

مبحث ثانٍ

العلماء

جابر بن حيان (ت ٢٠٠ هـ / ٨١٥ م) :

هو أبو موسى ، أو أبو عبد الله جابر بن حيان الكوفي الأزدي صاحب مئات الكتب والرسائل في الطب والهيئة والكيمياء والتنجيم والرياضيات ، منها كتاب « القمر » وكتاب « الشمس » وكتاب « السماء » وكتاب « روحانية عطارد » وكتاب « المريخ » وكتاب « زحل » وكتاب الزهرة » وكتاب « عطارد »[1] . يأتي جابر بن حيان المعاصر للإمام الصادق وتلميذه البار المطيع ، الآخذ عنه ، المتأثر جداً بأقواله وحكمته وأخلاقه ، والمتفنن في الاشتغال بالصنعة ، أي الكيمياء القديمة وتحويل المعادن وما فيها من خواص والقائل بالطبائع . يأتي في طليعة من نسبوا إلى الكواكب تأثيراً لا ينكر في عالم الطبيعة والكون والفساد لكن دون أن يصل إلى حدود القول بالأحكام والحدثان ومعرفة الغيب وفق ما ذهب إليه جماعة المنجمين . إن جابراً يرى أن الأفلاك بكواكبها وبروجها تعطي العناصر طبائعها وموادها وهي تتممها فيكون عنها الزيادة والنقصان[2] . . ولن نخوض في تفاصيل ذلك إذ حسبنا منها مثال واحد هو أن الكواكب الحارة إذا حلت في البروج الحارة نجم عن ذلك ثوران النيران والزيادة والنقصان في مادتها وحماء الزمان ، أي

---

(١) الفهرست ١٠ / ٤٢٢ .

(٢) جابر بن حيان : المختار في رسائله (مختار رسائل جابر بن حيان) ، ص ١٦ .

القيظ الشديد ، وجفاف الشجر والنبات ويبس الأشياء وحماؤها وتوازن الصفراء في الأجسام ، وكثرة ثوران النيران بالإحراق وما أشبه ذلك واحتراق الألوان وسمرة الصغار الذين في الأرحام وسوادهم ونقصان المياه وجمود الأرضين والمياه وهبوب الرياح الوبيئة المحرقة والمتلونة كالريح الحمراء والصفراء وانعقاد الحجارة الشريفة كالكبريت والياقوت وما أشبه ذلك[1] .

وبعد أن يعدد خواص النجوم وأفعالها في البلدان والأطعمة والحيوان والنبات والأحجار والمعادن[2] ، ينتقل جابر إلى الحديث عن علم استخدام الكواكب العلوية الذي أطلق عليه اسم العلم العظيم واسم العلم الأكبر وهو علم الطلسمات ، هذا فضلاً عن الحديث عن علم الصنعة أي الكيمياء ، وعلم الصور والتكوين وعلم الطبيعة والميزان والطب . والذي يهمنا منها جميعاً علم الطلسمات الذي قد يلحق بالتنجيم لأنه يقوم على استخدام الكواكب في أعمال وحالات مخصوصة . والطلسمات تتبع نوعين من الطباع هما : طباع الأدوية والعقاقير ، وطباع النجوم في الحركة والموضع معاً ، وليس كذلك علم الخواص لأن هذا الأخير يتبع إما طباع النجوم بالحركة وإما طباعها بالوضع إضافة إلى طباع الأدوية والعقاقير والحجارة . . وهذا هو الفرق بين الطلسم والخاصية[3] . مرة ثانية لم نخض في تفاصيل ذلك لأن له بحثه الخاص لكن نكتفي على سبيل التوضيح بالإشارة إلى واحد من تلك التي اعتمد فيها جابر على المماثلة والمقابلة . يقول جابر بن حيان : « إن المماثلة أن تعتمد الأدوية المشاكلة لطبع كوكب في فعل ذلك الشيء مثال ذلك أنك تريد استجلاب الأسد إلى مدينة من المدن ، أو السمك إلى ماء من المياه . وهذان المثالان هما نقيضان في الطبع ، إنه تجمعهما المماثلة . . فليكن الرصد إلى برج حارّ يابس (الأسد) ويكون في ذلك البرج نجم حار يابس في أحد المراتب إما في الغلبة ، وإما في الأوسط ، وإما في النقصان . ومثال البروج الحمل والأسد والقوس ، ومثال الكواكب الشمس والمريخ والزهرة وعطارد والشمس أقوى وأمكن والمريخ أوسط ، والزهرة وعطارد أضعف ، والسمك أن يكون البرج بارداً رطباً كالقمر لا غير ، والبارد اليابس

---

(١) نفسه ، ص ١٦ ـ ٢١ .

(٢) انظر الفصل المتعلق بالتنجيم لتقف على رأي جابر وآراء غيره حول تأثير الكواكب على المعادن والحجارة والأماكن وسواها .

(٣) مختار رسائل جابر ، ص ٧٩ .

زحل فهذا ما في المقابلة من الكواكب »[1] . ولك طلسم وقته المناسب ، وبخوره الملائم ، وكوكبه المناظر له : الكافور مثلاً بخور زحل لأنه يماثله في البرودة واليبوسة .

والزعفران بخور المشتري لأنه يماثله في الحرارة والرطوبة . والزنجار والفلفل بخورا المريخ لأنهما يماثلانه في الحرارة واليبوسة ، وهكذا دواليك بالنسبة إلى سائر الكواكب ، لكل منها بخوره في المماثلة والمقابلة[2] . ولا يفوتنا أن نذكر أخيراً أن من بين كتب الطلسمات التي تنسب إلى جابر بن حيان ، كتاب « البحث » الذي ورد قسم منه في كتاب « غاية الحكيم » الذي يعرف باللاتينية باسم Picatrix والمنسوب عن طريق الخطأ إلى المجريطي . وفي هذا الكتاب يتبين لنا كيف أن الكواكب تمد صاحب الطلسم بالقوة عن طريق تأثير إشعاعاتها المنبعثة من موقعها الفلكي الخاص بها ، شرط أن تكون هذه الكواكب في هيئة معينة ، مشحونة بالقوة ، فتستخدم للغاية المنشودة وبالطريقة الصحيحة في الوقت الملائم . . كل ذلك لأن الفلك والعطاء كله ـ وهو المبتغي في الطلسمات ـ هو تحريك الشيء القابل وإخراجه من القوة إلى الفعل[3] . ومن بين كتبه التي تصب في الغاية ذاتها كتابه الموسوم بـ « الرحمة » وفيه يعدّ جابر المعدن « كائناً حياً ينمو في باطن الأرض أمداً طويلاً ثم ينقلب من معدن خسيس كالرصاص ـ مثلاً ـ إلى معدن نفيس كالذهب»[4] . وجابر يطبق مذهب التناسل والزواج والحمل والتعليم على المعدن . وهو يعتبر أن لكل جسم كيميائي نفساً وجسماً وإن له جزءاً ماديا وآخر روحياً ، وإن عمل الكيميائي ينحصر في فصل هذا الجزء من ذاك . ثم يعمد إلى تلطيفه وإعطاء كل جسم الطبع الذي يلائمه[5] .

أبو بكر الخوارزمي (٣١٧ ـ ٣٨٤ هـ ـ ٩٩٣ م) :

يُعتبر أبو بكر الخوارزمي صاحب « الرسائل » الذي اتصل بالصاحب بن عباد واستقر في نيسابور ، من ألمع العلماء الذين تصدوا لموضوع أحكام النجوم ،

---

(١) نفسه ، ص ٨٣ ـ ٨٤ .
(٢) مختار رسائل جابر ، ص ٨٦ ـ ٩٠ .
(٣) تراث الإسلام ، ص ١٠٨ .
(٤) دائرة المعارف الإسلامية ١٠ / ٣٦٠ .
(٥) نفسه ١٠ / ٣٦٠ .

إذ هو في كتابه الموسوم بـ « مفيد العلوم » . وبعد أن يشير إلى اختلاف المسلمين في النجوم ما بين قائل بفاعليتها وعليتها ، وبالإحالة عليها ، وبين قائل بجواز اعتبار مسيرها سبباً كالصيف أجرى الله السنة فيه بحرارة الهواء ، وكالشتاء يبرد فيه الهواء ، ولو أراد الله قلب الحر والبرد ، فلا الصيف موجبه ولا الشتاء . . أقول بعد أن ميّز أبو بكر بين هذه الرأيين ، رد على ذلك مبطلاً تدبير النجوم أصلاً وفرعاً ، معتمداً في ذلك الحجة والدليل : أما دليله الأول فهو يقوم على أساس أن النجوم مخلوقات من الجماد غير الحي ولا العالم ولا القادر ، إنها مجرد نجوم تضيء ، وهي مسخرة ولا علم لها بما تفعل من الحركة والسكون والسير[1] . أما ما يقال عن فعل النجوم للأشياء بطبعها ، لا باختيارها ، كما زعم البعض ، فيرد أبو بكر هذا القول معتبراً ذلك محالاً لأن الجماد ، وما كان ميتاً يستحيل وقوع الفعل منها ، زيادة على ذلك ، فإن الطبع إن أثر ، فهو يؤثر عند الإتصال لا الانفصال ، تماماً كالنار التي تحرق القريب ، لا البعيد ، فأي تأثير يكون لهذا النجم النائي عنا ، كزحل مثلاً في الذين يعيشون على وجه هذه الأرض ؟

وأما دليله الثاني فهو يقوم على أساس أن الفلك والسيارات إنما هي إما موجودة بنفسها ، وإما أنها موجودة بصانع صنعها : أما القول إنها مخلوقة بنفسها ، فهذا محال أيضاً ، وأما القول إنها مصنوعة بصانع ، فهذا يستدعي القول إن النجم حادث ، وهو بحاجة إلى نجم آخر من جنسه أوجده وخلقه . . وهكذا إلى ما لا نهاية له ، وهذا ما لا يصح الأخذ به ، ولا يمكن الركون إليه لاستحالته . ولا يقلل من شأن هذه الاستحالة قول المنجم إن المسلمين هم أيضاً يثبتون للعالم صانعاً ، ويقولون إنه لا نهاية له . يرد أبو بكر على هذا القول بأن المسلمين إنما هم يثبتون للعالم صانعاً على خلاف العالم ، وهو حي وقادر لا يشبهه شيء . وأما الدليل الثالث على عدم صحة أحكام المنجمين ، وهو من البداهة بمكان ، فهو تسفيه القائلين بصحة أخذ الطالع للمولود ، هذا الطالع الذي ينبئهم بما سوف يصيب المولود من لدن ولادته حتى مماته . يتساءل أبو بكر عن هذا الزعم غير المبني على أساس علمي متين فيقول ما معناه ، وأين وجه الصحة ، ونحن نعرف أنه قد يغرق العديد من الناس في سفينة واحدة ، فيموتون في ساعة واحدة على الرغم من اختلاف مواليدهم وأعمارهم ؟

---

(١) الخوارزمي ، أبو بكر : مفيد العلوم ، ص ١٢٥ .

وأخيراً فإن أبا بكر يتوجه إلى المنجم بالقول : « إن قلت النجم باختياره ، فقد ارتفع الخلاف ، لأني أثبت الصانع الحي العالم القادر ، إلا أنك تسميه نجماً وأنا أسميه رباً وصانعاً »[1] .

ابن طاووس (٦٦٤ هـ / ١٢٦٨ م) :

أما ابن طاووس ، صاحب كتاب « فرج المهموم في تاريخ علماء النجوم » ، وهو من العلماء الشيعة المتأخرين (ت ٦٦٤ هـ / ١٢٦٨ م) ، فيظهر أنه من المعتقدين بالنجوم على أنها إمارات ومجرد دلالات على الأحداث ، وليس على أنها علة موجبة لها ، ولا على أنها فاعلة تقضي بالتدبير والتأثير .

هذا في الأساس ، فماذا في التفصيل ؟

يرى ابن طاووس أن في النجوم التي برأها الله ، وصدرت عنه ، أسراراً ودلالات وآثاراً أطلع أنبياءه عليها ، وبيّن لهم سعودها ونحوسها ، وما يكون في المولودين بها[2] . لكن من غير أن تكون فاعلة ، أو علة موجبة للحادثات ، أو مختارة للكائنات ، وإنه ليس ما يمنع عقلاً ولا نقلاً من أن تكون علامات للحادثات[3] .

وبشأن اعتماد النقل الذي دعم به ابن طاووس رأيه ، فإنه يسوق عدة روايات تنسب علم النجوم إلى الله تعالى ، الذي علمه من ارتضى من رسله ، وفي طليعة هؤلاء آدم وإدريس ، موضحاً في الوقت ذاته ، أن نبوة نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد(ص) ، كان قد دل عليها عموماً أخبار المنجمين[4] .

وبعد أن ينوه ابن طاووس بالرواية التي تقول أن محمداً (ص) ذكر مولده الشريف بمقتضى علم النجوم فقال (ص) : « وُلدت بالسماك » ، وحساب أهل النجوم أنه السماك الرامح ، في ثاني طالعه زحل ، فلم يكن له ملك ولا عقار[5] .

---

(١) الخوارزمي ، أبو بكر : مفيد العلوم ، ص ١١٥ .
(٢) فرج المهموم ، ص ٢١ .
(٣) فرج المهموم ، ص ٨١ .
(٤) انظر الفصل الخاص بالتنجيم في الأمم القديمة .
(٥) فرج المهموم ، ص ١١٤ . وانظر أيضاً : البصائر والذخائر ، ٤٤٨ .

وبعد أن ينوه بالرواية القائلة إن الإمام علياً خطب الناس فقال : « أعطاني الله تسعة أشياء لم يعطها أحد قبلي خلا النبي (ص) ، ومنها النظر في الملكوت ـ أي النظر في السماوات السبع والأرضين السبع ، وهذا يعني النظر في النجوم ، حسبما يرى ابن طاووس[1] . وبعد أن يذكّر بالحديث المنسوب إلى الإمام علي والقائل : « من اقتبس علماً من علم النجوم من حملة القرآن ازداد به إيماناً ويقينا »[2] . وبحديثه الآخر القائل لمن أراد أن يخرج في تجارة له ، والشهر في المحاق : « أتريد أن يمحق الله تجارتك ؟ استقبل الشهر بالخروج »[3] . وبعد أن يشير إلى كراهية الإمام للسفر والزواج في محاق الشهر ، أو إذا كان القمر في العقرب[4] . وبعد أن يدّل على حديث الإمام المتعلق بالنجوم ، ومنه قوله : « من إثبات ثابتها وسير سائرها وهبوطها لمهاد صعودها ونحوسها وسعودها »[5] .

بعد هذا كله ، يعرّج ابن طاووس على الروايات المنسوبة إلى الإمام الصادق ، ومنها على سبيل المثال ، ما كتبه الإمام إلى محمد وهارون ابني سهل لما سألاه عن حلّية النظر في النجوم ، فكان الجواب قوله : « ما لم يخرج من التوحيد »[6] ، ومنها ما قاله لابن سيابة لما سأله بدوره عن حلّية النظر في النجوم ، وعما إذا كان ذلك يضر بدينه ، فقال ـ كما أسلفنا من قبل ـ : « ليس كما يقولون ، لا تضر بدينك ، إنكم تنظرون في شيء منها ، كثيره لا يدرك ، وقليله لا ينتفع به »[7] .

ثم يعرّج بعد ذلك على بعض الروايات المنسوبة إلى الإمام الكاظم محاولاً انتزاع ما أمكن من الأدلة المثبتة لوجهة نظره في صحة الاعتقاد بالنجوم ، ومنها ما أجاب به أمير المؤمنين هارون الرشيد لما قال له : « الناس ينسبونكم ، يا بني فاطمة ، إلى علم النجوم . وفقهاء العامة يقولون إن رسول الله (ص) قال : إذا

---

(١) نفسه ، ص ١٠١ .
(٢) فرج المهموم ، ص ١١٢ .
(٣) فرج المهموم ، ص ١٢٢ .
(٤) نفسه ، ص ١١٢ . وانظر : شرح نهج البلاغة ١٩ / ٤٣١ .
(٥) نفسه ، ص ٥٦ .
(٦) فرج المهموم ، ص ١٠٠ .
(٧) نفسه ، ص ٨٦ . وانظر الخبر مفصلاً في : « روضة الكافي » للكليني ، ص ١٦٩ . مطبعة النجف ١٣٨٥ هـ .

ذُكر أصحابي فاسكتوا ، وإذا ذُكر القدر فاسكتوا ، وإذا ذُكر النجوم فاسكتوا . وعلي كان أعلم الخلائق بالنجوم ، وأولاده وذريته كانوا عارفين بها » ، فأجابه الكاظم بالقول : « هذا حديثٌ ضعيف ، وإسناده مطعون فيه ، والله تعالى مدح النجوم فلولا أن النجوم صحيحة ما مدحها الله ، والأنبياء كانوا عالمين بها . قال الله تعالى في سورة إبراهيم : ﴿ وكذلك نري إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين ﴾[1] . وقال : ﴿ فنظر نظرة في النجوم . فقال إني سقيم ﴾[2] ، فلو لم يكن عالماً بالنجوم ما نظر فيها ، ولا قال : إني سقيم ، وإدريس كان أعلم أهل زمانه بالنجوم ، والله أقسم بمواقع النجوم[3] ، وقال : ﴿ فالمدبرات أمرا ﴾[4] ، يعني بذلك اثني عشر برجاً ، وسبع سيارات . . وبعد علم القرآن ، لا يكون أشرف من علم النجوم . وهو علم الأنبياء والأوصياء الذين قال فيهم ﴿ وعلامات وبالنجم هم يهتدون ﴾[5] . ونحن نعرف هذا العلم ، وما ننكره[6] .

ومنها ما جاء في جواب الإمام الكاظم لمصقلة بن إسحاق ، وكان المنجم أخذ طالعه ، ووقّت له عمراً أوشك على الانتهاء ، فخاف مصقلة كثيراً فحثه الإمام على الصلاة والصيام والدعاء والقرآن والإعتراف بالذنب ، ثم ختم جوابه له بالقول : « وأنا أرجو أن يزيد الله في عمره ، ويبطل قول المنجم في ما أطلعه على الغيب »[7] .

لن نعلق أبداً على موقف ابن طاووس من تلك الروايات التي حاول ـ كما لاحظت ـ جاهداً أن ينتزع منها ما يعزز رأيه وموقفه . لكن ، إنصافاً للحقيقة نقول إن ابن طاووس لم يكن يرى في النجوم سوى دلالات على ما يجري من أحداث وليس لها البتة أي تأثير على تكوين النفوس والأخلاق والطباع ، يدل على ذلك قوله : « لو كانت الأفلاك والشمس والقمر والنجوم عللا موجبات وإن ما في

---

(١) الآية ٧٥ من سورة الأنعام .
(٢) الآيتان ٨٨ و ٨٩ من سورة الصافات .
(٣) الآية ٧٥ من سورة الواقعة .
(٤) الآية ٥ من سورة النازعات .
(٥) الآية ١٦ من سورة النحل .
(٦) فرج المهموم ، ص ١٠٨ ـ ١٠٩ .
(٧) المصدر نفسه ، ص ١١٥ .

العالم صادر عنها لاستحال أن يوجد في العالم حيوان مختار وقد علمنا بالضرورة والبديهة أن الإنسان فاعل مختار بل علمنا من الحيوانات أنها مختارة . وإنما هي صادرة عن مختار لذاته قادر على كل اختيار يقدر أن يصدر عنه[1] ، ولعل من أوضح الأمثلة التي قدمها للدلالة على فساد أحكام المنجمين القائلين بالعلية والفاعلية ما ورد على لسان ابن طاووس نفسه بهذا الشأن إذ يقول : « وُلد لي ولدان توأمان ليس بين ظهورهما من الفرق والزمان بقدر ما بين الإسطرلاب فاشتركا في درجة واحدة من طالع واحد في نصبه ولم يدرك فيهما التغيير ، فإن الحكم على الحمل يوجب أن تكون حالة هذين المولودين متماثلة ، فلا والله ما تماثلت صورتهما ولا أحوالهما ولا صحتهما من سقمهما . ولقد مات أحدهما بعد أيام ، وامتدت بالآخر الأعوام وقد كانت ولادة التوأمين في ساعة واحدة . فما الحيلة في هذا الأمر »[2] . ويقول ثانية : « لقد حولت مولدي عند ثلاثة من المنسوبين إلى علم النجوم ببغداد وعند أربعة من أهل الموصل . وشافهت من حضرني غيرهم ولو كان من أهل الذمة . وذلك كي أستعد للمعاد . وقد قال أكثرهم إن عمري يتسع إلى ٧٥ شمسية وقال آخر إلى ٧٤ شمسية وقال اثنان : يزيد على ٨٠ سنة »[3] .

ولئن كان كما يرشح من القولين السابقين ، يسيرا استنتاج موقف ابن طاووس السلبي من القائلين بأحكام النجوم على النحو الشائع عند أصحاب هذه الصناعة ، فهذا لا يعني نفيه له ، ولو من حيث الأساس ، كما لا يعني أبداً الحرمة وعدم جواز الإشتغال به ، فهو ، أي ابن طاووس يرد على عدد من العلماء والفقهاء الذين حظروا الاشتغال بالنجوم ، ومنهم السيد المرتضى ، فيبين له على سبيل التعجب لا الإنكار ، الوجه الذي من أجله جوّز لنفسه القبول بعمل زايرجة كما ذكر بعض الكتب ، فكان طالع المرتضى : الجوزاء وطالع ولده الأسد أو العقرب ، وطالع الرضي ـ أخيه ـ الجوزاء ، وطالع ولده عدنان ، الميزان أو الجوزاء؟ »[4] .

ومهما يكن ، فإن ابن طاووس ، يزري بمن يقول إن النجوم فاعلة

---

(١) ابن طاووس : فرج الهموم ، ص ٦٠ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ٧١ .
(٣) المصدر نفسه ، ص ١٥٠ ـ ١٥١ .
(٤) فرج الهموم ، ص ٥٢ .

ومؤثرة ، أو هي علة موجبة ، معتبراً القول هذا شبيها بأقوال المجبرة التي دل على بطلانها كل من القرآن والعقل والنقل ، وذلك أن « كل دليل يدل على الوحدانية من المعقول والمنقول فهو دليل على بطلان قول من قال إن النجوم تفعل كفعل الله جل جلاله »[1] ، وما الأحاديث التي تنهى عن تصديق النجوم ، إلا « وهي محولة على الأخذ بعليتها وفاعليتها دون الأخذ بكونها دلالات وعلامات على الحادثات بقدرة الفاطر لها ، الآمر بها في الدلالات ، تماماً كما جعل قلب ابن آدم وعقله ونظره ، دلائل على التصديق بأمور حاظرات مع تباعدها عما يحيط بعلمه في المسافات والجهات »[2] .



(١) نفسه ، ص٨١ .
(٢) نفسه ، ص٨٢ .


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الفصل الثاني

المتكلمون والفلاسفة

ـ تمهيد .

ـ مبحث أول :

أولاً : المعتزلة .

ـ ابن أبي الحديد .

ثانياً : الأشاعرة .

ـ الفخر الرازي .

ـ مبحث ثان : الفلاسفة :

ـ الكندي .

ـ الفارابي .

ـ اخوان الصفاء .

ـ التوحيدي ، مسكويه ، السجستاني .

ـ ابن سينا .

ـ الغزالي .

ـ ابن ملكا البغدادي .


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

تمهيد

بعيداً عن الخوض في غمار الخلاف الذي ما يزال قائماً حول أفضل نسبة يجب إطلاقها على المتكلمين والفلاسفة الذين ملأوا الدنيا في أعصر بني العباس من حيث اعتبارهم إسلاميين أو عرباً . فإن الذي يهمنا هو دراسة الأثر الذي تركه التنجيم في فكر طائفة من هؤلاء الفلاسفة والمتكلمين ، سواء أكانوا من العرب الأقحاح فعلاً ، أم من غير العرب ، وإن كانت اللغة العربية هي الأداة الأوفر حظاً لتدوين إبداعهم والتعبير عن أفكارهم ، وتبيان آرائهم ومعتقداتهم في كل حال . وإن كنا نحن نميل أكثر إلى تسمية ما ابتدعوه ، بالحضارة الإسلامية ، وذلك لأن معظم الذين اشتغلوا بالفلسفة كانوا من المسلمين ، ولأن العلم الإلهي ، والبحث في ما وراء الطبيعة كان من أعظم علوم الفلسفة على الإطلاق[1] . وبما أن التلازم وثيق في الإسلام ، بين العقائد والأحكام ، أي بين القضايا الدنيوية والقضايا الدينية ، فقد بدأت الفلسفة الإسلامية مع ظهور البذور الأولى لحركة علم الكلام . ولقد وجد المسلمون في مناقشات علماء الكلام الأوائل ، وهي التي تركزت في غضون القرن الأول للهجرة ، حول مسألة العدالة الإلهية أو المسؤولية الإنسانية ، حافزاً دفعهم إلى التوفر على دراسة الفلسفة اليونانية .

ومع أن خالد بن يزيد رعى الترجمات الأولى للمؤلفات العلمية في الطب

---

(١) فروخ عمر : تاريخ الفكر العربي ، ص ٢٠٧ .

والنجوم والكيمياء إلى العربية ، إلّا أن نهوض الفلسفة الحق كان مع ظهور أولى الترجمات لمؤلفات الأعلام اليونان من السريانية أو اليونانية إلى العربية ، وكانت المؤلفات العلمية والطبية أقدم ما ترجم إلى العربية ، نظير مؤلفات حنين بن إسحق .

والذي تجدر الإشارة إليه في هذا الشأن هو أن أول فيلسوف أصيل ألّف بالعربية كان الكندي (٨٨٦ م) الذي يقف على الخط الفاصل ما بين الفلسفة والكلام ، الأمر الذي حال دون إغراق العقيدة الدينية في تيار الفكر الفلسفي التجريدي ، وحال دون تسخير نور الإيمان الفائق للطبيعة لنور العقل الطبيعي تسخيراً تاماً[١] .

هذا بشأن الفلسفة عموماً ، أما علم الكلام ، وهو العلم الذي يتضمن الحجاج عن العقيدة والإيمان بالدليل العقلي ، والرد على المبتدعة والمنحرفين في الاعتقادات عن مذاهب السلف وأهل السُّنة ، كما فهم ذلك ابن خلدون ، وهو العلم الذي اتخذ اسماً له من الكلام الإنساني لأن علماءه كانوا يتجادلون على أساس من المنطق مستعملين شتى الأقيسة والأدلة في الجدال ، فإن عوامل نشأته تعود في الدرجة الأولى إلى ما يُعرف بالفضول العقلي المتمثل بالسؤال عن كل شيء ، وإلى التشدد في المبادىء كتشدد الخوارج في مرتكب الكبيرة ، وتشدد المرجئة في الاعتقاد بأن الأصل في الدين ، إنما هو الإيمان ، إلى التفكير السياسي واختلاف المسلمين في نظرتهم إلى الخلافة ، وإلى إقناع غير العرب بالدين الجديد[٢] . وفي رأي عمر فروخ ، أن علم الكلام نشأ بعد معركة صفين مباشرة ، إلى أن انتهى فناً مستوياً له منهاجه وقضاياه قبيل سقوط الدولة الأموية[٣] .

ومهما يكن فقد كان لظهور بواكير الأحزاب السياسية ، وللصراعات العقائدية والمذهبية بين المسلمين ، الأثر الفاعل في الانقسامات الناجمة عن الخلاف الكلامي الذي أخذ يشق طريقه بيسر وسهولة في صفوف الفقهاء

---

(١) تاريخ الفلسفة الإسلامية ، ص ١٧ .
(٢) نفسه ، ص ٢٠٥ ـ ٢٠٧ .
(٣) نفسه ، ص ٢٠٨ .

والمحدثين منذ القرن الأول للهجرة / السابع الميلادي . ثم راح يتعاظم مع بداية تسرب الفلسفة اليونانية إلى الفكر العربي .

وبعيداً عن هذا ، إن الذي يهمنا أولاً وآخراً هو الأثر الذي تركه التنجيم في فكر عدد من هؤلاء الفلاسفة والمتكلمين . وهذا ما سنعرض له في مبحثين اثنين هما : المتكلمون والفلاسفة .



مبحث أول

المتكلمون

المتكلمون بصورة خاصة ، هم المعتزلة والأشاعرة ، وكلاهما سعى إلى التحقيق في أصول العقيدة الإسلامية والدفاع عنها بالعقل والنقل .

أما المعتزلة ، وهم المعروفون بنزعتهم العقلية وانفتاحهم على المسائل والقضايا العلمية ، فيبدو أنهم لم ينساقوا إلى آراء المنجمين ، ولم يطمئنوا إلى أقوالهم تمام الاطمئنان ، وذلك على الرغم من أخذ بعضهم بأسباب هذا العلم أخذاً يشبه إلى حد بعيد ذلك الذي عند بعض الفقهاء لجهة الاعتقاد بأن تكون النجوم مجرد دلالات على الحوادث ليس إلاّ ، يقول محمود بن عبدالله بن أحمد الخوارزمي ، أحد أساطين الاعتزال : « المنجم لا يحكم بما أخبر به ، إلاّ عن طريق ، وذلك أنه تعالى جعل حركات النجوم دلالات على ما يحدث في العالم ، فمن أحكم العلم بها ، أمكنه الوقوف عليها بعلمٍ أو ظن »[1] .

ولعل أبا علي محمد بن عبد الوهاب بن سلام الجبائي في طليعة علماء المعتزلة الذين توفروا على دراسة التنجيم فأخذوا منه بنصيب وافر ، وكان من أحذق الناس بأخذ الطالع ، على ما ينقل عنه ولده أبو هاشم[2] . ومن إصابات أبي علي

---

(١) ابن طاووس : فرج المهموم ، ص ٢١٤ .

(٢) التنوخي : نشوار المحاضرة ٢ / ٣٣٣ .

التنجيمية حكمه على ولده أبي هاشم بالعيش نيفاً وسبعين سنة إن أفلت من قطع يتعرض له في سن السادسة والأربعين . وما أفلت أبو علي من هذا القطع ، إذ اعتل في السنة ذاتها ، فمات في الليلة التي حددها له أبوه ، هذا ما حدث به أبو الحسن بن الأزرق كما في النشوار[1] . ومن إصاباته أيضاً حكمه لبعض غلمانه بعسكر مكرم بأن مولوده الجديد سوف يموت بعد خمسة عشر يوماً من تاريخ ولادته . ومات الولد حقاً ، لكن بعد ستة عشر يوماً[2] . أما إصابته الثالثة فهي حكمه على بعض مواليد عسكر مكرم بأنه أحنف ، فصح حكمه فيه[3] .

على أنه من الإنصاف القول بأن أبا علي لم يكن ليطلق أحكامه هذه على سبيل القطع واليقين ، وإنه كان يذهب في هذا مذهب الإحتراز والتحوط ، فيُعلل ما يذهب إليه عن طريق استخدام الحجة والمنطق والدليل : ففي حديث أبي محمد عبدالله بن العباس الرامهرمزي المتكلم قال : « أردت الإنصراف من عند أبي علي الجبائي إلى بلدي ، فجئته مودعاً ، فقال لي : يا أبا أحمد ، لا تخرج اليوم ، فإن المنجمين يقولون إنه من سافر في مثله غرق ، فأقم إلى يوم كذا وكذا ، فإنه محمود عندهم . فقلت : أيها الشيخ ، مع ما تعتقده في قولهم ، كيف تُجيب بهذا ؟ فقال : يا أبا محمد ، لو أخبرنا مخبر ونحن في الطريق ، أن فيه سبعاً ، أليس كان يجب في الحكمة علينا أن لا نسلك ذلك الطريق إذا قدرنا على سلوك غيره ، وإن كان مما يجوز عليه الكذب ؟ قلت : نعم ، قال : فهذا مثله وقد يجوز أن يكون الله تعالى أجرى العادات بأن تكون الكواكب إذا نزلت هذه المواضع ، حدث كذا والأخذ بالحزم أولى . قال : فأخرت خروجي إلى اليوم الذي قاله »[4] .

وأما الأشاعرة ، وهم الذين يمثلون صلب الإعتقاد السني فلم يكن موقفهم ليختلف كثيراً عن موقف المعتزلة في هذا الشأن وإن كانوا أشد تمسكاً بالدفاع عن العقيدة وأكثر ميلاً إلى تسفيه آراء المنجمين . وهم ، بل قل قليلٌ منهم ، أن أخذوا أحياناً بالنجوم استناداً إلى صحة بعض أحكامها ، وإصابة عدد من

---

(١) نشوار المحاضرة ٧ / ١١٦ .
(٢) نفسه ٧ / ١٩٩ .
(٣) نفسه ٧ / ١٩٨ .
(٤) نفسه ٢ / ٣٣٢ .

المنجمين ، فإنما يأخذون بذلك على سبيل أن النجوم مجرد دلالة على الأحداث ، وليست هي علة لها وسبباً . . . وهاك عدداً من آراء هؤلاء وأولئك وفاقاً لهذا الترتيب .

أولاً : المعتزلة :

ابن أبي الحديد (٥٨٦ - ٦٥٥ هـ / ١١٩٠ - ١٢٥٧ م) :

ابن أبي الحديد ، وهو أحد أبرز أعلام المعتزلة المتأخرين ، ومن أبرع متكلميهم ، وشارح نهج البلاغة . ابن أبي الحديدهذا كان أفضل من فصّل الكلام في موضوع التنجيم ، جامعاً في كلامه خلاصة أفكار المعتزلة قبله ، متصدياً لأصحاب الرأي القائل بأن النجوم فاعلة فينا ومؤثرة ، متخذاً موقفاً مماثلاً لأصحاب الرأي القائل بأنها علامات وإمارات على ما يحدث في عالم الكون والفساد .

لقد بحث ابن أبي الحديد في هذه القضية بحثاً كلامياً ، وآخر حكمياً . أما المبحث الكلامي فيرشح منه بطلان فعل النجوم بالإختيار ، وذلك لأن المختار ، حسب تعبيره : « لا بد أن يكون قادراً حياً ، والإجماع من المسلمين حاصل على أن الكواكب ليست حية ولا قادرة ، والإجماع حجة »[1] . وهو يعلل ذلك تعليلاً عقلياً فيقول إن من شرط الحياة الرطوبة ، والحرارة على قدر مخصوص حتى إذا أفرطت هذه أو تلك امتنع حلول الحياة في الجسم . ثم إنه لو كانت هذه الكواكب حية وقادرة ، لم يجز أن تفعل في غيرها ابتداء ، وذلك لأن القادر بقدرة « لا يصح منه الاختراع ، وإنما يفعل في غيره على سبيل التوليد ، ولا بد من وصلة بين الفاعل والمفعول فيه ، والكواكب غير مماسّة لنا فلا وصلة بينها وبيننا »[2] .

أما القول ببطلان كون النجوم فاعلة فينا فهو قول المعتزلة أنفسهم ، الذين يذهبون إلى أن الاعتقاد بذلك يقتضي سقوط الأمر والنهي ، والمدح والذم ، وهو قول المجبرة ، وهذا مما لا يجوز في العقل ، ولا في النقل[3] . وأما القول بأن النجوم إمارات على ما يحدث أو يتجدد في عالم الكون والفساد كأن يدل طلوع

---

(١) ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة للإمام علي بن أبي طالب ٦ / ٧٢ .
(٢) نفسه ، ٦ / ٧٢ .
(٣) نفسه ، ٦ / ٧٢ .

كوكبٍ ما على فعل مخصوص ، ويدل غروبه أو إتصاله على فعلٍ آخر ، فهذا ، وإن كان غير ممتنع لو ثبت سمع مقطوع به ، مما لا يعلم بالعقل ، بل بالتجربة . فالتجربة ، برأي ابن أبي الحديد ، لا تكون حجة إلا إذا استمرت واطردت ، وكانت خالية من الخطأ ، والخطأ في التنجيم أكثر من الصواب الذي قد يقع على سبيل الاتفاق والتخمين ، ليس إلاّ . . والدليل على ذلك ، أن مثل هذا الصواب الحاصل على سبيل الاتفاق يتحصل مثله من أصحاب الزرق والتخمين بمقدار تحصله من أصحاب التنجيم ، لكنه غير مبني على أصلٍ صحيح ، ولا هو قائم على قواعد ثابتة .

هذا هو المبحث الكلامي . أما المبحث الحكمي فيستهله ابن أبي الحديد بالافتراض أن الحادث في عالم العناصر عند حلول كوكبٍ ما في برجٍ ما ، إما أن يكون المقتضي له مجرد ذلك الكوكب ، أو مجرد ذلك البرج ، أو حلول ذلك الكوكب في ذلك البرج . أما الافتراضان الأولان فباطلان حكماً ، لعلة حدوث ذلك الأمر قبلِ حلول الكوكب في البرج المخصوص ، وأما الافتراض الثالث ، فهو باطل أيضاً ، لأنه حسب تعبير ابن أبي الحديد : « إما أن يكون ذلك البرج مساوياً لغيره من البروج في الماهية ، أو مخالفاً له ، والأول يقتضي حدوث هذا الحادث لدى حلول الكوكب في هذا كما في غيره من البروج ، لأن حكم الشيء حكم مثله ، والثاني يقتضي كون كرة البروج متخالفة الأجزاء في أنفسها ، ويلزم في ذلك كونها مركبة ، وقد قامت الدلالة على أنه لا شيء من الأفلاك بمركب »[1] .

أما الاعتراض على هذا بالقول : لِمَ لا يجوز أن تختلف أفعال الكواكب المتحيرة عند حلولها في البروج ، لاختلاف ما في البروج من الكواكب الثابتة المختلفة الطبائع ؟ فيرد عليه بأنه لو كان الأمر كما ذكر ، لوجب اختلاف بيوت الكواكب وأشرافها وحدودها عند حركة الثوابت بحركة فلكها ، حتى أنها لتتقدم على مواضعها في كل مائة سنة على رأي المتقدمين ، أو في كل ست وستين سنة على رأي المتأخرين ، درجة واحدة ، لكن الأمر ليس كذلك ، فإن شرف القمر كما أنه في زماننا في الدرجة الثالثة من الثور ، فكذلك كان عند الذين كانوا قبلنا بألف سنة أو ألفين[2] . وأما الاعتراض بالقول : « لِمَ لا يجوز أن يُقال إن الفلك التاسع

(١) شرح النهج : لابن أبي الحديد ٦ / ٧٣ .
(٢) نفسه ٦ / ٧٣ .

مكوكب بكواكب صغار لا نراها لغاية بُعدها عنا ، فإذا تحركت في كرات تداويرها سامتت مواضع مخصوصة من كرة الكواكب الثابتة ، وهي فلك البروج ، فاختلف آثار الكواكب المتميزة عند حلولها في البروج تبعاً لاختلاف تلك الكواكب الصغار ؟ ولِمَ لا يجوز إثبات كرة بين الكرة الثامنة وبين الفلك الأطلس المدبر لجميع الأفلاك من المشرق إلى المغرب ، وتكون تلك الكرة المتوسطة بينهما بطيئة الحركة بحيث لا تفي أعمارنا بالوقوف على حركتها وهي مكوكبة بتلك الكواكب الصغار المختلفة الطبائع »؟[1] . أقول : أما الاعتراض بهذا القول فلم يجب عليه ابن أبي الحديد البتة ، لكن القول بالتجربة المبنية على التكرار المتمثل في الأدوار والألوف ، والتي زعم أبو معشر أنها هي الأصل في علم أحكام النجوم ، كمثل مماسّة جرم زحل للكرة المكوكبة ، ومثل انطباق معدل النهار على دائرة فلك البروج ، مما يستدعي حدوث طوفان الماء الذي يُحيط بالأرض من جميع الجهات . فهذا ما لا يجوز الأخذ به ، ولا يمكن التصديق به ، لأنه يحتاج إلى مرور آلاف السنين قبل أن تثبت صحته مراتٍ عدة عن طريق التجربة .

ثانياً : الأشاعرة :

الفخر الرازي (ت ٦٠٦ هـ / ١٢١٠ م) :

هو أبو عبدالله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين الطبرستاني المعروف بالفخر الرازي ، وبأبي المعالي ، وبخطيب الرّي ، الإمام المتكلّم ، شيخ الأشعرية ، الشافعي المذهب ، وصاحب التفسير المشهور بـ« مفاتيح الغيب » وسواه من التصانيف الكلامية والعلمية والفقهية في الأصول وأشهرها : « معالم أصول الدين » و« شرح الإشارات » و« لباب الإشارات » و« المسائل الخمسون في أصول الكلام » و« المناظرات في بلاد ما وراء النهر » و« كتاب الأربعين في أصول الدين » و« محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين » . والذي يهمنا من هذا ، موقف الرازي من التنجيم ، وما يتفرع منه أو يُدانيه من العلوم السرية الأخرى كعلم الرمل والسحر والطلسمات . ومن هاتيك المصنفات ، ما ذكره القفطي له ، وهو كتاب « الرمل والأحكام »[2] .

(١) شرح النهج ، لابن أبي الحديد ، ٦ / ٧٣ .
(٢) القفطي : أخبار العلماء بأخبار الحكماء ، ص ١٩١ .

ومن أهم كتبه في هذا المجال ، كتابه الموسوم بـ« الملخص في علم النجوم والطلسمات والسحر ودعوة الكواكب » ، وهو عبارة عن ثلاثين كراساً كتبها لخوارزم شاه »[1] . هذا الكتاب هو نفسه الكتاب المسمى « السر المختوم في علم الفلك والنجوم » . والذي ذكر في مقدمته أنه لخص فيه ما وصل إليه من علم الطلسمات ، ويتضمن ثلاث مقالات في تقرير الأصول الكلية ، وفي ما لا بد منه في علم النجوم ، وفي الطلسمات ، والذي يغلب على الكتاب السحر . وتوجد من هذا الكتاب الذي نُسب أيضاً إلى علي بن أحمد المغربي ، نسخة مخطوطة في مكتبة المتحف العراقي ببغداد رقمها ١٠٠١٤ ، كما توجد منه نسخة مخطوطة ثانية في دار الكتب الوطنية بتونس ، رقمها ٣٢ ، وتضم مائة وتسعاً وستين ورقة . وقد يُطلق على هذا الكتاب أيضاً اسم « كتاب المباحث المشرقية في علم الإلهيات والطبيعيات » ، نشرته حديثاً مكتبة الأسدي في طهران ، وفيه قول الرازي : « اعلم أن الأحوال الغريبة العجيبة الحادثة في هذا العالم إما أن تكون أسبابها تصورات نفسانية أو أمورٌ جسمانية : أما إذا كان حدوث تلك الغرائب من التصورات المجردة النفسانية ، فإما أن تكون الغرائب والعجائب أُريد بها صلاح الخلق وحملهم على المنهج القويم والصراط المستقيم ، وإما أن تكون قد أُريد بها توريط النفس في مهاوي الآفات والشرور . فالأول يُسمى بالمعجزة ، والثاني يُسمى بالسحر ، وأما إذا كان حدوث تلك الغرائب عن أسباب جسمانية ، فإما أن يكون حدوثها عن تخريج قوى سماوية بقوى أرضية ، وإما أن يكون حدوثها لأجل خواص غريبة موجودة في الأجسام العنصرية ، فالأول هو الطلسمات ، والثاني هو النيرنجات »[2] .

وقد يُطلق عليه أيضاً اسم « المطالب العالية من العلم الإلهي » ، نشرته حديثاً دار « الكتاب العربي » ، وحققه الدكتور أحمد حجازي السقا ، وفيه كلام الرازي عن أنواع السحر ، ولا سيما السحر المبني على طريقة النجوم ، ويتضمن فصولاً أربعة أولها في الطلاسم ، وثانيها صعوبة الوقوف على هذا العلم ، وثالثها تبيان الطريق الذي يحصل الوقوف به على طبائع الأجرام الفلكية ، ويتم ذلك

(١) فرج الهموم ، ص ٢٠٦ .

(٢) الرازي ، محمد بن عمر : كتاب المباحث الشرقية في علم الالهيات والطبيعيات ٢ / ٤٢٤٤ .
مكتبة الأسدي ، طهران ١٩٦٦ م .

بالقياس والتجربة والوحي والإلهام ، ورابعها الشروط الكلية المعتبرة في رعاية هذا الفرع[1] .

وهذا الكتاب هو نفسه مجموعة الجداول الفلكية والتنجيمية التي توجد منها نسخة مخطوطة في المكتبة الوطنية بباريس ، رقمها ٢٥٩٩ ، وفيها يتحدث عن النفوس والأرواح التي تتحكم في كل درجة من درجات البروج وما لها من تأثيرات وأحوال . وثمة نسخة مخطوطة منها في دار الكتب الظاهرية بدمشق ، رقمها ٨٥٣٤ ، وأولها : « هذا الكتاب نجمع فيه ملخص ما وصل إلينا من علم الطلسمات والسحريات ودعوة الكواكب مع تبري كل ما يخالف الدين ويثلم اليقين » ، وآخرها : « فافهم ذلك يا بني وانظر في هذا الكتاب وفي كتاب الأدوار ولا تخرجهم إلا إلى عاقلٍ حكيم وقور . تم الطلسمات والحمد لله رب العالمين » .

ومهما يكن من أمر ، وسواء أكانت هذه الكتب عبارة عن كتاب واحد ، أم كانت كتباً ورسائل متفرقة ومتنوعة ، فإن الذي يهمنا ، أن الرازي كان من المؤمنين بعلم النجوم ، وإن تهيب الخوض فيه كما يدل قوله : « والإنصاف أن هذا العلم مما لا يتحمل البحث فيه ومع ذلك فإن من يُراعي هذه القوانين فإنه يجد أكثر الأحكام مطابقاً لما قيل »[2] . وليس أدل على اعتقاده بصحة أحكام النجوم من قوله في « المطالب العالية من العلم الإلهي » ، « تُثبت بالدلائل الفلسفية أن مبادىء حدوث الحوادث في هذا العالم ، هو الأشكال الفلكية ، والاتصالات الكوكبية . ثم إن التجارب المعتبرة في علم الأحكام ، انضافت إلى تلك الدلائل ، فقويت تلك المقدمة جداً »[3] .

وليس ثمة أوضح من كلامه الآخر الدال على ما اختص به كل كوكب من الكواكب ، من تأثير وتدبير وهو ما قال به المنجمون . يقول الرازي في السحر المبني على النجوم : « ثم إن التجارب النجومية دلت على اختصاص كل واحد من هذه الكواكب السيّارة بأشياء معينة من هذا الأسفل ، فلكل واحدٍ منها طعوم

---

(١) الرازي ، محمد بن عمر : المطالب العالية من العلم الآلهي ٨ / ١٤٣ - ١٦٤ .
(٢) فرج الهموم ، ص ٢٠٦ .
(٣) المطالب العالية من العلم الآلهي ٨ / ١٤٣ .

مخصوصة ، وروائح مخصوصة ، ومن المعادن كذا ، ومن النبات كذا ، ومن الحيوات كذا . فإذا طُلب من الكوكب حالة مخصوصة ، مناسبة لعمل مخصوص ، ثم جمع بين الأشياء الفعلية المناسبة لذلك الكوكب . ولذلك الأثر ، فحينئذٍ قد حصل الفاعل القوي على ذلك الفعل ، وحصلت المواد القابلة لذلك الأثر ، المناسبة له »[1] .

والذي نخلص إليه اجمالاً ، هو أن الرازي ، كان من القائلين بتأثير النجوم ، لكنه وضع شروطاً ، لا بد من اعتبارها في رعاية كل من يتعاطى هذا النوع من استخراج أحكام النجوم ، وأهمها اطلاقاً : عدم الشك في هذا العلم ، والاعتقاد في صحة الأعمال والانسجام مع الروحانيات العلوية لأنها تطلّع على ما في قلوبنا ، وعدم الانقطاع عن هذا العمل والصبر عليه ، والانصراف إلى ممارسة الطقوس العبادية ، والمبالغة في النزوع نحو الكمال والفضيلة ، والإقبال على أعمال البر والخير ، وعدم أكل لحوم الحيوانات ، ويفضل القيام بأعمال الاتصالات والطلسمات ليلاً دوغا توقف أو انقطاع . . . ومهما يكن فإن الإنسان لا ينال إلا ما دلّ عليه طالعه لأن الناس فيه ثلاثة أقسام: قسم يدل طالعهم على استعدادهم لهذا العلم ، وقسمٌ يدل طالعهم على عدم استعدادهم له ، وقسمٌ ثالث يدل طالعهم على الاثنين معاً[2] .

(١) نفسه ٨ / ١٤٣ .

(٢) المطالب العالية من العلم الألهي ٨ / ١٦١ ـ ١٦٤ .

مبحث ثانٍ

الفلاسفة

الكندي (١٨٥ ـ ٢٥٢ هـ / ٨٠١ ـ ٨٦٦ م) :

لعل أبرز ما يُميز الكندي ، أبا يوسف يعقوب بن إسحاق[١] من غيره كونه أول فيلسوف عربي ناصر حركة الترجمة ، وانفتح على المؤلفات اليونانية والهندية ممهداً السبيل لأبناء العالم الإسلامي ، لقبول المناهج الأجنبية وتمثل مفاهيمها .

ترك الكندي نتاجاً ضخماً من المؤلفات الفلسفية والعلمية ، تمثل في عددٍ كبيرٍ من الكتب والرسائل التي تبحث في المنطق والفلسفة والموسيقى والفلك والطب والهندسة والتنجيم وعلم الكلام والسياسة والكيمياء والطبيعة ، وسواها من الفروع مما جعل عدد مؤلفاته يرتفع إلى ٢٧٠ مؤلفاً على ما جاء في « فهرست » ابن النديم[٢] .

والكندي ، على ميله إلى الفلسفة ، كان ، والحق يُقال ، ممن انتصر للعقيدة الإسلامية ، فوقف بحزم في وجه الماديين والملحدين والمانويين ، مدافعاً

---

(١) ولد الكندي بالكوفة حوالي سنة ١٨٥ هـ / ٨٠١ م ، وكان أبوه والياً عليها . ثم انتقل إلى البصرة حيث إتصل بالمأمون والمعتصم والواثق من الخلفاء . توفي ٢٥٢ هـ / ٨٦٦ م .

(٢) ابن النديم : الفهرست ٧ / ٣١٧ .

عن فكرة حدوث العالم من العدم ، وعن حشر الأجساد ، وإمكان حدوث المعجزات ، وصحة الوحي النبوي ، وقدرة الله على إحداث العالم وإفنائه .

والكندي في طليعة الذين حاولوا أن يردموا الهوة التي تفصل بين الفلسفة والدين ، وهو ينزع ، نظير المعتزلة ، إلى القول بأن حقيقة الوحي يُستطاع إثباتها بالقياس المنطقي على وجه لا يتصدى لإنكاره إلاّ كل جاهل .

وبعيداً عن محاولة التعرف على مفهوم الكندي لطبيعة الفلسفة ومراميها وتصنيف أقسامها وعلومها . وبعيداً عن مباحثه الجمة في ماهية المبدأ الأول ، وصفاته . وبعيداً عن قوله بتلازم الكون والحركة والزمان ، وإثبات تناهي جرم الكون ، ومعه الحركة والزمان .

وبعيداً عن استدلال الكندي ، على وجود الله بالاستناد إلى حدوث العالم ، وعلى وحدانيته وأزليته . وبصرف النظر عن تعليلاته في قضية خلق الله للأشياء من العدم . أقول بعيداً عن هذا كله ، فإن الذي يهمنا أولاً وآخراً ، هو موقف هذا الفيلسوف من التنجيم الذي يجرنا إلى الحديث عن عالم الكون والفساد ، وإلى نظرته إلى الأجرام السماوية ، وإلى النفس الإنسانية كيف نشأت ، وفيما تدرجت ، ثم كيف انتقلت إلى عالم المعقولات .

مع شدة الحرص على إثبات أن الله هو وحده الفاعل ، وهو العلة الأولى وهو العلة الحق ، يرى الكندي أن ثمة عوامل ثانوية تفعل فعلها في ظواهر الطبيعة والمخلوقات ، وبتدبير كلي ناجم عن الحكمة السابقة للإله .

وهو ، بتأثير من الروح اليوناني ، ولا سيما التأثير المتعلق بالأفلاطونية الجديدة ، يأخذ بمبدأ السلّم السببي للكائنات ، دون القول بالسببية الثانوية التي عارضها متكلمو الإسلام والأشاعرة ، بشكلٍ خاص والكندي يرى أن الكون والفساد يلحقان بعالم ما تحت القمر مما هو مكونٌ من العناصر الأربعة التي هي الماء والهواء والنار والتراب ، فهي جميعاً تخضع للكون والفساد من حيث كونها موجودات فردية ، أما من حيث كونها صوراً كلية ، فهي باقية بقاء العناصر التي تتألف منها[1] .

---

(١) أبو ريدة ، محمد عبد الهادي : رسائل الكندي الفلسفية ١ / ٢٢٠ . القاهرة ، دار الفكر العربي ، ١٩٥٠ م - ١٩٥٣ .

والكون والفساد يختصان بعالم ما تحت القمر ، مما هو يتركب من العناصر الأربعة مضافاً إليها الزمان والحركة والمكان ، ولا تأثير لهما البتة في الفلك الأعلى الذي هو بين حضيض القمر ونهاية مدار الفلك الأقصى ، أي عالم الأجرام السماوية التي هي غير خاضعة لفعل الكون والفساد . وسبب الكون والفساد في عالم ما تحت القمر ، في نظر الكندي ، يعود إلى عامل خارج عن نطاق ما تحت فلك القمر إذ لا يعدو هذا كونه جرماً سماوياً ، يتولد عن اقترابه من الأرض أو ابتعاده عنها ، كل من الحرارة والبرودة ، وهما عنصران فاعلان في الكائنات الحية والجامدة من كون وفساد[1] .

ويرى الكندي في هذا الشأن أن كل نجم إنما هو يتميز بقوة وطبيعة وفاعلية اختص بها من دون النجوم المتبقية . كما يرى أن في إختلاف حركات الكواكب وانتمائها إلى مجموعات معينة ، وجوهاً شتى من التأثير في هذا العالم إلى حد القول أنه لا يوجد فيه شيئان متشابهان ، وليست الكواكب أو النجوم وحدها التي تبعث بهذه الاشعاعات ، بل إن كل شيء في عالم العناصر يبعث إشعاعاً مخصوصاً مهما يكن ضئيلاً : النار تشع ، الألوان تشع ، الأصوات تشع ، وثمة سلسلة من الإشعاعات والفيوضات المتآلفة المتحكمة بشتى التغيرات والضرورات التي تحدث في الأرض[2] .

أما الدليل الذي يعتمده الكندي على صحة ما ذهب إليه فهو ما يلاحظ من تأثير حركة الشمس والقمر في كثير من الظواهر الأرضية : يلاحظ مثلاً الندرة في السكان ، والبرودة في الأقاليم القطبية ، واشتداد حرارة الشمس في الأقاليم الاستوائية والاعتدال في سائر الأقاليم ، تبعاً لمدى بعد الشمس عن الأرض[3] .

وقل الأمر ذاته في ما يخص بقية الكواكب إذ هي ، تبعاً لدورانها وانتقالها بين البروج تؤثر في كثير من الأمور ، وفي بني البشر لجهة تكون أجسادهم وأمزجتهم وعاداتهم وأخلاقهم ، وفي نشوء الأنظمة السياسية والإجتماعية ، وفي قيام دول وزوال أخرى ، كل ذلك وفقاً لما اقتضته مشيئة الله في سالف الدهر . ويعتبر الكندي في طليعة المنجمين الذين توسعوا في الحديث عن القرانات ، وهو

(١) نفسه ، ص ١ / ٢٢٤ و ٢ / ٤١ وما بعدها .

(٢) W .E .PEUkERT , L'astrologie , P 155 .

(٣) أبوريدة : رسائل الكندي الفلسفية ١ / ٢٢٨ .

من أوائل الذين صاغوا معادلاتها صياغة حسابية منطقية ، فقال بالقرانات الصغيرة التي تحدث في كل عشرين عاماً مرة ، وبالمتوسطة التي تحدث في كل ٢٤٠ عاماً مرة ، وبالكبيرة التي تحدث في كل ٩٦٠ سنة . وهذه الأخيرة لا بد من أن تؤثر تأثيراً حاسماً لا في ما يتعلق بالمواليد ، فحسب ، بل في الممارسات السياسية والإجتماعية ، والأحوال الدينية بحيث أن كل قران كبير يفتح عصراً جديداً من الأفكار والمعتقدات . . . والجدير بالذكر أن الفكر الأوروبي خلال القرون الوسطى ، تأثر بمقولة الكندي هذه إلى حدٍ بعيد(١) .

على أن من أخطر ما ذهب إليه الكندي في هذا الشأن ، هو نسبة الحياة والعقل إلى الأجرام السماوية ، على اعتبار أنها من أقرب الأسباب إلى ما يلحق الكائنات الحية في العالم من كون وفساد ، فهي تضفي على هذه الأخيرة المخلوقة من العدم « صورة الحي المناسب لها »(٢) .

والأجرام السماوية في نظر الكندي ، أجرام ناطقة لأنها عاقلة ، وإلّا كانت دوننا شرفاً ، إذ من المعلوم أن المخلوق الناطق أشرف من غير الناطق ، لا بل إن هذه الأجرام سبب نطقنا نحن ، لأنها السبب القريب لوجودنا وفاقاً لقضاء الله ، وإنها الخالية من الشهوة ، وغير قابلة للنمو أو الانحلال ، وهي أيضاً تتميز بقوة النطق دون قوة الغضب أو الشهوة ، لأن هاتين الأخيرتين إنما وُجدتا في النفس من أجل بقاء الحيوان ونحوه ، فيما وجدت القوة الناطقة من أجل تمام فضيلة النفس(٣) . ولأن المكان الذي يشغله الإنسان الناطق في رحاب هذا الكون ضئيل جداً ، فإن الواجب يدعو إلى عدم الأخذ بمقولة كون الجنس البشري النوع الوحيد الناطق في هذا الكون ، وهذا يعني الانتقاص من قدرة الله وحكمته التي « صيرت اللاتي لا تقع تحت الفساد أعظم كثيراً من اللاتي تقع تحت الفساد »(٤) ،

---

(١) نفسه ، ١ / ٢٣٦ وما بعدها . وعن طريق تلك القرانات الكوكبية والحسابات الرياضية والفلكية ، وبالإعتماد على بعض تفاسير النصوص القرآنية تنبأ الكندي في رسالة له ، بأمد الإمبراطورية العربية ، قائلاً إنها تنتهي زهاء عام ٦٩٣ هـ .
انظر : صفاء ، ذبيح الله : تاريخ علوم عقلي دراسلام ، ص ١٦١ .

(٢) رسائل الكندي الفلسفية ١ / ٢٤٨ .

(٣) نفسه ١ / ٢٥٥ .

(٤) رسائل الكندي الفلسفية ١ / ٢٥٧ .

حسب تعبير الكندي ، والتي تحثّ بعد ، على تدبّر عظمة هذا الكون لأن الإنسان في نظره ، مثال للخليفة بأجمعها ، وهو العالم الصغير تمييزاً له من العالم الكبير الذي هو الكون[1] .

وأخيراً لا يفوتنا التنويه بغزارة ما ألفه الكندي من كتب ورسائل، يهمنا منها بالطبع ، تلك المتعلقة بأحكام النجوم والمسائل الفلكية ، ومنها « رسالة في كيفيات النجوم » و« رسالة في أحوال الكواكب » ، و« رسالة في كل بلد ما يناسبه من البروج والكواكب » و« رسالة في رجوع الكواكب » و« ثلاث رسائل في صناعة الأحكام »[2] .

كما أن له رسالة يُجيب فيها عن مسائل في النجوم ، كان سأله أبو معشر عنها . وله رسالة « في سرعة ما يرى من حركة الكواكب إذا كانت في الأفق وإبطائها كلما علت » . وله رسالة في « علل الأوضاع النجومية » وأخرى في « الأشخاص العالية المسمّاة سعادة ونحاسة »[3] ، كذلك فإن له رسالة « في أسرار النجوم » بعث بها إلى تلميذه (رزّين)[4] ، هذا فضلاً عن عشرات الكتب والرسائل الأخرى التي يغلب عليها الطابع الفلكي والعلمي مثل رسالة « في صفة الأسطرلاب » بالهندسة ، ورسالة في « اللون اللازوردي في السماء » ورسالة في « ظاهرات الفلك » ورسالة في « هالات الشمس والقمر والكواكب »[5] .

الفارابي (٢٦٠ ـ ٣٣٩ هـ / ٨٧٤ ـ ٩٥٠ م) :

لئن ظهرت ملامح الأفلاطونية الجديدة[6] خجولة في فلسفة الكندي ،

---

(١) نفسه ١ / ٤٥ وما بعدها .

(٢) القفطي : أخبار العلماء بأخبار الحكماء ، ص ٢٤٠ .

(٣) ابن النديم : الفهرست ٧ / ٣١٦ ـ ٣١٧ .

(٤) من جملة ما نسب إلى الكندي ، رسالة في أوقات الدعاء . ولقد جاء في إحداها : « إنّ القمر وعطارد إذا قارنا كف الخضيب ، كان وقتا للدعاء بالغناء والشجاعة ، ويُستجاب له في وسط عمره ، وإن قارنه زحل مسعوداً ، أسعد الداعي في وسط عمره إلى آخره . الخ » .
أنظر : البحراني ، يوسف : الكشكول ١ / ٢٠٨ . منشورات الأعلمي بكربلاء ١٣٨١ هـ / ١٩٦١ م .

(٥) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ، ص ٢٩٠ .

(٦) سبق التعريف بها في الباب الأولى من هذه الرسالة .

فإنها على العكس من ذلك ، قد خطت خطوات ثابتة إلى الأمام مع الفارابي ، ومن بعده مع ابن سينا سعياً وراء الاهتداء إلى وضع نظام كوني في غاية التعقيد . والفارابي يُعتبر بحق ، أول واضع بالعربية ، للصيغة الأفلاطونية الجديدة ، والحديث عنه ما جرّنا إليه إلاّ أخذه بنظرية الفيض التي بها فسّر صدور العالم عن الموجود الأول ، الأمر الذي يسمح بالتعرف على موقف الفارابي من النجوم ، ومن القائلين بتأثيرها في عالم الكون والفساد .

وقبل التعرف على ذلك ، نلقي نظرة سريعة على حياة هذا الفيلسوف وعلى نتاجه الفكري ، دونما توسع في عرض آرائه وأفكاره ، فنقول : وُلد أبو نصر محمد بن محمد بن طرخان الفارابي في بلدة وسيج قرب فاراب من بلاد الترك (٢٦٠ هـ / ٨٧٤ م) ، ولما شب وترعرع ، انتقل إلى بغداد حاضرة العلم يومذاك ، فدرس فيها النحو والعلوم والطب وبعدها انتقل إلى دمشق ، فحلب ، فمصر ، فحلب ثانية ثم إلى دمشق مع سيف الدولة الحمداني حيث وافته المنية عام ٣٣٩ هـ / ٩٥٠ م .

ترك الفارابي كتباً ورسائل عدة ، ضاع معظمها ، وبقي منها القليل ، وأهمها « إحصاء العلوم » و« رسالة في العقل » و« كتاب الجمع بين رأيي الحكيمين » و« كتاب آراء أهل المدينة الفاضلة » الذي يُعتبر جماع فلسفته وحصيلة تفكيره ، وفيه يعرض لنا تصوره لمبدأ الفيض الذي هو باختصار عملية صدور الوجود عن الموجود الأول الذي لا علة لوجوده . . .

انطلاقاً من مبدأ الفيض هذا ، وبوساطة العقول التي ما انفكت تتأمل الموجود الأول ، تعلّل حركات الأفلاك السبعة جميعها . أما عالمنا نحن ، أي عالم العناصر والإسطقسات ، وإن شئت فقل عالم الكون والفساد ، فهو عبارة عن فيضٍ آخر جاد به فلك القمر الذي يحكمه ويدبره عقله الحادي عشر ، والذي يُعرفُ بالعقل الفعّال ، وهذا الأخير هو الذي يهب العناصر صورها ، من جماد ونبات وحيوان . بل هو إذا صح التعبير رب عالمنا الأرضي ، وعنه تصدر النفوس الحية فتتصور في الأجسام ، وهي لا تكتسب خلودها إلا بقدر ما تدرك من الحقائق الموجودة في العقل الفعال الذي ما انفك بدوره يتأمل الكائن الأول الذي لا تدركه عقول البشر(١) .

---

(١) سبق التعريف بها في الباب الأول من هذا البحث .

والآن ما هي نظرة الفارابي إلى هذه الأفلاك والأجرام ، وهل بالاستطاعة القول إن لها ذلك التأثير الذي تعارف عليه أصحاب صناعة التنجيم ؟

دراسة الفلك والنجوم في نظر الفارابي ، علم من جملة علوم أخرى هي العدد والهندسة والمناظر والموسيقى والحيل والأثقال ، تؤلف معاً ما يُعرف بالعلوم الرياضية ، أو علم التعاليم كما يُسميها الفارابي . وكل واحد من هذه العلوم ينقسم بدوره إلى علم نظري وآخر عملي . وهذا هو حال علم الفلك الذي فرعه النظري العلم الذي يبحث في الأجرام السماوية من حيث الشكل والحجم والبعد والحركة وتقاطع الأفلاك ، وموقعها كما يبحث في الأرض وأقاليمها الرئيسية ، أما فرعه العملي وهو الذي يُعرف بالتنجيم ـ فهو العلم الذي يُعنى بالطرق التي يستدل بها من حركات الكواكب على خفايا المستقبل ، وبهذه الحركات أيضاً تعرف أحداث الماضي والحاضر في هذا العالم[1] .

لكن الفارابي ، كما يرشح من الرسالة التي كتبها إلى أبي إسحاق إبراهيم بن عبد الله البغدادي وهي بعنوان « في ما يصح وما لا يصح من أحكام المنجمين » لا ينساق وراء مقولة المنجمين ، بل هو يعتبر أن الأحداث ، أية أحداث تجري في عالمنا الأرضي ، إنما هي ناجمة عن أسباب يمكن التثبت منها والوقوف عليها ، وإلا فهي مجرد أحداث متكونة بالصدفة البحتة ، وحسب . وقل الأمر ذاته في الأجرام السماوية ، فإنها تفعل فعلها في عالمنا الأرضي مما يسمح بالوقوف على أسبابه ، ونتعرف عليه بالحسابات الفلكية ، مثل تأثير الشمس في بعض الأقاليم دون الأقاليم الأخرى ، وذلك تبعاً لقربها أو بعدها عنها ، لكن ثمة حالات لا يمكن معرفة أسبابها ، الأمر الذي يفتح الباب واسعاً أمام أرباب صناعة التنجيم ، للتكهن بضروب من الادعاءات والتخرصات غير القائمة على أساس من العلم اليقيني أو السبب الطبيعي . مع ذلك ، فإن من المحتمل جداً ـ ولا شيء يمنع البتة أن تكون هذه التكهنات صادقة أحياناً ، ولكن عرضاً على سبيل الصدفة لا على سبيل الضرورة واليقين[2] . ثم إن الفارابي يعلل رأيه ، ويدعمه بالحجة والعقل فيتساءل عن معنى الرخاء أو الشقاء المزعومين اللذين يقترنان بكسوف الشمس ،

(١) الفارابي : آراء أهل المدينة الفاضلة ، ص ١٠ .
(٢) تاريخ الفلسفة الإسلامية ، ص ١٦٤ . وأنظر : رسالة الفارابي (في ما يصحّ وما لا يصحّ من علم أحكام النجوم) ضمن مجموع رسائل الفارابي ، ص ٧٦ ـ ٨٩ .

وما هذا الكسوف في الواقع سوى اعتراض بينها وبين الأرض . ولو أخذنا بهذا القياس لوجب أن يكون اعتراض أي شيء بين نظرنا والشمس هو الآخر من قرائن ذينك الرخاء والشقاء[1] .

ويتساءل الفارابي ثانية وهو يسخر ، عن السبب الذي من أجله كان أوسع المنجمين شهرة ، أقلهم دراية في تدبير أمورهم الخاصة ، وهم كما يدعون يمتلكون المعرفة الفلكية ؟ أليس هذا بحد ذاته سبباً لأن نعتبر أن الحافز وراء تكهناتهم تلك « إنما هو داعي الربح أو تأصل العادة لا غير؟ »[2] .

وما انشغال الناس بهذا الفن ، أي التنجيم ، إلّا « لإحدى ثلاث : إما لتفكه وولوع ، وإما لنكث وتشوق وتعيش ، وإما لحزم مفرط وعمل بما قيل ، إذ كل مقول محذور منه » هذا ما ورد في آخر رسالة (في ما يصح وما لا يصح من أحكام النجوم)[3] .

إخوان الصفاء :

قبل الحديث عن موقف إخوان الصفاء من النجوم والتنجيم ، لا بد من أن نلّم إلمامة سريعة بالحديث عن هؤلاء الإخوان وعن رسائلهم التي ضمنوها خلاصة آرائهم وأفكارهم في النفس والكون والعلوم .

إنهم فتية ، وإن شئت فقل عصبة من غلاة الإسماعيلية والباطنية الذين نشطوا في الدراسة ، ونهضوا إلى التماس الحق ، فتوفروا على دراسة الفلسفة والأديان والعلوم جميعها ، ولا سيما العلوم الفلكية والرياضية ، ثم خلصوا من

---

(١) نفسه ، ص ١٦٤ . وانظر : رسالة الفارابي ، ص ٨٦ .

(٢) نفسه ، ص ١٦٤ . وأنظر : رسالة الفارابي ، ص ٨٨ .

(٣) محفوظ ، حسين وآل ياسين ، جعفر : مؤلفات الفارابي ، ص ١٥٥ ـ ١٥٦ . مطبعة الأديب البغدادية ، ١٩٧٥ م .
أما أول الرسالة ، فهو التالي : « قال أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله البغدادي : كنت شديد الحرص على معرفة الأحكام النجومية ، صادق الرغبة في إقتناء عملها ، كثير السفر في خطبها ، مدمن النظر في الكتب المؤلفة فيها ، مشغوفاً مستهتراً واثقاً بصحتها . فلما تمادت بي الأيام اتفق لي لقاء أبي نصر محمد بن محمد الفارابي الطرخاني فشكوت إليه حالي تلك وعرفته صدق رغبتي في الوقوف على مقدار هذا العلم ومعرفة ما يصحّ منه وما لا يصحّ وسألته أن يكشف لي ما يصحّ من ذلك » .

ذلك إلى وضع أول موسوعة فكرية وفلسفية ذات خصائص تأخذ من جميع المذاهب والأديان ، وتنفتح على جميع الأفكار والآراء والعلوم ، فكان مذهبهم يقوم على النظر في جميع الموجودات المحسوسة والمعقولة ، والظاهرة والباطنة ، والجلية والخفية والتي ينتظمها جميعاً مبدأ واحد ، وعلة واحدة ، وعالمٌ واحد ، ونفسٌ واحدة[1] .

نشأت حركة الإخوان في بادىء الأمر ، سراً بالبصرة في عهد البويهيين ، وذلك في أواسط القرن الرابع الهجري ، وكانوا قد بدأوا أولى محاولاتهم من قبل منذ وفاة إمامهم إسماعيل بن جعفر الصادق عام ١٤٧ هـ / ٦٧٠ م . وسرعان ما انتشر الدعاة في جميع الأصقاع يبثون أفكارهم ويروجون لها ، حتى بلغت شواطىء الأندلس والمغرب العربي . ومع أن أخبار الإخوان بقيت ، طي الكتمان إجمالاً ، يتداولها الدعاة ، ويتناقلونها في مجالس مخصوصة وأوقات معلومة ، فقد عُرف من واضعي « رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء » كما أسموها ، كلٌ من أبي سليمان البستي المقدسي ، وأبي الحسن الزنجاني ، وأبي أحمد النهرجوري الملقب بالمهرجاني ، والعوفي وزيد بن رفاعة .

على أن الذي يهمنا من هذا كله هو موقف الإخوان من الكواكب والأفلاك ومدى تأثير ذلك في الأخلاق والطبائع وما يجري من أمورٍ وأحداث في عالم الكون والفساد .

اهتم الإخوان بعلم الفلك الذي هو فرعٌ من العلوم الرياضية ، والذي هو في نظرهم يُقسم إلى ثلاثة أقسام هي : علم الهيئة ، وهو يبحث في تركيب الأفلاك وأقسام البروج وعدد الكواكب وأخيراً علم الأحكام ، وهو يبحث في كيفية الاستدلال بدوران الفلك وطوالع البروج وحركات الكواكب ، على الكائنات قبل تكوّنها تحت فلك القمر[2] .

وقبل أن نتوسع في الحديث عن هذا العلم الأخير لا بد من أن نُشير إلى أن الإخوان انكبوا فعلاً على دراسة التنجيم ، وبحثوا في أسراره إرضاء لنفوسهم واستعانة بهذا العلم إلى ترقية النفس وتهذيبها ، لأنه يزهّد في الدنيا ، وينبه

---

(١) فخري ، ماجد : تاريخ الفلسفة الإسلامية ، ص ٢٢٨ .
(٢) اخوان الصفاء : الرسائل ، ص ١١٤ ، مجلد ١ ، الرسالة الثالثة .

الإنسان العاقل من غفلته ، وذلك لأن معرفة المصائب قبل حلولها ، تبعث على التنبه لها ، والتحرز منها ، إما بالإستعداد لها ، إما بالهروب من الفتن ، وإما بالادخار ليوم الغلاء ، وإما بالدعاء والصلاة والتوبة إلى الله[1] . والإخوان لم يجدوا حرجاً في تعلم هذا العلم وتعليمه لأنه في نظرهم ، وإن كان في الفلسفة ، إلّا أنه لا يتعارض والشريعة ، وهم لا يقولون إن المنجّم يعرف الغيب في ما يُخبر به من الكائنات ، كما يظن البعض ، ذلك لأن علم الغيب علم للإستدلال ولا علل ولا سبب ، وهو علم لا يعلمه إلا الله ، حتى الأنبياء والملائكة لا يعلمونه .

وبعيداً عن الخوض في نظرية الفيض كما فهمها الإخوان وهي لا تختلف كثيراً عما هي عليه عند اليونان وعند كل من الكندي والفارابي . وبعيداً عن الخوض في نظرتهم إلى الكون والأفلاك وأجرام السماء ، وإلى الأعداد والأرقام وما جاء فيها من تفسير وتأويل ، لا بد من الخوض في حديثٍ آخر يهمنا جداً ، وهو الحديث عن تأثير الكواكب في الكون والأخلاق والنفوس ساعة ولادتها وهو ما يدخل في صميم مقولة المنجمين ، وكنا أشرنا إلى شيءٍ منها في الباب الأول لدى التعريف بالتنجيم .

الدلالة على المواليد :

انطلاقاً من أن للكواكب وجوهاً وحدوداً ومثلثات ، فإن كل ثلاثة بروج من طبيعة واحدة ، وتُسمى المثلثات ، تدبرها ثلاثة كواكب تدعى أرباب المثلثات ، وبها يستدل على أثلاث أعمار المواليد ، فأرباب المثلثات النارية في النهار هي الشمس فالمشتري وبالليل المشتري فالشمس ، وشريكهما زحل في الليل والنهار وأرباب المثلثات الترابية نهاراً الزهرة فالقمر ، وبالليل القمر فالزهرة وشريكهما المريخ ، وأرباب المثلثات الهوائية بالنهار زحل فعطارد ، وليلاً عطارد فزحل وشريكهما المشتري . أما أرباب المثلثات المائية فالزهرة والمريخ وشريكهما القمر .

واستناداً إلى قسمة كل برج إلى ثلاثة أقسام يُقال لها الوجوه ، لكل وجهٍ منها كوكبٌ يُقال له رب الوجه ، أو قسمته إلى خمسة أقسام وحدود ، لكل حد منها منها كوكب مخصوص ، استدل الإخوان على صور المواليد وأخلاقهم وعلى كثيرٍ

---

(1) رسائل الأخوان ١ / ١٥٦ .

من ظواهر الأمور . فالقسم الأول من الحمل مثلاً وجهه المريخ ، والثاني وجهه الشمس ، والثالث الزهرة ، والقسم الأول من الثور وجهه عطارد ، والثاني منه القمر ، والثالث زحل[1] . وهكذا بالنسبة إلى بقية البروج مما لسنا بحاجة إلى تفصيله .

مراحل تكوّن الجنين :

إننا إذ نعرض عن تفصيل القول في دلالة الكواكب والبروج والبيوت على الصناعات والبلدان والأقاليم والأماكن مما هو شائع وعام ، ويكاد يكون مشتركاً عند جميع أصحاب صناعة التنجيم .

فإننا نتوقف عند بعض آرائهم بمراحل تكوّن الجنين . لقد أوكل إخوان الصفاء أمر ابتداء تدبير النطفة في شهرها الأول إلى زحل حيث غلبة البرد والسكون ، وفي الشهر الثاني تتحول النطفة في الثاني إلى علقة فيتولاها المشتري ، حيث تغلب الحرارة ، ويمتزج الخلطان ، ويعتدل الماءان ، وفي الثالث تتحول العلقة إلى مضغة حمراء يتولاها المريخ ، وفي الرابع تسري فيها النفس الحيوانية فتتولاها الشمس ، فيعتدل المزاج في الجنين وتنقش صورته ثم تظهر خلقته وعظامه ومفاصله وعروقه وأعصابه ، وفي الشهر الخامس يوكل أمر النفس إلى الزهرة صاحبة النقش والتصوير ، فتظهر صورة الأعضاء ، وترسم العينان ، وتثقب الأذنان ، وينشق المنخران ، وتظهر الصرّة ، ويفتح الفم ويجري السبيلان ، في السادس يتولى عطارد الأمر فيتحرك الجنين ، ويتنفس ، ويسكن وينام ، وفي السابع يتولاه القمر فيربو اللحم وتشتد الأعضاء ، وتقوى حركة الجنين طلباً للخروج ، أما في الشهر الثامن حين تدخل الشمس بيت الموت فيرجع التدبير من جديد إلى زحل ، فإن وُلد فيه المولود مات لتوّه ، وإن تأخر للتاسع حين تدخل الشمس بيت النقلة والأسفار ، يرجع التدبير إلى المشتري وهو السعد الأكبر فيعتدل المزاج وتقوى الروح . ثم إن الجنين يخرج إلى الوجود ليستأنف عمره الطبيعي ، وليستوفي طبائع البروج حتى الاكتمال[2] .

ولن ندخل في تفاصيل كيفية سريان هذا التأثير من الكواكب إلى الجنين

---

(١) اخوان الصفاء : الرسائل ١ / ١٢٣ ـ ١٢٤ .
(٢) اخوان الصفاء : الرسائل ٢ / ٤٢١ ـ ٤٢٦ .

لكن قد يسأل سائل : وماذا لو اتفق فوُلد أكثر من مولود في طالعٍ واحد ووقت واحد ؟ أفيكون التأثير الكوكبي واحداً في جميع هؤلاء المواليد ؟

يُجيب الإخوان عن هذا بالقول إن التأثير الكوكبي يختلف باختلاف جوهر الشيء ومزاجه وتركيبه . فلو وُلد مثلاً في وقتٍ واحد ، وبلدٍ واحد ، وجوّ فلكي سعيد واحد ، أكثر من واحد ، فلن يكون قبول هؤلاء لسعادة الفلك على سننٍ واحد ، بل كل حسب مرتبته : إن أولاد المكّدين والفقراء مثلاً سوف يبلغون رتبة أولاد التجار وأوساط الناس ، وأولاد هؤلاء سوف يبلغون مرتبة أولاد الرؤساء والملوك ، وأولاد هؤلاء سوف يرتقون سرير المُلك والحكم . أما إذا كانت حالة الفلك بخلاف ذلك ، أي في النحوسة ، فإن كل واحد من أبناء هذه الطبقات الثلاث سوف ينحطّ من الدرجة التي هو فيها إلى ما دونها . أما إذا كانت المواليد من ذوي الطالع الواحد وزمان الولادة الواحد ، من بلدان مختلفة وأجناسٍ متفاوتة ، وكان شكل الفلك يدل على وجوب كونهم شعراء وخطباء ، فإن قبولهم للشاعرية والخطابة يختلف من بلدٍ إلى آخر ، ومن جنسٍ إلى جنس : فالعرب مثلاً ـ كما يوضح الإخوان ـ أسرع قبولاً من النبط ، وهؤلاء أسرع قبولاً من الأرمن[1] . . . إلخ .

والآن ، ماذا عن طبيعة هذا التأثير وكيفيته ، ثم ماذا عن مصير النفس والعالم ؟

الكواكب في نظر الإخوان ، ملائكة الله وملوك السماء لعمارة هذا العالم ، تماماً كملوك الأرض الذين هم خلفاؤه في أرضه ، وحفظة نظامه ، وساسة عباده ، ومنفذو أحكامه وشرائع أنبيائه . وإن أول قوة تسري من النفس الكلية نحو العالم ، تكون في الأشخاص الفاضلة النيرة التي هي الكواكب الثابتة ، ثم في الكواكب السيّارة ، ثم في الأركان الأربعة من معدن ونبات وحيوان[2] .

وللكواكب السيّارة تأثيرٌ يعمّ الكائنات التي تحت فلك القمر جميعها ، لكن قد تدقّ معرفة هذه التأثيرات على الجهلة ، تماماً كما تدّق عليهم معرفة سياسة الملوك . وهذا الأمر ، أي معرفة تأثيرها لا يعلمه إلا الله والراسخون في العلم ،

---

(١) اخوان الصفاء : الرسائل ١ / ١٤٨ ـ ١٤٩ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ٣ / ٢٨٥ .

وأصحاب الحكمة والفلسفة[1] . أما كيف يعرف ذلك فبحكم الوحدة التي تربط بين عالم الأفلاك ، الذي هو العالم العلوي ، وبين العالم السفلي ، الذي هو عالم الأركان الأربعة : النار ، والهواء والماء والتراب ، ويُعرف أيضاً بالعالم السفلي .

وبصورة أوضح نقول : إن النفس الكلية التي هي فوق عالم الأفلاك ، تسري في الأجسام ابتداء بالفلك المحيط ، مروراً بالنجوم الثابتة ، فالسيارة ، فالأركان الأربعة ، فالكائنات المركبة من هذه الأخيرة ، وهي المعدن والنبات والحيوان والإنسان ، والكواكب السيّارة ترتقي تارة إلى الأوج فتقرب من الثوابت ، فتستمد منها النور والقوة والفيض ، وتنحط عنها أخرى لتقترب من عالم الكون والفساد ناقلة معها تلك الفيوض أو القوى ، عن طريق الأركان الأربعة[2] . وإذا ما اتُفق إن كانت في أوجها وشرفها ، ومثلثها بيوتها وحدودها ، أو كان بعضها على نسبة النصف أو الثلث أو الربع أو الثُمن ، سرت تلك القوى من النفس الكلية بواسطة الكواكب إلى العالم السفلي ، الذي هو دون فلك القمر ، وُجدت الكائنات ، بذلك السبب على أعدل مزاج وأصح طبائع وأجود نظام . وإذا اتفق أن كان شكل الفلك ومواضع الكواكب فيه بعكس ذلك ، كان أمر الكائنات عكس ما رأيناه ، فتناقضت عن بلوغ غاياتها وتمام نهايتها ، فتُسمى مناحس الفلك وسبب الشرور[3] .

وإذا ما عاودنا الحديث عن تأثير الكواكب ، فإن هذا التأثير من الفاعلية والأهمية بمكان ، إذ هو يقوم على أساس من العلية التامة بحيث أن حركات الأجرام أو الأشخاص العلوية ، كما يُسميها الإخوان ، هي سببٌ موجب لكون الحوادث في العالم وأنه لعلة فاعلة للكائنات تحت فلك القمر ، سواء أكانت هذه محسوسة أم غير محسوسة فالجبال والغدران والأنهار والطرقات ترتبط بزحل ، والمساجد والهياكل والبيع يرتبط بناؤها بالمشتري ، ومواقد النيران ومذابح الحيوان ومعسكرات الجند تخضع للمريخ ، ومجالس اللهو والطرب واللذة والسرف والطعام تحدث عن الزهرة ، ومجالس العلم ودواوين الكتّاب ومواضع الصنّاع والأسواق مسببة عن عطارد ، وقل الأمر ذاته بشأن هذا التأثير ، في الولادات

---

(١) المصدر نفسه : ١ / ١٤٤ .
(٢) اخوان الصفاء : الرسائل ١ / ١٤٦ - ١٤٧ .
(٣) نفسه ١ / ١٤٧ - ١٤٨ .

والأخلاق والطباع ، والذكاء والميل إلى الصناعات والنبوغ في العلوم والمعارف . . . وغير ذلك كثير[1] .

التوحيدي ، مسكويه ، السجستاني : نموذج الثقافة في القرنين الثالث والرابع هـ / ٩ و١٠ م :

اخترنا هؤلاء الثلاثة من بين أصحاب العلم والحكمة والفلسفة ، ثم جمعنا بينهم لأنهم يمثلون في الواقع ثقافة العصر في أواخر القرن الثالث وأوائل القرن الرابع للهجرة أصدق تمثيل ، وإن كان ثمة ما يجمع بينهم ، فنزعة فكرية متقاربة إلى حدٍ بعيد ، فيها الكثير من خصائص المنهجية المشتركة ذات الصلة بعلوم العصر ومباحثه الفلسفية والكلامية .

يضاف إلى ذلك أن الثلاثة ضمّهم أكثر من مجلسٍ علمي ، بحثوا فيه ، على ما يبدو ، أكثر من مسألة في الفقه والكلام والأخلاق والعلوم : فالثالث أبو حيان التوحيد المتوفى عام ٤١٤ هـ / ١٠٢٣ م صاحب الحظ العاثر ، وصاحب المزاج المتقلب ، وأحد أئمة رجال العلم في عصر بني بويه[2] . أخذ المنطق عن الأول ، أي عن أبي سليمان محمد بن طاهر بن بهرام السجستاني أحد أكبر علماء بغداد في ذلك العصر بالمنطق والفلسفة ، أما الثاني ، وهو أبو علي بن يعقوب بن مسكويه ، ويُعرف في بعض المصادر بمسكويه[3] ، وبالخازن أيضاً ، لأنه كان كاتباً ، بل خازناً للكتب لدى عضد الدولة البويهي ، فقد كان من فضلاء الأطباء ، وواحداً من أبرز علماء الطب والكيمياء والأخلاق والتاريخ والفلسفة . ولقد جمع بين أبي حيان ومسكويه صداقة قديمة ، تتبين أثرها واضحاً من خلال كتابها المشترك المسمّى « بالهوامل والشوامل » ، والمقصود بالهوامل ، وهي الإبل السائمة والمهملة ، أسئلة أبي حيان ، والمقصود بالشوامل ، أجوبة مسكويه عنها ، وذلك لأنها ضبطت هوامل أبي حيان فأحسنت رعايتها وإرشادها .

والآن ، ماذا عن موقف أصحابنا الثلاثة من التنجيم ، وأي أثرٍ تركه هذا

---

(١) نفسه ٢ / ١٤٨ .

(٢) لأبي حيان التوحيدي ، عدد لا بأس به من الكتب القيمة ، أشهرها : الإمتاع والمؤانسة و« البصائر والذخائر » .

(٣) لمسكويه عدد من الكتب أهمها : « تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق » وتجارب الأمم وتقارب الهمم » ومجموعة من الحكم عن حكماء فارس والهند والعرب واليونان .

الفن أو العلم في تفكيرهم العلمي ومنحاهم الثقافي ؟

السجستاني (٣٠٠ ـ ٣٧٥ هـ / ٢ ـ ٩٨٥ م) :

أول ما يُميز آراء أبي سليمان ، وهي آراء سجلها له وحفظها عنه ، تلميذه أبو حيان التوحيدي ، أنه يغلب عليها طابع الحرج والتحفظ بل التشدد مع من يذهب مذهب المنجمين . إنّ أبا سليمان ، وغيرة منه على الدين ، ليتحسّس في علم النجوم والأحكام مظهراً من مظاهر الشرك المنافي للإيمان ولتوحيد الله . . . وهو يكاد لا يرى في المهندس والطبيب والموسيقي والمنطقي ، ممن عرفهم في عصره على الأقل ، يكاد لا يرى فيهم إلا « المعرض عن الله وعن عبادته وتسليم الأمر إليه ، فكيف بالمنجم وبمن يتعاطى مثل هذه الصناعة وغيرها من الصناعات والعلوم التي هي آفة ، يسأل ربه السلامة منها والعافية من عواقبها »[1] ، على حد تعبيره .

ويحدث أبو حيان التوحيدي فيقول : إنه حمل ذات يوم عدداً من رسائل اخوان الصفاء ، ثم عرضها على شيخه أبي سليمان فنظر فيها هذا أياماً واختبرها طويلاً ، ثم ردها على أبي حيان معلقاً عليها بالقول : تعبوا وما أغنوا ونصبوا وما أجدوا ، وحاموا وما وردوا ، وغنوا وما أطربوا ، ونسجوا فهلهلوا ، ومشطوا ففلفلوا » . ويُتابع أبو سليمان تعليقه فيقول : « ظنوا ما لا يكون ولا يمكن ولا يُستطاع : ظنوا أنهم يمكنهم أن يدسوا الفلسفة التي هي علم النجوم والأفلاك والمجسطي والمقادير وآثار الطبيعة ، والموسيقى التي هي معرفة النغم والإيقاعات والنقرات والأوزان ، والمنطق الذي هو اعتبار الأقوال بالإضافات والكميات والكيفيات ، في الشريعة ، وأن يضمّوا الشريعة للفلسفة »[2] . فيقول في معرض تعليقه ورده على رسائل اخوان الصفاء : « ليس فيها ، أي الشريعة ، حديث المنجم في تأثيرات الكواكب وحركات الأفلاك ومقادير الأجرام ومطالع الطوالع ومغارب الغوارب ، ولا حديث قيامها وهبوطها وصعودها ونحسها وسعدها وظهورها واستسرارها ورجوعها واستقامتها وتربيعها وتثليثها وتسديسها ومقارنتها ، ولا حديث صاحب الطبيعة الناظر في آثارها وأشكال الأسطقسات ،

---

(١) التوحيدي ، أبو حيّان : الإمتاع والمؤانسة ٣ / ١٣٥ .
(٢) المصدر نفسه ٢ / ٥ ـ ٦ .

بثبوتها وافتراقها ، وتصريفها في الأقاليم والمعادن والأبدان ، وما يتعلق بالحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة . ولا فيها حديث المنطقي الباحث عن مراتب الأقوال ، ومناسب الأسماء والأفعال والحروف . وصاحب المنطق يرى أن الطبيب والمنجم والمهندس وكل من فاه بلفظ وأمّ غرضاً ، فقراء إليه ، محتاجون إلى ما في يديه »[1] .

ومن عجيب المفارقات أن أبا سليمان المتشدد والمتحفظ جداً حيال أصحاب الفلسفة وأرباب هذه الصناعات والعلوم ، يقول في الوقت ذاته ، بالنفس الفلكية التي تعلم الشيء بالفعل ، وبالنفس الجزئية التي تعلمه بالقوة ، ذلك أن كل نفس تكون أكثر معلوماً وأحكم مصنوعاً ، فهي أقرب إلى النفس الفلكية تشبهاً بها وتصيّراً لها »[2] .

مسكويه (٣٢٥ - ٤٢١ هـ / ٩٣٥ - ١٠٣٠ م) :

أما أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب الرازي ، ابن مسكويه ، والمعروف اختصاراً بمسكويه (وُلد بالري وتوفي بأصبهان)[3] ، والذي اتصل بابن العميد ، ثم بعضد الدولة وابنه صمصام الدولة وأخويه شرف الدولة ، وبهاء الدولة ، والذي اتصل بخوارزم شاه ، وبعميد الملك أبي طاهر محمد بن أيوب وزير الخليفة القادر . مسكويه هذا صاحب عشرات الكتب في الأخلاق والنفس والفلسفة والتاريخ والأدب والحكمة ، هو الآخر ممن نجد آراءهم متداخلة بآراء أبي حيان التوحيدي ومعتقداته التي هي في واقع الأمر بمثابة ردود على الاسئلة التي كان يطرحها على مسكويه ، كما سنتبين ذلك مفصلاً في كتابهما المشترك « الهوامل والشوامل » الذي أسلفنا الإشارة إليه .

إن مسكويه وهو العالم بالنفس ، الهادىء الطباع ، المتحمس كثيراً لتهذيب الاخلاق والمتأثر جداً بآراء الفلاسفة والعلماء . مسكويه هذا لهو واحدٌ من الذين مالوا إلى القول بتأثيرات الكواكب في تكوين الطبائع وخلق النفوس ، إضافة إلى

---

(١) التوحيدي : الإمتاع والمؤانسة ٢ / ٧ - ٨ .
(٢) نفسه ١ / ٤٠ .
(٣) أنظر حياة مسكويه مفصلة في مقدمة كتابه المعروف « بتهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق » ، ص ٧ - ٢٥ ، منشورات دار مكتبة الحياة ، الطبعة ٢ ، ١٣٩٨ هـ .

تأثيرها الذي لا ينكر في الأحداث الأرضية وما يجري إنما هو يجري عن طريق التأثير الطبيعي ، وضمن نطاق محدود جداً ومعقول . وهذا التأثير ناجم في الأصل عن تأثير الشمس الذي لا يُنكر في الطبيعة ، والكواكب مثل الشمس ، لكل منها أثر بيّن بحركته ودورته وشعاعه الذي يصل إلى عالمنا ، ثم إن علم المنجم للحوادث لا يعدو القول بأن السنة الآتية مثلاً « تجتمع فيها دلائل الشمس وزحل فتؤثر في عالمنا هذا أثراً مركبا من طبيعتي هاتين الحركتين فتكون حال الهواء كيت وكيت . وكذلك حال الإستقصات الأربع (النار ، الهواء ، الماء ، الأرض) ولما كان الحيوان والنبات مركبين من هذه الطبائع وجب أن يكون كل ما أثر في بسائطها يؤثر أيضاً في المركبات منها »[1] ، فالمنجم إذاً كما يرى مسكويه ، يُخبر بحسب ما يحسب من حركاتها وشعاعاتها الواصلة إلينا آثارها حكماً طبيعياً وإن كان يغلط أحياناً بحسب دقة نظره في الحركات والمناسبات التي تجتمع من جملة الأفلاك والكواكب ، وقبول ما يقبل من أجزاء عالم الكون والفساد وتلك الآثار مع إختلافها »[2] .

وباختصار ، فإن مصداقية الحكم في علم النجوم إنما هي تتوقف على مدى معرفة الأخذ بالأسباب والآثار الفلكية الموجبه لهذا الحكم . أما بشأن المزاج الغالب علي بعض الأمم دون غيرها ، وعلى جنسٍ دون آخر ، كاليتم في الناس من قِبل الأب ، وفي سائر الحيوان من قِبل الأم ، وكحنين البعض إلى السفر ، على سبيل المثال ، فالقضية تخضع في نظر مسكويه ، لنواميس مختلفة ليس أقلها تأثير التربة والغذاء ، هذا فضلاً عن تأثير المزاج التابع لذلك من آثار الفلك والكواكب مما لا يمكن إنكاره على الإطلاق[3] .

أبو حيان (ت ٤١٤ هـ /١٠٢٣ م) :

أما أبو حيان فقد وقف من التنجيم موقفاً وسطاً ، من حيث المبدأ على الأقل ، وهذا ما نلاحظه من جوابه الذي ردّ به بنفسه ، على سؤال الوزير ابي عبد الله الفارض ـ ربما كان هو نفسه ، أبا عبد الله الحسين بن أحمد بن سعدان ، وزير صمصام الدولة البويهي ـ إذ لقد دأب أبو حيان طيلة سبع وثلاثين ليلة ،

---

(١) مسكويه وأبو حيّان التوحيدي : الهوامل والشوامل ، ص ٣٤١ .

(٢) نفسه ، ص ٣٤١ .

(٣) نفسه ، ص ٢٢٦ ـ ٢٢٧ .

على محاضرة الوزير ، ومن كان يضم مجلسه من العلماء ، في شتى المسائل والمواضيع التي غالباً ما كان يقترحها ابن سعدان ، والذي يتبين لنا من تلك المساءلات والمناقشات والمحاضرات ، أن التنجيم ، في نظر أبي حيان ضربٌ من الصناعة القائمة على المهارة والتعليم ، فهو كالطب الذي يتوسط الخطأ والصواب ، فيهلك أو يبرأ معه العليل . إنه مدركٌ غير مكشوف تمام الكشف ، ولا هو معروف حق المعرفة ، وإن كان من غير الجائز في الوقت ذاته أن يكون ـ حسب تعبير أبي حيان ـ « مقنوطاً منه مطّرحا مجهولاً »[1] . وما أشبه توسّط هذا الفن الذي هـو التنجيم ، بين الصحة والخطأ بتوسط الإنسان بين قدرته على التصرف حينا ، وعدم قدرته حينا آخر ، فهو بين الجبر والاضطرار ، وبين الحرية والاقتدار ، وفي مطلق الأحوال فإن الله سبحانه وتعالى « قد منع من الثقة والطمأنينة إلاّ في معرفته وتوحيده وتقديسه وتمجيده ، والرجوع إليه »[2] ، إن أبا حيان لم ينكر علم الأحكام أصلاً ، لكنه يقرّ بأن المعول عند أهله ، إنما هو ضربٌ من الحدس والظن ، وشيء مما كذبته التجربة حيناً ، وصدقته الأخبار حيناً آخر ، لا لشيء ، إلا لأن العالمين به حقاً ، والملهمين الحاذقين فيه شبه غير موجودين ، يضاف إلى ذلك أن هذا العلم صعب مأخذه وتحصيله ، يكتنفه الغموض ، ويعتوره النقص والخلل ، والتالي هو مما « يجب أن يوهب له زمان عزيز ، فوراءه ما هو أهم منه وأجدر وأرشد وأهدى »[3] حسب تعبير أبي حيان . ولا يعني هذا القول إن أبا حيان يرد في الأصل هذا العلم ، أو هو ممن يجتنب الخوض فيه . إنه ، وعلى خطى أستاذه مسكويه ، يبين لنا أن علم النجوم حق لارتباط المواد السفلية بالآثار العلوية ارتباط البعض بالبعض الآخر إذ كان ، حسب تعبيره ، « لكل فاعلٍ منها مفعول ، ولكل مؤثر متأثر ، والجميع جارٍ على نظام ، ولا خلل فيه ، ولا دَخل عليه ، ولكن إدراك خفاياها صعبٌ عسير ، بل ممتنع مستحيل ، وذلك أن الأدلة كثيرة ، وهي مع كثرتها مختلفة ، ومع اختلافها ملتبسة ، ومع التباسها خفية ، ومع خفائها بعيدة »[4] . ويجب أن لا يُفهم من قول أبي حيان هذا أن نرد قول أصحاب هذا العلم جملةً وتفصيلاً ، بل إنه ينفلت

---

(١) التوحيدي ، أبو حيّان : الإمتاع والمؤانسة ١ / ٣٩ .
(٢) نفسه ١ / ٣٩ .
(٣) التوحيدي ، أبو حيّان : الإمتاع والمؤانسة ١ / ٤٠ .
(٤) نفسه ٣ / ١٤٨ .

منه في حال تحصيله ـ كما يقول أبو حيان ـ : « أضعاف ما يظفر به ، فلهذا يقلّ صوابه ، ويكثر الخطأ فيه ، ولكن الناس يولعون في باب النجوم خاصة ، برواية ما أُصيب فيه ، وإخفاء ما أخطأته ، وبسط العذر في ما عرض له تقصير ، وإطالة القول في ما صحبه أدنى بيان ، ولو جمع الصواب من أهل الصناعة لما كان إلا مثل صواب الزرّاق ، والمولع بالحدس ، ومرسل الخاطر نحو الشيء »[1] .

وعموماً فإن الذي يتضح لنا ، هو أن أبا حيان توفر على القول بتوسط الحال في علم التنجيم أو صناعته ، وهو وإن أقر صراحة بصحته من حيث المبدأ لو توافر له أرباب وصنّاع حاذقون ، إلّا أنه أكثر ميلاً إلى الاعتقاد ببطلانه وإلى التوسط في أحكامه .

ابن سينا (٣٧٠ ـ ٤٢٨ هـ / ٩٨٠ ـ ١٠٣٧ م) :

قبل الحديث عن موقف ابن سينا من التنجيم ، لا بد من الإلمام بحياة هذا الفيلسوف الذائع الصيت ، فنقول : إنه أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا المولود عام ٣٧٠ هـ / ٩٨٠ م والمتوفى عام ٤٢٨ هـ / ١٠٣٧ م ، درس العلوم اللسانية ، فالعلوم العقلية والطبية ، ونال حظوة لدى الأمير نوح بن نصر الساماني صاحب بخارى ، إذ قربه إليه فاتحاً أمامه أبواب مكتبته التي استفاد منها ابن سينا إلى حدٍ بعيد . ولقد تقلّب ابن سينا في أكثر من منصب وبلد ، وبرع في الفلسفة والطب والرياضة والموسيقى والفلك وعلوم الطبيعة وفي الشعر ، حتى أنه لُقّب بالشيخ الرئيس ثناءً على نبوغه في الطب ، وبالمعلم الثالث تقديراً لبراعته في العلوم الفلسفية والنظرية . أشهر كتبه « القانون » في الطب ، و« الشفاء » ، و« النجاة » في المنطق والطبيعة والإلهيات والفلك والأرصاد والأحكام ، و« تسع رسائل » في الطبيعة والفلك والحكمة والنبوة والنفس والأخلاق والروح . هذا فضلاً عن عددٍ آخر من الرسائل ذات الموضوعات المختلفة . وبعيداً عن الخوض في آراء ابن سينا في شؤون العلم الإلهي ، لا بد من الإشارة إلى أخذ ابن سينا بنظرية الفيض التي نادى بها عددٌ من الفلاسفة العرب واليونان ، فقال بالعقل المفارق الأول ، أو المعلول الأول الذي فاض عن العقل المحض الذي هو الموجد الأول ، أي الله ، وعن العقل المفارق الأول فاض العقل المفارق الثاني ومعه

---

(١) نفسه ٣ / ١٤٨ .

الفلك الأقصى المحرك لهذا العالم ، فالعقل الثالث ومعه فلك النجوم الثوابت ، فالعقل الرابع ومعه فلك زحل ، فالعقل الخامس ومعه فلك المشتري ، فالعقل السادس ومعه فلك المريخ ، فالعقل المفارق السابع ومعه فلك الشمس ، فالثامن ومعه فلك الزهرة ، فالتاسع ومعه فلك عطارد ، فالعقل المفارق العاشر الذي أسماه العقل الفعال ومعه فلك القمر ، وعن هذا الأخير فاضت العناصر الأربعة ذات الأجزاء المتفاوتة في الخلق والتكوين ، المتطورة من الجماد فالنبات فالحيوان ، فالإنسان . ولما كان الله هو الخير المحض ، فلا بد من أن يفيض عنه الخير ، وما هذا الذي نراه من الشرور ، في عالمنا الأرضي ، إن هي إلا شرور فاضت بالعرض ليس إلا[1] .

والآن ماذا عن اعتقاد ابن سينا بتأثير الكواكب ؟

ينطلق ابن سينا من مبدأ أن الإسطقسّات ـ أي الأجسام الثقيلة والخفيفة على السواء »[2] متصل بعضها بالبعض الآخر بحيث لا ينكر فعل المؤثرات السماوية ، وإن كان أبرزها ، الشمس والقمر وهذا ما نلاحظه في تأثير الرطوبة والحرارة ، وفي المد والجزر ، ونضج الثمار على سبيل المثال . أما بشأن تأثير الكواكب ، الأخر ، فهو مما لا ينكر أصلاً ، وإن كان من الخفاء بحيث لا يطلع عليه بادىء الأمر[3] . والعالم عند ابن سينا ، عبارة عن عالمين أحدهما عالم الأفلاك الكامل والأعلى ، والآخر عالم المادة الناقص والأسفل . والأعلى هو الذي يسيّر الأدنى فيعمل على التهيئة والإيجاد والتدبير للأنواع والأفراد ، فهو يفيض عليها بالخير العميم . أما النفس الإنسانية فهي وحدها ، القادرة على الاتصال بعالم الكمال[4] . يقول ابن سينا : « وإذا بلغنا هذا المبلغ . . . فإن الطبيعيين يجدون لهذه الأجرام أفعالاً في أجرام هذا العالم مختلفة تدل على اختلاف طبائعها الذاتية فالذي يشبه أن يفيض من الجرم الأقصى في هذا العالم ، فهو الاستعداد

---

(١) فروخ ، عمر : تاريخ الفكر العربي ، ص ٤١٥ .
(٢) الاسطقسات : جمع اسطقس ، كلمة معرّبة عن اليونانية ، وتعني الأصل والعنصر ، وهو أصغر الأشياء من جملة الجسم . منه يكون الشيء ، وإليه يرجع منحلاً .
الأسطقسات ، قد تطلق على العناصر الأربعة : الماء ، والتراب ، والهواء والنار .
(٣) ابن سينا : تسع رسائل في الحكمة والطبيعيات والالهيات ، ص ١٥ .
(٤) اليازجي ، كمال : أعلام الفلسفة العربية ، ٦١٩ .

الكلي للمادة الكلية إلى الجسم الكلي . . . وهو التهيوء لقبول العقل بالفعل الذي هو علم اليقين ، والذي يشبه أن يفيض من الجرم الذي يتلوه وهو فلك الكواكب الثابتة فتتميمه ما ينبعث عن الجرم الأول الأقصى بأن يؤتيه شكلاً وترتيباً ووضعاً طبيعياً . وأما في الأنفس فالاستعداد لقبول الرأي المحمود الذي هو الظن الراسخ المتعارف ، وبه تتم معاشرة أشخاص الناس ، بعضهم مع بعض »[1] .

إلى هنا والكلام قد يغلب عليه طابع الإجمال، ويكتنفه شيء من الغموض بخصوص تأثير الأفلاك في تكون الطباع والأخلاق البشرية ومجمل السلوك الإنساني . ورغبة في المزيد من الاطلاع على هذا الموضوع ، نتابع قول ابن سينا عن الفيض : « وكوكب زحل يفيض منه قوة تفعل في الأجسام برداً وجموداً ويبساً وإذعانات للتغير واستحالة في الأنفس استعداداً لقبول التخيل والتذكر والتفكر والتوهم . وكوكب المشتري يفيض منه في الأجسام قوة تحفظ كمال كل جسم وتهيىء كل مركب للثبات على اعتداله الذي يخصه ، وفي الأنفس تهيوء لقبول قوة الحس . وأما المريخ فإنه يفيض منه في الأجسام قوة تفعل فيها حرارة غريزية ، وإذعاناً للتغيير والاستحالة ، وبهذا الثاني يشارك زحل ، وأما في الأنفس فتهيىء النفس الغضبية للحركات الزائدة . وأما الشمس فيفيض منها في الأجسام قوة تهيىء المركبات لقبول كمالاتها المزاجية وتعطيها الحرارة الغريزية ، وفي الأنفس قبول تهيوء الأنفس الطبيعية إلى الحركات الزائدة ، وربما أثرت في الأنفس الإنسانية فضل حركة إلى التسلط . وأما الزهرة فيفيض منها في الأجسام قوة تفيدها برودة وموافقة . وربما أثرت في الأنفس الإنسانية زيادة فضل حركة إلى الفرح واللذة . وأما عطارد فيفيض منه في الأجسام قوة تفيدها اليبس الطبيعي . وربما أثرت في الأنفس الإنسانية زيادة جلاء الذهن ، وتمكين للعقل من الخيال وحركة إلى التخييل . وأما القمر فيفيض منه في الأجسام قوة تفيدها الرطوبة الطبيعية وتعمل فيها ، وفي الأنفس استعداد للقوة الغاذيّة ، وربما أثرت في الأنفس الإنسانية هيئة تكون بها سريعة التحول والتبدل عن خلق وقصد . ثم لكل منها في كل نوع فعل يخصه ، والله أعلم »[2] .

إذاً ، فالأجرام السماوية التي تبدأ بالقمر ، وتتميز كما لاحظنا من قبل ،

---

(١) ابن سينا : تسع رسائل في الحكمة والطبيعيات ، ص ٣٩ .
(٢) نفسه ،ص ٣٩ ـ ٤٠ .

ببساطة تركيبها واستدارة حركتها ، وبعدم قابليتها لأية طبيعة من الطبائع المتضادة . هذه الأجسام ذوات النفوس العاقلة ، وإن شئت فقل هذه الكائنات الحية ، حسب تعبير ابن سينا[١] ، تفعل فعلها الإبداعي والتكويني في الموجودات المادية ، علماً بأنها بذاتها غير فاعلة لأي من الطبائع المتضادة الأربع . وباستطاعتها كذلك أن تحدث آثاراً علوية عن طريق فعلها في العناصر في عالم ما تحت القمر ، بأن تولد ظاهرة الحياة في هذه العناصر متى تركبت بنسب معينة ، بدءاً بأنواع النبات ، ومروراً بالحيوان ، وانتهاءً بالإنسان الذي تنشأ حياته كما النبات والحيوان والجماد ، بفضل فاعلية هذه الأجسام الفلكية[٢] . وأما بشأن العناصر الأربعة التي تتألف منها الذوات القابلة للكون والفساد في عالمنا السفلي ، فإن هذه تنشأ كما بيّنا من قبل ، من مادة مشتركة تفعل فيها الأجسام الفلكية فعلها ، لكن صورها الجوهرية ، أي صور هذه الذوات لا تنبثق عن العقل الفعال الذي هو آخر الجواهر العقلية ، إلا إذا كانت بمادتها مستعدة لقبول هذه الصور ، وذلك إما عن طريق النمو والحركة الطبيعية في العالم ، وإما عن طريق التأثيرات الروحانية العليا التي تهيمن عليها الأجرام السماوية[٣] .

ذلكم قول ابن سينا ، وما ذهب إليه بشأن مبدأ تأثير الكواكب في الأجسام ، وفي تكوّن الأخلاق والطباع . لكن ، كما لاحظنا ، يجب أن لا يغفل عن البال أن ابن سينا في هذا لم يكن ليطلق أقواله وأحكامه على سبيل الجزم والتأكيد ، لكن على سبيل التحفظ والحذر والإحتياط تاركاً في كل مرة العلم الحق لله جل جلاله .

وفي مطلق الأحوال يجب التحرز دوماً من القول إن ابن سينا الذي خاض في أبحاث النفس وفيوضاتها ، وفي تأثيرات الكواكب في الطبيعة ، نظر إلى علم أحكام النجوم الذي هو فرع من الطبيعيات ، نظرة تصديق واحترام . إنه يرفض ما يروّجه المنجمون ويعتبر ما يدّعونه تخميناً لا قيمة له وقد لخص ابن سينا رأيه هذا ، في رسالة خاصة فنّد فيها مزاعم المنجمين[٤] .

---

(١) فخري ، ماجد : تاريخ الفلسفة الإسلامية ، ص ١٩٠ .

(٢) نفسه ، ص ١٩٠ .

(٣) نفسه ، ص ٢٠٨ .

(٤) إقرأ في : (مجلة التراث العربي) ، العدد الخامس والسادس . السنة الثانية ت١ =

من هنا كان عدم الركون إلى بعض ما نُسب إليه من كتب ورسائل جاءت ممهورة باسمه ، وهي من قبل الوضّاعين الذين ما انفكوا حتى الآن يروّجون كتباً ورسائل وأخباراً عن طريق نسبتها إلى المشاهير والأعلام ، كما لا يمكن الاطمئنان إلى كثير من الأشعار التي نُسبت إليه أيضاً ، وهي تحمل طابعاً تكهنياً وملاحمياً يخاطب فيها ابن سينا عدداً من الكواكب والنجوم .

من ذلك مثلاً ، تلك الكتب التي تبحث في العلوم الروحانية والسرّية والطبيّة ، عن طريق استخدام الجنّ ، والسحر ، وعمل المندل والطلاسم والرقى والأحراز على اسم الكواكب ، وفاقاً لحكم أرباب الساعات والليالي والأيام ، وذلك من أجل شفاء مريض ، أو فك عقدة معقود ، أو إطلاق أسير ، أو عودة غائب ، أو تسخير قلب عاشق أو معشوق ، أو إخراج عفريت ، أو إبطال سحر ، أو استخراج ظالع وضمير[1] .

ومن الأشعار الملاحمية التي هي أشبه ما يكون بالأدعية والطلاسم ، ويغلب عليها ركاكة النظم ، وفساد الوزن ، تلك التي يخاطب فيها ابن سينا عطارد إبّان شروقه ، من أجل أن يمنحه الشجاعة ، ويكسبه السعادة والعلم والحكمة :

عطارد قد والله طال ترددي مساء وصبحاً كي أراك فأغنما
فها أنت فامددني قوى أدرك المنى بها والعلوم الغامضات تكرما
ووقني المحذور والشر كله بأمر عليك خالق الأرض والسما[2]

ومما نُسب إليه أيضاً ، مرهصا بالفتن والحروب والملاحم ، وبقيام دولة التتار وغزوهم البلاد ، وقتلهم العباد :

احذر بنيّ من القران العاشر وانفر بنفسك قبل نفر النافر
لا تركنن إلى البلاد فإنها سيعمها حد الحسام الباتر
من فتية فطس الأنوف كأنهم سيل طما أو كالجراد الناشر

= ١٩٨١ ، دمشق ، مقالة الدكتور جورج شحاتة قنواتي تحت عنوان (إسهام ابن سينا في تقدم العلوم) ، ص ٢٣ .

(١) من هذه الكتب ، على سبيل المثال : « مجموعة ابن سينا الكبرى في العلوم الروحانية » ، مطبوعات عبد العزيز الكرم ، مصر .

(٢) ابن أبي اصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، ص ٤٥٣ .

فهو الخوارزمي يكسر جيشه في نصف شهر من ربيع الآخر
ويكون في نصف القران ظهوره لكن سعادته كلمح الناظر
وإذا مضى حد القران رأيتهم يردون جلّق وهي ذات عساكر
يفنيهم الملك المظفر مثلما فنيت ثمود في الزمان الغابر[1]

الغزالي (٤٥٠ ـ ٥٠٥ هـ / ١٠٥٨ ـ ١١١١ م) :

أما الغزالي الذي نصر الدين بالعقل ، والذي هاجم الفلسفة ثم استعار براهينها دفاعاً عن الدين ، والذي ردّ على الفلاسفة في العقائد ، ثم كفّر من يذهب إلى القول بآرائهم في قدم العالم ، وعلم الله وصفاته ، وفي المعاد الروحاني والجسماني بشكلٍ خاص .

فقد وُلد أبو حامد محمد بن محمد الغزالي عام ٤٥٠ هـ / ١٠٥٨ م بطوس حيث تلقى مبادىء العلم الفقهي ، ثم انتقل إلى جرجان فنيسابور فأخذ المذهب الأشعري عن إمام الحرمين أبي المعالي عبد الملك الجويني ، والتصوف عن أبي علي الفضل بن محمد الفارمدي الطوسي . وبعد أن درّس في نظامية بغداد ، حصل في حياته انقلاب عن علوم الشريعة إلى الروحانيات والتصوف ، فانقطع عن التدريس ، وطوّف في البلاد مدة أربع سنوات ، استدعاه بعدها ابن نظام الملك للتدريس بنيسابور ، وفي نهاية المطاف رجع إلى طوس ، مسقط رأسه ، فتوفي هناك عام ٥٠٥ هـ / ١١١١ م .

والآن ، ماذا عن التنجيم عند الغزالي ؟

إننا لنجد مثل هذه الآراء والمواقف في كتابيه « تهافت الفلاسفة » و« إحياء علوم الدين » اللذين يرد فيهما الغزالي على الفلاسفة ،مبيناً ما هم عليه من الخطأ ومن التناقض في إقامة الأدلة المقنعة على صحة ما يزعمون مما هو مخالف للعقيدة والدين . والذي يسترعي الاهتمام في هذا الشأن هو أن الغزالي يرد على الفلاسفة جملة أقوال ومسائل بلغت العشرين ، منها قولهم بنسبة المعرفة إلى النجوم ،

---

(١) نفسه ، ص ٤٥٤ ـ ٤٥٦ .
رجلّق: دمشق . والملك المظفر ، هو الظاهر بيبرس الذي هزم التتار فأجلاهم عن بلاد الشام .

واطلاعها على الغيب[1] .

وأما أتباع الأفلاطونية المحدثة ، أي القائلون بنظرية صدور العالم ، وفيض العقول عن الموجود الأول ، مما يستتبع القول بروحانية الأفلاك والكواكب ، فإن الغزالي يرد عليهم حججهم وآراءهم ومزاعمهم تلك ، بحجة رياضية تقول إن أزلية العالم تستلزم منطقياً أن ثمة عدداً لا متناهياً من دورات الأفلاك قد انقضى ، ومع ذلك فنحن نعلم أن هذه الدورات تصلح أساساً لمعادلات رياضية معينة : مثال ذلك ، أن فلك الشمس يدور دورة واحدة في كل عام ، وفلك زحل يدور دورة واحدة في كل ثلاثين سنة ، وفلك المشتري كل اثنتي عشرة سنة ، وفلك الكواكب الثابتة مرة كل ٣٦٠٠٠ سنة ، أي أن النسبة المتناهية بين دورات فلك الشمس والأفلاك الأخرى هي نسبة الواحد إلى الثلاثين ، وإلى الإثني عشر ، وإلى الستة والثلاثين ألفاً فإن هذا مما يتنافى مع الوضع السابق الذي يعتبر هذه الدورات لامتناهية وأنها حدثت في زمانٍ لامتناه[2] .

كذلك يرد الغزالي عليهم بالقول بأن العالم صدر صدوراً لازماً عن الله ، أو الموجود الأول حسب تعبيرهم ، تماماً كما يصدر المعلول عن العلة ، والنور عن الشمس ، يرد عليهم بالقول إن الفاعل المختار لا بد أن يكون عالماً مريداً ، فقولهم عن الله إنه « صانع العالم » لا يصح إلّا على سبيل المجاز . . . وقل الأمر ذاته في ما يخص قولهم إنه لا يصدر عن الواحد إلّا الواحد ، ولما كان الله واحداً ، والعالم مركباً ، فلا معنى إذاً للقول إن الله صانع العالم وفاعله[3] .

ويحدثنا الغزالي عمّا عدتّه العامة من العلوم المحمودة وليس منها ، فيسوق الدليل تلو الدليل محللاً ومعللاً السبب الذي من أجله ذمت هذه العلوم ، وفي طليعتها السحر والطلسمات ، وعلم النجوم .

أما بشأن علم النجوم ، فإن العلة في ذمه ، من وجهة نظر الغزالي ،

---

(١) فخري ، ماجد : تاريخ الفلسفة الإسلامية ، ص ٣٠٤ .
ومن جملة المسائل التي خالف الغزالي فيها الفلاسفة : أزلية العالم وأبديته ، الزمان والمكان ، صفات الله ، علم الله ، خلق العالم ، جوهر النفس ، المعاد . . .
(٢) فخري ، ماجد : تاريخ الفلسفة الإسلامية ، ص ٣٠٥ ـ ٣٠٦ .
(٣) نفسه ، ص ٣٠٧ .

طبعاً ، هو أنه علم يضرّ بصاحبه في الغالب ، وإن كان ، في نفسه ، غير مذموم ، لذاته ، إذ هو قسمان : حسابي ، وهو غير مذموم ، ذلك أن القرآن نطق به ، فقال تعالى على سبيل المثال : ﴿ الشمس والقمر بحسبان ﴾ ، وقال : ﴿ والقمر قدرناه منازل حتى عادكالعرجون القديم ﴾ ، وقسم آخر غير حسابي ، هو ما يُعرف بالأحكام التي بها يستدل على الحوادث بالأسباب ، تماماً كاستدلال الطبيب بالنبض على ما سوف يحدث من العلة والمرض ، وهو ، أي هذا العلم ، وإن حاول صاحبه التعرف على مجاري سنة الله تعالى ، وعادته في خلقه ، إلاّ أن الشرع ذمه[1] .

ثم يسوق الغزالي أدلة شرعية ونقلية متعددة تثبت ذم هذا العلم ، منها على سبيل المثال قول الرسول ﷺ : « إذا ذُكر القدر فأمسكوا ، وإذا ذُكرت النجوم فأمسكوا ، وإذا ذُكر أصحابي فأمسكوا » ، ومنها قوله الآخر : « أخاف على أُمتي بعدي ثلاثاً : حيف الأئمة والإيمان بالنجوم ، والتكذيب بالقدر .

ومنها قول عمر بن الخطاب : « تعلموا من النجوم ما تهتدون به في البر والبحر ، ثم أمسكوا » .

ثم إن الغزالي حرصاً منه على قداسة هذه الأحاديث وسواها روحاً ونصاً ، راح يبين لنا الأسباب التي من أجلها ورد النهي عن تعلم هذا العلم ، فإذا هي : ضرره بأكثر الخلق ، وذلك لأن النفوس ، لا سيما نفوس العامة ، من الضعف بحيث أنه يخشى عليها في حال حدوث الآثار التي يرهص بها المنجمون ، من الوقوع في ضلالة الانجذاب إلى الإعتقاد بأن الكواكب هي المؤثرة ، وأنها « الآلهة المدبرة لأنها جواهر شريفة سماوية ، ويعظم وقعها في القلوب ، فيبقى القلب ملتفتاً إليها ، ويرى الخير والشر محذوراً أو مرجوّاً من جهتها ، ويمحي ذكر الله سبحانه عن القلب ، فإنّ الضعيف يقصر نظره على الوسائط ، والعالم الراسخ هو الذي يطلع على أن الشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره سبحانه وتعالى . فأكثر نظر الخلق مقصور على الأسباب القريبة السافلة ، مقطوع من الترقي إلى سبب الأسباب »[2] حسب تعبير أبي حامد ، هذا من جانب ، ومن جانبٍ آخر ،

---

(١) الغزالي إحياء علوم الدين ١ / ٢٦ . مكتبة عبد الوكيل الدروبي ، دمشق .
(٢) نفسه ١ / ٢٧ .

فإن ثاني الأسباب التي من أجلها نُهي عن أحكام النجوم ، أنها تخمين محض « ليس يدرك في حق آحاد الأشخاص ، لا يقيناً ولا ظناً ، فالحكم به حكم بجهل ، فيكون ذمّه على هذا من حيث أنه جهل لا من حيث أنه علم »[١] .

وأخيراً ، فإن اللافت للنظر ، هنا ، هو أن الغزالي لا ينفي حقيقة هذا العلم الذي كان في زمن غابر ، معجزة إدريس عليه السلام ، ثم ما لبث أن زال وامّحق . أما ما يتفق أحياناً من الإصابة فيه ، فهو مجرد اتفاق محض قد تكون له أسبابه الخفيّة ، وهو ضرب من ضروب التخمين التي قد تُصيب حيناً ، لكنها تخطىء أحياناً كثيرة ، تماماً كتخمين الإنسان في أن السماء تمطر اليوم ، وذلك اعتماداً منه على ما ألفه من العادة في هبوب الرياح »[٢] .

وأما السبب الثالث في ذم التنجيم ، فهو أنه من العلوم التي لا فائدة فيها ، و« فضول لا يغني ، وتضييع للعمر الذي هو أنفس بضاعة الإنسان ، في غير فائدة ، وذلك غاية الخسران »[٣] . حسب قول الغزالي .

وبعد أن يستشهد بقول النبي ﷺ : « علمٌ لا ينفع وجهلٌ لا يضر » مشيراً بذلك إلى العلّامة الذي كان يحدث الناس بالأنساب والشعر ، وبعد الاستشهاد بقوله الآخر : « إنما العلم آية محكمة ، أو سنّة قائمة ، أو فريضة عادلة » . فإن الغزالي ينتهي إلى القول بأن الخوض في النجوم وما يشبهه « اقتحام خطر ، وخوض جهالة من غير فائدة ، فإن ما قدر كائن ، والاحتراز منه غير ممكن » وذلك بخلاف الطب الذي تشتد حاجة الناس إليه ، ويمكن الاطلاع على أكثر أدلته بخلاف التعبير أو تأويل الأحلام ، الذي هو ، وإن كان تخميناً ، إلّا أنه جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة ، حسبما جاء في الحديث ، فضلاً عن أنه لا خطر فيه[٤] .

وأخيراً ، وبعد أن يحمل على أولئك الذين يخوضون في العلوم المذمومة التي لا فائدة فيها ، من الفلاسفة وبعض المتكلمين ، ينتهي الغزالي إلى التحذير من

---

(١) الغزالي : احياء علوم الدين ١ / ٢٧ .
(٢) نفسه ١ / ٢٧ .
(٣) نفسه ١ / ٢٧ .
(٤) احياء علوم الدين ١ / ٢٧ .

اتباع علماء السوء في عصره ، أولئك الذين « صرفهم الشيطان عن العلوم المحمودة إلى المذمومة حتى بات واحدهم يُسمى بالحكيم ، وما هو بحكيم ، وإنما هو طبيب ، أو شاعر أو منجم »[1] على حد قوله .

ابن ملكا البغدادي (القرن السادس الهجري) :

نهي هذا الباب بالحديث عن أبي البركات ابن ملكا البغدادي[2] الذي قال بأحكام النجوم من وجه ، ثم أبطل ذلك من وجهٍ آخر : فهو يرى أن من يريد تطبيق علم أحكام النجوم على قاعدة العلم الطبيعي ، فلا سبيل له إلى ذلك ، لأن هذه الأحكام يعوزها الدليل ، وليس ثمة ما يثبت صحتها كمثل القول ببرودة زحل ويبوسته ، وباعتدال المشتري ، وقولهم إن الاعتدال خير والإفراط شر ، وأن الخير يوجب السعادة والشر يوجب منحسة .

وليس هذا القول مشابهاً للقول بأن الأجرام السماوية فعّالة في ما تشتمل عليه ، وتتحرك حوله ، وهو قول علماء الطبيعة .

وابن ملكا يزري على المنجمين تقسيمهم الفلك إلى بروجٍ ودقائق على غرار تقسيم الطبيعيين ، وذلك لأن هذا التقسيم ، على حد تعبيره « إن كان متوهماً جوازاً كجواز غيره ، إلّا أنه ليس بواجب في الوجود ، ولا حاصل ، فهم نقلوا ذلك التوهم الجائز إلى الوجود الواجب ، وكان الأصل فيه ، على زعمهم ، حركة الشمس والأيام والشهور ، فحصلوا منها قسميّة وهمية ، وجعلوها كالحاصلة الوجودية ، وحدّدوها بحدود وخطوط ، وكأن الشمس بحركتها من وقتٍ إلى مثله ، خطّت في السماء خطوطاً ، وأقامت فيها جدراً أو حدوداً ، أو غيرت في أجزائها طباعاً »[3] . وهو ـ أي ابن ملكا ـ يتعجب من جعلهم للبيوت أرباباً وكأنها أملاك ، « والبيوت كأنها أملاك تثبت لا أربابها بصكوك وأحكام الأسد للشمس ، والسرطان للقمر ، وإذا نظر الناظر ، وجد الأسد أسداً من جهة

---

(١) نفسه ١ / ٣٤ .

(٢) هو هبة الله بن علي ، أبـو يعلى، كان يهودياً فأسلم . له كتاب « المعتبر » في الفلسفة التي خالف فيها فلسفة ابن سينا . درس الفلسفة على عدد من الأساتذة الذين كان من أشهرهم أبو الحسن سعيد بن هبة الله بن الحسين المتوفى سنة ٤٩٥ هـ .
أنظر : المطهري ، مرتضى : الإسلام وإيران ، دار التعارف ، بيروت ، ص ٣٨٤ .

(٣) ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة ، ٦ / ٧٤ .

كواكب شكلوها بشكل الأسد ، ثم انقلب عن مواضعها وبقي الموضع أسداً ، وجعلوا الأسد للشمس وقد ذهبت منه الكواكب التي كان بها أسداً ، كأن ذلك الملك بيت للشمس مع انتقال الساكن ، وكذلك السرطان للقمر » على حد تعبيره[1] . .

وابن ملكا يتعجب كذلك من أقوالهم في الدرجات المدارة والغريبة والمظلمة والنيرة والزائدة في السعادة ، ودرجات الآثار من جهة أنها أجزاء الفلك التي قطعوها وما انقطعت ، ومع انتقال ما ينتقل من الكواكب إليها وعنها ، ثم انتجوا من ذلك نتائج أنظارهم من أعداد الدرج وأقسام الفلك فقالوا : إن الكوكب ينظر إلى الكوكب من ستين درجة ، نظر تسديس لأنه سدس من الفلك ، ولا ينظر إليه من خمسين ولا من سبعين ، وقد كان قبل الستين بعشر درج ، وهو أقرب من ستين ، وبعدها بعشر درج ، وهو أبعد من ستين لا ينظر ، فليت شعري ما هذا النظر ؟ أترى الكواكب تظهر للكوكب ثم تحتجب عنه ، ثم إن شعاعها يختلط بشعاعه عند حد لا يختلط به مثله ولا بعده ، وكذلك التربيع من الربع الذي هو تسعون درجة ، والتثليث من التثليث الذي هو ١٢٠ درجة ، فلِمَ لا يكون التخميس والتسبيع للتعشير على هذا القياس ؟ »[2] .

ثم يتابع ابن ملكا الحديث فيتساءل قائلاً : « ثم يقولون الحمل حار يابس ناري ، والثور بارد يابس أرضي ، والجوزاء حار رطب هوائي ، والسرطان بارد رطب مائي ، ما قال الطبيعي هذا قط ، ولا يقول به . وإذا احتجوا وقاسوا كانت مبادىء قياساتهم أن الحمل برج منقلب لأنه إذا نزلت فيه الشمس ينقلب الزمان من الشتاء إلى الربيع ، والثور برج ثابت لأن الشمس إذا نزلت فيه ، ثبت الربيع على ربيعيه ، والحق أنه لا ينقلب الحمل ، ولا يثبت الثور ، بل هما على حالهما في كل وقت ؟ ثم كيف يبقى دهره منقلباً مع خروج الشمس منه وحلولها فيه ؟ أتراها تخلف فيه أثراً أو تُحيل منه طباعاً ، وتبقى تلك الاستحالة إلى أن تعود فتجددها ؟ ولِمَ لا يقول قائلٌ إن السرطان حار يابس ، لأن الشمس إذا نزلت فيه ، يشتد حر الزمان ، وما يجانس هذا مما لا يلزم ، لا هو ، ولا ضده ، فليس في الفلك اختلاف يعرفه الطبيعي إلاّ بما فيه من الكواكب ، وهو في نفسه واحد متشابه

(١) نفسه ٦ / ٧٤ .
(٢) ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة ٦ / ٧٤ .

الجوهر والطبع ، ولكنها أقوال قال بها قائل فقبلها قائل ، ونقلها ناقل ، فحسن فيها ظن السامع ، واغترّ بها من لا خبرة له ، ولا قدرة له على النظر ، ثم حكم بها الحاكمون بجيّد ورديء ، وسلب وإيجاب ، وبتّ وتجوّز فصادف بعضه موافقة الوجود فصدق ، فيُعتبر به المعتبرون ، ولم يلتفتوا إلى ما كذب منه فيكذبوه ، بل عذروا وقالوا إنما هو منجّم ، وليس بنبيّ حتى يصدق في كل ما يقول ، واعتذروا له بأن العلم أوسع من أن يحيط به أحد ، ولو أحاط به أحد لصدق في كل شيء ، ولعمر الله ، إنه لو أحاط به علماً صادقاً لصدق ، والشأن في أن يحيط به على الحقيقة ، لا أن يفرض فرضاً ، ويتوهم وهماً فينقله إلى الوجود وينسب إليه ويعيش عليه »[1] .



(١) نفسه ٦ / ٧٤


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

البـاب الخامس

أثر التنجيم في الحياة الأدبية

- الفصل الأول : دلالات تنجيمية .
- الفصـل الثاني : مواقف وآراء .


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

انسجاماً مع روح العصر المتأثرة بظاهرة التنجيم على الصعيد الفكري والاجتماعي ، كان لا بد لهذه الظاهرة المميزة من أن تأخذ طريقها إلى حيز التأثير فتترك بصماتها بوضوح على أدب العصر خصوصاً الشعر الذي هو إلى حد بعيد ، ترجمان المشاعر والأفكار ، وثبت للكثير من الأحداث التاريخية والنزعات الاجتماعية والسياسية والعلمية على حد سواء ، وكان لا بد للشاعر ، وهو المرهف إحساساً ، من أن ينجذب سلباً أو إيجاباً إلى مقولة أصحاب النجوم فتراه مصدّقاً بها ، مناصراً لها حيناً ، أو مكذباً بها ، رافضاً لها حيناً آخر .

والشاعر ، إن لم يقف هذا الموقف أو ذاك ، فإنك واجد في شعره ما يفيد على الأقل معنى أو أكثر من تلك المعاني ، ودلالة أياً تكن ، من الدلالات التنجيمية ومتفرعاتها التي شاع ذكرها على ألسنة المنجمين والمعزّمين وأصحاب الملاحم والرقى والطلاسم ، كمثل الحديث عن الطبائع والغرائز ، والحسابات التي يجرونها ، والآلات والكتب التي يستعملونها ، أو كمثل الحديث عن الكوكب الفلاني ، والبرج الفلاني ، وأنّ هذا الطالع ميمون ، والآخر مشؤوم ، وإجمالاً جميع ما يتعلق بحظوظ الناس وأنصبتهم من درجات السعود والنحوس . فاستيفاء لهذا المطلب ارتأينا أن نقسم هذا الباب إلى فصلين رئيسيين جعلنا للأول منهما عنوان « دلالات تنجيمية » ، وللآخر عنوان « مواقف وآراء » .


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الفصـــل الأول

دلالات تنجيمية

أولاً : سعادة النجوم ونحوستها :

١ ـ سعادة النجوم :

أ ـ في المشرق .

ب ـ في المغرب العربي والأندلس .

٢ ـ السعدان الكبيران : المشتري والزهرة :

أ ـ المشتري .

ب ـ الزهرة .

٣ ـ نحوسة النجوم :

أ ـ النحسان الأكبران : زحل والمريخ .

ب ـ عطارد ، كوكب الكتّاب :

ثانياً : سعادة البروج والمنازل ونحوستها :

ـ برج العقرب .

ـ الجوزهر .

ـ سوء الطالع .

ـ تربيع النجوم .

ثالثاً : العناصر والطبائع الأربعة .

رابعاً : الزيج والأسطرلاب

أ ـ الزيج .

ب ـ الأسطرلاب .



أولاً : سعادة النجوم ونجوستها

لا حاجة إلى التذكير بأن الحديث عن السعود والنحوس ، والاعتقاد بأن ثمة في السماء نجوماً منحوسة وأخرى سعيدة ، وأن ثمة تأثيراً للكواكب والبروج في حياة الأفراد والمجتمعات ، وفي مصير الدول والممالك والملل . أقول لا حاجة إلى التذكير بأن هذا الحديث أو الاعتقاد إنما يضربان بجذورهما بعيداً في أعماق التاريخ ، وفي ذاكرة المجتمع البشري . لقد ساور مثل هذا الاعتقاد أذهان العرب في بلادهم النائية نسبياً عن مواطن الحضارة ومراكز العلم ، مثلما ساور أذهان العديد من الأمم والشعوب والقبائل المتاخمة لهم ، أو النائية عنهم على حد سواء . وقديماً حفل الشعر الجاهلي وهو ديوان العرب ، بمثل هذا فقال الحارث بن حلِّزة في معرض مديحه لابن مارية ، على سبيل المثال :

لا يرتجي للمال يهلكه   سعد النجوم ، إليه كالنحس[1]

وقال المثقِّب العبدي ، في معرض رثائه لأبي قابوس :

رأيتُ زناد الصالحين نمينه   قديماً كما بذّ النجوم سعودها[2]

---

(١) الضبي ، أبو العباس المفضل : المفضليات ، ص٥٤ ، ط ١ ، المطبعة الرحمانية ، مصر ١٣٤٥ هـ / ١٩٢٦ م . والحارث أحد أصحاب المعلقات المشهورين في الجاهلية .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٦٤ . والزناد جمع زند وهو العود الأعلى الذي يقتدح به النار ، ونمى النار : رفعها واشبع وقودها . وبذّ النجوم : غلبها . والمثقب العبدي : شاعر جاهلي =

وقال ورقة بن نوفل ، عم خديجة ، زوج النبي ﷺ (ت نحو ٦١١ م) :

فالشمس طالعةٌ وليل كاسف والنجم يجري أنحساً وسعودا[1]

أما في العصر الإسلامي فقال كعب بن مالك الأنصاري في معرض رده على أبي سفيان بن حرب ، وأُبي بن خلف الجمحي ذاكراً أسماء النقباء :

أولاك نجوم لا يغبّك عنهم عليك بنحس في دجى الليل طالع[2]

وأما في العصر الأموي فقال الأحوص (ت ١٠٥ هـ) :

لي ليلتان ، فليلة معسولة ألقى الحبيب بها بنجم الأسعد[3]

وقال الأخطل مفتخراً :

شفى النفس قتلى من سليم وعامرٍ بيوم بدت فيه نحوس الكواكب[4]

وقال الراعي النميري ، أبو جندل الشاعر الأموي (ت ١١٩ هـ) :

ظللت بيوم عندهن تغيّبت نحوس جواريه ومرّت سعودها[5]

وقال ذو الرّمة ، غيلان بن عقبة العدوي (ت ١١٧ هـ) :

وما يسفح العينين من رسم دمنة عفتها الليالي نحسها وسعودها[6]

هذا في القديم ، أما في العصر العباسي ، فما أكثر الأمثلة الدالة على استمرار هذا الإعتقاد حتى عند أولئك المتشددين الذين أزروا بالنجامة والمنجمين ، أمثال أبي العلاء المعري الذي يقول :

= توفي عام ٥٨٧ م .

(١) الألوسي : بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب ٢ / ١٨١ ، ط ٣ ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ١٩٦٥ م .

(٢) الأسد ، ناصر الدين : مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية ، ص ١٢٧ ، ط ٤ ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٩ م . وغبّ النجم : ثبت في مكانه .

(٣) الأصبهاني ، أبو الفرج : الأغاني ٤ / ٥٥ ، دار الفكر للجميع .

(٤) الأخطل : الديوان ، ص ٥٨ ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ١٨٩١ م وسليم وعامر : قبيلتان .

(٥) الراعي النميري : الديوان ، ص ١٩٥ ، نشر « دار ستاينز » ، فيسبادن ١٩٨٠ م .

(٦) ديوان ذي الرمة ٢ / ١٢٢٨ ، تحقيق عبد القدوس أبو صالح .

وقد بان أن النحس ليس بغافلٍ　　له عمل في أنجم الفقهاء[1]
وكيف أقضي ساعة بمسرة　　وأعلم أن الموت من غرمائي

والذي يقول ثانية ، وان كان لايخفى ما في قوله من تشكيك :

لعل قران هـذا النجم يثني　　إلى طرق الهدى أمما حيارى
فقد أودى بهـم سغـب وظمـاً　　وأنيقهـم بمتلـفة حسارى[2]

ولندع أبا العلاء وشأنه لأن لنا معه وقفة ستطول ، ومواقفه ستكون مختلفة تماماً ، ثم لنذكر بقول شاعرٍ آخر متقدم عليه في الزمن ، هو ابو الشيص محمد بن عبد الله بن رزين الخزاعي (ت ١٩٦هـ/٨١١م) الذي يقول في رثاء الخليفة العباسي الأمين :

جرت جوار بالسعد والنحس　　فنحن في وحشة وفي أنس[3]

ولنتذكر قول شاعر آخر تأخر عن أبي الشيص في الزمن ، لكنه تقدم على أبي العلاء ، وكان نظر إليه نظرة إعجاب وتقدير ، عنيت أبا الطيب المتنبي الذي أشار إلى ما كان يلهج به أرباب التنجيم من تأثيرٍ للكواكب فيقول في معرض مديحه لطاهر بن الحسين العلوي :

يقولون تأثير الكواكب في الورى　　فما باله تأثيره في الكواكب[4]

ويقول مخاطباً سيف الدولة الحمداني :

تباري نجوم القذف في كل ليلة　　نجوم له منهن وردٍ وأدهم
يقرّ له بالفضل من لا يودّه　　ويقضي له بالسعد من لا ينجم[5]

والآن ، ماذا عن سعد النجوم ونحسها ؟

---

(١) المعري ، أبو العلاء : اللزوميات أو لزوم ما لا يلزم ١ / ٦٤ ، دار بيروت ودار صادر ، ١٣٨١ هـ / ١٩٦١ م .
(٢) نفسه ١ / ٧٤ ، وحسارى : ضعاف ، المتلفة : محل التلف والهلاك ، وأنيق : جمع ناقة والسغب : الجوع والظمأ : العطش .
(٣) ابن المعتز : طبقات الشعراء ، ص ٣١ ، دار المعارف بمصر .
(٤) المتنبي ، أبو الطيب : العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب ١ / ٢٣٣ ، شرح اليازجي .
(٥) نفسه ٢ / ٣١٠ ، والورد من الخيل : ما كان أحمر اللون إلى صفرة . أما الأدهم منها فهو الأسود اللون .

١ ـ سعادة النجوم

أ ـ في المشرق :

ما دمنا بصدد الاستشهاد بالشعر الذي شاعت لغة السعود في مختلف أغراضه وفنونه من مديحٍ ورثاء وفخر وغزل وسواها من الأغراض والفنون ، فلنصغِ إلى ما يقوله العماني ، محمد بن ذؤيب من بني نهشل بن دارم ، وكان من شعراء العصر الأول العباسي ، يقول في الخليفة العباس هارون الرشيد (ت ١٩٣ هـ / ٨٠٩ م) مشيراً إلى نجوم السعد :

يُعطي الجزيل ويفي بالوعد ... كأنما سيمته في البرد

بين كهول هاشم والمرد ... بدر بدا بين نجوم السعد(١)

ولنصغِ إلى ما قاله في الرشيد ذاته ، عمر بن سلمة الذي يُعرف بابن أبي العلاء :

الناس من طينٍ وأنت البدر ... في فلك السعود(٢)

وإلى ابن شراعة متشفياً من القاضي أحمد بن أبي دؤاد وقد بلغه أنه فلج ، وكان يقول بخلق القرآن :

---

(١) ابن المعتز : طبقات الشعراء ، ص ١١٢ .

(٢) ابن المعتز : طبقات الشعراء ، ص ١٥١ .

أفلت نجوم سعودك ابن دؤاد وبدت نحوسك في جميع إياد[1]

ثم لنستمع ثانية إلى أبي الطيب يقول في بدر بن عمّار أمير طبرية :

تجلّى لنا فأخذنا به كأنا نجومٌ لقين سعودا
رأينا ببدر وآبائه لبدر ولوداً وبدراً وليدا[2]

ثم لنستمع إلى معاصره ، السري الرفّاء (ت ٣٦٦ هـ / ٩٧٦ م) الذي يقول في سيف الدولة :

وأشرق في رأد الضحى فكأنما تلاعب منه الشمس صرحاً ممرّدا
يزفّ نجوماً ليس يمنع ضوءها تكاثف ليل النقع أن يتوقدا
إذا ما رأتهنّ البطارق أنحسا رآهن مجتاح البطارق أسعدا[3]

ويصف السري القلم الذي يُمسك به الأمير الحمداني ، فيقول :

له قلمٌ تجري النجوم بجريه يطيع له حتم القضاء ويسمع
يريد سعوداً أو نحوساً وإنه من الفلك الدوار في الجوّ أسرع[4]

وعن القران بين الثريا والقمر إبان اكتماله ، وما يشيعه مثل هذا القران من أجواء سعادة وراحة ، يقول ثالثة :

وفتية دارت السعود بهم فدار للراح بينهم فلك
ترى الثريا والبدر في قرن كما يحيّا بنرجس ملك[5]

ثم لنستمع إلى مثل هذا الحديث من شاعرٍ ثالث هو أبو عبادة البحتري (ت ٣٨٨ هـ / ٨٩٧ م) الذي يمدح الخليفة المتوكّل ، فيقول تارة :

يجلو بغرّته الدجى فكأننا نسري ببدرٍ في البوادي السود
لن يجهل الساري المحجة بعدما رُفعت لنا منهم بدور سعود[6]

---

(١) البغدادي : تاريخ بغداد ، ٤ / ١٥٥ .
(٢) ديوان أبي الطيب المتنبي ١ / ١٣٢ .
(٣) السري الرفّاء : الديوان ٢ / ١١٦ . تحقيق حبيب الحسني ، دار الرشيد ودار الطليعة ، بيروت ١٩٨١ م .
(٤) السري الرفاء : الديوان ٢ / ٥٢٤ .
(٥) نفسه ٢ / ١٦٦ .
(٦) البحتري : الديوان ١ / ٨ ، ضبط وتعليق رشيد عطية ، المطبعة الأدبية ، بيروت ١٩١١ م .

ويقول أخرى ذاكراً وفادة الروم عليه :

شرف خصصت به ومجدٌ باذخ   متمكنٌ فوق النجوم مؤثّل
ورأوك وضّاح الجبين كما يرى   قمر السماء السعد ليلة يكمل[1]

فانظر إلى إكثار الشاعر من ألفاظ السعود التي استعارها من المنجمين القائلين بالحظ متمثلة في الطالع السعيد ، والبدر السعيد مثلما هي تتمثل في النجوم السعيدة أيضاً .

ويقول مادحاً الفتح بن خاقان ، وزير المتوكل واصفاً الموضع الذي هو فيه :

وكأن الحوذان والأقحوان الغض   نظمان : لؤلؤ وفريد
الرياح التي تهب نسيم   والنجوم التي تطل سعود[2]

ويقول في الخليفة المعتز مادحاً ومباركاً بناءه الجديد :

خبرٌ مبهج وبنيان يمن   في منيف عند السماك مشيد
زرته تلو غرّة الشهر بالطير   الميامين والنجـوم السعود[3]

وطوبى لمن كان في منجى من نكد العيش فحالفه الحظ ورعاه بعينه نجم السعد ، فها هو الحسن بن عبد الرحمن الرامهرمزي يقول في الوزير أبي محمد الحسن المهلبي (ت ٣٥٢ هـ) مهنئاً :

موفّق الرأي مقرون بغرته   نجم السعادة يرعاها ويحميها[4]

ويقول أبو الحسن علي بن محمد التهامي (ت٤١٦ هـ) مادحاً ابن المفرّج الطائي :

إلى القمر الهادي إلى ابن مفرج   إلى الحسب الزاكي إلى الكوكب السعد[5]

---

(١) نفسه ١ / ٢٤ .

(٢) ديوان البحتري ، ١ / ٦٤ .

(٣) نفسه ، ١ / ١٥٩ . والسماك واحد السماكين : الرامح والأعزل ، وهما نجمان نيران في السماء . وغرّ الشهر : أوله .

(٤) ياقوت : معجم الأدباء ، ٩ / ٧ .

(٥) التهامي : الديوان ، ص١٩٧ ، ط ١ ، مكتبة المعارف ، الرياض ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ .

ويقول مادحاً محمد بن سلامة :

ما زال هذا الدهر بين مناحس حتى طلعت فكنت سعد سعوده[1]

ويقول مادحاً قريشاً أحد أحفاد المقلّد بن المسيّب العقيلي :

إذا ما حللت الأرض زالت نحوسها وأقبل من كل الجهات سعودها[2]

وإذا ما ضحك طالع السعد للشاعر فحمل إليه أخبار الحبيبة ، قال الحسن بن مظفر النيسابوري (ت ٤٤٢ هـ) متسائلاً :

أريّا شمال أم نسيم من الصبا أتانا طروقاً أم خيال لزينبا
أم الطالع المسعود طالع أرضنا فأطلع فيه للسعادة كوكبا[3]

أما أبو الفتح محمد بن عبيدالله المعروف بسبط بن التعاويذي (ت ٥٨٣ هـ / ١١٨٦ م) فيقول مخاطباً صلاح الدين يوسف بن أيوب :

فاسحب ثياب سعادة فضلاً لما بغها على ظهر المجرّة مسحب
وتحل ما خولتها من دولة غرّاء طالع سعدها لا يغرب[4]

ويقول مخاطباً أبا الفرج هبة الله أحد أطباء صلاح الدين :

سعدت بعام أنت كوكب سعده ولا زالت الأيام تشقي وتسعد[5]

ويقول في مدح أبي العباس أحمد الناصر لدين الله :

فما مات سهم الحظ من كنت ناظراً إليه قريباً منه بالكوكب السعد[6]

ب ـ في المغرب العربي والأندلس :

هذا في المشرق العربي ، أما في المغرب العربي وبلاد الأندلس ، فهنيئاً

---

(١) نفسه ، ص ٢١٥ .
(٢) التهامي : الديوان ، ص ١٨٣ .
(٣) ياقوت : معجم الأدباء ٩ / ١٩٧ .
(٤) التعاويذي ، سبط : الديوان ، ص ٢٧ . تصحيح مارجليوث . مطبعة المقتطف ، القاهرة ١٩٠٣ م .
(٥) نفسه ، ص ١١٩ .
(٦) نفسه ، ص ١٥١ .

للمؤمن ابن المقتدر بن هود ، وقد ضحكت له نجوم السعد ، فرُزق بمولودٍ سعيد . وبهذه المناسبة يقول أبو عبدالله ، محمد بن أحمد بن الحداد ، الشاعر الأندلسي والمتوفى عام ٤٨٠ هـ / ١٠٨١ م :

هلالٌ تألق من بدر سعد ومزن تخلق من بحر جود
بمقتبس من شموس النفوس ومقتــدح من زنـاد السعود[١]

وفي مناسبةٍ مماثلة يقول الشاعر الآخر المعروف بالرصافي البلنسي :

فأهنأ به من طالع ذي أسعد يزهى بغرته الزمان ويعجب[٢]

ولم يختص الحديث عن نجوم السعد وعن الطير الميامين ، بالتهنئة بمولودٍ جديد ، بل هو يتعدى ذلك إلى التهنئة بالحكم ودوام الرفعة والسؤدد ، فها هو أحمد بن دراج (ت٤٢٢ هـ) يمدح عبد الملك المظفر ، ثاني أمراء بني عامر ، فيقول :

فتى طالعته بالسعـود نجومها وطارت له باليمن فينا طيورها[٣]

ويقول فيه أيضاً :

بشير يوم للمليـك دهر وصدق فأل بطول عمر
ودولة بالسرور تبأى وأنجم بالسعود تجري[٤]

ويقول مخاطباً :

فأبشر فنجم الدين بالسعد طالعٌ وأيقن فنجم الشرك بالخزي آفل[٥]

ثم يخاطبه متحدثاً عن سعادة الكواكب فيقول :

كل الكواكب ما طلعن سعود وإذا سلمت فكل يوم عيد[٦]

---

(١) ابن بسام : الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ٢ / ٧٢٧ ، دار الثقافة ، بيروت (١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م) .
(٢) طربيه ، جرجي انطونيوس : الوجدية وأثرها في الأندلس ، ص ١٧٦ ، ط ١ ، دار الكتاب اللبناني ومكتبة المدرسة ١٩٨٣ م .
(٣) الوجدية ، ص ١٧٧ .
(٤) نفسه ، ص ١٧٧ . وتبأى : تفخر .
(٥) الوجدية ، ص ١٧٧ .
(٦) نفسـه ، ص ١٧٧ .

ويخاطب ابن دراج سليمان ، المستعين بالله ، فيُكثر من تعابير السعود واليمن والتفاؤل وكل طالعٍ حسن ، وهي لعمري تعابير رجال التنجيم :

فهاك نجومُ السعد من كل مطلع ... توالي بتكبيرٍ إليك وإهلال[1]

ويقول في المرتضى ، عبد الرحمن الرابع (استلم الحكم عام ٤٠٨ هـ) :

جهادك حلم الله من ذا يردّه ... وعزمك أمرُ الله من ذا يصدّه ؟
وطائرُكَ اليمن الذي أنت يمنه ... وطالعك السعد الذي أنت سعده[2]

وثمة شعراء آخرون اقتفوا أثر ابن دراج والبلنسيّ وابن الحداد ، ومن أولئك الأعمى الذي هنأ أميره بحلول العيد ، فقال :

ونجمٌ سناء أو سنا كلما بدا ... تهلّل بالإسعاد وانهلّ بالسعد[3]

ومنهم محمد بن محاسن الإستجي الذي مدح الحكم المستنصر بالله ، فقال فيه :

فسلمت بالإسلام أطول مدة ... وعلاك نامية وسعدك طالع[4]

وابن زيدون ، أحمد بن عبدالله (ت ١٠٧٠ م) الذي مدح المعتضد في معرض الرثاء فقال :

ودمت ملّقى أنجم السعد باقياً ... لدين ودنيا أنت فخرهما معاً[5]

وعبد الجبار بن حمديس الذي مدح الحسن بن علي بن يحيى ، فقال مخاطباً إياه :

خدمت رئاستك السعود وأصبحت ... للفضل تحسد عصرك الأعصار[6]

---

(١) الوجدية ، ص ١٧٨ .
(٢) ابن بسام : الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، ص٥٦ .
(٣) المرجع السابق ، ص١٧٩ . والسناء : الضياء . والسنا : الرفعة .
(٤) القرطبي ، ابن حيّان : المقتبس في أخبارالأندلس ، ص ٢٤٦ ، تحقيق عبد الرحمن الحجي ، دار الثقافة ، بيروت ١٩٦٥ م .
(٥) ابن زيدون : الديوان ، ص ٢١٨ ، تحقيق كرم البستاني ، والمعتضد ، ثاني سلاطين بني عباد في اشبيلية .
(٦) ديوان ابن حمديس ، ص ٢٦١ ، دار صادر ، دار بيروت ، ١٣٧٩ هـ / ١٩٦٠ م . تصحيح وتقديم إحسان عباس .

أما صاعد بن الحسن[1] ، فيقول في مجاهد بن عبدالله العامري ، مولى عبد الرحمن الناصر (ت ٣٥٠ هـ) ، وقد استماله بخريطة مال ومركب ، والخريطة هي الوعاء من الأدم :

أتتني الخريطة والمركب كما اقترن السعد والكوكب[2]

هذا في المديح ، أما الغزل فلم تخل معانيه بدورها من تلك الرموز والمعطيات ، فها هو ابن هذيل يتغزل بوجه الحبيبة فيقول :

وجهٌ أغر كأنه بدر الدجى فعليه من نور السعود كمال[3]

وها هو ابن زيدون يتطلع بشوقٍ ولهفة إلى موعد اجتماعه بالحبيب ، فيقول :

يا ربّ قرّب على خير تلاقينا بالطالع السعد والطير الميامين[4]

ومثلما تقبل نجوم السعد على الأفراد فتمنحهم رغد العيش ، فهي تقبل أيضاً على الممالك والدول فتوفر لها مدداً من عندها يجعلها أعز مجداً ، وأشد منعة ، وأطول عمراً ، وإليك حديث ابن الزقاق البلنسي عن دولة المرابطين وعن قرطبة حيث يقول :

لها من نجوم السعد أيمن طالب ومن صاحب الأحكام أفضل صاحب[5]

إشارة إلى حديث المنجمين الذين هم أصحاب الأحكام ، والذين ذكروا أن طالع قرطبة السرطان ، وهو طالع خير وسعادة ورفاه .

٢ ـ السعدان الكبيران : المشتري والزهرة :

أ ـ المشتري :

هذا عن نجوم السعد إجمالاً ، وإن شئنا التفصيل أو التحديد ، فإن

(١) هو أبو العلاء ، الشاعر واللغوي ، وينسب إلى قشتالة بالأندلس ، وهو غير صاعد ، أبي القاسم محمد ، المؤرخ المشهور .

(٢) معجم الأدباء ١١ / ٨٣ .

(٣) ابن الكتاني : التشبيهات من أشعار الأندلس ، ص ١٣٢ . تحقيق إحسان عباس ... دار الثقافة ،

(٤) بيروت الوجدية ، ص ١٨٢ .

(٥) ابن زقاق البلنسي : الديوان ، ص ٧٧ . تحقيق عفيفة ديراني ، دار الثقافة ، بيروت ١٩٦٤ م .

المشتري أعظم الكواكب جرماً - يساوي حجمه ألف مثل من حجم الأرض - والذي أطلق اسمه ذات مرة على زيوس Zéus كبير الآلهة عند اليونان[1] ، أقول ، إن المشتري هذا ، يأتي في رأس قائمة الكواكب التي يُتبرك بها ، وأن السعد الذي يُنسب إلى هذا الكوكب في أوقاتٍ معينة ، وضمن دائرة قرانات محددة ، لا يعدوه سعد آخر ، إلّا أن يكون لخليفة أو أمير أو وزير . يقول الصاحب بن عباد مادحاً عضد الدولة البويهي :

سعودٌ يجار المشتري في طريقها ... ولا تتأتى في حساب المنجم[2]

وإنه لمما يؤكد معنى السعد الذي تواطأت عليه جماعة المنجمين ، قول صاحب الأغاني ، أبي الفرج علي بن الحسين الأصبهاني في تهنئته للوزير المهلبي وقد رُزق مولوداً من سرّية رومية :

اسعد بمولودٌ أتاك مباركاً ... كالبدر أشرق جنح ليل مقمر
سعد لوقت سعادة جاءت به ... أم حصان من بنات الأصفر
شمس الضحى قرنت إلى بدر الدجى ... حتى إذا اجتمعا أتت بالمشتري[3]

وقول الشاعر ابن زيدون في المعتمد بن عباد مخاطباً :

سعدت كما سعد المشتري ... ونلت عُلىً لم ينلها زحل[4]

وقول ابن اللبانة ، أبي بكر محمد بن عيسى الداني ، وهو يمدح صاحب ميورقة :

عجباً لأعيادٍ أتتك ثلاثة ... متناسقاتٍ في اتّساق زمان
الفتح عيد والعروبة مثله ... والنحر عيدٌ رائع الريعان
فكأن نجم المشتري في سعده ... والنيّرين تجمعت لقران[5]

لكن المشتري هذا السعد الذي اختص به من بين سائر الكواكب قد يخيّب

---

(1) Hamilton , Edith : La mythologie (ses dieux , ses Héros , ses Légendes) P 18 , Marabout , Université Belgique .
(2) معجم الأدباء ٦ / ٣١٥ .
(3) ياقوت : معجم الأدباء ١٣٢ / ١٣١ .
(4) ابن زيدون : الديوان ، ص ٢٤٠ .
(5) الذخيرة ٢ / ٦٨٧ ، والعروبة : يوم الجمعة .

في الخطوب الفوادح والمحن ، ظن المتفائل به ، أو ظن المولود بطالعه ، فلا يرد أذىً عن صاحبه ولا يدفع ضرراً حتى عن نفسه ، يقول أبو العلاء :

ربّ ربع كأنه النجم في العزّ أتاه ريب الزمان فجيسا
والفتى غير آمنٍ من أذى الدهر ولو كان شخصه البرجيسا[1]

ويقول أبو عامر أحمد بن شهيد (ت ٤٢٧ هـ / ١٠٣٥ م) الشاعر والوزير في بلاط الدولة العامرية :

وما هي الآ همة أشجعية ونفسي أبت لي من طلاب الرذائل
وفهم لو البرجيس جئت بجده إذاً لتلقاني بنحس المقاتل[2]

بل لقد يفقد هذا الكوكب الرائع بريقه وتأثيره ليتحول من كوكب سعادة إلى كوكب نحس يخني عليه الذي أخنى على لبد ، فهو ذا البحتري يقف بالمدائن في حضرة إيوان كسرى ، وقد أخذ به التأثر مأخذاً شديداً لما آل إليه حال الإيوان ، فيقول متفجعاً :

عكست حظه الليالي وبات المشتري فيه وهو كوكب نحس[3]

وهو ذا السري الرفاء يمدح أحد القواد في عصره ، متحدياً سعود المشتري أن تؤاتي مظفراً غزا بالحمد غير القائد الممدوح ، فيقول :

ومظفّر بندى يديك ولو غزا بالحمد غيرك عاد غير مظفّر
أذكى له المريخ نجم نحوسه وتغيبت عنه سعود المشتري[4]

ب ـ الزهرة :

ثم ماذا عن الزهرة ، ألمع كواكب السماء على الإطلاق ؟ ماذا عن هذه التي لا تفارق الشمس فهي دوماً تدور حولها ، وبالقرب منها ، فيُطلق عليها اسم « نجمة الصباح » حيناً وحيناً آخر اسم « نجمة المساء » . حقاً إنها أجمل الكواكب وألمعها ، ورفيقة الشمس وأكبرها بعد القمر ، وملهمة الشعراء . . وبذا نطقت

(١) اللزوميات ٢ / ٣٨ ، والبرجيس : المشتري ، بالفارسية .
(٢) الذخيرة ١ / ٢٦٦ .
(٣) ديوان البحتري ١ / ١٦٩ .
(٤) نفسه ١ / ١٦٩ .

سافو Sappho شاعرة اليونان في القديم فتغنّت بجمال هذه النجمة المسائية « المسكونة بالأرواح »[1] .

إن من طبع الزهرة الحب واللهو والغناء ، وهي رمز اللذة المتجددة والمتعة الدائمة ، وهي أقرب ما تكون الى المشتري بأنها تمنح المولود بها ، ومن تكون طالعه ، العيش الرغيد والحياة الهانئة ، وهي تشيع في نفسه البهجة والحبور . وإذا كان المشتري هو السعد الأكبر كما أطلق عليه المنجمون ، فإن الزهرة هي السعد الأصغر ، وإن شئت فقل إنها الكوكب الذي يدل على الترف والسرور[2] ، على النقيض تماماً من زحل والمريخ اللذين يطبعان صاحبهما بطابع السويداء والحدّة والفظاظة والوجوم . يقول أبو العلاء مشيراً إلى ذلك في سخريةٍ لاذعة :

عجباً للدهر صبح ودجى ... ونجوم وهلال وقمر
وغصون أثمرت نائية ... ودوانٍ ليس فيهن ثمر
زحليّ واجم يصحبه ... زهري الطبع غنيّ وزمر[3]

ويقول البهاء زهير (ت ٦٥٦ هـ) واصفاً حبيباً له متغير الطباع :

هو كالزهرة والمريخ في ... لين وشدّة
وجهه البستان فاقطف ... آسه أو فاجن ورده[4]

وأما أبو إسحاق الصابىء المتوفى عام ٣٨٤ هـ ، فيخاطب المطهر بن عبدالله ، طالباً أن يقبل على رغد العيش الذي تجود به الزهرة فيقول :

وخذ من الزهرة أفعالها ... في عيشك المقبل والأرغد[5]

---

(1) Bayer , Raymond : Histoire de l'esthetique , P 5 ; Arman Colin , Paris , 1961أماSapphoفهي شاعرة يونانية قديمة عاشت في القرن السادس ق . م . واشتهرت بأشعارها الغنائية .

(2) القزويني : عجائب المخلوقات ، ص ٣٧ .

(3) اللزوميات ١ / ١٠٩ . والدواني جمع دانية ، ويريد بها فروع الأشجار .

(4) الثعالبي : يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر ، ٢ / ٢٨٣ .

(5) الذخيرة ، ٢ / ٥١١ .

٢ ـ نحوسة النجوم

أ ـ النحسان الأكبران : زحل والمريخ :

وإذا كانت السعود مختصّة بالمشتري والزهرة، فإن النحوسة من نصيب المريخ وزحل ذينك الكوكبين اللذين يرهصان في الغالب بالشرور ويتمثل بهما الحقد والضغينة :

تعانق كيوان وبهرام وسطه ... على الحقد في صدريهما وترحبّا
غريبان خافا الضغن في دار غربة ... وربّت ناس ضغنه إذ تغربا

بيتان من الشعر الأندلسي قالهما أبو الفضل البغدادي الدارقي ، وكيوان هو زحل بالفارسية ، وبهرام هو المريخ . والمريخ كوكب نحس ، وطلوعه نذير شؤم ، وهو يؤذن بتفشي الظلم والفساد والحروب . يقول أبو العلاء مشيراً إلى مثل هذا التأثير الكوكبي :

لـو جاء من أهل البلى مخبرٌ ... سألت عن قـومٍ وأرخـت
هل فاز بالجنة عمّالـها ... وهل ثوى في النار نوبخت[1]
والظلم أن تلزم ما قد جنى ... عليك بهـرام وبيـدخت
وبعض ذا العالم من بعضه ... لولا إياة لم يكن فخت[2]

(١) نوبخت : أسرة شيعية بغدادية من أصل فارسي ، أنجبت عدداً من المتكلمين والنقلة والفلكيين منهم الحسن بن موسى المتوفي عام ٣١٠ هـ / ٩٢٢ م .

(٢) اللزوميات ١ / ٢١٢ . والفخت : ضوء القمر ، وإياة الشمس : شعاعها ونورها . وأما بيدخت فهو كوكب الزهرة التي توصف بالحب والشهوة كما مر معنا .

وقال أحد الخالديين[1] في الخمرة مخاطباً نديمه :

يا نديمي أطلق الفجر فما للكأس حبس
قهوة تعطيكها قبل طلوع الشمس شمس
وهي كالمريخ لكن هي سعد وهو نحس[2]

وقال أبو إسحاق الصابىء متحدثاً عن سطوة المريخ وشدة بطشه ، وذلك في معرض مدحه المطهر بن عبدالله وخطابه إياه :

وزد على المريخ سطواً بمن عاداك من ذي نخوة أصيد[3]

أما زحل ، وهو الذي يُضرب به المثل في العلو والارتفاع ، فهو أيضاً كوكب نحس ، وطلوعه ينذر بالدمار والوبال . وليس أدل على ذلك من قول البحتري وهو يهجو أبا الحسن الحارثي :

أبا حسن أنت وشك الأجل وثكل الغنى وانتقال الدول
زعمت بأنك لست الدمار ولست العثار ولست الزلل
وتظهر في آل وهبٍ هوى وأنت نحستهم يا زحل[4]

ومن قول الحسن بن علي بن إبراهيم بن الزبير المصري الملقب بالقاضي المهذّب والمتوفى عام ٥٦١ هـ / ١١٦٦ م :

لا ترج ذا نقصٍ ولو أصبحت من دونه في الرتبة الشمس
كيوان أعلى كوكب موضعاً وهو إذا أنصفته نحس[5]

وكيوان كما أسلفنا ، زحل بالفارسية ، ويدل على ارتفاعه أيضاً قول أبي الفتح بن العميد :

قدماً رميت فلم تبلغ سهامهم وأخطأ الناس من مرميّه زحل[6] .

---

(١) الخالديان : أخوان شاعران ، ينسبان إلى الخالدية من قرى الموصل ، وهما سعيد ومحمد . توفي الأول عام ٣٧١ هـ / ٩٨١ م ، والآخر ٣٨١ هـ / ٩٩٠ م .
(٢) الثعالبي : يتيمة الدهر ٢ / ٢٠٢ .
(٣) يتيمة الدهر ٢ / ٢٨٣ . والأصيد الذي يرفع رأسه كبراً وزهواً .
(٤) ديوان البحتري ٢ / ٦٧٢ .
(٥) ياقوت : معجم الأدباء ٩ / ٦٩ .
(٦) معجم الأدباء ١٤ / ٢٠١ .

وما أوضح قول أبي الصلت أمية بن عبد العزيز بن أبي الصلت في التأكيد على نحوسة زحل ، وسعود المشتري ، وقد باع داره من رجلٍ أسود :

حكم الزمان ببيع داري ظالماً وأعادها ملكاً لألأم مشتري
يا بؤس ما صنع الزمان بمنزلٍ أمسى به زحل بديل المشتري(١)

وإذا كان المشتري كوكب العفة والسماح ، فإن زحل هو كوكب البطش والانتقام ، يقول الوزير الكاتب والشاعر ، أبو الوليد المصيصي في المعتمد الأندلسي :

وكم له سنّة ضاء الزمان بها ضوءاً بلا لهب كالشمس في الطفل
تعطي الهواء ومتن الأرض غرته نوراً ونوراً عطاء الشمس في الحمل(٢)

ويقول ابن اللبانة ، وقد مر ذكره ، مستعطفاً صاحب ميورقة :

نسيمك حتام لا ينبري وطيفك حتام لا يعتري ؟
رمى زحل فيّ أظفاره وحلّ فداعبني المشتري
عطارد هل لك من عودة فأرجع منك إلى عنصر ؟(٣)

اجتماعهما :

وهل ثمة غير هذين الكوكبين النحسين المنذرين بالويل والثبور ، ونعني بهما زحل والمريخ ، اللذين إذا اجتمعا أو تقاربا ، أدرك الناس إذ ذاك ثأر آل محمد (ص) فتشفي قلوب قومٍ مؤمنين ؟ يقول عبد زحل ، المنجّم والشاعر العباسي ، مستعجلاً ، من لهفة ، موعد حلول هذا القران العظيم :

ووديعة من سر آل محمد أودعتها وجعلت من أمنائها
فإذا رأيت الكوكبين تقاربا في الجري بين صباحها ومسائها
فهناك يطلب ثأر آل محمدٍ وتراثها بالسيف من أعدائها(٤)

وهذان الكوكبان النحسان أشار إليهما أبو العلاء صراحة ، فأكد ما يدلان

---

(١) ابن أبي اصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، ص ٥١٢ .
(٢) ابن بسام : الذخيرة ١ / ٤٣٧ . وطفل الشمس : ظلمتها قبيل الغروب .
(٣) نفسه ٢ / ٦٨٥ .
(٤) الملاحم والفتن لابن طاووس ، ص ١٩٩ .

عليه من معنى ، لكنه أنكر المعنى الذي ذهب إليه عبدزحل من قبل ، فقال :

رجوا إماماً بحق أن يقوم لهم ... هيهات لا بل حلول ثم مرتحل
ولن يزالوا بشر في زمانهم ... ما دام فوقهم المريخ أو زحل[1]

ومن يدري ، فهل يأتي على النجوم حين من الدهر فتتحقق أمنية الشاعر ، فإذا المريخ منقلباً ، هو غاية في المسالمة والموادعة ، وإذا بزحل ، هو رمز المودة والتآخي ؟ وهل هذا إلّا ما ذهب إليه ابن درّاج القسطلي وهو يمدح الخليفة المستعين فيقول :

وحنّت لداعي الصلح بكر وتغلب ... وشفّعت الأرحام عبس وذبيان
وفازت قداح المشتري بسعودها ... وسالم بهرام وأعتب كيوان[2]

ب ـ عطارد كوكب الكتّاب :

هذا عن النحسين الأكبرين : زحل والمريخ . ومن قبل ، عن السعدين : المشتري والزهرة ، فماذا عن عطارد أقرب الكواكب إلى الشمس ، وهذا ما أشار إليه أبو عامر الفضل بن اسماعيل التميمي الجرجاني في قوله :

أصبحت مثل عطارد في طبعه ... إذ صرت مثل الشمس في الإشراق
فلذاك ما ألقاك يوماً واحداً ... إلّا قضيت عليّ بالإحراق[3]

أجل ، ماذا عن عطارد ؟

قالت جماعة المنجمين إن « المولود بهذا الكوكب » يتصف بالاعتدال والقصد في الأمور ، وبالحكمة والفصاحة والبلاغة ، وهو ، أي عطارد ، يمنح صاحبه ملكة تحصيل العلوم ، وكسب المعرفة ، ويعمل على شحذ مواهبه الغنية ، وباختصار ، فإن عطارد هو الكوكب الذي يرعى شؤون الكتّاب ، ومصالح الشعراء والخطباء والعلماء ، يقول أسعد بن مسعود العتبي المولود عام ٤٠٤ هـ / ١٠١٣ م ، مخاطباً الفنجكردي ـ نسبة إلى فنجكرد ، قرية قريبة من

---

(١) اللزوميات ٢ / ٢٦٤ .
(٢) الذخيرة ١ / ٧١ ، والإعتاب : الرجوع عن الإساءة وفعل الشرور .
(٣) معجم الأدباء ١٦ / ١٩٩ .

نيسابور ـ يقول :

يا أوحد البلغاء والأدباء　　يا سيد الفضلاء والعلماء
يا من كأنّ عطارداً في قلبه　　يملي عليه حقائق الأشياء[1]

ويقول أبو إسحق الصابيء مخاطباً المطهر بن عبدالله :

وضاه بالأقلام في جريها　　عطارد الكاتب ذا السؤدد[2]

ويقول أبو عامر الفضل بن إسماعيل التميمي الجرجاني مخاطباً أحدهم :

ومهفهف يغشى العيون غريقه　　في لج ماء الحسن منه وموجه
قلم الطبيعة خطّه والمشتري　　يملي عليه عطارد من أوجه[3]

وتأكيداً لهذا المعنى ، هاك مقطعاً من جملة مقاطع يُعرف فيها الفتح بن محمد بن عبيدالله بن خاقان ، بابن الصائغ المعروف بابن باجة الأندلسي ، يقول مثنياً عليه : « الوزير أبو بكر بن الصائغ هو بدر فهم ساطع ، وبرهان علم لكل حجة قاطع . . . له أدب يود عطارد أن يلتحفه ، ومذهب يتمنى أن يعرفه . . . »[4]

ومما يُنسب إلى الشيخ الرئيس علي بن سينا شعر يخاطب فيه عطارد ، في ما يشبه المناجاة ويتوسل به مستمداً منه الغنم والمعرفة والعلم ، وقد سبق عرض هذا الشعر :

عطارد قد والله طال ترددي　　مساء وصبحاً كي أراك فأغنما
فها أنت فامددني قوى أدرك المنى　　بها والعلوم الغامضات تكرما
ووقّني المحذور والشر كله　　بأمر مليك خالق الأرض والسما [5]

وإلى ما اختص به عطارد من هذا القبيل ، أعني رعايته شؤون الكتّاب ، والاهتمام بأمور البلاغة والخطابة ، يُشير أبو العلاء ساخراً ، تارة ، مما يُقال عن

---

(١) معجم الأدباء ٦ / ٩٧ .
(٢) يتيمة الدهر ٢ / ٢٨٣ .
(٣) عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، ص ٣٩٥ .
(٤) معجم الأدباء ١٦ / ١٩٠ .
(٥) عيون الأنباء ، ص ٤٥٣ .

ظهور إمام عادل في البلاد .

قالوا سيملكنا إمامٌ عادلٌ يرمي أعادينا بسهمٍ صارد
والأرض موطن شرّة وضغائن ما أسمحت بسرور يوم فارد
ولو إنّ فيها ناظراً كالمشتري يعطي السعود وكاتباً كعطارد[1]

ويقول تارةً أخرى :

إذا ما القائل الكندي ذلّت له الأوزان فاعترفي بشفّ
فإن عطارداً في الجو أولى بأن يزن الكلام وأن يقفيّ[2]

والمقصود بالقائل الكندي ، هنا ، الشاعر امرؤ القيس الذي هو من كندة .



(١) اللزوميات ١ / ٣٩٤ . والسهم الصادر : النافذ . والفارد : المنفرد الذي لا نظير له .
(٢) نفسه ٢ / ١٦٥ .

ثانياً : سعادة البروج والمنازل ونحوستها

للتأكيد على شيوع المعرفة بالبروج ومنازل القمر في أوساط الأدباء والشعراء حسبنا دلالة على هذه المعرفة قول أبي نواس (١٤٥ هـ / ٧٦٢ ـ ٨١٣ م) :

جاءت كشمس ضحى في يوم أسعدها   من برج لهو إلى آفاق سرّاء[١]

وقوله الآخر متحدثاً عن الخمرة :

كأنها الشمس إذ صففت   مسكنها الكبش أو الحوت[٢]

وقوله الثالث :

حتى بدت غرة الإثنين واضحة   والسعد معترضٌ والطالع الأسد[٣]

وقوله الرابع متحدثاً عن منازل القمر ومنها الهقعة والهنعة :

وماجوا إن رأوا شمساً   بليلٍ يا لها فزعة
فقلت الشمس لا تطلع ليلاً   مطلع الهقعة
على جبهته الشعرى   وفي وجنته الهنعة[٤]

---

(١) ديوان أبي النواس ، ص ١١ ، دار صادر ـ دار بيروت ١٣٨٢ هـ / ١٩٦٢ م .
(٢) نفسه ، ص ١١٤ . والكبش أو الحمل ، والحوت برجان معروفان .
(٣) نفسه ، ص ١٨٥ . والأسد هو البرج المعروف .
(٤) نفسه ، ص ٤١٤ .

وقوله الخامس متحدثاً عن حلول الشمس برج الحمل ، وهو علامة ابتداء فصل الربيع :

أما ترى الشمس حلت الحملا   وقام وزن الزمان واعتدلا[1]

وحسبنا دلالة على هذه المعرفة أيضاً قول محمد بن أحمد يُعرف بابن بشران (توفي بواسط سنة ٤٦٢ هـ / ١٠٦٩ م) ، يقول ابن بشران متحسراً :

إن أنـعـم الحظ لهـم قـدم   في فضل علم ولا حزم ولا جلد
فهكـذا الفلك العلوي أنجمه   تقدم الثور فيها رتبة الأسد[2]

ويقول علي بن منجب البصري (توفي بعد سنة ٥٥٠ هـ / ١١٥٤ م) مشيراً إلى كل من برجي الحوت والحمل :

هذي مناقب قد أغناه أيسرها   عن الذي شرعت آباؤه الأول
قد جاوزت مطلع الجوزاء وارتفعت   بحيث ينحط عنها الحوت والحمل[3]

برج العقرب :

لئن تمكنت الشمس منذ أقدم العصور من انتزاع إعجاب الناس بها ، ولئن وجد الشعراء فيها المثل الأكمل في التألق والرفعة ، فإن من أسوأ المنازل وأنحس البروج في عُرف أصحاب النجامة ، برج العقرب إذا ما حل القمر فيه ، وهو ما هو سحراً وتأثيراً وجمال إبداع وتكوين . مثل هذا الحلول أو الإقتران ، بلغة المنجمين ، ينذر بالشؤم فيحظر فيه السفر والزواج لما في ذلك من توقع شرّ ، وخيبة أمل ، وسوء عاقبة . ويُشير أبو بكر أحمد الأرّجاني (ت ٥٤٥ هـ) إلى هذا الزعم في معرض تغزله بحبيبٍ له أزمع السفر فنأى عنه ، فيقول :

معقرب الصدغ يحكي نور غرته   بدرٌ بدا بظلام الليل معتكرا
قد سافر القلب في صدري إليه هوى   ما عاد قط ولم أسمع له خبرا
وهو المسيء اختياراً إذ نوى سفراً   وقد رأى طالعاً في العقرب القمرا[4]

---

(١) نفسه ، ص ٤٨٧ .
(٢) معجم الأدباء ١٧ / ٢١٩ .
(٣) نفسه ١٥ / ٨١ .
(٤) شذرات الذهب ٤ / ١٨٥ .

ويشير إلى المعنى ذاته ، العنتري ، وهو شاعر وطبيب سكن العراق وديار بكر في الجزيرة ، فيقول متغزلاً :

وبابليّ اللحاظ كالقمر أصبح لي في الأرض فتنة البشر
أولاه فيض الجمال أجمعه والحسن والظرف واهب الصور
خشيتُ من عقرب به قمر فكيف بالعقربين في قمر ؟[1]

ويؤيد هذا المعتقد المتعلق بنحوسة العقرب إذا حلّ فيه القمر ، بيت من الشعر يُنسب إلى شاعرٍ عاش في أواخر القرن السادس للهجرة ، هو القاضي السعيد المصري المعروف بابن سناء الملك ، قاله في معرض مدحه لتوران شاه (ت ٦٤٨ هـ) آخر سلاطين الأيوبيين في مصر ، وكان برجه العقرب :

سعدت ببدر برجه برج عقربٍ فكذّب عندي قول كل منجم[2]

الجوزهر :

ومن المناطق والأماكن التي تدل على النحوسة ونكد الحظ ، العقدة التي يبدأ منها القمر سيره جنوبي فلك البروج ، وهذه العقدة تُسمى « ذنب الجوزهر »[3] . وإلى هذا المعنى أشار أبو الحسن التهامي فقال :

في الجوزهر علت لي همة سبقت لكن حظي منها عقدة الذنب[4]

سوء الطالع :

وطالع المولود كما أسلفنا ، إما أن يكون طالعاً مباركاً ، وإما أن يكون طالع شؤم ونحس ، وإلى هذا المعنى الأخير أشار ابن حمديس ، الشاعر الأندلسي ، بقوله :

(١) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء في طبقات اوطباء ، ص ٣٩٥ .
(٢) ياقوت : معجم الأدباء ١٩ / ٢٦٦ .
(٣) « جوزهر » لفظة معربة عن الفارسية « كوزهر » تدل على العقد القمرية أي النقط التي يقطع فيها فلك القمر مدار الشمس أي فلك البروج وتسمى العقدة التي يبدأ منها القمر سير شمالي فلك البروج رأس الجوزهر وهي مما يتفاءل به . أما العقدة التي يتشاءم بها فتسمى عقدة الذنب .
أنظر : الزيج الصابيء ، للبتاني ١ / ٢٥٠ .
(٤) التهامي : الديوان ، ص ١٠٢ .

ما لي أطيل عن البلاد تغرباً   أفبالتغـرب كـان طالع مولدي ؟![1]

تربيع النجوم :

هذا ، ولقد يجتمع في البرج الواحد ذي الطبيعة النحسة كالعقرب مثلاً ، أربعة من الكواكب من ذوات الطبائع المختلفة ، وهذا ما يُعرف بتربيع النجوم ، الأمر الذي إذا حصل ، فإنه ، على رأي المنجمين ، يؤدي إلى كارثةٍ محققة ويُنذر بشرٍّ مستطير . ولقد أشار أبو العباس عبدالله بن المعتز (ت ٢٩٦ هـ) إلى مثل هذا الزعم فقال غير مكترثٍ بإرجاف المرجفين :

ولا تفزعن من كل شيءٍ مفزّع   فما كل تربيع النجوم بضـائر[2]

هذا عن برج العقرب واجتماع الكواكب فيه ، وهو كما لاحظت برج سيء منحوس . لكن ثمة بروجاً ومنازل إن حل بها القمر أو أي كوكبٍ آخر ، كانت مما يتفاءل به ، ومن ذلك على سبيل المثال نزول القمر في برج الحوت .

هذا ما أشار إليه صراحة الطبيب والكاتب والشاعر العنتري في قوله متغزلاً :

يحمـل تفاحـة مـوردة   كدرّة رُصعـت بيـاقـوت
كأنـها النجـم في توقده   قـارن بدر السماء في حوت[3]

ومن البروج الدالة على البهجة واللهو والسرور ، برج الميزان الذي إذا ما نزلت به الشمس فقد ينذر بأفول نجم السلطان وزوال الملك . يقول الشاعر العباسي أبو الفتح علي البستي ، نسبةً إلى بست بسجستان (ت ٤٠١ هـ) :

إذا غدا ملك باللهو مشتغلاً   فاحكم عليه بالويـل والحـرب
أما ترى الشمس في الميزان هابطة   لما غدا وهو برج اللهو والطرب[4]

وقد لا يُعرف اسم البرج الدال على السعادة ، لكن يكتفى بإطلاق السعادة

---

(١) ابن حمديس : الديوان ، ص ١٦٨ .
(٢) ابن المعتز : الديوان ، ص ٢٤٩ ، دار صادر ، دار بيروت .
(٣) عيون الأنباء ، ص ٣٩٤ .
(٤) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ٢ / ٣٠٠ .

عليه إذا ما طلع فيه نجم الممدوح . يقول التهامي مادحاً أبا الفضل عبدالله بن محمد :

فنجمك في برج السعادة طالعٌ   ومجدك في أعلى المنازل صاعد[1]



(١) ديوان التهامي ، ص ١٧٦ .

ثالثاً : العناصر والطبائع الأربعة

الحديث عن النجوم والبروج ، وتأثيرها في الأنام يستلزم الحديث عن العناصر الأربعة التي هي النار والهواء والماء والتراب ، أو هي ما يُعرف أيضاً بالحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة ، مثلما يستلزم الحديث كذلك عن الطبائع الأربع التي هي الدم والبلغم والمرة السوداء والصفراء .

فالأطباء ، ومعهم جماعة أصحاب التنجيم ، أسهبوا القول في هذه العناصر والطبائع ، فقالوا مثلاً إن المولود بالبرج الفلاني يغلب عليه كذا وكذا ، وذلك لأن هذا البرج مائي ، والآخر هوائي . . . وإن من وُلد في قران هذا النجم بذاك البرج ، غلبت حرارته برودته ، أو غلبت برودته حرارته ، وإنه لبلغمي المزاج أو سوداويه ، وذلك لأن هذا النجم من طبعه كذا ، وذاك البرج من طبعه كذا وكذا . إلى ما هنالك من أقوال فصلّنا جانباً منها غير يسيرٍ في أكثر من موضع من هذا الكتاب .

ولقد وُجد مثل هذا القول صدىً له في شعر الشعراء وأدب الأدباء ، وهاك ما قاله أبو العلاء المعري على سبيل المثال :

الخلق من أربعة مجمّعة ... نار وماء وتربة وهوا
إن السهى والسماك ما غفلا ... عن ذكر مولاهما ولا سهوا
والنيّران الموصلان سنا ... إن نله في أرضنا فما لهوا
والشمس والغيث طاهيان له ... يطعم أهل البلاد ما طهوا[1]

ويقول في موضعٍ آخر :

(١) اللزوميات ٢ / ٦٣٦ . والسهى : نجم خفي من بنات نعش الكبرى ، والناس يمتحنون به أبصارهم .

وأرى الأربع الغرائز فينا   وهي من جثة الفتى خصماء
إن توافقن صح أولا فما ينفك   عنها الإمراض والإغماء[1]

مشيراً بذلك إلى الرطوبة واليوبسة والبرودة والحرارة على مذهب الأقدمين . ثم إليك المعنى ذاته إضافةً إلى ما تفعله الكواكب السبعة في تغليب هذا العنصر ، وذاك الطبع ، أو ذلك المزاج ، يقول أبو العلاء :

والناس من أربع شتى إذا ائتلفت   ردت إلى سبعة في الحكم تختلف[2]

ويقول أيضاً :

وما سرني أنني في الحياة   وإن بان لي شرف وانتشر
أرى أربعاً آزرت سبعة   وتلك نوازل في اثني عشر[3]

وذلك إشارة إلى العناصر الأربعة ، وإلى الكواكب السبعة والبروج الاثني عشر .

وما أوضح هذا الشعر الذي يتحدث فيه بصراحة ، عما يُعرف بطبائع النجوم النارية والباردة ، والأخرى الحارة والرطبة ، وإن كان من الملاحظ ، وهذا خلافاً لشعره الآخر ، إن ثمة في هذا الشعر جانباً من جوانب الإيمان بالخالق . يقول أبو العلاء :

عجبي للطبيب يلحد في الخالق من بعد درسه التشريحا
ولقد علم المنجم ما يوجب للدين أن يكون صريحا
من نجوم نارية ونجوم ناسبت تربة وماء وريحا
أفطن الحاضرين من يفهم التعريض حتى يظنه تصريحا[4]

ويقول في معرض وصفه للدرع التي هي كالحية في نعومة الملمس ، وقد أُخذت من زحل برودته ، ومن المريخ توقده وحرارته :

خلعت عليه أم عثمان ولم   تبخل بحلتها ولا بقناعها
أخذت من المريخ وقدة شرة   إذ ناسبت زحلاً ببرد طباعها[5]

---

(1) المصدر نفسه ٢ / ١٥٠ .
(2) نفسه ٢ / ١٥٠ .
(3) نفسه ١ / ٦١٤ .
(4) اللزوميات ١ / ٢٩٤ .
(5) المعري ، أبو العلاء : ديوان سقط الزند ، ص ٢٤٠ . شرح د . نزار رضا . منشورات دار مكتبة الحياة . بيروت ١٩٦٥ م . وأم عثمان : كنية الحية .

رابعاً : الزيج والإسطرلاب

والآن ماذا في الشعر عن الزيج والإسطرلاب ، وكلاهما مما لا بدّ توافره أو التوفر عليه من قبل كل منجم ؟

أ ـ الزيج :

أما الزيج ، وكنا عرّفنا به سابقاً ، وتحدثنا عنه ، فلفظ فارسي معرّب اصطلح على أنه الكتاب في الفلك ، ويتضمن كل ما يحتاج إليه صاحب هذه الصناعة من اطلاع على دائرة الفلك والبيوت والبروج والنجوم الثابتة وأوقات طلوعها وغروبها ، واختلاف ذلك من إقليم إلى رخر . وباختصار ، إنه عبارة عن دائرة معارف فلكية لا غنى عنها لكل عالِمٍ بالفلك والتقويم ، ولكل مدعٍ لأحكام صناعة التنجيم . يقول الناهي ، أبو الحسن أحمد بن أيوب البصري من شعراء القرن الرابع الهجري ، ساخراً :

كنتُ إذا ما سرت في حاجة ... أُطالع التقويم والزيجا
فصار لي الزيج كتصحيفه ... وعاد لي التقويم تعويجا[1]

والزيج من الأهمية بحيث أن صاحبه يحتاج إلى ثقافة علمية تمكنه من تحصيل حساباته ، ومن حل عقده وفك رموزه ، يقول أبو العلاء :

(١) الذخيرة ١ / ٢١٧ .

الوقت يعجل أن تكون محللاً عقد الحياة بأن تحل الزيجا[1]

وحسبك دلالة على أهمية الزيج أن أبا إسحاق الصابيء ، وكان يشتغل بالنجوم لم يجد شيئاً يهديه إلى عضد الدولة البويهي أفضل وآثر على نفسه من زيج شفعه بالقول :

أهديت محتفلاً زيجاً جداوله مثـل المكاييل يستوفى بها العمر
فقس به الفلك الدوار واجرِ كما يجري بلا أجل يخشى وينتظر[2]

ب ـ الإسطرلاب :

وأما الإسطرلاب ، وكنا فصلّنا الحديث عنه في موضع آخر ، وهو الآلة التي يعتمد عليها أصحاب صناعة النجوم في تحديد منازل الكواكب من السماء فقد قيل فيه الكثير من الأشعار . ولقد يُطلق على الإسطرلاب اسم المرآة لأنه يطلّع من خلالها على خبر ما في السماء ، وهذا ما فعله أبو العلاء إذ يقول ساخراً :

لقد عجبوا لأهل البيت لما أتاهم علمهم في مسك جفر
ومرآة المنجم وهي صغـرى أرته كـل عامرة وقفر[3]

وإذ يقول ثانية :

خذ المرآة واستخبر نجوماً تمر بمطعم الأري المشـــور
تدل على الحمام بلا ارتيـاب ولكن لا تدل على النشـور[4]

ولا يخفى على ذي اللب ، ما في هذين البيتين من سخرية عميقة ، ومن إنكار ليوم الحساب .

ولا أدل على سخريته تلك من قوله ثالثة ، وهو يزري بجهل من يدير الإسطرلاب مدعياً العلم بالأحكام والنجوم :

---

(١) اللزوميات ١ / ٢٦٥ .
(٢) يتيمة الدهر ٢ / ٢٧٩ . والجفر في الأساس اتساع الشيء وعظمه . وقد يطلق على ولد الشاه وجلده . لكن المقصود به هنا « علم الجعفر » وقد يقال له « علم الحروف » وهو العلم المنسوب إلى أئمة أهل البيت وفيه ذكر للحوادث التي تعرض إلى إنتهاء العالم .
(٣) اللزوميات ١ / ٥٥٣ .
(٤) نفسه ١ / ٥٥٦ . والأري : العسل . والمشور : المستخرج والمجتنى . والحمام : الموت . .

أسطرلاب حولهن جهول　　فهو يرجو هدياً بأسطرلاب
لا تقسني على الذي شاع عني　　إن دنياك معدن للخلاب[1]

وذلك أن الأسطرلاب ، كما هو معلوم ، عبارة عن آلة من النحاس ركب فوقها قرص إذا حركته وأدرته من مكانه ، كشف عن مواقع النجوم ، ودل على عددٍ غير يسير من الحسابات والرموز . وهل أدل على ذلك كله من هذا الوصف الذي ينقله إلينا أبو الصلت أمية بن عبد العزيز بن أبي الصلت ، الشاعر الأندلسي ، وصاحب الرسالة في العمل بالأسطرلاب ، إذ يقول مفاخراً :

أفضل ما استصحب النبيل فلا　　تعدل به في المقام والسفر
جرم إذا ما التمست قيمته　　جلّ على التبر وهو من الصفر
مسكنه الأرض وهو ينبئنا　　عن جل ما في السماء من خبر[2]

وأدل من هذا كله ، وأبلغ تعبيراً ، وأدق وصفاً للأسطرلاب ، الشاعر العباسي محمود بن حسين المتوفى عام ٣٦٠ هـ ، والمعروف بكشاجم إذ يقول :

ومستدير كجرم البدر مسطوح　　عن كل رابعة الأشكال مصفوح
صلب يُدار على قطب بلينه　　تمثال طرف بشكم الحذق مشبوح
مثل البنان وقد أوفت صفائحه　　على الأقاليم في أقطارها الفيح
كأنما سبعة الأفلاك محدقة　　بالماء والنار والأسفيد والريح
تنبيك عن طالع الأبراج هيئته　　بالشمس طوراً وطوراً بالمصابيح
وإن مضت ساعة أو بعض ثانية　　عرفت ذاك بعلمٍ منه مشروح
وإن تعرّض في وقتٍ يقدره　　لك التشكك جلاه بتصحيح
مميزٌ في قياسات النجوم لنا　　بين المشائيم منها والمناجيح
له على الظهر عينا حكمة بهما　　يحوي الضياء ويجنيه من اللّوح
وفي الدوائر من أشكاله حكم　　تلقح الفهم منها أي تلقيح
لا يستقل لما فيها بمعرفة　　إلاّ الحصيف اللطيف الحس والروح
حتى ترى الغيب عنه وهو منغلق　　الأبواب عمّن سواه جد مفتوح

---

(١) اللزوميات ١ / ١٧٩ . ولاب في البيت الأول بمعنى حام .
(٢) عيون الأنباء ، ص ٥١٢ .

نتيجة الدهر والتفكير صوره ذوو العقول الصحيحات المراجيح[1]

وللشاعر العباسي هبة الله البديع ، المعروف بالبديع الإسطرلابي (ت ٥٣٤ هـ) ، وكان عالماً بالرصد والأحكام ، بيتان من الشعر يُشير فيهما إلى الإسطرلاب دون أن يُسميه باسمه ، وذلك في معرض تغزله بغلامٍ له كان مثله شغوفاً بالإسطرلاب . يقول البديع :

قام إلى الشمس بآلاته لينظر السعد من النحس
فقلت أين الشمس قال الفتى في الثور قلت الثور في الشمس[2]



(١) الأصفهاني ، الراغب : العمدة ٢ / ٢٩٩ . واللوح : الهواء بين السماء والأرض
(٢) عيون الأنباء ، ص ٣٧٧ .

الفصل الثاني

مواقف وآراء

أولاً : مواقف وآراء مؤيدة :

أ ـ في المشرق :

ـ سهل بن مهمندار .

ـ أبو إسحاق الصابىء .

ـ أبو دلف الينبوعي .

ـ ابن سينا .

ـ البديع الإسطرلابي .

ـ أبو سالم القرشي .

ب ـ في مصر والمغرب العربي :

ـ الخولاني .

ـ ابن أبي الصلت .

ـ الأنوري .

ـ ملاحم في الحدثان .

ثانياً : مواقف رافضة :

أ ـ في المشرق العربي :

ـ الخليل بن أحمد .
ـ أبو تمام .
ـ النظام .
ـ البحتري .
ـ الأنباري .
ـ المتنبي .
ـ أبو فراس .
ـ الصاحب بن عباد .
ـ أبو العلاء المعري .
ـ تاج الدين الكندي .
ـ البهاء زهير .

ب ـ في المغرب العربي والأندلس :

ـ ابن عبد ربه .
ـ أبو الحسن الضرير .
ـ الزبيدي .
ـ ابن حمديس .
ـ أبو الطيب القروي .

مواقف وآراء

والآن ، بعد أن استعرضنا في الفصل السابق ما أمكن استعراضه من معانٍ ودلالات ومصطلحات تنجيمية حفل بها الشعر العباسي والأندلسي ، ماذا عن الأدباء أنفسهم ، وإن شئت فقل الشعراء على وجه الخصوص ؟ وهل ثمة مواقف وآراء نتلمسها بوضوح إزاء هذه الظاهرة ، في شعر هذا الشاعر وأدب ذاك الكاتب ؟ ثم هل ثمة شعراء وأدباء صدقوا بأحكام النجوم ، أو كانوا من أصحابها الذين توفروا على صناعتها ، وهل ثمة من نأووا عنها ونقموا عليها ، وأزروا بها مشفقين ومكذبين ؟

أسئلة تفرض نفسها ولا ريب ، وهذا ما سنُجيب عنه وفاقاً للتقسيم التالي .

أولاً : مواقف وآراء مؤيدة :

أسلفنا القول أن العلم بالنجوم وأحكامها ، كان مظهراً من مظاهر الرقي ، ومدركاً ثقافياً يتوجب الإلمام به ، وتحصيله ، من قبل النخبة من المثقفين . من هنا ، كما يتضح لنا وفي أكثر من مصدر ومرجع ، كان توفر العديد من العلماء والأطباء والحكماء والشعراء على دراسة هذا العلم وشرح مسائله ، ووضع كتبه ورسائله . ولقد ترك عـدد من الشعراء بوجهٍ خاص ، طـائفة من الأشعار الدالة على اهتماماتهم بالمباحث الفلكية ، وما يتفرع عنها من علم بالأحكام والحدثان ، اخترنا منهم ستة في المشرق وآخرين في مصر والمغرب العربي .

أ ـ في المشرق

سهلون بن مهمندار :

يأتي سهلون بن مهمندار الكسروي ، نسبة إلى كسرى ملك الفرس ، والذي كان زمن المقتدر (ت ٣٢٠ هـ) في طليعة الشعراء الذين تخصصوا بعلم النجوم ، وهو القائل :

ولي دربة طالت على كل عالم　　إذا أعوز الإنسان علمٌ بما يدري
من الطب والتنجيم من بعد منطقٍ　　ولا علم إلا ما أحاط به صدري
وها أنا سيف الله علماً بدينه　　أذبّ عن التوحيد في أمم الكفر[1]

أبو إسحاق الصابىء (توفي ٣٨٤ هـ / ٩٩٣ م) :

ثم يأتي أبو إسحاق إبراهيم بن هلال الصابىء ، وكان ممن أولى علم النجوم ومباحثه وآلاته وتقاويمه وأزياجه جل اهتمامهم ورعايتهم . ولقد سبق أن عرفنا بهذا الشاعر الذي لم يجد أفضل ولا أثمن من إسطرلاب يُهديه إلى سيده عضد الدولة البويهي في يوم عيد ، وقد شفع هديته تلك بأبياتٍ شعرية ثلاثة تفصح عن عظيم تكريمه ، وتعرب عن الإعجاب به . يقول أبو إسحاق :

أهدى إليك بنو الحاجات واختلفوا　　في مهرجان عظيم أنت مبليه

---

(١) التنوخي : نشوار المحاضرة ٧ / ٢٠٨ .

لكن عبدك إبراهيم حين رأى ... علوّ قدرك لا شيء يُساميه
لم يرض بالأرض يُهديها إليك فقد ... أهدى لك الفلك الأعلى بما فيه[1]

وفي مناسبةٍ مماثلة لم يجد أبو إسحاق أفضل من زيج وقع نظره عليه ، فأهداه إليه وقد ضمنه شعراً يقول فيه :

أهديتُ محتفلاً زيجاً جداوله ... مثل المكاييل يستوفي بها العمر
فقس به الفلك الدوار واجركما ... يجري بلا أجلٍ يخشى وينتظر[2]

وكنا عرضنا لهذين البيتين في الفصل السابق . وأنت لو قرأت شعر أبي إسحاق لوجدت فيه ما يدل على افتتانه بالنجوم ، والإكثار من حديث السعود والنحوس . اسمعه مثلاً يقول :

أصبحت شمسهم فكم لك فيهم ... من راكعٍ عند الظلام وساجد
والصابئون يرون أنك مفرد ... في الحسن إقراراً لفردٍ ماجد
كالزهرة الزهراء أنت لديهم ... مسعودة بالمشتري وعطارد[3]

واسمعه ثانية يقول من كتاب بعث به إلى المطهر بن عبدالله يهنئه فيه باليوم الأجود :

نل المنى في يومك الأجود ... مستنجماً بالطالع الأسعد
وارق كمرقى زحل صاعداً ... إلى المعالي أشرف المصعد
وفض كفيض المشتري بالندى ... إذا اعتلى في برجه الأبعد
وزد على المريخ سطواً بمن ... عاداك من ذي نخوة أصيد
واطلع كما تطلع شمس الضحى ... كاسفة للحندس الأسود
وخذ من الزهرة أفعالها ... في عيشك المقتبل الأرغد
وضاه بالأقلام في جريها ... عطارد الكاتب ذا السؤدد
وباه بالمنظر بدر الدجى ... وافضله في بهجته وازدد[4]

ثم اسمعه يقول من كتاب بعث به ، وهو في الحبس ، إلى أبي العلاء

---

(١) ياقوت : معجم الأدباء ٢ / ٣٤ .
(٢) الثعالبي : يتيمة الدهر ٢ / ٢٧٩ .
(٣) الثعالبي : يتيمة الدهر ، ٢ / ٢٥٩ .
(٤) نفسه ، ٢٨٣ .

صاعد بن ثابت :

نحن كالنسرين في الصحبة لكنّي واقع
وعلى الطائر أن يغشى أخاه ويطالع[1]

مشيراً بذلك إلى النجمين المعروفين بالنسرين : الطالع والواقع . على أنه من الإنصاف للحقيقة القول أن أبا إسحاق لم يغرب في اعتقاداته التنجيمية إغراب أصحاب النجامة الملحدين ، ولم يبعد كثيراً عن حظيرة الدين ، وعن التمسك بقضاء الله وقدره وحكمته التي تتصاغر أمامها أحكام أصحاب النجوم . يقول من رسالة له شارحاً ومعللا :

« إن ثمرة هذه الصناعة ، (أي التنجيم) ، هي تقدمة المعرفة بما يكون ، والاستعداد له بما يمكن . ولا أقول أن ذلك يؤدي إلى دفع مقدور نازلٍ ، ولا معارضة محتوم حاصل . . . »[2] إلى آخر ما في هذه الرسالة التي كنا عرضنا لها في موضعٍ آخر من هذا الكتاب .

أبو دلف الينبوعي (ت ٣٩١ هـ / ١٠٠١ م) :

ومن الأطباء والشعراء والمنجمين مسعر بن مهلهل الخزرجي المكنى بأبي دلف الينبوعي . الذي عاش في بلاط السامانيين ، وصاحب الرحلة المعروفة بـ(عجائب البلدان)[3].

ولئن وفق أبو دلف في شعره حيث الرقة والسهولة ، كمثل قوله :

فسمونا والفجر يضحك في الشرق إلينا مبشراً بالصباح
والثريا كراية أو كجام أو بنان أو طائر أو وشاح
وكأن النجوم في يد ساقٍ تتهاوى تهاوي الأقداح[4]

أقول لئن كان موفقاً في شعره كما لاحظت ، إلاّ أنه لم يكن ليحرز تماماً مثل هذا التوفيق في طبّه وفي أحكامه ، هذا ما يُستفاد من شعر أبي الحسن محمد

(١) يتيمة الدهر ٢ / ٢٨٣ .
(٢) نفسه ٢ / ٢٩٣ .
(٣) نفسه ٢ / ٢٤٨ .
(٤) يتيمة الدهر ٢ / ٤١٣ .

السلامي ، نسبة إلى مدينة السلام (ت ٣٩٤ هـ) والذي يقول معابثاً أبا دلف :

أنت شيخ المنجمين ولكن ... لست في حكمهم تنال السعادة
وطبيبٌ مجرب ما لـه بالنـ ... ـجح في كل ما يجرب عادة
مر يوماً إلى عليل فقلنا ... قرّ عيناً فقد رُزقت الشهادة[1]

ابن سينا (٣٧٠ - ٤٢٩ هـ / ٩٨٠ - ١٠٣٧ م) :

وقد يكون الشيخ الرئيس ابن سينا واحداً من الشعراء القائلين بالملاحم أو ما يعرف بحدثان العالم والدول ، وذلك عن طريق الإلمام برصد الكواكب ، وعمل الطلاسم والإطلاع على ما يعرف بعلم الجفر . وإذا ما صحّ الشعر المنسوب إليه في هذا الشأن - ونحن نشكّ فيه - فإنّ ابن سينا يكون واحداً ممن أرهصوا بحتمية زوال دولة العباسيين في أواسط القرن السابع للهجرة ، مثلما أرهصوا بظهور دولة التتار ، ثم الإدالة منهم على يد الملك المظفر بيبرس الثاني (ت ٧٠٩ / ١٣٠٩ م) . .

يقول ابن سينا مخاطباً ابنه ، وكنا أشرنا إلى هذه الأبيات من قبل :

احـذر بنيّ من القران العـاشر ... وانفر بنفسك قبـل نفر النـافر
لا تـركنَن إلى البـلاد فـإنهـا ... سيعمهـا حـد الحسـام البـاتـر
من فتية فطس الأنـوف كأنهم ... سيـل طما أو كـالجراد النـاشر
خزر العيون . . .

ثم بقية الأبيات . .[2]

البديع الأسطرلابي (توفي ٥٣٤ هـ / ١١٣٩ م) :

ومن الأدباء والشعراء الذين برعوا في الطب والرياضة والهيئة ، وكانوا من المقدمين في الرصد والزيج والنجوم ، وفي إتقان علم آلات الفلك ، ولا سيما الاسطرلاب الذي نسب إيه ، هبة الله بن الحسين البغدادي المعروف بـ « البديع الاسطرلابي » الذي زاد ، كما في معجم ياقوت « الكرة ذات الكرسي ، وأكمل نقص الآلات الشاملة التي وضعها الخجندي وعانى عمل الطلاسم ، ورصد لها ما

---

(١) نفسه ٢ / ٤٠٠ .

(٢) ابن أبي اصيبعة : عيون الأنباء ، ص ٤٥٤ .

يوافقها من الأوقات السعيدة ، وحملها إلى الملوك والأمراء والوزراء ، فجربوها فصحت »[1] . وللبديع شعر ينم من اهتمامه بمثل هذه العلوم الآنفة الذكر ، ولا سيما علم الهيئة ومن ذلك قوله متغزلاً :

وذو هيئة يزهو بخالٍ مخنث ... أموت به في كل وقت وأبعث
محيط بأوصاف الملاحة وجهه ... كأن به اقليدساً يتحدث
فعارضه خط استواء وخاله ... به نقطة والخد شكل مثلث[2]

وهو الذي خاطب غلاماً له فقال فيه : قام إلى الشمس بآلاته . . . وبقية البيت وما يليه مرّا معنا في الفصل السابق . . :

أبو سالم القرشي (ت٦٥٢ هـ / ١٢٥٤م) :

ومن الشعراء الذين اشتغلوا بعلم الأحكام النجومية ، وبالحروف والأوفاق واستخراج المغيبات ، أبو سالم محمد بن طلحة القرشي العدوي الشافعي أحد أعيان عصره ، وكان قد اعتذر عن الوزارة بعدما تولاها مدة يومين اثنين ، ثم تركها فتزهد حتى لاقى وجه ربه عام ٦٥٢ هـ / ١٢٥٤ م ، والذي يبدو أن هذا الشاعر والمترسل والفقيه ما لبث أن زهد في علم أحكام النجوم الذي تعاطاه فقرر الرجوع عنه تائباً إلى ربه مخلصاً له وجهه . يؤيد ذلك قوله في المنجم ناصحاً :

إذا حكم المنجم في القضايا ... بحكمٍ جازمٍ فاردد عليه
فليس بعالمٍ ما الله قاضٍ ... فقلّدني ولا تركن إليه[3]

وقوله الآخر :

لا تركنّن إلى مقال منجمٍ ... وكل الأمور إلى الإله وسلّم
واعلم بأنك إن جعلت لكوكبٍ ... تدبير حادثة فلست بمسلم[4]

---

(١) معجم الأدباء ١٩ / ٢٧٤ .
(٢) نفسه ١٩ / ٢٧٥ .
(٣) الحنبلي ، ابن العماد : شذرات الذهب ٥ / ٢٥٩ .
(٤) نفسه ٥ / ٢٦٠ .

ب ـ في مصر والمغرب العربي

الخولاني :

يطالعنا في المغرب العربي عدد من الشعراء الذين عُرف عنهم إتقانهم لعلم النجوم ، واللهج بلغة الأحكام والقرانات ، وفي طليعة هؤلاء أبو بكر الخولاني الذي كان منجماً للمعتمد على الله محمد بن عباد . ويبدو أنه كان عاثر الحظ على الرغم من إلمامه بصناعته . وهذا ما يتضح لنا من الرسالة التي بعث بها إليه أبو عبدالله محمد بن الحداد (ت ٤٨٠ هـ) . يقول ابن الحداد :

« لو أنصفك الزمان الذي أنت غرّة أيامه ، ودرة نظامه ، لكنت أحق بالسرطان من الزبرقان ، وأولى بالميزان من كيوان ، وأحجى بعلو المراتب من سائر الكواكب ، فما زلت لفلك علمها مركزاً ، ولمدى فهمها محرزاً . . . »[1] .

ولقد كان يطيب للشعراء المعاصرين له أن يخاطبوه باللغة التي يفهمها ، عنيت النجامة ، ومن ذلك ما كتبه إليه أبو محمد بن طلاء المهدوي مستهدياً منه مشروباً :

قل للوزير فتى خولان خولني ... علمي بفضلك ميزاً فهو ميزاني
رصدت في فلك الأشواق بدر هدى ... له رقيب ثقيل مثل كيوان
فابعث إليّ براح مثل ريقته ... فمثلها كان يسقى عند رضوان[2]

(١) الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة ٢ / ٧٢٣ .
(٢) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ١ / ٣٦٢ .

على أن مما يلفت النظر أن أبا بكر هذا ، وكما أسلفنا من قبل ، لم يكن على ما يبدو موفقاً في أحكامه وأرصاده وحساباته ، يدل على ذلك شعر المعتمد الذي يخاطب الخولاني بلهجة ساخرة فيقول :

أرصدت أم بنجومك الرمد — قد عاد ضداً كل ما تعد
هل في حسابك ما نؤمله — أم قد تصرّم عندك الأمد ؟
قد كنت تهمس إذ تخاطبني — وتخط كرهاً إن عصتك يد
فالآن لا عين ولا أثرٌ — أتراك غيّب شخصك البلد
وتراك بالعذراء في عرس — أم إذ كذبت سطا بك الأسد
الموت لا يبقي على أحدٍ — والملك لا يبقى له أحد(١)

ابن أبي الصلت :

ويطالعنا شاعر أندلسي آخر وكان أديباً وحكيماً وطبيباً وصاحب رسالة « العمل بالإسطرلاب » . هو أُمية بن عبد العزيز بن أبي الصلت من دانية بالأندلس . (توفي بتونس في القيروان عام ٥٢٩ هـ / ١١٣٥ م) وقد عرضنا لهذا الشاعر في موضع آخر من هذه الرسالة وإن كان ثمة ما نضيفه ، فإن أُمية لم يكن في أحكامه النجومية ممّن كفر بالله وآمن بالنجوم ، يدل على ذلك قوله :

لا ترج في أمرك سعد المشتري — ولا تخف من فوقه نحس زحل
وارج وخفْ ربّهما فهو الذي — ما شاء من خيرٍ ومن شرٍ فعل(٢)

الأنوري :

ومن شعراء مصر في القرن السادس الهجري ، الشاعر المعروف بـ« الأنوري » الذي شارك المنجمين في عصره حكمهم بأن الريح سوف تقوض أركان الأرض في يوم كذا من عام ٥٨١ هـ / ١١٨٤ م ، وهو عام قران زحل بالمشتري في برج الميزان . ويُقال إن الناس خافت شر ذلك وتهيأت له ، فلما كان ذلك اليوم ، إذا هو خلاف ما أرجف المنجمون ، من أحسن الأيام صفاءً ورقة أديم . . .

---

(١) نفسه ، والمراد بالعذراء والأسد الواردين في البيت الخامس ، البرجان المعروفان من بروج السماء الاثني عشر .

(٢) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ، ص ٥١٣ .

ولقد علق أحد شعراء الفارسية على هذا الحدث ساخراً ، فقال ما ترجمته إلى العربية : « قال الأنوري إنه بتأثير الرياح الشديدة سينهدم القصر الإسكندري في يوم حكمه لم يتحرك أي هواء ، يا مرسل الرياح أنت الذي تعلم لا الأنوري »[1] .

ملاحم في الحدثان :

وثمة في المغرب شعر يطلق عليه اسم شعر الملاحم والفتن ، أو شعر الحدثان وفيه يتحدث أصحابه عما سوف يعرض للدول والممالك. وذلك استناداً إلى قرانات النجوم .

وقد راج هذا الشعر في أوساط العامة خاصة ، ولا سيما في العهود المتأخرة زمن ملوك الطوائف ، كالمرابطين والموحدين والحفصيين .

وبعض هذه الملاحم الشعرية طويل جداً ، وبعضها قصير ، إلّا أنه يغلب عليه عموماً طابع الغلو والضعف والصنعة والانتحال .

وثمة واحدة في حدثان دولة الحفصيين ، وهي تُنسب إلى محمد بن عبدالله المعروف بابن الأبار (ت ٦٥٧ هـ / ١٢٥٩ م) ، ومنها قوله :

ويبعث من جيشه قائداً ... ويبقى هناك على مرقب
فتأتي إلى الشيخ أخباره ... فيقبل كالجمل الأجرب
ويظهر من عدله سيرة ... وتلك سياسة مستجلب
فإما رأيت الرسوم امّحت ... ولم يرع حق لذي منصب
فخذ في الترحل عن تونس ... وودع معالمها واذهب
فسوف تكون بها فتنة ... تضيف البريء إلى المذنب[2]

وثمة ثانية وهي من شعر الزجل العامي ، تُنسب إلى بعض اليهود ، وفيها

---

(١) للبحراني ، الشيخ يوسف : الكشكول ٢ / ١٢٥ . منشورات الأعلمي ، كربلاء ١٣٨١ هـ / ١٩٦١ م والأصل الفارسي للبيتين الشعريين هو التالي :

« كفت أنوري كه أو أثرباد هاى سخت ... ويران شد عمارت كاخ سكندري
درروز حكم أونوز يده است هيچ باد ... يا مرسل الرياح توداني نه أنوري

(٢) مقدمة ابن خلدون ، ص ط٠د .

ذكر لأحكام القرانات ، ولا سيما قران زحل والمريخ . وأول هذا الشعر :

« في صيغ ذا الأزرق لشرفه خيارا   فافهموا يا قوم هذي الاشارا
نجم زحل أخبرني بذي العلاما   وبدل الشكلا وهي سلاما »[1]

وثمة ثالثة تُنسب إلى محيي الدين ، محمد بن العربي (ت ٦٣٨ هـ / ١٢٤٠ م) وهي « عبارة عن ألغاز لا يعلم تأويلها إلا الله » ، ورابعة تُنسب إلى ابن عقب « وليس في شيء منها دليل على الصحة لأن ذلك إنما يؤخذ من القرانات » حسب تعبير ابن خلدون[2] . وهذا ما يذكرنا بملاحم أخرى من هذا النمط جرت من قبل ، في المشرق والمغرب على السواء ، ومنها تلك التي تنسب إلى أبي القاسم المجريطي (ت ٣٩٨ هـ) أحد رجال الصوفية وكلها « ألغاز بالحروف » حسب تعبير ابن خلدون نفسه أيضاً[3]



(١) ابن خلدون : المقدمة ، ص ٦٠٣ .
(٢) نفسه ، ص ٦٠٥ .
(٣) نفسه ، ص ٦٠٥ ـ ٦٠٦ .

ثانياً : مواقف رافضة

ذلكم كان بعضاً من مواقف أدبية أو شعرية أيد فيها أصحابها صناعة التنجيم ، أو كانوا هم أنفسهم من المنجمين ، لكّن في الشعر العربي وأدبه ، أبياتاً وأقوالاً كثيرة تدل على مظاهر رافضة للتنجيم ، كانت مقصودة حيناً وعارضة حيناً آخر ، وهذا ما نعرض له الآن .

أ ـ في المشرق :

الخليل بن أحمد (ت ١٧٠ هـ / ٧٨٦ م) :

من منا لم يستوقفه هذان البيتان المنسوبان إلى الخليل بن أحمد وفيهما دعوته الصريحة إلى تكذيب المنجمين ، وعدم الأخذ بما تقوله النجـوم :

أبلغا عني المنجم أني ... كافرٌ بالذي قضته الكواكب
عالمٌ أن ما يكون وما كـا ... ن بحتم من المهيمن واجب[1]

أبو تمام (ت ٢٣٢ هـ / ٨٤٥ م) :

ومن منا لم تستوقفه بائية أبي تمام الشهيرة ، تلك التي مدح بها الخليفة المعتصم (ت٢٢٧هـ) بمناسبة انتصاره على الروم البيزنطيين في وقعة عمورية ؟ ومن منا لم يتوقف ، بشكلٍ خاص ، عند تلك الأبيات الرائعة التي تضمنتها

---

(١) المبرد : الكامل في اللغة والأدب ١ / ٢٤١ ، مكتبة المعارف ، بيروت .

قصيدته تلك ، وفيها من ذم المنجمين ، ودحض حججهم ، وتفنيد أقوالهم وادعاءاتهم الشيء الكثير؟ أولئك الذين كانوا على أثر ظهور الكوكب المذنب في سماء بغداد ، نصحوا الخليفة العباسي بعدم خروج جيشه من معاقله ، وبالتريث يسيراً قبل ملاقاة الروم ريثما ينقضي ذلك الصيف القائظ ، قائلين له : إن النجوم لا تؤذن بنصر ، ولا تدل على الإدالة من الروم . وكان أن خالف المعتصم رأي المنجمين ، فأقدم على ما أقدم عليه ، مما هو مذكور في كتب التاريخ ، مفتتحاً عمورية ، ظافراً بالروم ، منكلاً بهم من قبل أن يعود إلى عاصمة الخلافة الإسلامية مزهواً وقد حفظ للدين بيضته ، وحقق الفتح العظيم . ولقد خلد أبو تمام هذا الحدث الضخم بشعره في قصيدته البائية ، فقال مشيراً إلى تلك الواقعة مادحاً الخليفة ، مزرياً بكتب المنجمين وأقوالهم :

السيف أصدق إنباء من الكتب ... في حده الحد بين الجد واللعب
والعلم في شهب الأرماح لامعة ... بين الخميسين لا في السبعة الشهب

إشارة إلى الكواكب السيّارة السبعة التي كان يعول عليها أصحاب النجامة . . . إلى أن يقول :

أين الرواية بل أين النجوم وما ... صاغوه من زخرف فيها ومن كذب
تخرصاً وأحاديثاً ملفقة ... ليست بنبع إذا عدت ولا غرب
عجائباً زعموا الأيام مجفلة ... عنهن في صفر الأصفار أو رجب
وخوفوا الناس من دهياء مظلمة ... إذا بدا الكوكب الغربي ذو الذنب
وصيّروا الأبرج العلياء مرتبة ... ما كان منقلباً أو غير منقلب

إشارة إلى طبائع البروج التي كنا قد تحدثنا عنها من قبل ثم يمضي الشاعر فيقول متحدثاً عن المنجمين :

يقضون بالأمر عنها وهي غافلة ... ما دار في فلك منها وفي قطب
لو بينت قط أمراً قبل موقعه ... لم تخف ما حلّ بالأوثان والصلب[1].

شعر رائع ، فيه من الجزالة ومتانة التركيب ، وشدة الأسر ، وسمو المعنى ما لا ينكر فضله ، ولا يعاب صاحبه فيه .

---

(١) أبو تمام : الديوان ١ / ٤٠ ـ ٤٤ ، تحقيق محمد عبده عزام ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٤ م .

علي بن الجهم (ت ٢٦٠ هـ / ٨٦٣ م) :

وبما تجدر الإشارة إليه ، أن الكوكب الغربي ذا الذنب المار ذكره في شعر أبي تمام ، هو ظاهرة فلكية تشاهد في السماء بين الحين والآخر ، والناس ، كما هو معروف وشائع منذ القديم ، يتخوفون من هذه الظاهرة السماوية بتأثير من أقوال المنجمين . الذين يرون فيها نذير شؤم ، وتحذيراً من مخوف . وانطلاقاً من هذا الزعم أو الاعتقاد ، وتأكيداً لشيوعه في أوساط الخاصة والعامة ، يقول علي بن الجهم ، وهو المعاصر لأبي تمام ، في معرض هجائه محمد بن النضر الحارثي الذي صادف مجيئه حلوان ظهور المنجم المذنب :

لما بدا أيقنت بالعطب فسألت ربي خير منقلب
لم يطلعا إلاّ لآبـدة الحارثي وكوكـب الذنب[1]

النظام (ت ٢٣١ هـ / ٨٤٥ م) :

يورد الجاحظ في « الحيوان » أبياتاً لأبي إسحاق إبراهيم بن سيّار النظام ، يهجو فيها محمد بن بشير ، وكان من أصحاب النجوم ، وممن يتعاطون أحكام النجوم وعمل الرقى والعزائم والسحر عن طريق الاتصال بالجن والشياطين . يقول النظام :

قد ـ لعمري ـ جمعت من أصحاب ثم من شعر آدم والخراب
وعلمت الأسماء كيما تلاقي زحلاً والمريخ فوق السحاب
واستثرت الأرواح بالبحر يأتين لصرع الصحيح بعد المصاب
جامعاً من لطائف الدهمسيات كنوساً نعتها في كتاب
بالخواتيم والمنايل والسعي بسكويرك ودركـاراب[2]

---

(١) ابن الجهم ، علي : الديوان ، ص ١١٣ . تحقيق خليل مردم بك . دار الآفاق الجديدة ، بيروت ١٩٥٩ م .

(٢) الجاحظ : الحيوان ٦ / ٤٣٥ ، مجلد ٢ ، ط ١ ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت ١٩٨٦ك . والدهمسيات ، من الدهمس وهو الأمر المستور « وسكيرك » و« دراكاراب » : اسمان من أسماء رؤساء الجن . والمناديل ، جمع مندل وهو ضرب من الأعمال التي يخاطب فيها الجن عن طريق النظر في فنجان مملوء بالزيت .

البحتري (٢٠٥ - ٢٨٨ هـ / ٨٩٧ م) :

أما أبو عبادة البحتري شاعر المتوكل ، الخليفة العباسي ، فعلى الرغم من وصفه المبدع لعددٍ من نجوم السماء كمثل قوله في معرض مديحه لأبي عيسى بن صاعد :

كأن الثريا سابح متكبد ... لجرية ماء يستقل ويرجع
إذا ما أهابت عن تزاور جانح ... بعيوقها مزهوة جاء يهرع
كأن سهيلاً شخص ظمآن جانح ... مع الأفق في نهي من الأرض يكرع

على الرغم من هذا ، فإننا نجده غير معتقد اعتقاد المنجمين ، لا بل هو يزري عليهم ادعاءهم ، ويشنع عليهم مقالتهم ، فها هو يهجو أحدهم المكنى بابن أبي قماش ، وكان من أصحاب الرقي والطلاسم والأحكام والزجر والعيافة ، فيقول فيه من أبيات نظمها على البحر المنسرح مخاطباً وساخراً :

قد كان حقاً عليك أن تعرف المكنون من سر صدرها الكلف
بما تعاطيت في الغيوب وما أوتيت من حكمة ومن لطف
وقد بحثت العلوم أجمع واستظهرت حفظاً مقالة السلف
فكيف أخطأت يا أخيّ ولم تفزع إلى ما سطرت في الصحف
هلا زجرت الطير العلية أو عفت المها أو نظرت في الكتف
حملتها والفراق محتشد لراكب منكما ومرتدف
ورحتما والنحوس تنبيء عن حال من الرائحين مختلف
أما أرتك النجوم أنكما في حالتي ثابت ومنصرف
وما رأيت المريخ قد جاسر الزهرة في الحدّ منه والشرف
يخبر في ذاك أن زائرة تشفي مزوراً من لاعج الدنف
من أين أغفلت ذا وأنت على التقويم والزيج جد معتكف
رذلت في هذه الصناعة أم أكديت أم رمتها مع الخرف[1]

الأنباري (ت ٣٠٤ هـ / ٩١٥ م) :

وأما أبو القاسم محمد الأنباري ، فهو ينكر بشدة ما يدعيه المنجمون

(١) البحتري : الديوان ٢ / ٦٤١ - ٦٤٢ .
والعيوق وسهيل : نجمان معروفان .

فيقول :

إني بأحكام النجوم مكذبٌ ولمدعيها لائمٌ ومؤنب
الغيب يعلمه المهيمن وحده وعن الخلائق أجمعين مغيب
الله يُعطي وهو يمنع قادراً فمن المنجم،ويحه، والكوكب ؟[1]

المتنبي (٣٠٣ - ٣٥٤ هـ / ٩١٥ - ٩٦٥ م) :

وأما أبو الطيب المتنبي الذي عرف بملازمته لسيف الدولة الحمداني وبإخلاصه له ، فهو يضع ممدوحه في موضع تعجز النجوم عن إدراكه أو اللحاق به ؟ هذا دون أن يغفل التصريح بكذب من يدعي أن النجوم تعقل ، أو أن لها نصيباً في تقرير مصير المرء أو التأثير عليه سعوداً ونحوساً . يخاطب أبو الطيب أميره الحمداني فيقول مادحاً :

وتعلو الذي زحل تحته محال لعمرك ما تسأل
وكيف تقصر عن غاية وأمك من ليثها مشبل
وقد ولدتك فقال الورى ألم تكن الشمس لا تنجل
فتباً لدين عبيد النجوم ومن يدعي أنها تعقل
وقد عرفتك فما بالها تراك تراها ولا تنزل
ولو بتّما عند قدريكما لبتّ وأعلاكما الأسفل[2]

أبو فراس (ت ٣٥٧ هـ / ٩٦٧ م) :

لكن أبا فراس ، الحارث الحمداني كان أكثر صراحة من معاصره أبي الطيب ، وأقرب إلى الفطرة والبساطة ، وأقوى إيماناً بالله ، حينما توجه بالخطاب إلى أحد المنجمين وقد أشار عليه بأمر ، فخالفه الشاعر متكلاً على الله وحده ، فقال :

يا معجباً بنجومه لا النحس منك ولا السعادة
الله ينقص ما يشاء وفي يد الله الزيادة
دع ما أريد وما تريد فإن لله الإرادة[3]

---

(١) ياقوت : معجم الأدباء ١٦ / ٣١٧ .
(٢) المتنبي : الديوان ٢ / ٣١٦ .
(٣) أبو فراس : الديوان ، ص ٨١ ، دار صادر - دار بيروت ١٣٨٠ هـ / ١٩٦١ م .

الصاحب بن عباد (ت ٣٨٥ هـ / ٩٥٥ م) :

ولم يقلّ الوزير إسماعيل بن عباد الطالقاني المعروف بالصاحب ، والذي كان وزيراً لدى البويهيين ، لم يقل عن صاحبه أبي فراس دفاعاً عن العقيدة ، ومعاداة لأصحاب النجوم . ومع أن الصاحب تباهى ذات يوم بطالعه الذي وُلد فيه ، فكان يقول : « وُلدت والشعرى في طالعي ، ولولا دقيقة لأدركت النبوة »[١] ، ومع أنه تأمل في النجوم وتغنى بها فوصفها أحسن وصف ، فكان مما قال فيها على سبيل المثال :

تنير الثريا وهي قرط مسلسل ... وإن كرّ فيها الطرف درّ مبدد
وتعثر في الجوزاء وهي ككاعب ... تميّل من سكر بها وتميّد
وتحسبها طوراً أسير جناية ... ترنح عند المشي وهي مقيد
ولاح سهيل وهو للصبح راقبٌ ... فشوهد منه طرف باك مسهّد
أردّد عيني في النجوم كأنها ... دنانير لكن السماء زبرجد[٢]

ومع أنه كان يُجالس أصحاب النجوم ، ويستطلع أخبارهم ، ويشاركهم الرأي أحياناً في ادعاءاتهم . . مع هذا كله ، فإن الصاحب ، حسب تعبير ياقوت ، كان « شديد التعصب على أهل الحكمة والناظرين في أجزائها كالهندسة والطب والتنجيم والموسيقى والمنطق والعدد »[٣] .

ولعل من أوضح شعره الدال على هذا الموقف المتشدد ، قوله مخاطباً أبا خبل ، المنجم :

خوفني منجم ، أبو خبل ... تراجع المريخ في برج الحمل
فقلت دعني من أباطيل الحيل ... فالمشتري عندي سواء وزحل[٤]

وقوله الآخر مخاطباً أحد المنجمين منكراً قوله :

أيها الجالس المفكر في الأمر المعنّى به اعتناء المجوس

---

(١) ياقوت : معجم الأدباء ٦ / ٢٣٣ .
(٢) ابن عباد ، الصاحب : ديوان الصاحب بن عباد ، ص ٢٨ ، تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين ، دار القلم ، بيروت ١٩٧٤ م ، مكتبة النهضة ، بيروت ـ بغداد ١٩٦٥ م .
(٣) معجم الأدباء ٦ / ١٧٥ .
(٤) محاضرات الأدباء ١ / ١٤٥ .

تارك يوم الأربعاء عن السير يروم المسير يوم الخميس
لا تعاد الأيام وامضِ إذا شئت فإن السعود مثل النحوس
هل رأيت النجوم أغنت عن المأمون في عز ملكه المأسوس
خلفوه بعرصتي طرسوس مثلما خلّفوا أباه بطوس[1]

إشارة إلى الخليفة المأمون الذي توقع له المنجمون أن يموت في الرقة ، فكان يتجنب نزولها فمات بطرسوس . وقد يُنسب البيتان الأخيران إلى أبي سعيد المخزومي[2] :

ولما أرجف أصحاب النجوم بالسنة التي يموت فيها الصاحب ، قال من شعرٍ يناجي فيه ربه :

يا مالك الأرواح والأجسام — وخالق النجوم والأحكام
مدبر الضياء والظلام — لا المشتري أرجوه للإنعام
ولا أخاف الضر من بهرام — وإنما النجوم كالأعلام
والعلم عند الملك العلّام — يا رب فاحفظني من الأسقام[3]

وفي رواية لابن طاووس كنا عرضنا لها من قبل أن الصاحب قد نظر هو فعلاً في مولده ، فعلم أنه سيموت بعد ثلاثة أيام ومائة يوم ، وإن فخر الدولة البويهي سوف يُقيم العزاء عليه طيلة سبعة أيام ، ثم يتبع ذلك باستيزار أبي العباس الضبي من بعده ، وهذا ما حصل حقيقة . وقد نظم الصاحب شعرا أشار فيه إلى تلك الواقعة ، فقال :

أرى سنتي قد ضمّنت بعجائب — وربي يكفيني جميع النوائب
ويدفع عني ما أخاف بمنّه — ويؤمن ما قد خوفوا من عواقب
إذا كان من أجرى الكواكب أمره — معيني فما أخشى صروف الكواكب[4]

أبو العلاء المعري (ت ٤٤٩ هـ / ١٠٥٧ م) :

ونتوقف بحضرة شاعر المعرة ، وفيلسوفها العظيم ، رهين المحبسين ، أبي

---

(١) ديوان الصاحب بن عباد ، ص ٢٣٧ .
(٢) السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص ٢٩١ ، دار التراث ، بيروت ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م .
(٣) ديوان الصاحب ، ص ٢٧٦ .
(٤) ابن طاووس : فرج الهموم ، ص ١٨١ .

العلاء المعري ، الذي اتخذ من العقل وحده هادياً ومرشداً ، لتتبين كيف ضرب المثل في التصدي لجماعة المنجمين ، وفي تسفيه رأي كل من ادّعى علماً من علوم النجوم ، أو نسب إليها حكماً بغير دليل .

صحيح أن أبا العلاء قال ذات مرة في شعره :

لقد ترفع فوق المشتري زحل   فأصبح الشر فينا ظاهر الغلب
وإن كيوان والمريخ ما بقيا   لا يخليانك من فجع ومن سلب
وكم طلبت أموراً لست مدركها   تبارك الله ، من أغراك بالطلب ؟[1]

وصحيح أيضاً أنه قال ثانيةً :

عرفت سجايا الدهر أما شروره   فنقد وأما خيره فوعود
إذا كانت الدنيا كذاك فخلّها   ولو أن كل الطالعات سعود[2]

الأمر الذي قد يُفهم منه أن شاعرنا يعتقد بصحة ما يُقال عن سعود النجوم ونحوسها ، إلاّ أن الصحيح كذلك ، أن أبا العلاء ما ترك وسيلة من الوسائل ، ولا فوّت فرصة من الفرص ، ولا هو غادر حجّة من الحجج ، أو دليلاً من الأدلة إلاّ واستخدمه ليرد على من يدّعي التنجيم ، أو يصدق بأحكام النجوم وتأثيرها . وهل أدل على ذلك من شعره الساخر الذي يقول فيه :

هل يأمن البرجيس في عزّه   من قدرٍ يعلمه سعده
كأنما النجم لخوف الردى   تأخذه من فرق رعده[3]

ومن شعره الساخر الآخر الذي يقول فيه :

وقالوا بدا المشتري في الظلام   فيا ليت شعري ماذااشترى ؟
نزول كما زال أجدادنا   ويبقى الزمان على ما نرى
نهار يضيء وليلٌ يجيء   ونجمٌ يغور ونجم يُرى[4]

وشعره الساخر الآخر :

---

(١) المعري، أبو العلاء : اللزوميات ١ / ١٥٣ .
(٢) نفسه ١ / ٣١٣ .
(٣) اللزوميات ١ / ٣٥٩ ، والبرجيس : المشتري ، وقيل أيضاً هو المريخ .
(٤) نفسه ١ / ٧٧ ـ ٨٠ .

هل يأمن الحوت من الشهب أن ... يأخذه في الكفّة الصائد
أو هل نزّه في الجوأن ... يغتاله بالمدية الكائد
إن كان للمريخ عقل فما ... يستر عنه أنه بائد(1)

وهل ثمة أبلغ من هذا الشعر الأخر الذي يسفه آراء الملاحدة من المنجمين ، والذي لا يخلو من روح الإيمان بالله ، فهو يقول :

يقولون صنع من كواكب سبعة ... وما هو إلاّ من زعيم الكواكب
إذا رفعت تلك المواكب قسطلاً ... فرافعه للعين مجري الكواكب(2)

وهل ثمة أوضح من الأبيات التالية المأخوذة من قصيدة عدتها أربعة وخمسون بيتاً ، يعارض فيها قدماء الفلاسفة القائلين بقِدم الأفلاك وبقائها ، وبأن لها عقلاً وحساً :

فهل علمت بغيبٍ من أمور ... نجوم للمغيب معرّدات
وليست بالقدائم في ضميري ... لعمرك بل حوادث موجدات
فلو أمر الذي خلق البرايا ... تهاوت للدجى متسردات
وأمسى الليث منها ليث غابٍ ... يجاذب فرسه المتوحدات
وهبّ يروم سنبلة السواري ... بخبر والزرائع محصدات
كأن نعامها والله قناص ... نعائم بالفلاة مطردات
وقد زعموا بأن لها عقولاً ... وأقضية المليك مؤكدات
وأن لبعضها لفظاً وفيها ... حواسد مثلنا ومحسدات(3)

أو من قوله الساخر الذي يُشير إلى الأسطورة القائلة بأن سهيلاً ، النجم

---

(1) اللزوميات ١ / ٣٤٤ ، والحوت والحمل برجان معروفان في السماء .
(2) نفسه ١ / ١٤٤ . والقسطل : غبار الحرب . والكواكب في البيت الأول هي الكواكب المعروفة ، وزعيمها : خالقها ، أما في البيت الثاني فهي الماء الجاري .
(3) اللزوميات ١ /٢٠٤ . و« معردات » في البيت الأول : مائلات . و« متسردات » في البيت الثالث : متتابعات . و« الليث » في الرابع ، يقصد به الأسد ، البرج المعروف . و« الفرس» : الفريسة . و« المتوحدات » : الوحوش . أما المقصود بـ« السنبلة » في الخامس ، فهو البرج المعروف ، ويطلق عليه اسم العذراء . و« النعائم » في السادس ، نجوم في السماء الجنوبية ، معروفة ، منها أربعة اسمها « الواردة » وأربعة أخرى اسمها « الصادرة » .

المعروف ، تزوج بالشعرى العبور التي هي من ألمع نجوم السماء ، ثم يليها السماك الرامح :

وإن صح أن النيرات محسة	فماذا نكرتم من وداد ومن صهر
لعل سهيلاً وهو فحل كواكب	تزوج بنتاً للسماك على قهر[1]

أو قوله منكراً وساخراً :

العالم العالي برأي معاشر	كالعالم الهاوي يحس ويعلم
زعمت رجال أن سياراته	سبق العقول وأنها تتكلم
فهل الكواكب مثلنا في دينها	لا يتفقن فهائد أو مسلم[2]

وهو يرد على المجوس ، وقد مضى الوقت الذي حدّدوه لظهور المخلّص ، بقوله مخاطباً أولئك المجوس :

تهاونتم بالذكر لما أتاكم	ولم تحفلوا بالصوم والصلوات
رجوتم إماماً في القران مضللاً	فلما مضى قلتم إلى سنوات
كذاك بنو حواء : برّ وفاجر	ولا بد للأيام من هنوات[3]

ويقول منبهاً :

قران المشتري زحلاً يُرجى	لإيقاظ النواظر من كراها
وهيهات البرية في ضلالٍ	وقد فطن اللبيب لما اعتراها
وكم رأت الفراقد والثريا	قبائل ثم أضحت في ثراها
تقضى الناس جيلاً بعد جيلٍ	وخلّفت النجوم كما تراها[4]

ويقول في موضعٍ آخر :

وقد زعموا أن القران مغير	ملوك بني النضر الألى ملكوا النضرا
وما أعفت الأيام بدواً من الردى	ولا حضراً فاسأل بداعنه والحضرا[5]

---

(١) نفسه ١ / ٥١٩ .

(٢) اللزوميات ٢ / ٤٠٥ . و« تسق » في البيت الثاني ، المضارع من وسق : جمع وحمل . و« الهائد » في الثالث : اليهودي من هاد يهود فهو هائد .

(٣) نفسه ١ / ٢٤٤ . والهنوات : جمع هناة وهي الداهية .

(٤) نفسه ٢ / ٦٢٢ .

(٥) نفسه ١ / ٤٨٣ . بنو النضر ، لعلهم بنو النضر بن الحارث صاحب لواء المشركين ببدر .

ويقول عن تأثير القران ، أي قران الكواكب ، في الملل والنحل والأديان :

يقولون تأثير القران مغيرٌ — من الدين آثار السرّاة الأماجد
متى ينزل الأمر السماوي لا يفد — سوى شبح، رمح الكمي المناجد
إذا عظموا كيوان عظمت واحداً — يكون له كيوان أول ساجد[1]

وهو يسخر ممن يرهص بالذي يقوله الكتاب المُسمى بالجفر ، فيقول :

يقولون مسك الجفر أودع حكمة — إذا كُتبت أطراسها ملأت جفرا
تطول الليالي والزمان وتنبري — حوادث لا تبقي على ظهرها شغرا[2]

وما أسخف هؤلاء المنجمين القائلين بالقرانات والمنادين بالويل والثبور وعظائم الأمور :

يحدثنا عما يكون منجـم — ولم يدر إلاّ الله ما هو كائن
ويذكـر من شأن القـران شدائداً — وفي أي دهرٍ لم تَبِت القرائـن[3]

وهل ثمة في معتقد أبي العلاء أوضح دلالة على كذب المنجمين وافتضاح أمرهم من قوله :

هلاّ رأيت صنوف الباطل اشتبهت — فلم تزل بقران المشتري زحلا
عبدان لله سيّاران ما سئما — طول المسير إذا مل الفتى الرّحلا
وما استفزّهما الإمهال فادّعيا — بالجهل ما قاله المغرور وانتحلا
أن ينظرا أعيناً رمداً فما رمدا — ولا بغير سواد الحندس اكتحلا[4]

ومن قوله ساخراً :

= والنضر الثانية في الشطر الثاني من البيت الأول ، وهي الذهب . والبدو اسم موضع ، والحضر : موقع أثري في العراق جنوبي الموصل ، أي أنّ الأيام ذهبت بالبدو والحضر معاً ، ويبدو بالحضر أيضاً .

(١) اللزوميات ١ / ٤٦٤ . والشبح في البيت الثاني : الشخص . والكمي : الفارسي والمناجد : البارز للقتال . وكيوان في البيت الثالث : زحل . والمعنى أن تعظيمهم لكيوان ليس في الواقع سوى تعظيم لرب كيوان الذي خلقه ، فهو ساجد له .

(٢) نفسه ١ / ٤٨٦ . والطرس ، مفرد أطراس ، وهو الصحيفة . والشغر : البعد والتفرّق . ومسك الجفر : جلده .

(٣) نفسه ٢ / ٤٩٣ .

(٤) نفسه ٢ / ٢٩٣ .

ما أحسب الكوكب المريخ أو زحلا   إلّا أميرين إن طال المدى عزلا[1]

والمعري ينكر على المرء العاقل ادعاءه المعرفة والإحاطة بكثير من المسائل والأمور فكيف بالذي يُنسب العلم والمعرفة إلى الكواكب والنجوم ؟ :

نفارق العيش لم نظفر بمعرفة   أي المعاني بأهل الأرض مقصود
لم تعطنا العلم أخبار يجيء بها   نقل ولو كوكب في الأرض مرصود[2]

ثم كيف بالذي تحدثه كواكبه عن ظهور إمام يخلص الأرض من الشرور ، وما يصلح الأمر في نظر الشاعر إلّا بطلٌ همام يعرف كيف يسوس الناس فيضع الأمور في مواضعها دونما نكوص :

وما زال عرّاف الكواكب ذاكراً   إماماً كنجمٍ في الدجنّة فارد
وما يجمع الأشتات إلا مهذب   من القوم يحمي بارداً فوق بارد
إذا نال ما يرجوه من زحل الذي   بدا شره لم يبغه من عطارد
وإن كان في الدنيا سعود فإنما   تكون قليلاً كالشذوذ الشوارد[3]

وعجيب أمر هؤلاء المنجمين ، ومعهم الأطباء الذين اتخذوا من علومهم وسيلة للعيش ، فاستمالوا بها قلوب الناس من ذوي اليسار من الفتية والأغرار :

إن الطبيب وذا التنجيم ما فتئا   مشهّرين بتقويمٍ وكنّاش
يعلّلان وفي التعليل مأربة   ويستميلان قلب المترف الناشي[4]

وما كان المتكهن والمعزّم بأقل ذكاء من المنجم والطبيب ، في تزيين ما يقوم به من الأعمال والحيل التي يبتزّ بها أموال المغفّلين :

أوقدت ناراً بافتكارك أظهرت   نهجاً وأنت على سناها عاش
متكهنٌ ومنجم ومعزّم   وجميع ذاك تحيّل لمعاش[5]

ويستفاد من شعر أبي العلاء أن التنجيم فقد في عصره كثيراً من بريقه العلمي ، ومكانته الرسمية التي كانت له في العصرين العباسيين الأول والثاني ،

(١) اللزوميات ٢ / ٢٩٢ .
(٢) نفسه ١ / ٣٢٧ .
(٣) اللزوميات ١ / ٣٦٣٤ . و« البارد » الأخيرة في البيت الأول : الحديد .
(٤) نفسه ٢ / ٧٤ . والكناش لفظة سريانية تعني الدفتر الذي تدرج فيه الشوارد والقواعد .
(٥) اللزوميات ٢ / ٧٧ ، والعاشي : السيء البصر .

فتحول جلّ أصحابه من طبقة كانت تستأثر باحترام الخلفاء والوزراء والعلماء ، وتتميز بثقافة علمية واسعة ، إلى طبقة من المرتزقة والجهلة الذين تتنازعهم الأهواء ، وتفرق بينهم المذاهب والآراء :

منجمون وما يدرون لو سُئلوا ... عن البعوضة أنّى منهم تقف
وفرقتهم على علاتها ملل ... وعند كل فريق أنهم ثقفوا
ولو درت بمخازيهم بيوتهم ... هوت عليهم ولم تنظرهم السقف[1]

كما تحول هؤلاء إلى طبقةٍ عرف أصحابها كيف يجمعون الأموال عن طريق الغش والخداع والتضليل :

إن قوماً لما يكون حراماً تأوّلوا
رغّبوا الناس في المحال وراعوا وهوّلوا
ورأى الله أنه كذب ما تقوّلوا
نظروا في نجومهم وعلى النجم عوّلوا
ظلموا البائس الفقير وأعطوا ونوّلوا
واستمالوا قلوب قومٍ إلى أن تموّلوا
فانظروا الآن فيهم أي غولٍ تغوّلوا[2]

والذي يتضح من شعر أبي العلاء كذلك ، أن عدداً لا يستهان به من المنجمين المعاصرين له ، كانوا من طبقة العميان أو الذين يتظاهرون بأنهم عميان فقدوا ملكة البصر فاستبدلوا بها ملَكة أخرى هي القدرة على تزويق الكلم والتهويل به على المساكين :

كأنّ منّجم الأقوام أعمى ... لديه الصحف يقرؤها بلمس
لقد طال العناء فكم يُعاني ... سطوراً عاد كاتبها بطمس
ومهما كان في دنياك أمرٌ ... فما تخليك من قمر وشمس[3]

---

(١) نفسه ٢ / ١٤٩ .
(٢) اللزوميات ٢ / ٢٨٦ . والغول : الداهية والمصيبة . وتغولوا : تلونوا .
(٣) نفسه ٢ / ٥٥ .

تاج الدين الكندي (ت٦١٣ هـ / ١٢١٥ م) :

ومن الشعراء العباسيين المتأخرين الذين أنحوا باللائمة على التنجيم والمنجمين . نذكر أبا اليمن ، تاج الدين ، زيد بن الحسن بن زيد الكندي الذي يقول :

دع المنجم يكبو في ضلالته إن ادعى علم ما يجري به الفلك
تفرد الله بالعلم القديم فلا الإنسان يشركه فيه ولا الملك
أعد للرزق من أرزاقه شركاً لبئست الخلتان: الشرك والشرك[1]

البهاء زهير (ت ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م) :

ثم إننا نذكر البهاء زهيراً الذي يقول الأبيات التالية وكنا أشرنا إليه من قبل :

لا ترقب النجم في أمرٍ تحاوله فالله يفعل لا جدي ولا حمل
مع السعادة ما للنجم من أثرٍ فلا يغرّك مريخٌ ولا زحل
الأمر أعظم والأفكار حائرة والشرع يصدق والإنسان يمتثل[2]

---

(١) ابن الوردي ، زين الدين عمر : تتمة المختصر في أخبار البشر ٢ / ١٩٩ ، ط ١ ، تحقيق أحمد رفعت البدراوي ، دار المعرفة ، بيروت ١٣٨٩ هـ / ١٩٧٠ م . .

(٢) ديوان البهاء زهير ، ص ١٧٩ ، ط ١ ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ١٩٦٨ م .

ب ـ في المغرب العربي والأندلس

ابن عبد ربه (ت ٣٢٩ هـ / ٩٤٠ م) :

هذا في المشرق العربي . أما في الأندلس فإن ابن عبد ربه ، أحمد بن محمد القرطبي ، يصور بسخرية لاذعة ، ما هم عليه أصحاب النجامة من خطأ في التقدير ، وبعد عن صواب التفكير . يقول الشاعر مخاطباً المنجم مسلم بن أحمد المعروف بصاحب القبلة ، مزرياً عليه صناعته وأحكامه وأقواله :

أبيت إلّا شذوذاً عن جماعتنا ... ولم تصب رأي من أرجى أو اعتدلا
زعمت بهرام أو بيدخت يرزقنا ... لا بل عطارد أو مرّيخ أو زحلا
وقلت إن جميع الخلق في فلكٍ ... بهـم يحيط وفيهم يقسم الأجلا
والأرض كرّيّة حفّ السماء بها ... قد صار بينهما هذا وذا دولا
هذا الدليل ولا قول عزرت به ... من القوانين يجري القول والعملا
كما استمر ابن موسى في غوايته ... فوعّر السهل حتى خلته جبلا
أبلغ معاوية المصغي لقولهما ... أني كفرت بما قالا وما فعلا[1]

أبو الحسن الضرير :

ولئن خاطب ابن عبد ربه صاحبه المنجم خطاباً هادئاً ، وتوجه إليه بالنصح ، فإن أبا الحسن ، منصور بن اسماعيل التميمي ، في مصر ، من قبل ،

(١) ابن الفرضي : تاريخ علماء الأندلس ، القسم الثاني ، ص ١٢٧ .

والمعروف بالمصري الضرير ، وأصله من رأس العين بجزيرة الفرات ، كان أقسى على المنجم وأشد لوماً وتقريعاً فها هو ذا يقول متبرئاً منه :

من كان يخشى زحلاً أو كان يرجو المشتري
فإنني منه ، وإن كان أبي منـــــه ، بـــــري[1]

وها هو ذا يقول ثانية :

إذا كنت تزعم أن النجوم تضر وتنفع من تحتها
فلا تنكرّن على من يقول بأنك بالله أشركتها[2]

وما أصدق قوله :

ليس للنجم إلى ضرّ ولا نفع سبيل
إنما النجم على الأوقات والسمت دليل[3]

الزبيدي (ت ٣٨٠ هـ / ٩٨٩) :

أما أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي ، العالم بالنحو واللغة ، فهو يسخر بما يدّعيه المنجم فيقول متعجباً :

يقول المنجم لي لا تسر فإنك إن سرت لاقيت ضرًا
فإن كان يعلم أني أسير فقد جاء بالنهي لغواً وهجرا
وإن كان يجهل سيري فهل يراني إذا سرت لاقيت شرا[4]

ابن حمديس (ت ٥٢٧ هـ / ١١٣٣ م) :

وأما ابن حمديس المار ذكره آنفاً ، فهو ممن ينفي علم أحد في الأرض بما في السماء ، وما تجتمع له الشهب ، أي الكواكب ، في قراناتها المتعددة والمختلفة . يقول ابن حمديس :

سلني عن الدنيا فعندي لها في كل فن خبر أو عـيـان

---

(١) ياقوت : معجم الأدباء ١٩ / ١٨٦ .
(٢) نفسه ١٩ / ١٨٧ .
(٣) معجم الأدباء ١٩ / ١٨٧ .
(٤) يتيمة الدهر ٢ / ٧٠ .

فما على الأرض عـليمٌ بمـا تجتمع الشهب له في القران[1]

ويذكرنا ابن حمديس في شعره وموقفه من المنجمين بالشاعر المشرقي أبي تمام ، فهو يمدح علي بن يحيى بن تميم ، سلطان المهدية بالمغرب عام ٥١١ هـ / ١١١٦ م ، وهو العام الذي تنبأ المنجمون فيه بأن السلطان يموت إذا مضى عشر مـن شهر رمضان ، وكان أن مر الوقت المعلوم ، وفيه حاصر السلطان جزيرة جربة قرب قابس ، وكانت بيد الرومان ، فانتصر عليهم ، فهنأ الشاعر بانتصاره مفنداً أقوال المنجمين :

كفى سيفك الإسلام عادية الكفر وصلت على العادين بالعز والنصر
وأصبح قـول المبطلين مكذّبـاً ومـدّ لك الرحمان في أمد العمر[2]

إشارة إلى ما نطق به المنجمون من هجر في القول بموته . . ثم يتابع الشاعر أبياته فيقول مسفهاً رأي المنجمين ، وما دلت عليه الأزياج :

وأين الذي حد المنجم كونه إذا مرّ للصوّام عشر من الشهر
وما قـرع الأسماع بالخبر الذي أبى الله إلاّ أن يكذب بالخبر
غدا الزيج ريحاً في تناقض علمه وتعديله عرفاً أحال على نكر
فهلا رأى قطعاً عليه بسجنه ومشياً بدهم كان بالكبو والعثر
وأن علياً ينتضي القضب التي يرد بها مد العداة إلى قصر[3]

أي هلا أنبأته النجوم بأن القطع واقع عليه ، والقطع ، في لغة المنجمين ، هو ما سيُصيبه من نحس إذ يُسجن ويمشي في الدهم ، أي القيود . . . .

وهنا يتحدث الشاعر عن المنجمين فيبين كيف أنهم عبدوا النجوم ، وكفروا بالله والرسل ، واتبعوا ما تتلو الشياطين عليهم من زخرف قول ، ومن أباطيل ، فيقول :

لقد ضلّ عبّاد النجوم وما اهتدوا بيعث رسـول للأنـام ولا ذكر
وكم مرّ في الدنيا لهم من مخرق من الناس مطوي الضلوع على غمر
إذا جال في علم الغيوب حسبته مسيلمة الكذاب قام من القبر
أباطيـل تجري بالحقائق بينهم من الكذب منهم لا عن السبعة الزّهر

---

(١) ديوان ابن حمديس ، ص ٥٠٧ .

(٢) (٣) نفسه ، ص ٢٢٤ .

وميل إليها بالظنون وإنما | ينكّب عنها كل يقظان ذي حجر
وما الشهب إلا كالمصابيح تلتظي | مع الليل للساري وتخمد في الفجر
فيا أيها المغتر بالنجم قل لنا | أتعلم سراً فيه من ربه يسري
وبينكما بون بعيد فما الذي | تقوّله الغفر اختلافاً عن الغفر(1)

وهنا يتوجه الشاعر بكلامه إلى الممدوح ملتمساً منه الغفران لهذا الجاهل لمغتر بنجومه ، والصفح عن ذنوبه ، فـإن سعود الملك تجري من الله لا من كواكب :

فيا أحلم الأملاك عن ذي حبالة | وإن جاء في الأمر الذي جدّ بالأمر
تدارك جهولاً ضلّ أو زلّ أو به | جنون فما يرتاب للسيف في النحر
فصبر جميل الصفح عنه عقابه | فقد جلّ منك القدر عن ضعة القدر
سعودك في نيل المنى لا توقفت | من الله تجري، لا من الشمس والبدر(2)

أبو الطيب القروي :

وما أحرانا أن نختم هذا الفصل بشيءٍ من النثر ، لا من الشعر ، قاله أبو الطيب القروي في معرض رده على ابن غرسية النصراني وفيه يعبر عن شديد نقمته على النجامة وأصحابها حتى أنه لم يتخُ في نقمته ، أولئك الذين يشتغلون بالهيئة والفلك بعيداً عن صناعة الأحكام فهو ذا يقول في رسالةٍ له :

« وأما أصحاب الطوالع وعباد المطالع فقد اختلفوا في الهيئة على الجهات ووصفوها بصفات فقالوا كالدائرة تتساوى أبعادها ، ويتعدد اطرادها . وقالوا كالبيضة وكالقلادة . . . والمنجمون وهم فنون في الجنون ، يقولون فلك الأفلاك ودرك الأدراك ، والفلك الأثير وهذيان كثير . . . يعبدون الشمس ويسجدون للنار ويعبدون زحل والمريخ والزهرة والشعري العبور ، وغير ذلك . . . وهم يرون آثار النقص فيها ودلائل الموت تعتريها من طلوع وأفول وقدوم وقفول . . .

---

(1) ديوان ابن حمديس ، ص ٢٢٤ ـ ٢٢٥ . والغفر ، الأولى : ثلاثة أنجم صغار ينزلها القمر وهي من برج الميزان . والغفر الثاني ، بالكسر : ولد البقرة ، وبالضم : ولد الوعل .
(2) نفسه ، ص ٢٢٥ . والأمر في البيت الأول : العجيب المنكر .

ويزعمون أنها تتغاير وتتهائع وتتكاسف وتتخاسف، بصاع هذا التخليط من هذه الأغاليط .. لا يعرفون رشداً ولا يهتدون قصداً .. هذا مقدار عقول حكمائك ونهاية آراء علمائك .. وهذا قليل من هذيانهم، وأوار من عوار غليانهم ...[1].



(1) الذخيرة ٢ / ٧٤٢ . ويصاع الشيء : جماعه .

الخاتمة

ذلكم كان تاريخ التنجيم عند العرب ، بدأته بمقدمة بيّنت فيها كيف أن الإنسان مفطور على التطلع إلى الوقوف على معرفة الغيب ، والكشف عن المستقبل ، عن طريق استخدام التنجيم الذي لم يكن العرب فيه بدعاً من الأمم والشعوب التي عرفته منذ فجر التاريخ .

وبعد التعريف ، في الباب الأول ، بالتنجيم ، في اللغة والاصطلاح ، والتمييز بين نوعيه الحسابي والاستدلالي ، وتحديد موقعه بين العلوم العقلية والفلسفية ، والعلوم السرّية ، وصلته الوثيقة بالعلوم الفلكية . . وبعد البحث في تأثير الكواكب والبروج على المواليد ، وما يجري في العالم من أحداث حسبما تواطأ عليه المشتغلون بهذا العلم الذي قد ترجع نسبته إلى إدريس ودانيال وإبراهيم ، وكان ظهر في الصين والهند ومصر وبلاد ما بين النهرين ، وفارس ، ومارسه اليونان والرومان . . وبعد الحديث ، في الباب الثاني ، عن التنجيم عند العرب في الجاهلية ، وعصر صدر الإسلام ، والعصر الأموي ، ثم في العصر العباسي حيث ازدهرت العلوم ونشطت حركة النقل والترجمة ، فازدهرت تبعاً لذلك صناعة التنجيم الذي كان التأثير اليوناني والهندي والفارسي واضحاً فيه أشدّ الوضوح ، وحيث وُضعت فيه المؤلفات واشتهر به كثيرون ، وفي طليعتهم أبو معشر البلخي ، وأبو الريحان البيروني . .

بعد هذا ، كان لا بد من الحديث عن أثر التنجيم في المجتمع والفكر

والأدب ، وهذا ما قمنا به فعلاً ، وكان موضوع الأبواب الثلاثة الأخيرة من هذا الكتاب وذلك حينما تحدثنا في الأول منها عن أثر التنجيم في الحياة الاجتماعية ، وعن أوجه الخطأ والصواب في هذا العلم الذي كان موضع اهتمام العامة والخاصة من خلفاء وملوك ووزراء وأمراء وقوّاد وحكّام أقاليم .. وهذا ما قمنا به حينما تحدثنا في ثانيها عن أثر التنجيم في الحياة الفكرية ، وعن مواقف عدد من رجال الفقه والعلم والكلام والفلسفة ، فكان ثمة موقف للإمام الصادق ، وللشيخ المفيد ، والسيد المرتضى ، والكراجكي ، والحمصي من فقهاء الشيعة ، وكان ثمّة موقف للإمام الشافعي ، ولابن حزم الأندلسي من فقهاء السنة ، وكان ثالث للسهروردي ، ولابن العربي من المتصوفة ، وكان ثمّة موقف لجابر بن حيّان ، ولأبي بكر الخوارزمي ، ولابن طاووس ، من العلماء ؛ وكان ثمة موقف للمعتزلة الذين اتخذنا من ابن أبي الحديد مثالاً لهم ، وللأشاعرة الذين مثلناهم بالفخر الرازي ، وكان ثمّة موقف للفلاسفة الذين منهم الكندي والفارابي ، وإخوان الصفاء ، وأبو حيان التوحيدي ، ومسكويه وأبو حاتم السجستاني ، وابن سينا والغزالي ، وابن ملكا البغدادي .

وأخيراً ، فإن هذا ما قمنا به حينما تحدثنا في ثالثها ، وهو الخامس في ترتيب أبواب الكتاب ، عن أثر التنجيم في الحياة الأدبية إذ كانت النجوم في سعودها ونحوسها ، ورصدها ، والتنجيم في مضامينه موضع اهتمام ومثار اختلاف من قبل الأدباء والشعراء ، فكان ثمة مواقف مؤيدة ، وأخرى رافضة ، وثالثة بين بين ، وإن كان أبو العلاء المعري أبرز من مثل جماعة الرافضين ، وحامل لواء الناقمين والمندّدين بالتنجيم والمنجمين .

وبعد ، فماذا أنا قائلٌ في نهاية هذا المطاف ، وما الذي يمكن أن أكون قد حققت في هذ الكتاب الذي ما أظن أني اكتشفت جديداً ، ولا أدّعي أني اجترحت معجزة على الرغم من العمل الجاد ، والسعي الدؤوب طيلة ثمانية من الأعوام ؟ وإن كان لي من فضلٍ أدعيه ، فحسبي أني عرفت بهذه الصناعة ، وكشفتُ عن بعض مصطلحاتها ، وأظهرت اهتمام العرب بها ، وهي الظاهرة التي شغلت بالهم ، عامتهم وخاصتهم : علماء وفقهاء وفلاسفة ومتكلمين وأدباء وشعراء ، بمقدار ما هي تشغل اليوم بالنا ، أفلا يقع بصرك فيما يقع ، ولو على سبيل الفضول ، على ما تقوله النجوم ، وما تتحدث به الأبراج ، كلما تناولت صحيفة من الصحف ، أو مجلة من المجلات ، وذلك تحت عنوان (حظك اليوم) أو تحت

عنوان (الأبراج) أو (الأبراج والنجوم) فيكون هذا موضع اهتمامك ، وقد يكون شغلك الشاغل تماماً كانشغال بالك بأخبار السياسة أو الرياضة ، وأخبار المجتمع والناس ؟ أفلا تسترق السمع إلى ما تقوله المذيعة أو المذيع أحياناً ، وهما يذيعان ، ولو بصورة غير رسمية ، خبر ما سوف يتعرض له المولود بالبرج الفلاني ، تماماً كاستراقك السمع خبر نشرة الجو ، وخبر الرياح والأمطار والسماء ؟ ودع هذا كله ، ولنعد إلى الموضوع فنطرح سؤالاً ، فنقول : ثم ماذا عن الكلمة الفصل فيه ، عنيت التنجيم ؟ وهل ثمة بالإمكان القطع بصحة هذا العلم ، أو الحكم ببطلانه ؟! إن كان هذا يتطلب جواباً صريحاً ، فما أنا في ذلك بزعيم ، وأنّى لي أن أدعي الوصول إلى الإحاطة بكل موضوعاته وأصوله ومتفرعاته ، والقدرة على فك جميع رموزه ومصطلحاته وأسراره ، وقد رأينا كيف كان الصراع قائماً حوله في القديم ، وظني أنه سيظل قائماً ما ناء كوكب في المساء ، وطلع آخر في الصباح .

وأما إن شئت معرفة ما إذا كنت ، أنا ، من المؤمنين بحقيقة هذا الأمر ، وصحة هذا العلم ، مزعوماً كان في نظرك أو غير مزعوم ، فإن في البيت الذي صدّرت به كتابي هذا ، ما يغني عن كل تعبير ، والبيت ، ثانية ، هو :

تدبّر بالنجوم ولست تدري وربّ النجوم يفعل ما يريد

الفهـــارس

فهرس المصادر والمراجع

أ ـ بالعربية :

أولاً : الكتب :

١ ـ الآثار الباقية من القرون الخالية ، للبيروني ، مكتبة المثنى ، بغداد(بدون تاريخ) .

٢ ـ الاحتجاج ، للطبرسي ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، الطبعة الثانية ، بيروت ، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ .

٣ ـ أحسن التقويم في سعادة الأيام ونحوساتها ، لعبدالله شبر ، المطبعة الحيدرية ، النجف (بدون تاريخ) .

٤ ـ إحياء علوم الدين ، للغزالي ، مكتبة عبد الوكيل الدروبي ، دمشق (بدون تاريخ) .

٥ ـ أخبار العلماء بأخبار الحكماء ، للقفطي ، دار الآثار ، بيروت (بدون تاريخ) .

٦ ـ الأخبار الطوال ، لأبي حنيفة الدينوري ، تحقيق عبد المنعم عامر ، دار إحياء الكتب العربية ، الطبعة الأولى ، القاهرة ١٩٦٠ م .

٧ ـ الاختصاص ، للشيخ المفيد ، مؤسسة الأعلمي ، بيروت (بدون تاريخ) .

٨ ـ أدب الكاتب ، لابن قتيبة ، دار صادر ، بيروت ١٣٨٧ هـ /١٩٦٧ م .

٩ ـ آراء أهل المدينة الفاضلة ، للفارابي ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ١٩٥٩ م .

١٠ ـ الأزمنة والأمكنة ، للمرزوقي ، طبعة الشيخ علي بن عبد الله آل ثاني ١٣٨٨ هـ/١٩٦٨ م .

١١ ـ أساس البلاغة ، للزمخشري ، تحقيق عبد الرحيم محمود ، دار المعرفة ، بيروت ١٣٩٩ هـ/١٩٧٩ م .

١٢ ـ الأصول اليونانية للنظريات السياسية في الإسلام ، لعبد الرحمن بدوي ، دار الكتب المصرية ١٩٥٤ م .

١٣ ـ أعلام الفلسفة العربية ، لكمال اليازجي وأنطون غطاس كرم ، لجنة التأليف المدرسي ، الطبعة الأولى ، بيروت ١٩٥٧ م .

١٤ ـ الأغاني ، لأبي الفرج الأصبهاني ، دار الفكر للجميع ، بيروت ١٣٩٠ هـ / ١٩٧٠ م .

١٥ ـ أفلاطون ، لأحمد الأهوازي ، سلسلة نوابغ الفكر العربي ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٥ م .

١٦ ـ الأمالي ، للصدوق ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، للمرتضى ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، دار الكتاب العربي ، الطبعة الثانية ، ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م .

١٨ ـ الإمتاع والمؤانسة ، لأبي حيان التوحيدي ، ضبط وشرح : أحمد أمين وأحمد الزين ، المكتبة العصرية، بيروت ـ صيدا (بدون تاريخ) .

١٩ ـ الأنواء في مواسم العرب ، لابن قتيبة حيدر آباد ، الدكن ، الهند ، الطبعة الأولى ، ١٣٧٥ هـ / ١٩٥٦ م .

٢٠ ـ بحار الأنوار في أخبار الأئمة الأطهار ، للمجلسي ، المطبعة الجديدة ، بيروت (بدون تاريخ) .

٢١ ـ البدء والتاريخ ، للمقدسي ، طبعة باريس ، ١٩١٦ م .

٢٢ ـ البصائر والذخائر ، لأبي حيان التوحيدي ، تحقيق إبراهيم الكيلاني ، مكتبة أطلس ومطبعة الإنشاء ، دمشق (بدون تاريخ) .

٢٣ ـ بلوغ الارب في معرفة أحوال العرب ، للألوسي ، شرح وتصحيح وضبط

محمد بهجت الأثري ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ١٣٤٢ هـ .
٢٤ ـ تاريخ آداب العربية ، لجرجي زيدان ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ١٩٦٧ م .
٢٥ ـ تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والإجتماعي ، لحسن إبراهيم حسن ، مكتبة النهضة المصرية ، ط ٧ ، ١٩٦٥ م .
٢٦ ـ تاريخ الرسل والملوك ، للطبري ، دار القلم ، بيروت (بدون تاريخ) .
٢٧ ـ تاريخ بغداد ، للخطيب البغدادي ، دار الكتاب العربي ، بيروت (بدون تاريخ) .
٢٨ ـ تاريخ التمدن الإسلامي ، لجرجي زيدان ، طبعة حسين مؤنس (بدون تاريخ) .
٢٩ ـ تاريخ حكماء الإسلام ، للبيهقي ، تحقيق محمد كرد علي . مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق ١٣٦٥ هـ / ١٩٤٦ م .
٣٠ ـ تاريخ الخلفاء ، للسيوطي ، دار التراث ، بيروت ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م .
٣١ ـ تاريخ دمشق الكبير ، لابن عساكر ، تهذيب وترتيب عبد القادر بدران . دار المسيرة ، بيروت (بدون تاريخ) .
٣٢ ـ تاريخ الشعوب الإسلامية ، لبروكلمان ، نقله إلى العربية ، نبيه فارس ومنير البعلبكي ، دار العلم للملايين ، الطبعة الثالثة ، بيروت ١٩٦٠ م .
٣٣ ـ تاريخ العلم ، لجورج سارطون ، ترجمة لفيف من العلماء ، دار المعارف بمصر ١٩٥٧ م .
٣٤ ـ تاريخ علم الفلك عند العرب ، لنلّلينو ، ١٩١١ م .
٣٥ ـ تاريخ علماء الأندلس ، لابن الفرضي ، الدار المصرية للتأليف ، القاهرة ١٩٦٦ م .
٣٦ ـ تاريخ علوم عقلي دراسلام، لذبيح الله صفا .
٣٧ ـ تاريخ الفكر العربي إلى أيام ابن خلدون ، لعمر فروخ ، دار العلم للملايين ، الطبعة الرابعة ، بيروت ١٩٨٣ م .
٣٨ ـ تاريخ الفلسفة الإسلامية ، لماجد فخري ، ترجمه عن الإنكليزية كمال

اليازجي ، الدار المتحدة لنشر . بيروت ١٩٧٤ م .
٣٩ - تاريخ الفلك عند العرب ، لإمام إبراهيم أحمد ، سلسلة المكتبة الثقافية ، العدد ٣١٤ .
٤٠ - تاريخ مختصر الدول ، لابن العبري ، دار المسيرة بيروت (بدون تاريخ) .
٤١ - تاريخ اليعقوبي ، لليعقوبي ، دار صادر ودار بيروت ، ١٣٧٩ هـ / ١٩٦١ م .
٤٢ - تتمة المختصر في أخبار البشر ، تحقيق أحمد رفعت البدراوي . دار المعرفة ، الطبعة الأولى ، بيروت ١٣٨٩ هـ / ١٩٧٠ م .
٤٣ - تجارب الأمم وتقارب الهمم ، لمسكويه .
٤٤ - تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ١٩٥٨ م .
٤٥ - تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة ، للبيروني ، حيدر آباد ، الدكن ، الهند ١٣٧٧ هـ / ١٩٥٨ م .
٤٦ - تذكرة أولي الألباب والجامع للعجب العجاب ، لداود الأنطاكي ، المكتبة الشعبية ، الطبعة الأخيرة ، بيروت ١٩٧٩ م .
٤٧ - التذكرة الحمدونية ، لابن حمدون، تحقيق إحسان عباس ، معهد الإنماء العربي ، الطبعة الأولى ، بيروت ١٩٨٣ م .
٤٨ - تراث الإسلام ، لشاخت وبوزورث ، سلسلة عالم المعرفة ، عدد ١٢ ، ك١ ١٩٧٨ م .
٤٩ - تسع رسائل في الحكمة والطبيعيات ، لابن سينا ، مطبعة الجوائب ، الطبعة الأولى ، القسطنطينية ١٩٢٨ م .
٥٠ - التشبيهات من أشعار الأندلس ، لابن الكتاني ، تحقيق إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت (بدون تاريخ) .
٥١ - التفهيم لأوائل صناعة التنجيم ، للبيروني ، طبعة لندن ١٩٣٤ م .
٥٢ - التنبيه والإشراف ، للمسعودي ، دار صعب ، بيروت (بدون تاريخ) .
٥٣ - تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق ، لمسكويه ، دار مكتبة الحياة ، الطبعة

الثانية ، بيروت ١٣٩٨ هـ .
٥٤ ـ ثمرات الأوراق في المحاضرات (في هامش المستطرف في كل فن مستظرف للابشيهي) ، لابن حجة الحموي (بدون طباعة وتاريخ) .
٥٥ ـ الجامع الصحيح ، لمسلم ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، (بدون تاريخ) .
٥٦ ـ الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ، لآدم متز ، نقله إلى العربية : عبد الهادي أبو ريدة ، دار الكتاب العربي ، بيروت ١٩٦٧ م .
٥٧ ـ حياة الحيوان الكبرى ، للدميري ، طبع ونشر عبد الحميد أحمد حنفي ، مصر ، (بدون تاريخ) .
٥٨ ـ الحيوان ، للجاحظ ، شرح يحي شامي ، دار ومكتبة الهلال ، الطبعة الأولى ، بيروت ١٩٨٦ م .
٥٩ ـ الخصائص ، لابن جني ، تحقيق محمد علي النجار ، دار الهدى ، الطبعة الثانية ، بيروت (بدون تاريخ) .
٦٠ ـ دائرة المعارف ، للبستاني ، دار المعرفة ومطبعة المعارف ، بيروت ١٩٨١ م .
٦١ ـ دائرة المعارف الإسلامية ، دار الشعب القاهرة ، القاهرة ، والمكتبة الحديثة ، بيروت ، (بدون تاريخ) .
٦٢ ـ دراسات مقدمة ابن خلدون ، لساطع الحصري ، دار الكتاب العربي ، الطبعة الثالثة ، بيروت ١٩٦٧ م .
٦٣ ـ ديوان ابن التعاويذي ، لابن التعاويذي ، تصحيح مارجليوث ، مطبعة المقتطف ، القاهرة ١٩٠٣ م .
٦٤ ـ ديوان ابن حمديس ، لابن حمديس ، دار صادر ودار بيروت ١٣٧٩ هـ / ١٩٦٠ م .
٦٥ ـ ديوان ابن زقاق البلنسي ، لابن زقاق البلنسي ، تحقيق عفيفة الديراني ، دار الثقافة ، بيروت ١٩٦٤ م .
٦٦ ـ ديوان ابن زيدون ، لابن زيدون ، تحقيق كرم البستاني (بدون طبعة وتاريخ) .

٦٧ ـ ديوان ابن المعتز ، لابن المعتز ، دار صادر ودار بيروت (بدون طبعة وتاريخ) .
٦٨ ـ ديوان أبي تمام ، لأبي تمام ، تحقيق محمد عبده عزام ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٤ م .
٦٩ ـ ديوان أبي فراس ، لأبي فراس ، دار صادر ، ودار بيروت ١٣٨٠ هـ / ١٩٦١ م .
٧٠ ـ ديوان أبي نواس ، لأبي نواس ، دار صادر ودار بيروت ١٣٨٢ هـ / ١٩٦٢ م .
٧١ ـ ديوان الأخطل ، للأخطل ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ١٨٩١ م .
٧٢ ـ ديوان البحتري ، للبحتري ، ضبط وتعليق رشيد عطية . المطبعة الأدبية . بيروت ١٩١١ م .
٧٣ ـ ديوان البهاء زهير ، للبهاء زهير ، دار الكتاب اللبناني ، الطبعة الأولى ، بيروت ١٩٦٨ م .
٧٤ ـ ديوان التهامي ، للتهامي ، مكتبة المعارف ، الطبعة الأولى ، الرياض ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م .
٧٥ ـ ديوان الحطيئة ، للحطيئة ، دار صادر ودار بيروت ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م .
٧٦ ـ ديوان ذي الرمة ، لذي الرمة ، تحقيق عبد القدوس ابو صالح (بدون طباعة وتاريخ) .
٧٧ ـ ديوان الراعي النميري ، للراعي ، جمع وتحقيق راينهرت فابيرت . دار شتاينر ، فيسبادن ، ١٩٨٠ م .
٧٨ ـ ديوان السّري الرفّاء ، للسري الرفّاء ، دار الرشيد للنشر ، العراق ، ودار الطليعة ، بيروت ١٩٨١ م .
٧٩ ـ ديوان سقط الزّند ، لأبي العلاء المعري ، شرح وتحقيق نزار رضا . منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ١٩٦٥ م .
٨٠ ـ ديوان الصاحب بن عباد ، للصاحب بن عباد ، تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين . دار القلم ، بيروت ١٩٧٤ م .

٨١ ـ ديوان علي بن الجهم ، لعلي بن الجهم ، تحقيق خليل مردم بك ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ١٩٥٩ م .
٨٢ ـ الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، لابن بسام تحقيق إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م .
٨٣ ـ رحلة ابن بطوطة ، لابن بطوطة (بدون طباعة وتاريخ) .
٨٤ ـ الرسائل ، لإخوان الصفاء ، دار صادر ودار بيروت ١٩٥٧ م .
٨٥ ـ رسائل الكندي الفلسفية ، لمحمد عبد الهادي أبو ريدة ، دار الفكر العربي ، القاهرة ١٩٥٠ م .
٨٦ ـ روضة الكافي ـ للكليني ، مطبعة النجف ١٣٨٥ هـ .
٨٧ ـ رياض الصالحين ، للنووي ، دار الكتب العلمية ، بيروت (بدون تاريخ) .
٨٨ ـ الزيج الصابىء ، للبتاني ، صححه وعلّق على حواشيه وترجمه إلى اللاتينية : كرلونلّينو ، نقلاً عن النسخة المحفوظة بمكتبة الأسكوريال ، ط رومية ١٨٩٩ م .
٨٩ ـ سكردان السلطان (في هامش كتاب المخلاة لبهاء الدين العاملي) ، لابن حجلة . دار الفكر للجميع ١٣١٧ هـ .
٩٠ ـ شجرة الحضارة ، لرالف لنتون ، ترجمة أحمد فخري ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ١٩٦٠ م .
٩١ ـ شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، لابن العماد الحنبلي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت (بدون تاريخ) .
٩٢ ـ ضحى الإسلام ، لأحمد أمين ، دار الكتاب العربي ، الطبعة العاشرة ، بيروت (بدون تاريخ) .
٩٣ ـ صورة الأرض أو (كتاب المسالك والمهالك والمفاوز والمهالك) ، لابن حوقل . دار مكتبة الحياة ، بيروت ١٩٧٩ م .
٩٤ ـ طب وسحر ، لبول غليونجي ، دار القلم ومكتبة النهضة ، القاهرة (بدون تاريخ) .
٩٥ ـ طبقات الأطباء والحكماء ، لابن جلجل ، تحقيق محمد سيد كيلاني ،

مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية ، القاهرة ١٩٥٥ م .
٩٦ ـ طبقات الشعراء ، لابن المعتز ، تحقيق عبد الستار فراج ، دار المعارف بمصر .
٩٧ ـ ظاهرة العلم الحديث ، لعبد الله العمر ، سلسلة عالم المعرفة ، عدد ٦٩ ، سبتمبر ١٩٨٣ م . الكويت .
٩٨ ـ عجائب المخلوقات والحيوانات وغرائب الموجودات (في هامش كتاب حياة الحيوان الكبرى ، للدميري) ، للقزويني ، طبع ونشر عبد الحميد أحمد حنفي ، مصر ، (بدون تاريخ) .
٩٩ ـ العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب . شرح ناصيف اليازجي ، دار صادر ودار بيروت ١٩٦٤ م .
١٠٠ ـ العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، لابن رشيق ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الجيل ، الطبعة الرابعة ، بيروت ١٩٧٢ م .
١٠١ ـ عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، لابن أبي أصيبعة ، شرح وتحقيق نزار رضا . دار ومكتبة الحياة ، بيروت ١٩٦٥ م .
١٠٢ ـ فجر الإسلام ، لأحمد أمين ، دار الكتاب العربي ، الطبعة العاشرة ، بيروت ١٩٦٩ م .
١٠٣ ـ الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية ، لابن طباطبا ، دار صادر ودار بيروت ١٣٨٠ هـ / ١٩٦٠ م .
١٠٤ ـ فرج المهموم في تاريخ علماء النجوم ، لابن طاووس ، المطبعة الحيدرية ، النجف ١٣٦٨ هـ .
١٠٥ ـ الفصل في الملل والأهواء والنحل ، لابن حزم ، مكتبة المثنى ، بغداد (بدون تاريخ) .
١٠٦ ـ فصوص الحكم ، لابن عربي ، دار الكتاب العربي ، بيروت (بدون تاريخ) .
١٠٧ ـ الفهرست ، لابن النديم ، نسخة مصوّرة عن طبعة طهران ، تحقيق رضا ، تجدد . ١٩٧٠ م .
١٠٨ ـ في طريق الميثولوجيا عند العرب ، لمحمود سليم الحوت . دار النهار

للنشر ، الطبعة الثانية ، بيروت ١٩٧٩ م .
١٠٩ ـ القرآن الكريم .
١١٠ ـ الكافي ، للكليني ، طباعة طهران ، ١٣٧٧ هـ .
١١١ ـ الكامل في اللغة والأدب ، للمبرد ، مكتبة المعارف ، بيروت (بدون تاريخ) .
١١٢ ـ كتاب أبي معشر الفلكي الكبير ، لأبي معشر ، مكتبة الجمهورية العربية ، مصر ، (بدون تاريخ) .
١١٣ ـ كتاب التوحيد الذي هو حقّ الله على العبيد ، لمحمد بن عبد الوهاب ، إدارة الطباعة المنيرية بدمشق .
١١٤ ـ كتاب الجمع بين رأيي الحكيمين ، للفارابي ، تحقيق ألبير نصري نادر ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ١٩٦٠ م .
١١٥ ـ كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، لحاجي خليفة ، مكتبة المثنى ، بغداد (بدون تاريخ) .
١١٦ ـ الكشكول ، للبحراني ، منشورات الأعلمي ، كربلاء ١٣٨١ هـ / ١٩٦١ ك .
١١٧ ـ اللزوميات ، أو (لزوم ما لا يلزم) ، لأبي العلاء المعري ، دار بيروت ودار صادر ١٣٨١ هـ / ١٩٦١ م .
١١٨ ـ لسان العرب ، لابن منظور ، دار صادر ، ودار بيروت (بدون تاريخ) .
١١٩ ـ المباحث الشرقية في علم الالهيات والطبيعيات ، للرازي ، مكتبة الأسدي ، طهران ١٩٦٦ م .
١٢٠ ـ مجمع الأمثال ، للميداني ، منشورات دار الحياة ، بيروت ١٩٦١ م .
١٢١ ـ مجمع البيان في تفسير القرآن ، للطبرسي ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ١٣٨٠ هـ / ١٩٦١ م .
١٢٢ ـ المجموعة الكبرى في العلوم الروحانية ، لابن سينا ، مطبوعات عبد العزيز كرم . مصر (بدون تاريخ) .
١٢٣ ـ المحاسن والمساوىء ، للبيهقي ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم .

مكتبة نهضة مصر ومطبعتها ١٣٨٠ هـ / ١٩٦١ م .

١٢٤ ـ محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء ، للراغب الأصبهاني ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ١٩٦١ م .

١٢٥ ـ مختار رسائل جابر بن حيّان ، لجابر بن حيّان ، تصحيح ونشر كراوس ، مطبعة الخانجي ، مصر ١٣٥٤ هـ .

١٢٦ ـ المخصص ، لابن سيدة ، المكتب التجاري للطباعة والنشر ، بيروت (بدون تاريخ) .

١٢٧ ـ المختصر في أخبار البشر ، لأبي الفدا ، المطبعة الحسينية بمصر ، الطبعة الأولى (بدون تاريخ) .

١٢٨ ـ مروج الذهب ومعادن الجواهر ، للمسعودي ، نسخة أولى ، تحقيق شارل بلاّ ، منشورات الجامعة ، بيروت ١٩٦٦ م . ونسخة ثانية ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة ، ط ٤ ، مصر ١٩٦٤ م .

١٢٩ ـ مشارف علم الفلك ، ألفرد هويل ، ترجمة اسماعيل حقي ، مراجعة عبد الحميد سماحة ، سلسلة الألف كتاب ، ٤٦٣ ، دار الكرنك ، القاهرة ١٩٦٣ م .

١٣٠ ـ مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية ، لناصر الدين الأسد ، دار المعارف بمصر ، ط ٤ ، ١٩٦٩ م .

١٣١ ـ المطالب العالية من العلم الآلهي ، للرازي ، تحقيق أحمد حجازي السّقا ، دار الكتاب العربي ، بيروت .

١٣٢ ـ معجم الأدباء ، لياقوت ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت (بدون تاريخ) .

١٣٣ ـ المفضليات من شعر العرب ، للضبي ، شرح حسن السندوبي ، ط ١ ، المطبعة الرحمانية بمصر ، ١٣٤٥ هـ / ١٩٢٦ م .

١٣٤ ـ مفيد العلوم ، للخوارزمي ، (بدون طباعة وتاريخ) .

١٣٥ ـ مقامات بديع الزمان ، لبديع الزمان الهمذاني ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت (بدون تاريخ) .

١٣٦ ـ المقتبس في أخبار بلاد الأندلس ، لابن حيّان القرطبي ، تحقيق عبد العزيز الحجّي ، دار الثقافة ، بيروت ١٩٦٥ م .
١٣٧ ـ مقدمة تاريخ ابن خلدون ، لابن خلدون ، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني ، ط ٢ ، بيروت ١٩٦١ .
١٣٨ ـ المكاسب ، للأنصاري ، تحقيق وتعليق محمد كلانتر ، مؤسسة مطبوعاتي ، دار الكتاب ، قم ، ط ١ ، إيران ، (بدون تاريخ) .
١٣٩ ـ الملاحم والفتن في ظهور الغائب المنتظر ، لابن طاووس ، منشورات الأعلمي ، ط ٥ ، بيروت ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م .
١٤٠ ـ الملل والنحل ، للشهرستاني ، تحقيق محمد سيد كيلاني ، ط ٢ ، دار المعرفة ، بيروت ١٩٧٥ م .
١٤١ ـ منهاج الصالحين ، لأبي القاسم الخوئي ، دار الزهراء ، ط ١٥ ، بيروت ١٩٨١ م .
١٤٢ ـ مؤلفات الفارابي ، لحسين محفوظ ، مطبعة الأديب البغدادية ، ١٩٧٥ م .
١٤٣ ـ الميزان في تفسير القرآن ، للطباطبائي ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، ط ٣ ، بيروت ١٣٩١ هـ / ١٩٧٢ م .
١٤٤ ـ النجوم في الشعر العربي القديم حتى أواخر العصر الأموي ، ليحيى شامي ، دار الآفاق الجديدة ، ط ١ ، بيروت ١٩٨٢ م .
١٤٥ ـ نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ، لشيخ الربوة ، مطبعة الأكاديمية الإمبراطورية ، بطرسبورغ ١٢٨١ هـ / ١٨٦٥ م .
١٤٦ ـ نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة ، للتنوخي ، تحقيق عبود الشالجي ، ١٣٩١ هـ / ١٩٧١ م .
١٤٧ ـ نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، للمقرّي ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد . مطبعة السعادة بمصر ١٩٤٩ م .
١٤٨ ـ نهج البلاغة ، للإمام علي بن أبي طالب ، شرح ابن أبي الحديد ، دار إحياء التراث العربي ، دار المعرفة ودار الكتاب العربي ، بيروت (بدون تاريخ) .

١٤٩ ـ الهوامل والشوامل ، لمسكويه وأبي حيان التوحيدي ، مطبعة لجنة التأليف والنشر ، القاهرة ١٣٧٠ هـ / ١٩٥١ م .

١٥٠ ـ الوجديّة وأثرها في الأندلس ، لجرجي طربيه ، دار الكتاب اللبناني ومكتبة المدرسة ، ط ١ ، بيروت ١٩٨٣ م .

١٥١ ـ يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر ، للثعالبي ، دار الكتب العلمية ، بيروت(بدون تاريخ) .

ثانياً : الدوريات والمجلات :

ـ التراث العربي : مجلة فصلية . العددان ٥ / ٦ . السنة الثانية . دمشق ، ١٩٨١ م .

ـ مجلة معهد المخطوطات العربية : مجلد ٢٦ . ج٢ . الكويت ١٩٨٢ م .

ـ عالم الفكر : مجلة فصلية . مجلد ٦ . عدد ٣ . الكويت ١٩٧٥ م .

ـ المورد : مجلة فصلية .
المجلد الأول . العددان ١ / ٢ . بغداد ١٩٧١ م .
المجلد الرابع . العدد ١ . بغداد ١٩٧٥ م .
المجلد الثامن . العدد ٤ . بغداد ١٩٧٩ م .

ـ الهلال : مجلة شهرية . عدد ديسمبر . القاهرة ١٩٧٢ م .

ثالثاً : المخطوطات :

١ ـ دار الكتب الظاهرية بدمشق :

رقم المخطوطة	عنوانها	صاحبها
٣٥٨٤	مواليد الرجال والنساء	أبو معشر البلخي
٣٥٨٥	كتاب دانيال	دانيال
٤٠٤٣	الصواب في علم البسط والتكسير في الحروف والأوفاق العددية والحرفية	البوني
٤٤٨٩	حركة الأفلاك	ثابت بن قرة
٤٧٠٠٠	المجمل في أصول صناعة النجوم	كوشيار

رقم المخطوطة	عنوانها	صاحبها
٤٨٠١	— يج —	
٤٨٠١	البارع في أحكام النجوم ـ مجلد ١ ـ	علي بن أبي الرجال
٤٨٠٢	البارع في أحكام النجوم ـ مجلد ٢٢ ـ	علي بن أبي الرجال
٤٨٧١	رسالة في امتحان المنجمين	القبيصي
٥٠٣٩	كتاب دانيال	دانيال
٥٢٦٥	دلالات الكواكب	كوشيار
٥٦٠٠	ملحمة دانيال	دانيال
٦٢٦٣	كتاب دانيال	دانيال
٦٢٧١	كتاب دانيال	دانيال
٦٣٤٨	رسالة في الزايرجة ومعرفة استنطاق الحروف والبروج والمنازل	المعماري الشاذلي
٦٣٦٧	الرسالة في إخراج الضمير	القصراني
٦٨٨٤	كتاب المواليد	الخياط
٧٦١٤	ديوان خالد	خالد بن زيد
٧٧٩٠	تحرير المجسطي	نصر الدين الطوسي
٧٨٤٥	ملحمة دانيال	دانيال
٧٩٧٤	القضاء من النجوم على الحوادث	بطليموس
٨٢٠٦	القرانات	كوشيار
٩٠٦٠	جوامع أحكام الكسوفين وقران الكوكبين زحل والمشتري ودلالة ذلك على الملك والأديان وأحوال العالم	ابن أماجور
٩٢١٩	أصل الأصول في خواص النجوم وأحكامها وأحكام المواليد	أبو العنبس الصيمري
	— يد —	
٩٣٥٤	المغني من النجوم في أحكام النجوم	ابن هبنتّي
٩٧٠٣	هرمس المرامسة	هرمس
٩٧٩٠	طالع المولود	أبو معشر

رقم المخطوطة	عنوانها	صاحبها
٩٨٢٥	كتاب الحرف الكبير	هرمس
١٠٠٧٤	هرمس الهرامسة	هرمس
١٠٠٧٤	اقترانات الكواكب في البروج الإثني عشر	أبو معشر
١٠٧٣٢	تحفة الأحباب في بيان حكم الأذناب	المقدسي

٢ ـ مكتبة المتحف العراقي ببغداد

رقم المخطوطة	عنوانها	صاحبها
٢	الأساس في النجوم والزيج المنسوب إلى هرمس	هرمس
٢١٢٣	ديوان خالد بن يزيد في الصنعة	خالد بن يزيد
١٠٠١٤	السر المختوم في علم الفلك والنجوم	الفخر الرازي
١١٣٨١	الكناش	أهرمن
١٢٤٨٠	المسائل في التنجيم	ابن الفرّخان
٣٠٠٠٩	أسرار النجوم	أبو معشر
١٠٥٤٦ /١	المنتخب من كتاب الألوف لأبي معشر	السجزي
١٠٥٤٦ /٢	مزاجات الكواكب	السجزي
١٠٥٤٦ /٣	برهان الكفاية في النجوم	السجزي
٩٩٩ /٣	المسائل والاختيارات	القبيصي
١٠٨ / ٤	المدخل إلى أحكام النجوم	أبو القاسم البلخي
٢٣٣٠٩ / ٤	كتاب المسائل	ما شاء الله

— يه —

٣ ـ مكتبة الأوقاف العامة ـ بغداد

رقم المخطوطة	عنوانها	صاحبها
٦٣٩١	المدخل إلى علم هيئة الأفلاك	الفرغاني
٦٤٤٢	رسالة في علم الفلك	عبد الرحيم المزني
٦٤٦٥	علم التنجيم ومعرفة التقويم	نصر الدين الطوسي
٦٤٧٦	الطالع في مواليد الرجال والنساء	أبو معشر

٤ ـ المكتبة الوطنية بباريس

٢٥٧٧	كتاب هرمس Livre de Hérmes	هرمس
٢٥٧٨	هرمس الهرامسة Hérmes des Hérmes	هرمس
٢٥٧٩	هرمس الهرامسة Hérmes des Hérmes	هرمس
٢٥٨٠	هرمس الهرامسة Hérmes des Hérmes	هرمس
٢٥٨٠	قرانات الكواكب	أبو معشر
٢٥٨١	كتاب الألوف	أبو معشر
٢٥٨٢	(. . . .) بدون عنوان	أبو معشر
٢٥٨٣	المواليد	أبو معشر
٢٥٨٤	المواليد	أبو معشر
٢٥٨٥	كتاب في المواليد للحكيم	لعله : أبو معشر
٢٥٨٦	المواليد	أبو معشر
٢٥٨٧	المواليد	أبو معشر
٢٥٨٨	أحكام تحويل سني المواليد	أبو معشر
٢٥٨٩ ـ ٦٢٢٤	المدخل في علم النجوم	نصر بن الحسن القمّي
٢٦٠٠	المسائل في التنجيم	الفرّخان الطبري
٥٩٠٢	المدخل الكبير في علم الأحكام والنجوم	ينسب إلى أبي معشر
٦٢٨١	منظومة في الكيمياء	تنسب إلى : خالد بن يزيد
٦٥٩٩	كفاية التعليم في صناعة لتنجيم	أبو محامد الغزنوي
٦٦٨٨	جامع تحويل السنين والمواليد	السجزي
٦٦٨٨	(مباحث شتى في التنجيم . .)	تنسب إلى : بطليموس وغيره
٦٨٤١	المفاتيح في استخراج الطالع	أبو العباس الحاسب

ب ـ بالأجنبية :

1- Bayer, Raymond:
L'histoire de L'esthétique, Arman Colin, Paris, 1962.

2- Brockelmann:
Histoire des peuples et des Etats Islamiques, Trad., M. Tazerout, Payot, Paris, 1949

3- Corveja, Mireille:
Les propheties de Nostradamus, édit. de Vecchi, Paris, 1977.

4- Couderc, Paul:
L'astrologie, 6e Édition, (Que sais- je?). Presse Universitique de France.

5- L. de Gérin, Richard:
Histoire de L'Occultisme.

6- Gorr Khalile:
Les catégories d'Zristote dans leurs versions Syro- Arabes.

7- Hamilton, Edith: **La mythologie (Ses Dieux ses Héros ses Legendes)** Marabout Université, Belgique

8- Peuckert, W.E:
L'astrologie, son histoire, ses doctrines, Petite bibliothèque, Payot, Paris, 1980.

9- Robert, Paul:
Dictionnaire Alphabétique et Analogique de langue Française, Paris XI, 1971.

10- Wright, W.:
History of Siriac Literature.

11- **Encyclopédie de la civilisation**, Paris, 1974

12- **Encyclopédie générale**, Hachette, Paris, 1975

13- **Encyclopédie de l'Islam**, Nouvelle édition, Paris, 1975

14- **Encyclopédie des Sciences et des Techniques**, 1967

15- **Journal of the History of Ideas**, Vol. III, 1924

16- **Nouveau Larousse Universel**

17- **La science pour tous**, Grolier Limitée-Montréal- Canada 1963.

فهرس أصحاب المصادر والمراجع

(أ)

١ ـ إبراهيم أحمد ، إمام : **تاريخ الفلك عند العرب** .

٢ ـ إبراهيم حسن ، حسن : **تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي** .

٣ ـ ابن أبي أصيبعة ، أبو العباس أحمد (ت ٦٦٨ هـ / ١٢٧٠ م) : **عيون الأنباء في طبقات الأطباء** .

٤ ـ ابن أبي الحديد ، أبو حامد عبد الحميد (ت ١٢٥٧ م) : **شرح نهج البلاغة** .

٥ ـ ابن بسام ، أبو الحسن علي (ت ٥٤٢ هـ) : **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة** .

٦ ـ ابن بطوطة : **الرحلة** .

٧ ـ ابن التعاويذي ، أبو الفتح محمد (ت ٥٨٣ هـ) : **الديوان** .

٨ ـ ابن جلجل ، أبو داود سليمان (القرن ٤ هـ) : **طبقات الأطباء والحكماء** .

٩ ـ ابن جني ، أبو الفتح عثمان (ت ٣٩٢ هـ / ١٠٠٢ م) : **الخصائص** .

١٠ ـ ابن الجهم ، علي (ت ٢٦٠ هـ / ٨٦٣ م) : **الديوان** .

١١ ـ ابن حجلة ، أحمد بن يحيى : **سكردان السلطان** .

١٢ ـ ابن حجة ، أبو بكر بن علي الحموي : **ثمرات الأوراق في المحاضرات** .

١٣ ـ ابن حزم ، أبو محمد علي (ت ٤٥٦ هـ / ١٠٦٤ م) : **الفصل في الملل والأهواء والنحل** .

١٤ ـ ابن حمدون ، محمد بن الحسن (ت٥٦٢ هـ) : **التذكرة الحمدونية** .

١٥ ـ ابن حمديس ، عبد الجبار (ت ٥٢٧ هـ / ١١٣٣ م) : **الديوان** .

١٦ ـ ابن حوقل ، أبو القاسم النصيبي (القرن ٤ هـ) **صورة الأرض** ، أو (**المسالك والممالك**) .

١٧ ـ ابن حيان ، جابر (ت ٢٠٠ هـ / ٨١٥ م) : **مختار رسائل جابر بن حيان** .

١٨ ـ ابن خلدون ، عبد الرحمن : **المقدمة** .

١٩ ـ ابن رشيق ، أبو علي الحسن (ت ٤٥٦ هـ) : **العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده** .

٢٠ ـ ابن زقاق البلنسي : **الديوان** .

٢١ ـ ابن زيدون ، أحمد (ت ١٠٧٠ م) : **الديوان** .

٢٢ ـ ابن سيدة ، علي : **المخصص** .

٢٣ ـ ابن سينا ، أبو علي الحسين (ت ٤٢٨ هـ / ١٠٣٧ م) : **تسع رسائل في الحكمة والطبيعيات** .

ـ **المجموعة الكبرى في العلوم الروحانية** .

٢٤ ـ إخوان الصفاء (القرن ٤ هـ) : **الرسائل** .

٢٥ ـ ابن طاهر ، مطهر المقدسي : **البدء والتاريخ** .

٢٦ ـ ابن طاووس ، أبو القاسم علي (ت ٦٦٤ هـ / ١٢٦٦ م) : **فرج المهموم في تاريخ علماء النجوم** .

ـ **الملاحم والفتن في ظهور الغائب المنتظر** .

٢٧ ـ ابن طباطبا ، محمد ، المعروف بابن الطقطقي : **الفخري في الآداب السلطانية** .

٢٨ ـ ابن عبد الوهاب ، محمد (ت ٢٠٦ هـ) : **كتاب التوحيد** .

٢٩ ـ ابن العبري ، غريغوريوس (ت ٦٨٥ هـ / ١٢٨٦ م) : **تاريخ**

مختصر الدول .
٣٠ ـ ابن عربي ، محيي الدين محمد (ت ٦٣٨ هـ / ١٢٤٠ م) : فصوص الحكم .
٣١ ـ ابن عساكر ، أبو القاسم علي (ت ٥٧١ هـ / ١١٧٥ م) : تاريخ دمشق الكبير .
٣٢ ـ ابن الفرضي ، أبو الوليد عبدالله (ت ٤٠٣ هـ) : تاريخ علماء الأندلس .
٣٣ ـ ابن قتيبة ، أبو محمد عبدالله (ت ٢٧٠ هـ أو ٢٧٦ هـ) : الأنواء في مواسم العرب .
ـ أدب الكاتب .
٣٤ ـ ابن الكتاني : التشبيهات من أشعار الأندلس .
٣٥ ـ ابن المعتز ، أبو العباس عبدالله (ت ٣٩٦ هـ) : الديوان .
ـ طبقات الشعراء .
٣٦ ـ ابن منظور ، أبو الفضل محمد (ت ٧١١ هـ) : لسان العرب .
٣٧ ـ ابن النديم ، أبو الفرج محمد (ت ٣٨٠ هـ / ٩٨٩ م) : الفهرست .
٣٨ ـ ابن الوردي ، عمر (ت ٧٤٩ هـ) : تتمة المختصر في أخبار البشر .
٣٩ ـ الأخطل ، غياث بن غوث (ت ٩٠ هـ) : الديوان .
٤٠ ـ الأسد ، ناصر الدين : مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية .
٤١ ـ الأصبهاني ، أبو الفرج علي (ت ٣٥٦ هـ) : الأغاني .
٤٢ ـ الألوسي ، محمود (ت ١٢٧٠ هـ) : بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب .
٤٣ ـ آل ياسين ، جعفر : مؤلفات الفارابي .
٤٤ ـ أمين ، أحمد : ضحى الإسلام ، فجر الإسلام .
٤٥ ـ الأنصاري ، مرتضى (١٢٨٢ هـ / ١٨٦٤ م) : المكاسب .
٤٦ ـ الأنطاكي ، داود بن عمر (ت ١٠٠٨ هـ) : تذكرة أولي الألباب والجامع للعجب العجاب .

٤٧ ـ الأهوازي ، أحمد : أفلاطون .

٤٨ ـ أبو تمام ، حبيب بن أوس (ت ٣٣٢ هـ / ٨٤٥ م) : الديوان .

٤٩ ـ أبو ريدة ، محمد عبد الهادي : رسائل الكندي الفلسفية .

٥٠ ـ أبو الفدا : المختصر في أخبار البشر .

٥١ ـ أبو فراس ، الحارث الحمداني (ت ٣٥٧ هـ / ٩٦٧ م) : الديوان .

٥٢ ـ أبو معشر ، جعفر البلخي (ت٢٧٢ هـ) : كتاب أبي معشر الفلكي .

٥٣ ـ أبو نواس ، الحسن بن هانىء (ت ١٩٩ هـ / ٨١٣ م) : الديوان .

٥٤ ـ البتاني ، أبو عبدالله محمد بن سنان (ت ٣١٨ هـ / ٩٢٩) : الزيج الصابىء .

٥٥ ـ البحتري ، أبو عبادة الوليد (ت٣٨٨ هـ / ٨٩٧ م) : الديوان .

٥٦ ـ البحراني ، يوسف : الكشكول .

٥٧ ـ بدوي ، عبد الرحمٰن : الأصول اليونانية للنظريات السياسية في الإسلام .

٥٨ ـ بروكلمان ، كارل : تاريخ الشعوب الإسلامية .

٥٩ ـ البستاني ، بطرس : دائرة المعارف .

٦٠ ـ البغدادي ، الخطيب أبو بكر أحمد (ت ٤٦٣ هـ / ١٠٧٠ م) : تاريخ بغداد .

٦١ ـ البهاء ، زهير (ت ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م) : الديوان .

٦٢ ـ بوزورث : تراث الإسلام .

٦٣ ـ البيروني ، أبو الريحان محمد (ت ٤٤٠ هـ / ١٠٤٨ م) : الآثار الباقية من القرون الخالية .

ـ تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة .

ـ التفهيم لأوائل صناعة التنجيم .

٦٤ ـ البيهقي ، إبراهيم (القرن ٤ هـ) : المحاسن والمساوىء .

٦٥ ـ البيهقي ، أبو الحسن علي (ت ٥٦٥ هـ) : تاريخ حكماء الإسلام .

ـ ت ـ

٦٦ ـ التنوخي ، أبو علي المحسّن (ت ٣٨٥ هـ / ٩٩٤ م) : نشوار المحاضرة

وأخبار المذاكرة .
٦٧ ـ التهامي ، علي بن محمد (ت ٤١٦ هـ / ١٠٢١ م) : الديوان .
٦٨ ـ التوحيدي ، أبو حيان علي (ت ٤١٤ هـ / ١٠٢٣ م) : الإمتاع والمؤانسة .
ـ البصائر والذخائر .
ـ الهوامل والشوامل .

ـ ث ـ

٦٩ ـ الثعالبي ، أبو منصور عبد الملك (ت ٤٢٩ هـ) : يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر .

ـ ج ـ

٧٠ ـ الجاحظ ، أبو عثمان عمرو (ت٢٥٥ هـ /٨٦٩ م) : الحيوان .

ـ ح ـ

٧١ ـ حاجي خليفة ، مصطفى : كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون .
٧٢ ـ الحصري ، ساطع : دراسات مقدمة ابن خلدون .
٧٣ ـ الحطيئة ، جرول بن أوس (ت ٣٠ هـ) : الديوان .
٧٤ ـ الحنبلي ، ابن العماد (ت١٠٨٩ هـ) : شذرات الذهب في أخبار من ذهب .
٧٥ ـ الحوت ، محمود سليم : في طريق الميثولوجيا عند العرب .

ـ خ ـ

٧٦ ـ الخوارزمي ، أبو بكر محمد (ت ٣٨٤ هـ / ٩٩٣ م) : مفيد العلوم .
٧٧ ـ الخوئي ، أبو القاسم : منهاج الصالحين .

ـ د ـ

٧٨ ـ الدميري : حياة الحيوان الكبرى .

٧٩ ـ الدينوري ، أبو حنيفة أحمد (ت ٢٨٢ هـ) : الأخبار الطوال .

ـ ذ ـ

٨٠ ـ ذو الرّمة ، غيلان بن عقبة (ت ١١٧ هـ / ٧٣٤ م) : الديوان .

ـ ر ـ

٨١ ـ الرازي ، أبو عبدالله محمد (ت ٦٠٦ هـ / ١٢١٠ م) : المباحث الشرقية في علم الإلهيات والطبيعيات .
ـ المطالب العالية من العلم الإلهي .

٨٢ ـ الراعي ، أبو جندل عبيد (ت ١١٩ هـ / ٧٣٨ م) : الديوان .

٨٣ ـ الراغب الأصبهاني ، أبو القاسم حسين (ت ٥٠٢ هـ) : محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء .

٨٤ ـ روجيه ، أرنالديز : مقالته في مجلة المورد العراقية .

ـ ز ـ

٨٥ ـ زايد ، عبد الحميد : مقالته في مجلة عالم الفكر الكويتية .

٨٦ ـ الزمخشري ، أبو القاسم محمود (ت ٥٣٨ هـ) : أساس البلاغة .

٨٧ ـ زيدان ، جرجي : تاريخ آداب العربية .
ـ تاريخ التمدن الإسلامي .

ـ س ـ

٨٨ ـ سارطون ، جورج : تاريخ العلم .

٨٩ ـ السري الرفّاء (ت ٣٦٦ هـ / ٩٧٦ م) : الديوان .

٩٠ ـ السيوطي ، جلال الدين (ت ٩١٠ هـ) : تاريخ الخلفاء .

ـ ش ـ

٩١ ـ شاخت : تراث الإسلام .

٩٢ ـ شامي ، يحيى : النجوم في الشعر العربي القديم .
٩٣ ـ شبّر ، عبدالله (ت ١٢٤٢ هـ) : أحسن التقويم في سعادة الأيام ونحوساتها .
٩٤ ـ شحاتة ، جورج قنواتي : مقالته في مجلة التراث العربي .
٩٥ ـ الشهرستاني ، أبو الفتح محمد (ت ٥٤٨ هـ) : الملل والنحل .
٩٦ ـ شيخ الربوة ، أبو عبدالله محمد : نخبة الدهر في عجائب البر والبحر .

ـ ص ـ

٩٧ ـ الصابيء ، أبو الحسن الهلال بن المحّسن : تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء .
٩٨ ـ الصاحب بن عباد ، إسماعيل (ت ٣٨٥ هـ / ٩٩٥ م) : الديوان .
٩٩ ـ الصدوق ، أبو جعفر محمد (ت ٣٨١ هـ) : الأمالي .

ـ ض ـ

١٠٠ ـ الضّبي ، أبو العباس المفضل : المفضّليات من شعر العرب .

ـ ط ـ

١٠١ ـ الطباطبائي ، محمد حسين : الميزان في تفسير القرآن .
١٠٢ ـ الطبرسي ، أبو منصور أحمد (القرن ٦ هـ) : الإحتجاج .
١٠٣ ـ الطبرسي ، أبو علي الفضل (القرن ٦ هـ) : مجمع البيان في تفسير القرآن .
١٠٤ ـ الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ) : تاريخ الرسل والملوك .
١٠٥ ـ طربيه ، جرجي أنطونيوس : الوجديّة وأثرها في الأندلس .

ـ ع ـ

١٠٦ ـ علي بن أبي طالب (ت ٤٠ هـ) : نهج البلاغة .
١٠٧ ـ العمر ، عبدالله : ظاهرة العلم .

ـ غ ـ

١٠٨ ـ الغزالي ، أبو حامد محمد (ت ٥٠٥ هـ / ١١١١ م) : إحياء علوم الدين .

١٠٩ ـ غليونجي ، بول : طبّ وسحر .

ـ ف ـ

١١٠ ـ الفارابي ، أبو نصر محمد (ت ٣٣٩ هـ / ٩٥٠ م) : آراء أهل المدينة الفاضلة .

ـ كتاب الجمع بين رأيي الحكيمين .

١١١ ـ فخري ، ماجد ـ تاريخ الفلسفة الإسلامية .

١١٢ ـ فروخ ، عمر : تاريخ الفكر العربي في أيام ابن خلدون .

ـ ق ـ

١١٣ ـ القرطبي ، ابن حيان : المقتبس في أخبار بلاد الأندلس .

١١٤ ـ القزويني ، زكريا بن محمد : عجائب المخلوقات .

١١٥ ـ القفطي ، أبو الحسن علي (ت ٦٤٦ هـ) : أخبار العلماء بأخبار الحكماء .

ـ ك ـ

١١٦ ـ كرم ، أنطون غطاس : أعلام الفلسفة العربية .

١١٧ ـ الكليني ، أبو جعفر محمد : الكافي .

ـ روضة الكافي .

ـ ن ـ

١١٨ : لنتون ، رالف : شجرة الحضارة .

ـ م ـ

١١٩ ـ المبرّد ، أبو العباس محمد (ت ٢٨٥ هـ) : الكامل في اللغة والأدب .

١٢٠ ـ متز ، آدم : الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري .
١٢١ ـ المتنبي ، أبو الطيب أحمد (ت ٣٥٤ هـ / ٩٦٥ م) : الديوان .
١٢٢ ـ المجلسي ، محمد باقر (ت ١١١١ هـ) : بحار الأنوار .
١٢٣ ـ محفوظ ، حسين : مؤلفات الفارابي .
١٢٤ ـ المرتضى ، علي الموسوي (ت ٤٣٦ هـ / ١٠٤٣ م) : الأمالي .
١٢٥ ـ المرزوقي ، أبو علي (ت ٣٨٥ هـ) : الأزمنة والأمكنة .
١٢٦ ـ المسعودي ، أبو الحسن علي (ت ٣٤٦ هـ) : التنبيه والإشراف .
ـ مروج الذهب ومعادن الجواهر .
١٢٧ ـ مسكويه ، أبو علي أحمد (ت ٤٢١ هـ / ١٠٣٠ م) : تجارب الأمم وتقارب بالهمم .
ـ تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق .
ـ الهوامل والشوامل .
١٢٨ ـ مسلم ، أبو الحسين بن الحجاج (ت ٢٦١ هـ) : الجامع الصحيح .
١٢٩ ـ المطهري ،مرتضى : الإسلام وإيران .
١٣٠ ـ المعري ، أبو العلاء أحمد (ت ٤٤٩ هـ / ١٠٥٧ م) : سقط الزند .
ـ اللزوميات .
١٣١ ـ المفيد ، محمد بن محمد بن النعمان (ت ٤١٣ هـ / ١٠٢٢ م) : الإختصاص .
١٣٢ ـ المقرّي ، أحمد بن محمد (ت ١٠٤١ م) : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب .
١٣٣ ـ الميداني ، أبو الفضل أحمد (ت ٥١٨ هـ) : مجمع الأمثال .

ـ ن ـ

١٣٤ ـ نللّينو ، كرلو : تاريخ علم الفلك عند العرب .
١٣٥ ـ نوفل ، سيد : مقالته في مجلة الهلال المصرية .
١٣٦ ـ النووي ، يحيى بن شرف (القرن ٧ هـ) : رياض الصالحين .

فهرس الأعلام

ـ أ ـ

- ب -

- ت -

- ث -

- ج -

- ح -

- ض -

- ط -

- ظ -

- ع -

- غ -

- ف -

- ق -

- ك -

- ل -

- م -

ـ ن ـ

- هـ -

- و -

- ي -

فهرس الأماكن

الفهرس الفلكي

أ ـ النجوم والكواكب والكويكبات

ب' ، البروج (منازل الشمس)

ج - منازل القمر -



الفهــرس

الفصل الثالث : نجوميون ومنجمون

الباب الخامس : أثر التنجيم في الحياة الأدبية



طبع على مطابع

مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر

الإدارة : ٨٢٤٧٤٨/٩ - ٨٢١٨٤٣ ـ المخازن : ٨٢٣٨٢٩ • المطابع : ٨٣٧١٤٢٠
فاكس : ٨٢٠٣٧٨ ـ تلكس : ٢٠٣٩٣
بناية لاندمارك ـ بئر حسن ـ ص.ب : ١٣/٥٢٥١ ـ بيروت ـ لبنان